

سَوَاءُ الْحِكْمَةِ

"وهو تاريخ للحكومات قبل ظهور الإسلام وبمصر
وبليه ثلاث رسائل في الأجرام والمحرك الأول والكمال

تأليف

أبو سليمان المنطقي المجسطي (ت ٣٩٢ هـ)

حققه وقدم له

الدكتور عبد الله حسن بدوي

دار ومكتبة بيلابون

صَوَائِحُ الْحِكْمَةِ

"وهو تاريخٌ للحكماء قبل ظهور الإسلام وبمخيطه"
ويليه ثلاث رسائل في الأجرام والمحرك الأول والكمال

تأليف

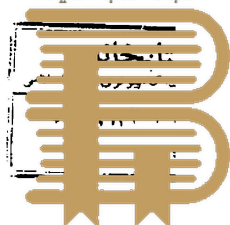
أبو سليمان المنطقي السجستاني (ت 392 هـ)

حقّقه وقَدّم له

شبكة كتب الشيعة الدكتور عبدالرحمن بدوي

دار بيبليون

باريس



shiabooks.net

رابطہ بديل < mktba.net

©2004, Dar BYBLION
30, R. de Passy Paris 16^e

الفهرس

ص

الموضوع

٥

تصدير عام

أبو سليمان المنطقي السجستاني - تكوينه العلمي ١٢ - التزامه لبيته ١٦
- حلقة أبي سليمان ١٨ - تاريخ وفاته ٢١ - مؤلفاته ٢٣ -
مختصر الساوي ٢٦ - المخطوط رقم ٩٤ ص ٣١ - أبو سليمان
شاعر ٣٥ - مقارنة بين الشعر والنثر ٣٦

٤٠

آراء أبي سليمان

العقل ٥٠ - الطفل والبدية ٥١ - العقل الهى ٥٢ - النفس والروح
والجسم ٥٣ - اثبات وجود النفس ٥٦ - مسائل في الطبيعة ٥٦ -
أ - الطبيعة ٥٨ - ب - الزمان والدهر ٥٩ - مسائل في الالهيات -
٦١ - كيفية فعل الله ٦١ - مسائل في الانسان ٦٣ .
أ - غاية الانسان ٦٣ - ب - الخير ٦٣ - الفرق بين النحر والمنطق
٦٥ - الكهانة وعلم أحكام النجوم والأرزاق ٦٧ - لا يجتمع
الرزق والحكمة معا ٧١ - هذا الكتاب ٧٢ .

صوان الحكمة ٧٥ - أول من عرف بالحكمة ٧٧ -

انكسماندرس الملطي ٧٨ . انقسامانس الملطي - انقساغورس -
ارخلاوس - فيثاغورس ٧٩ - هرقايطس ٨٠ - انباذقلس -
سقراط وأفلاطون -- أرسطوطاليس ٨١ - زينون بن مانساوس
٨٢ - فيثاغورس - سقراط ٨٣ - أفلاطون ٨٤ - أرسطوطاليس
-- ٨٥

كلام بحى النحوي في نشأة الطب ١٠٠ - تالس الملطي ١١١ -
انقسامانس الملطي ١١٣ - انكساغورس ١١٤ - ارمسالوس
١١٥ - فيثاغورس ١١٦ - وصايا الذهبية ١١٩ - سقراطيس
الحكيم ١٢٤ - أفلاطون الحكيم ١٢٨ - المعلم الأول
- أرسطاطاليس ١٣٥ - جواب أرسطوطاليس لقيلفوس الملك
١٥٥ - آداب الاسكندر ١٦١ - كتاب الاسكندر الى امه
١٦٦ - ذيوجانس الكلبي ١٦٩ - الشيخ اليوناني ١٧٢ - ثاوفرسطس
١٧٦ - اوديموس ١٧٨ - اسخولوس ١٨١ - هرمس الحكيم
١٨٤ - سولون ١٩٠ - اوميروس الشاعر ١٩٢

ذيمقراطيس ٢٠٣ - طيماناس - مالميس - كسانوفون - اوقليدس
٢٠٥ - بقراط ٢٠٦ - الطبيب الفاضل الكامل ٢٠٧ - أيمانه وعهده
٢١٣ - قانس السقراطي ٢١٤ - باسليوس ٢١٥ - بطلميوس
٢١٦ - أرسطيس ٢١٧ - سولين - داريوس ٢١٨ -

- ۲۲۰ - بلیئاس - بارقلیس - موریطس -
 ارسطوقانس ۲۲۱ - فیلسوس - اوریفیدرس - ارشمیدس
 ۲۲۲ - مہاریرس - فیڈیاس - ذیماس ۲۲۳ - فواطرخس -
 ۲۲۵ بروطاغورس - غرغوریوس ۲۲۴ - سیمونیڈس - ٹیوڈیڈوس
 ۲۲۶ ینتالیس - اخلیس - سطرابطونیقوس
 ۲۲۷ خاوس - انقطیطوس ، غلام سقراط
 ۲۲۸ نارغافس - فیلروس
 ۲۲۹ فیلاسطوس - نیفورس
 ۲۳۰ طیلاماخس - نسوفیون - آروس - اسخینس
 ۲۳۱ انکیوس - انبریوس
 ۲۳۲ اومینوس - سوفقلیس - اسونس - یاورسطس الملک
 ۲۳۳ ماسرجس - مورون السوفسطائی - ایرمسدس
 ۲۳۴ فورس - فلسطین
 ۲۳۵ زینون
 ۲۳۶ بلوطیس - اسقراطیس
 ۲۳۷ مملوس
 ۲۳۸ انطیاخرس - خادافرن
 ۲۳۹ فینوس - نیفایون - براطولس - نیفالوس
 ۲۴۰ استانس الخطیب - کسافرسطس
 ۲۴۱ بندارس - اسانس - ٹانیڈوس
 ۲۴۲ دیمستانس
 ۲۴۳ داوتالیون - ذیمیقوس
 ۲۴۴ لاقن - ارون الملک
 ۲۴۵ موسوریوس - افلیمن
 ۲۴۶ سافرسطس - کسانوقراطیس
 ۲۴۷ انطیانس - آناخرسیس
 ۲۴۸ طیمطوس - آناخوس الصقلی
 ۲۴۹ ایسوریس - فرسطرخس

- ٢٥٠ طيفن - فيلن - فقراطيس
 ٢٥١ قرسطس المشاء - سقراطيس الشاعر
 ٢٥٢ بلون - سلوس
 ٢٥٣ أومانوس - أناخورس القاضي - كورس
 ٢٥٤ ريسموس - اسونس - سمانيديس الموسيقار
 ٢٥٥ ثمانيس - وافيقطيطس - نفيطوس
 ٢٥٦ بارقدس - فلاصيلالوس - اغس
 ٢٥٧ مموس - انكسوم - مانافيلس - فيلموس - اوفورس
 ٢٥٨ موريق الملك - اسانس - فانيدروس - ذيموستانس
 ٢٥٩ سقنداس - ثافسطيوس - فرفوريس
 ٢٦١ الاسكندر الافروديسي - البنوس
 ٢٦٢ أومينوس الحكيم
 ٢٦٣ أرמידبوس
 ٢٦٤ جالبنوس

يحيى النحوي الاسكندراني

- ٢٨٠ حنين بن إسحق وإسحق ابنه
 ٢٨٢ أبو يوسف يعقوب بن اسحق الكندي
 ٢٩٧ أحمد بن الطيب السرخسي
 ٢٩٨ الحسن بن اسحق بن شعارب القسبي
 ٢٩٩ أبو الحسن ثابت بن قرة الحراني
 ٣٠٣ أبو عثمان سعيد بن يعقوب الهمشقي
 ٣٠٥ محمد بن الجهم
 ٣٠٦ شهيد بن الحسين
 ٣٠٧ أبو الحسن محمد بن يوسف العامري
 ٣١١ أبو سليمان محمد بن طاهر بن بهرام السجزي

- ٣١٥ أبو جعفر بن بابويه ، ملك سجستان
 ٣٢١ الأستاذ الرئيس أبو الفضل ابن العميد القمي
 ٣٢٧ أبو زكريا يحيى بن عدي
 ٣٢٨ الحسن بن مقداد
 ٣٣١ أبو بكر الحسن بن كردة القومشي
 ٣٣٢ عيسى بن علي بن عيسى ابن الجراح الوزير
 ٣٣٣ أبو علي عيسى بن زرعة البغدادي
 ٣٣٥ ابن السوار
 ٣٣٦ أبو القاسم الأنطاكي المعروف بالمجنبي
 ٣٣٧ أبو زكريا الصيمري
 ٣٣٨ طلحة النسفي - نظيف الرومي
 ٣٣٩ وهب بن يعيش الرقي - غلام زحل وابن بلس
 ٣٤٠ أبو تمام النيسابوري - البديهي
 ٣٤١ النوشجاني
 ٣٤٢ أبو محمد العروضي - أبو إسحق وأبو الخطاب الصابثان
 ٣٤٦ أبو علي أحمد بن محمد مسكويه
 ٣٥٣ أبو الخبير الحسن بن سوار بن بابا بن بهنام
 ٣٥٥ أبو النفيس

٣٦٥ ثلاث رسائل تأليف أبي سليمان السجستاني المنطقي

- ٣٦٧ مقالة أبي سليمان السجزي في أن الأجرام العلوية ذوات أنفس ناطقة
 ٣٧٢ مقالة أبي سليمان محمد بن طاهر السجستاني في المحرك الأول
 ٣٧٧ مقالة أبي سليمان السجزي في الكمال الخاص بنوع الانسان

- ٣٨٩ فهرس الاعلام
 ٣٩٧ فهرس اسماء الكتب

تصدير عام

- ١ -

أبو سليمان المنطقي السجستاني

من الشخصيات الفذة في تاريخ الفكر الإسلامي : أبو سليمان محمد بن طاهر بن بابا بن بهرام السجستاني المنطقي ، إذ كان من كبار أصحاب النزعة الانسانية humanisme التي ازدهرت في الحضارة الاسلامية في القرنين الثالث والرابع الهجريين ، بفضل انتشار التراث اليوناني بعامة ، والفلسفي منه بخاصة ، في أوساط تجاوزت نطاق أهل الاختصاص من رجال الفلسفة والعلم . ويمكن أن يشبه بأيلاارد في العصور الوسطى الأوربية ، وبارزمس Erasme في عصر النهضة الأوربية الحديثة . ذلك أنه جمع بين المشاركة في الفلسفة اليونانية وبين الأدب ، واحتفل لبلاغة القول قلر احتضاله للمعاني الفلسفية ، وجمع حوله حلقة ممتازة من الأدباء المفكرين ، والمفكرين الأدباء ، على رأسها أبو حيان التوحيدي خبير من روى لنا أخباره وأقواله وهرقنا أحواله ، ثم أبو زكريا الصيمري ، وأبو الفتح النوشجاني ، وأبو محمد المقدسي ، وأبو بكر القومسي : وأبو القاسم عبيد الله بن الحسن المعروف بغلام زحل ، وعلي ابن عيسى الرماني أول من مزج النحو العربي بالمنطق الفلسفي ، وأبو الحسن

العامري صاحب كتاب « السعادة والإسماء » ومن أجلّ المشاركين في الفلسفة اليونانية - وكانوا يجتمعون في بيته ، فيفاوضهم في العديد من عريض المشاكل الفلسفية ، وقد سجل لنا بعض محاضر هذه الجلسات الفلسفية أبو حيان التوحيدي - خصوصاً في كتابه « المقابسات » - حتى « كان منزله مقبلاً لأهل العلوم القديمة » على حد تعبير القفطي ^(١) .

حياته

يبد أن ما لدينا من معلومات عن حياته ضئيل للغاية :

١ - فلسنا نعلم متى ولد ^(٢) ولا متى توفي - على وجه التحديد ولا على وجه التقريب .

ولكن الأمر الذي لا شك فيه هو أنه كان يعيش في سنة إحدى وتسعين وثلاثمائة للهجرة إذ قال التوحيدي ^(٣) في المقابلة رقم ٨٢ : « أملى أبو سليمان على جماعة ، كنت أحدهم ، سنة إحدى وتسعين وثلاثمائة ، وقد سنل عن الواحد فقال ... » .

(١) القفطي : « إخبار العلماء بأخبار الحكماء » ص ١٨٥ - ١٨٦ ، القاهرة سنة ١٣٢٦ هـ - ص ٢٨٢ من نشرة لبرث .

(٢) ما ذكره صمويل م . اشترن S. M. Stern في مقاله «بداية المعارف الإسلامية » الطبعة الثانية (ط ١٤٦) من أنه ولد حوالي سنة ٣٠٠ هـ وتوفي حوالي سنة ٣٧٥ - غلط فاحش كما سبق .

(٣) أبو حيان التوحيدي : « المقابسات » ص ٢٨٦ . نشرة السندوبي ، القاهرة سنة ١٩٢٩ .

(٥) راجع : (١) ابن النديم : « الفهرست » ص ٢٦٤ نشرة فلوجل ؛ (ب) صاعد الاندلسي ص ٧١ ، نشرة شيخو ؛ (ج) ابن القفطي ص ٢٨٢ - ٢٨٣ ، نشرة لبرث ؛ (د) ابن أبي أصيبعة ج ١ ص ٣٢١ - ٣٢٢ ، نشرة طر (البيهقي : « تنصت صوان الحكمة » ص ٧٥/٧٤ ، نشرة محمد شفيع في لاهور .

واذا كان أبو سليمان قد توفي بعد سنة ٣٩١ هـ ، فيجب أن نجعل تاريخ ميلاده في العقد الثالث من القرن الرابع ، وليس قبل ذلك ، إذ لا يمكن أن يعتمد به العمر إلى أن يعيش في سنة ٣٩١ هـ لو قدرنا ولادته قبل ذلك . كما لا يمكن ، من ناحية أخرى ، أن تكون ولادته بعد العقد الثالث من القرن الرابع ، لأنه كان على صلة وثيقة بعضد الدولة ، أبي شجاع فتاحسرو ، ابن ركن الدولة ، البويهى (ولد في ٥ ذي القعدة سنة ٣٢٤ هـ / ٢٤ سبتمبر سنة ٩٣٦ م) . وعضد الدولة لم يستتب له حكم العراق إلا في سنة ٣٦٧ هـ (سنة ٩٧٧ م) وظل مسيطراً على العراق وفارس وميستان وغيرها حتى وفاته في ٨ شوال سنة ٣٧٢ هـ (٢٦ مارس سنة ٩٨٣) في بغداد وهو في سن الثانية والأربعين . ولا بد أن يكون أبو سليمان قد بلغ مرتبة عالية في الحكمة والأدب حتى يُقَرَّبَ عضد الدولة إليه ، وبهذا نفترض أنه كان في حدود الأربعين حين كان عضد الدولة البويهى مسيطراً على العراق . والقفطى يذكر أن أبا سليمان أهدى رسائل إلى عضد الدولة عدة في فنون مختلفة من الحكمة ^(١) .

وابن النديم في « الفهرست » (ص ٢٦٤ من ١٦ ، نشرة فلوجل) قال : « ومولده سنة ... » ثم ترك مكان الرقم خالياً ، مما يدل على أنه لم يكن يعرف تاريخ ميلاده ، وانتظر حتى يعثر عليه ، وواضح أنه لم يعثر عليه بعد ذلك ، بدليل أن موضع الرقم بقي خالياً .

أما الذين يجعلون ميلاد أبي سليمان مبكراً عن ذلك فيستدلون إلى خبر عابر للقفطى في أول ترجمته حين قال عنه : « قرأ على متى بن يونس وأمثاله ^(٢) » . وواضح ما في هذه العبارة من إهمال وعدم تدقيق . ومع ذلك تعلق بها ميرزا محمد خان بن عبد الوهاب قزويني في مقالة له بعنوان « تولد ووفات أبو سليمان ^(٣) » ، فقال بعد أن أكد أن ولادة أبي سليمان لا بد أنها كانت في

(١) القفطى : « أخبار الحكماء » ص ١٨٦ . القاهرة سنة ١٣٢٦ هـ .

(٢) الكتاب نفسه ص ١٨٥ .

(٣) مطبوعة سنن : « بيست مقالة قزويني » . جلد ٢ ص ١٥٦ - ١٦١ . طبعة ثانية ، في طهران ١٣٣٢ هـ . ث .

١ وقرينة دیگر بر صحت احتمال مذکور آنست که ابو سلیمان ،
 بنصریح قفطی (تاریخ الحکماء ، ص ٢٨٢) از تلامذه ابو بشر منی بن
 یونس ، نصرانی حکیم و منطق‌ی معروف بوده . و منی بن یونس در یازدهم
 رمضان سنة سیصد و بیست و هشت وفات نموده است (ابن ابی أصیبة
 ج ١ ص ٢٣٥) ، پس ابو سلیمان اگر هم فرضاً فقط سنوات اخیر عمر
 منی بن یونس از درک کرده بود باز برای اینکه صلاحیت تلمذ و اخذ از او
 داشته باشد لا بد بایستی مقارن وفات بن یونس ، یعنی در سنة ٣٢٨ اقل
 در حدود بیست سالگی گما بیش بوده باشد ، پس این قرینه نیز ما را بهمان
 نتیجه میرساند یعنی اینکه ولادت ابو سلیمان جریاً علی ظواهر الأمور العادیة
 نحو اکثر مؤخر از حدود ٣١٠ نمیتواند باشد ، اینها همه راجع بحد اکثر
 بود . اما حد اقل سال ولادت او معلوم نیست . و ممکن است ده سال یا
 بیست سال یا کمتر یا بیشتر مقدم بر تاریخ مذکور باشد .

و ترجمتها :

« وهاک قرینة أخرى تدل علی صحة احتمال ما ذکرنا هی أن أبا سلیمان ،
 بحسب قول القفطی ، کان من تلامذة أبي بشر منی بن یونس ، النصرانی ،
 الحکیم ، والمنطقی المعروف . و منی بن یونس توفي فی احد عشر من رمضان
 سنة ثمان و عشرين و ثلثمائة . فلو فرضنا أن أبا سلیمان لم یدرک إلاّ السنوات
 الأخيرة من عمر منی بن یونس ، وأن احتمال تلمذه وأخذہ عنه یجب أن
 یقارن بوفاة منی بن یونس ، أعني فی سنة ٣٢٨ ، فعل ذلك لا بد أن یکون
 أبو سلیمان فی سن العشرين علی الأقل أو ما یقرب من ذلك . ثم ان هذه القرينة
 تؤدي بنا إلی هذه النتيجة ، أعني أن ولادة أبي سلیمان — جریاً علی ظواهر الأمور
 العادیة — لا یمكن أن تتأخر عن حدود سنة ٣١٠ . وکل هذا فیما یعلق بالحد
 الأكثر لتاریخ میلاده . أما الحد الأقل لسنة ولادته فلیس بمعلوم . ومن

الممكن تقديم التاريخ المذكور عشر أو عشرين سنة أو أقل أو أكثر .

أما القرينة الأولى التي استند إليها قزويني فهي ما ورد في المقابلة رقم ٨٩ (ص ٢٩٦ من طبعة السندوبي ، القاهرة سنة ١٩٢٩) من أنه « جرى يوماً بمحضرة أبي سليمان حديث أحكام النجوم ، فقال : من طريق ما ظهر لنا منها أنه ولد في جبرتي ابن نباتة . فقبل لي : لو أخذت الطالع ؟ فأخذته وعرضته على علي بن يحيى . فعمل ، وقوم ، فقال لنا فيما قال : هذا المولود يكون أكذب الناس . فتعجبنا منه ! فدارت الأيام حتى ترعرع الغلام وبلغ وخرج شاعراً كما ترى ، معدوداً في عصره » . وعلق عليها قزويني فيقول : « حال غرض از ایراد این فصل آنست که از این حکایت صریحاً واضحاً معلوم میشود که ابو سلیمان صاحب ترجمه در سنة ٣٢٧ ، که سال ولادت ابن نباتة است ، مردی بالغ و با اطلاع از نجوم و قادر بر استخراج زایجة طالع بوده است ، یعنی بعبارة اخرى طفل صنعیر یا کودک خرد سال نبوده است . پس اگر سن اودا در آن تاریخ یعنی در سنة ٣٢٧ بأقل احتمالات عادی در امثال این موارد در حدود بیست سالگی هم فرض نمائیم ولادت او در حدود ٣٠٧ واقع خواهد شد لا محالة » . (میرزا محمد قزوینی : بیست مقالة ، ج ٢ ص ١٥٨ ، تهران سنة ١٣٣٢ هـ ش) .

وترجمته :

« والغرض من ایراد هذا الفصل (أي كلام التوحیدی في « المقابسات ») هو أنه معلوم ، بصراحة ووضوح ، من هذه الحكاية أن أبا سليمان ، صاحب الترجمة ، كان في سنة ٣٢٧ — وهي سنة ميلاد ابن نباتة — فتي بالغاً مطلعاً على علم النجوم وقادراً على استخراج الطالع ، أعني ، بعبارة أخرى ، أنه لم يكن طفلاً صغيراً . ثم إننا لو فرضنا أن سنة في ذلك التاريخ — أعني سنة ٣٢٧ — بحسب أقل احتمال معتاد في امثال هذه الأمور — كانت في حدود عشرين سنة ، فإن تاريخ ميلاده يقع لا محالة في حدود سنة ٣٠٧ » .

ولما وجد القزويني أن في المقابلة رقم ٨٢ ما يناقض فرضه ، إذ هي تذكر

سنة ٣٩١ على أن أبا سليمان أُملي فيها ما ورد في تلك المقابلة — فإنه زعم أن النص الوارد في طبعة « المقابسات » محرف ، إذ طبعة الهند حافلة بالكثير من الاغلاط والتصحيفات الفاحشة ، وأنه كثيراً ما وقع في كتب التاريخ والرجال نصحيح : « سبع » إلى « تسع » ، و « سبعين » إلى « تسعين » . ولهذا يرى قزويني أن ما ورد في « المقابسات » هكذا : « وأُملي أبو سليمان على جماعة كنت أحدهم سنة إحدى وتسعين وثلاثمائة ... » يجب أن يُصحح هكذا : « وأُملي أبو سليمان على جماعة كنت أحدهم سنة إحدى وسبعين وثلاثمائة ... » .

فلنتظر الآن في هذه الحجج :

١ — أما الحجة المأخوذة من طالع ميلاد ابن نباتة ، فلا تصح إلا إذا عرفنا على وجه اليقين تاريخ ميلاد ابن نباتة . ولكن مصدرنا الوحيد عن ولادة أبي نصر عبد العزيز بن عمر بن محمد بن أحمد بن نباتة السعدي ، الشاعر الذي مدح سيف الدولة ، هو ابن خلكان ، الذي قال : « وكانت ولادته في سنة سبع وعشرين وثلاثمائة ، وتوفي يوم الأحد بعد طلوع الشمس ثالث شوال سنة خمس وأربعمائة ، ببغداد ^(١) » — أي أنه عاش ٧٨ عاماً ! وهذا لا يبعث على الاطمئنان إلى ما ذكره من تاريخ ميلاده . ولم يذكر تاريخ ولادته أحد غير ابن خلكان ، فيما رجعنا إليه من مصادر مثل « البثيمة » للثعالبي ، وهي أوسع مصادرنا عن حياته ، وأهمل ذكره ياقوت في « معجم الأدباء » ، ولم يذكر تاريخ ميلاده ابن العماد في « الشذرات » (تحت عام ٤١٥ هـ) . ولا نعرف من أي مصدر أين ولد ابن نباتة السعدي حتى نعرف من ذلك أين كان يعيش أبو سليمان حين ولد ابن نباتة في بيت مجاور لبيته .

٢ — وأما الحجة الأخرى المأخوذة من دعوى تنلمذ أبي سليمان لأبي بشر متى بن يونس ، استناداً إلى ما ذكره القفطي : « قرأ على متى ابن يونس

(١) ابن خلكان : « وفيات الأعيان » الترجمة رقم ٣٥٩ ج ١ ص ٢٦٤ ، القاهرة ، طبعة محمد الدين .

وأمثاله ، - فهي أكثر تهافتاً من الأولى ، لأن العبارة يبدو عليها الإهمال الشديد وعدم التدقيق . ولو صحَّ ذلك لذكره ابن التديم في « الفهرست » في مقاله عن أبي سليمان ، وابن أبي أصيبعة . بل هذا الأخير إنما يذكر فقط عن أبي سليمان أنه : « اجتمع بيحيى بن عدي ببغداد ، وأخذ عنه » (ابن أبي أصيبعة ج ١ ص ٣٢١ ، نشرة ملّر) . ولهذا ينبغي أن نطرح ما قاله القفطي بعبارته المهملة هاتيك ، خصوصاً إذا لاحظنا من ناحية أخرى أن أبا سليمان قد ظل في سجستان إلى ما بعد سنة ٣٢٨ هـ ، وهي سنة وفاة أبي بشر متى بن يونس القناني ، بدليل اتصاله آنذاك بحاكم سجستان أبي جعفر أحمد بن محمد بن خلف بن الليث ، بن بابويه .

٣ - أما قوله بالتحريف في مطبعة الهند ، فيلاحظ أن النسخ المخطوطة ، خصوصاً نسخة ليدن ، وهي خير نسخ المقابسات ، واضح فيها : « تسعين » ، ولا يمكن أن تقرأ « سبعين » .

تكوينه العلمي

وقد نشأ أبو سليمان في إقليم سجستان (ويسمى اليوم : سيستان في أقصى شرقي إيران عند الحدود مع إقليم بلوخستان في باكستان ، ويحد جنوباً بالمحيط الهندي) .

ودرس الفقه أولاً كما ورد في الفصل الخاص به هنا (راجع ص ٣١١) حيث يرد عنه أنه « كان قديماً الدرس للفقه أيام الشببية » . وكان حنفياً المذهب (الموضع نفسه) .

وصاحب أبا جعفر بن بابويه ، ملك سجستان (راجع هنا ص ٣١٥) . وقد قال عنه أبو سليمان : « كان الملك أبو جعفر قريباً في علم السياسة ، ثم يتصرف في غيرها بعبيرة حسنة . وكان أخذاً نفسه بجوامع السياسة ، مع المروءة الظاهرة والعفاف الغالب ، وضبط النفس عند عارض الهوى » (الموضع نفسه) . وكان يحفظ من كلام اليونانيين ونوادرهم وسيَرهم وأحوالهم ما لم يجد أبو سليمان مثله عند أحد غيره . « وكانت تعجبه نوادر اليونانيين ويقول : إن قوماً هذه فكاهتهم ومزائجهم واسرحتهم — ماذا يظنُّ بهم إذا أخذوا في الجد : واعتصروا قوى غرائزهم بالقصد !؟ » « وكان يحفظ جميع الفِقَر التي لأرسطوطاليس في السياسة ، مما كتب إلى الاسكندر وما شافهه به » . وكان مجلسه يضم جماعة من المشتغلين بالحكمة اليونانية والفكر بعامة ، منهم الاسفزازي

وابن حبان وطلحة وأبو تمام ، وسترى ترجمة بعضهم في كتابنا هذا .

وقد تولى أبو جعفر إمارة سجستان في سنة ٣١١ و قتل في شهر ربيع الأول سنة ٣٥٢ هـ وهو أمير سجستان ^(١) . واسمه الكامل أبو جعفر أحمد بن محمد ابن خلف بن الليث .

فلا بد أن صحبة أبي سليمان للأمير أبي جعفر كانت في خلال هذه المدة ، والأرجح أن تكون في أواخرها .

ولا ندري على من أخذ أبو سليمان علوم الأوائل في هذه المرحلة الأولى . والتوحيدي لا يذكر لنا شيئاً في هذا الصدد .

وكلنا نعلم أنه حين ورد بغداد اتصل بالمشتغلين بعلوم الأوائل ، وعلى رأسهم يحيى بن عدي . فقد ذكر ابن أبي أصيبعة : « واجتمع يحيى بن عدي ببغداد وأخذ عنه » ^(٢) . ويؤكد ذلك ما ذكره التوحيدي في المقابلة ^(٣) رقم ٤٨ ، إذ ذكر على لسان أبي سليمان : « وكان شيخنا يحيى بن عدي يقول : إني لأعجب كثيراً من قول أصحابنا ... » . فأبو سليمان كان يتحدث عن يحيى بن عدي بوصفه : شيخه ، أي أستاذه في علوم الأوائل . واستعمل أبو سليمان نفس التعبير مرة أخرى في المقابلة رقم ٨٩ (ص ٢٧٩ من طبعة السندوبي) فقال : ثم انظر إلى قول شيخنا أبي زكريا يحيى بن عدي ... » .

(١) راسع منه : « تاريخ سيستان » مؤلف في حدود ما بين ٤٤٥ - ٧٢٥ ، ص ٣١٠ - ٣٢٧ . تهران ، بدون تاريخ . والاسم سيستان قديم ، نجده في الشعر الفارسي عند الفردوسي ، الذي لا يستعمل غيره ، وفروغى . ولكن الأغلب في الكتب العربية ووروده بصورة : سجستان . والنسبة إليه في كلتا الحالتين : سيجستاني ، وسجزي .

(٢) ابن أبي أصيبعة : « عيون الأنباء في طبقات الأطباء » ج ١ ص ٣٢١ ، طبع ملر ، القاهرة سنة ١٨٨٢ .

(٣) أبو حيان التوحيدي : « المقابسات » ، المقابلة رقم ٤٨ ، ص ٢٢٤ س ١ من طبعة السندوبي ، القاهرة سنة ١٩٢٩ .

وأبو زكريا يحيى^(١) بن عدي ولد سنة ٢٨٢ هـ أو ٢٨٣ هـ وتوفي سنة ٣٦٣ هـ (٩٧٣ م) أو سنة ٣٦٤ هـ ، وهو في سن الحادية والثمانين .

كذلك ذكر أبو حيان التوحيدي في « الإمتاع »^(٢) والمؤانسة « أن الوزير أبا عبد الله العارض قال عن أبي سليمان : « ... وهو رجل يعرف بالمنطقي ، وهو من غلمان يحيى بن عدي النصراني ، ويقرأ عليه كتب يونان ، وتفسير دقائق كتبهم بغاية البيان » .

فيحيى بن عدي كان إذن أستاذ أبي سليمان السجستاني في الحكمة وعلوم الأوائل بعمامة ، كما كان أستاذ جماعة المشتغلين بعلوم الأوائل البارزين في القرن الرابع الهجري ، مثل ابن زرعة ، وابن الخمار ، وابن السمع ، والقومسي ، ومسكويه ، ونظيف النفس الرومي ، وعيسى بن علي ، وأبي الحسن العامري ، حتى قال عنه التوحيدي : « وهو أستاذ هذه الجماعة » (« الإمتاع والمؤانسة » ج ٢ ص ٣٨ من ١٣ : القاهرة سنة ١٩٤٢) . والتوحيدي (« الإمتاع والمؤانسة » ج ١ ص ٣٣ - ٣٧) قد وصف هؤلاء وصفاً دقيقاً . وأربعة منهم كانوا من كبار المترجمين لكتب الأوائل من اليونانية أو عن السريانية ، وهم : أبو علي عيسى بن إسحق بن زرعة (المتوفى سنة ٣٩٨ هـ) ، ونظيف النفس الرومي ، وأبو الخير الحسن بن سوار المعروف بابن الخمار (المولود سنة ٣٣١ هـ / سنة ٩٤٢ م) ، وعيسى بن علي (المتوفى سنة ٣٩١) - وهو المسلم الوحيد بينهم - وقد كان على حد تعبير التوحيدي « حُجَّةً في النقل والترجمة ، والتصريف في فنون اللغات » (« الإمتاع والمؤانسة » ج ١ ص ٣٦) .

(١) راجع عنه : « الفهرست » لابن النديم ص ٢٦٤ ، ص ٥ - ١٤ ؛ الفطحي ص ٣٦١ ؛ ابن أبي أصيبعة ج ١ ص ٢٣٥ ؛ تنقيح صوان الحكمة « يهتدي ص ٩٠ ؛ ابن العبري : « تاريخ مختصر الدول » ص ٢٩٧ ؛ عبد الرحمن بدوي : « التراث اليوناني » .
(٢) أبو حيان التوحيدي : « الإمتاع والمؤانسة » ج ٢ ص ١٨ ، القاهرة سنة ١٩٤٢ .

وبؤلا اختلط أبو سليمان ، ومعهم تبادل المعارف اليونانية ، وكان لذلك أثره البالغ في تحصيل قدر واسع من العلم بتاريخ الفلاسفة والأطباء والرياضيين والحكماء اليونانيين ، وفي الاحتفال بكل ما نقل إلى العربية من تراث يوناني . ودفعته هذه النزعة إلى التعلق بالتراث اليوناني إلى حد أنه كان يحرص على اقتناء المخطوطات اليونانية نفسها ، كما يدل على ذلك خبر ذكره محمد ابن اسحق بن النديم في « الفهرست » ، وهو خبر مهم جداً بالنسبة إلى تاريخ المخطوطات اليونانية في العالم الإسلامي ، ولهذا يحسن بنا هنا إيرادُه بتمامه لنلفت إليه نظر الباحثين :

« قال محمد بن اسحق (= ابن النديم) : خبرني الثقة أنه انهار في سنة خمسين وثلاثمائة من سني الهجرة ازج آخر لم يعرف مكانه لأنه قدّر في سطحه أنه مُصنّعت ، إلى أن انهار وانكشف عن هذه الكتب الكثيرة التي لا يتهدي أحدٌ إلى قراءتها . والذي رأيتُ أنا بالمشاهدة : أن أبا الفضل بن العميد أنفذ إلى هاهنا في سنة نيف وأربعين كتاباً منقطعة أصيبت بأصفهان في سور المدينة في صناديق . وكانت باليونانية . فاستخرجها أهل هذا الشأن مثل يوحنا ^(١) وغيره . وكانت أسماء الجيش ومبلغ أرزاقهم . وكانت الكتب في نهاية نثر الرائحة ، حتى كأنّ الدباغة فارقتها عن قُرْب . فلما بقيت يبتدأ حولاً : جفّت وتغيرت وزالت الرائحة عنها . ومنها ، في هذا الوقت ، شيءٌ عند شيخنا أبي سليمان ^(٢) . »

وهذا الخبر يدل :

(١) على أنه كانت توجد مخطوطات يونانية في أصفهان ؛

(١) يقترح فلوجل (في نشرته « فهرست » ، التمايق الخاص بصفحة ٢٤١) أن يكون المقصود هو أبو عمرو يوحنا بن يوسف الكاتب ، وكان أحد المترجمين ، وهو الذي نقل كتاب أفلاطون « في آداب الصبيان » .

(٢) ابن النديم : « الفهرست » ص ٢١١ س ٧ - س ١٤ ، نشره فلوجل ، لبيّنك .

- (ب) وأن أبا سليمان السجستاني أهم بها ، واحتفظ بشيء منها ؛
 (ج) وأن صاحب « الفهرست » يعد أبا سليمان بمثابة شيخه .

التراجم لبيته

متى ورد أبو سليمان إلى بغداد ؟ لسا ندري على وجه الدقة . لكن ربما كان ذلك في حدود سنة ٣٥٠ هـ ، أو قبلها وقبل مصرع ملك سجستان ، أبي جعفر بن بابويه ، لأنه ظل يرأسل أبي جعفر وينوب عنه في نقل الرسائل . على أنه يبدو أنه كان لا يغشى مجالس الوزراء والأعيان ، شأن غيره من أهل الفكر في هذا العصر الخافل بالمنعمين على أهل الفكر والأدب ، مثل أبي عبد الله العارض ، وابن العميد ، والصاحب بن عباد . وقد فسّر السبب في ذلك ^(١) القفطي ، فقال إن أبا سليمان « كان أعور ، وكان به وضح (= برص) ، وكان ذلك سبب انقطاعه عن الناس ولزومه منزله ، فلا يأتيه إلا مستفيد وطالب علم » .

وكان يعيش عيشة الكفاف ، إلى حد أن « حاجته (كانت) ماسة إلى وغيث ، وحولته وقوته قد صجرا عن أجرة مسكنه ، وعن وجه غدائه وعشائه » كما قال التوحيدي ^(٢) . ولقد قال فيه الشاعر البديهي بصف حاله وعاهته وما جرّه ذلك عليه من شؤم :

أبو سليمان عالمٌ قَطِينٌ ما هو في علمه بمُنْتَقَصٍ
 لكن تطيّرتُ عند رؤيته مِنْ عَوَرٍ موحِشٍ وَمِنْ بُرْصٍ
 وبأنه مثل ما بوالده وهذه قصة من القصص ^(٣)

(١) القفطي : « أعلام العلماء بأخبار الحكماء » ص ٢٨٣ .

(٢) التوحيدي : « الامتاع والمؤانسة » ج ١ ص ٣١ .

(٣) المرجع نفسه ، ج ١ ص ٣١ .

فلم يكن يتعيش إلاّ مما ينعم عليه الوزراء والكبراء من العاطفين على العلماء ، مثل أبي عبد الله العارض ، الذي ذكر التوحيد (المرجع نفسه ج ١ ص ٣١) أنه وصله مرة بمائة دينار ، فابتهج لها أشدّ الابتهاج حتى راح يترقل ويتحنك - أي يتبختر ويدير العمامة من تحت حنكه سروراً .

ولكنه ظل على اتصال بإقلبه الذي يتسب إليه سجستان . قال التوحيدي قال (أبو عبد الله العارض) : بلغني أن أبا سليمان يزور في أيام الجمعة رُسل سجستان لمّا ^(١) ، وبطلٌ عندهم طاعماً ناعماً ، وكان التوحيدي يصاحبه في هذا الاجتماع ، الذي كانت تحضره جماعة منهم ابن جبلة الكاتب ، وابن برمويه ^(٢) ، وابن الناظر ، أحد رجال صمصام الدولة ، وبندار المغني ، وغزال الراقص ، وجارة اسمها عكّم ^(٣) .

وكما قلنا : ظل أبو سليمان على اتصال بأبي جعفر بن بابويه ملك سجستان ، يتولى عنه نقل الرسائل إلى من يريد في بغداد ، ولا بد أن هذه الرسائل كانت تصل بواسطة أولئك الرُسل القادمين من سجستان والذين كان أبو سليمان يجتمع بهم في أيام الجمعة . قال التوحيدي « وكتب إليه (أي إلى أبي سعيد السيرافي ، النحوي الشهير) أبو جعفر مكيك سجستان على يد شيخنا أبي سليمان كتاباً يخاطبه فيه بالشيخ الفرد ، سأله عن سبعين مسألة في القرآن ، ومائة كلمة في العربية ، وثلاثمائة بيت من الشعر - هكذا حدثني به أبو سليمان ، وأربعين مسألة في الأحكام ، وثلاثين مسألة في الأصول على طريق المتكلمين ^(٤) » .

(١) أي : مجتنبين ، والم : الجمع .

(٢) هو الحسن بن برمويه ، وكان كاتباً لوالده صمصام الدولة . وتأثر عنده على الإيثار بآمن سعدان وقتله ، واستنوره بعد ذلك صمصام للدولة ، فشارك في الوزارة مع أبي القاسم عبد العزيز بن يوسف . راجع كذب « ذيل تجارب الأمم » .

(٣) راجع « الانتاع والمؤانسة » ج ١ ص ٤٢ .

(٤) للتوحيدي : « الانتاع والمؤانسة » ج ١ ص ١٣٠ .

ونعلم من خبر آخر أورده التوحيدي (« الامتاع والمؤانسة » ج ٢ ص ١١٧) أنه كان على اتصال بقابوس بن وشمكير .

كما يرد في هذا الكتاب ، في الفصل الخاص بابن العميد ، أبي الفضل ، أنه حرص على لقاء أبي سليمان .

حلقة أبي سليمان

والحلقة التي كانت تتحلق حول أبي سليمان في بيته كانت تضم نخبة ممتازة من المشاركين في الفكر والأدب ، ذكر لنا من أسمائهم أبو حيان التوحيدي :

- ١ - أبو زكريا الصيمري - وستأتي ترجمته هنا في هذا الكتاب .
- ٢ - أبو الفتح النوشجاني - وستأتي ترجمته هنا في هذا الكتاب .
- ٣ - أبو محمد المقدسي العروضي - وستأتي ترجمته في كتابنا هذا .
- ٤ - أبو بكر القومسي - وستأتي ترجمته في كتابنا هذا .
- ٥ - أبو القاسم عبيد الله بن الحسن المعروف بـ غلام زحل ، والمتوفى سنة ٣٧٦ هـ وستأتي ترجمته هنا .
- ٦ - علي بن عيسى الرماني ، أول نحوي مزج النحو بالمنطق ، وتوفي سنة ٣٨٤ هـ .
- ٧ - أبو العباس البخاري .
- ٨ - أبو الحسن محمد بن عبد الله بن العباس ، ويعرف بابن الوراق ، وكان نحويًا . وتوفي سنة ٣٨١ هـ .
- ٩ - أبو علي عيسى بن زرعة ، المترجم النصراني ، المتوفى سنة ٣٩٨ هـ - وستأتي ترجمته هنا .

١٠ - أبو القاسم عيسى بن علي بن عيسى بن داود بن الجراح ، المتوفى سنة ٣٩١ هـ وستأتي ترجمته هنا . وقبل هؤلاء جميعاً أبو حيان التوحيدي نفسه . وهو صاحب الفضل في نقل الكثير من آراء أبي سليمان إلينا ، خصوصاً في كتابيه : « المقابسات » ، و « الإمتاع والمؤانسة » ؛ ولا يكاد كتاب من كتبه - فيما عدا « الاشارات الإلهية » - يتخلو من ذكره وإيراد بعض آرائه . ولهذا فإن كتب التوحيدي هي أوسع مصدر لدينا عن أبي سليمان السجستاني : حياته وآرائه . ويمكن أن يشبه حاله مع استاذة أبي سليمان بحال أفلاطون مع أستاذه سقراط .

وكانت الأحاديث بين أبي سليمان وحاضري حلقاته في بيته تدور خصوصاً حول موضوعات في الفلسفة ، وفي القليل تدور حول أبواب من الأدب واللغة والعلوم الرياضية . وخير سجل لها هو كتاب « المقابسات » لأبي حيان التوحيدي ، الذي لا نعلم له نظيراً في تاريخ الفكر العربي ، بل يندر أن نجد له نظيراً في الفكر العالمي بعمامة .

لكن المشكلة بالنسبة إلى هذا الكتاب هي كالمشكلة بالنسبة إلى محاورات أفلاطون : إلى أي مدى صدق كلاهما في إيراد آراء أستاذه ؟

ذلك أن التوحيدي لم يكن مجرد مُسَجِّل يسجل ما دار في مجالس أبي سليمان ، وكأنه كاتب الجلسة أو استينوجراف sténographe . والشاهد على ذلك أن ما يورده من كلام أبي سليمان هو في الذروة من الفصاحة وجمال العبارة وعلو الأسلوب ، بينما كان أبو سليمان - بشهادة التوحيدي نفسه - مصاباً بـ « لُكْنَة ناشئة من العُجْمة ^(١) » ، وكان متقطع العبارة ، لامرسلها على النحو الذي ترد به في المقابسات . ولهذا ينبغي أن نفترض أن أبا حيان إنما كان يسجل المعاني ، ثم يذهب بعد ذلك إلى بيته فيصوغ العبارة ، كما فعل أيضاً في أحاديثه مع أبي عبد الله العارض ، والتي يضمها كتاب « الإمتاع والمؤانسة » .

(١) التوحيدي : « الإمتاع والمؤانسة » ج ١ ص ٣٣ س ٧ . القاهرة ، سنة ١٩٣٩ .

لهذا يمكن أن نقرر أن ما أورده التوحيدي في كتبه باسم أبي سليمان
السجستاني إنما المعاني فيه لأبي سليمان ، والعبارة والصياغة والأسلوب كلها
للتوحيدي .

وكان من طريقة التوحيدي فيما يبدو أن يكتب الفوائد والتعاليق حين
يسمعا أو بعد ذلك بقليل . ومن هذه التعاليق المختلفة التي يحملها في الأزمان
المتباعدة يؤلف ما يؤلف من كتب . والدليل على ذلك أنه في كتاب « المقابسات »
مثلاً يذكر تواريخ متباعدة جداً :

١ - فهو مرة يقول : « سمعت ابن عباد بالرى سنة خمسين يقول
... » ^(١) ويقصد طبعاً سنة خمسين وثلاثمائة .

ب - وقال مرة ثانية : « قال أبو سليمان وأنا أقرأ عليه كتاب « النفس »
سنة إحدى وسبعين وثلاثمائة بمدينة السلام » (« المقابسات » ص ٢٤٦) .

ج - وقال مرة ثالثة : « وأمل أبو سليمان على جماعة ، كنت أحدهم ،
سنة إحدى وتسعين وثلاثمائة ، وقد سئل عن الواحد ... » (« المقابسات »
ص ٢٨٦) .

فلا بد إذن أنه كان يعد التعليقات في أوقاتها ، ثم يستعين بها فيما بعد عند
تحريره لكتبه ، رغم تباعد المدة حتى تصل إلى أكثر من أربعين سنة :

(١) التوحيدي : « المقابسات » ص ٢٣٧ ، نشرة السنهوري ، القاهرة سنة ١٩٢٩ .

تاريخ وفاته

قلنا إن أبا حيان التوحيدي في المقابلة رقم ٨٢ ذكر ما يلي : « أُملي أبو سليمان ، على جماعة كنت أحدهم ، سنة احدى وتسعين وثلاثمائة ، وقد سئل عن الواحد فقال ... » . وهذا الخبر يقطع بأن أبا سليمان السجستاني كان يعيش حتى هذا التاريخ ، أي حتى سنة احدى وتسعين وثلاثمائة هجرية .

ويتأيد ذلك من ناحية أخرى بهذه الواقعة وهي أن ابن النديم ، وقد ألف كتابه « الفهرست » سنة ٣٧٧ . كما قال في مقدمته ^(١) : لم يذكر تاريخ وفاة أبي سليمان فيما كتبه عنه (ص ٢٦٤ نشرة فلوجل) ، وأبو سليمان كما قال هو عنه اعتبره ابن النديم : « شيخنا » وهذا يقطع بأن أبا سليمان السجستاني كان لا يزال حياً في سنة ٣٧٧ هـ ^(٢) .

وفي الطرف المقابل نجد اسماعيل باشا البغدادي في كتابه « هدية العارفين

(١) قال ابن النديم (ص ٢ ، نشرة فلوجل) : « هذا فهرست كتب جميع الأمم ... منذ ابتداء كل علم اخترع إلى عصرنا هذا وهو سنة سبع وسبعين وثلاثمائة للهجرة » .

(٢) أليس مما يدعو إلى شدة العجب بعد هذا أن يذكر أشرن S. M. Stern في مقاله الآنف الذكر « بدائرة المعارف الاسلامية » الطبعة الثانية - أن أبا سليمان توفي حوالي سنة ٣٧٥ هـ ! لكن كل المقالات الخاصة بالفلسفة الاسلامية في الطبعة الثانية من « دائرة المعارف الاسلامية » سائلة بأشكال هذه الأغلط ، ويجب عدم الرجوع اليها الا بتحفظ واحتياط شديد جداً .

أسماء المؤلفين وآثار المصنفين » (ج ٢ ص ٦٠ ، استانبول سنة ١٩٥٥) يقول :
« أبو سليمان محمد بن طاهر بن بهرام السجستاني النبطي ، نزيل بغداد ،
المتوفى في حدود سنة ٤١٠ عشر وأربعمائة » . لكنه لا يذكر المصدر الذي
نقل عنه هذا ، ولهذا لا يمكن الاعتماد عليه .

وإلى موقف وسط ذهب أحمد أمين وأحمد الزين فقالا : « مات على
أغلب الظن في السنوات العشر الأخيرة من القرن الرابع الهجري ^(١) » .

والحق أننا لا نستطيع أن نحدد على وجه الدقة متى توفي ؛ لكن وفاته
كما قلنا وقعت بالضرورة بعد سنة إحدى وتسعين وثلاثمائة . ولا نستطيع أن
نقرر أكثر من هذا ، بحسب ما توافر لدينا من مصادر حتى الآن .

(١) في تعليقهما على نشرتهما « الاستيعاب والمؤانسة التوجيهي » ج ١ ص ٢٩ ، التعليق رقم ١ .
القاهرة ، سنة ١٩٣٩ .

مؤلفاته

تذكر لنا مصادرنا الكتب التالية من تأليف أبي سليمان السجستاني :

١ - « مقالة في مراتب قوى الإنسان وكيفية الانذارات التي تنذر بها النفس مما يحدث في عالم الكون » (ابن النديم ص ٢٦٤ ، ابن أبي أصيبعة ج ١ ص ٣٢٢ ، القفطي ٢٨٣) .

ولعله هو هو بعينه ما ذكره « الفهرست » لابن النديم في باب « الكتب المؤلفة في تعبير الرؤيا » تحت عنوان : « كتاب أبي سليمان المنطقي في الانذارات النوعية » (« الفهرست » ص ٣١٦ س ٢٤ - س ٢٥ نشرة فلوجل) .

٢ - « مقالة في أن الأجرام العلوية طبيعتها طبيعة خامسة ، وأنها ذات أنفس ، وأن النفس التي لها هي النفس الناطقة » (ابن أبي أصيبعة ج ١ ص ٣٢٢) .

ومنها نسخة مخطوطة في المخطوط رقم ٩٤ في كتابخانه مجلس شورای ملي في تهرآن ص ٣٦ - ٣٧ . وقد نشرناه هنا . (ص ٣٦٧ - ٣٧١)

٣ - « كلام في المنطق » (ابن أبي أصيبعة ج ١ ص ٣٢٢) .

٤ - « مسائل عدة سبّئل عنها ، وجواباته لها » (ابن أبي أصيبعة ج ١ ص ٣٢٢) .

- ٥ - « تعاليق حكيمية ومُلَحّ ونوادر » (ابن أبي أصيبعة ج ١ ص ٣٢٢) .
- ٦ - « رسالة في اقتصاص طرق الفضائل » (تنمة صوان الحكمة » ،
نسخة برلين برقم ورقة ٤٤ ب ؛ مخطوط فائض رقم ٣٢٢٢ ورقة ١٠٣ أ) .
- ٧ - « رسالة في المحرك الأول » (« تنمة صوان الحكمة » نسخة برلين
برقم ورقة ٤٤ ب) ؛ مخطوط فائض رقم ٣٢٢٢ ورقة ١٠٣ أ) .
- ومنها نسخة مخطوطة في المخطوط رقم ٩٤ في كتابخانه مجلس شورای
ملى في تهران ص ٣٧ - ص ٣٨ . وقد نشرناها هنا في ص ٣٧٢ - ص ٣٧٦ .
- ٨ - « مقالة في الكمال الخاص بنوع الإنسان » .
- ومنها نسخة مخطوطة ضمن المخطوط رقم ٩٤ في كتابخانه مجلس شورای
ملى في تهران ص ٣٨ - ص ٤١ . وقد نشرناها هنا في ص ٣٧٧ -
ص ٣٨٦ عن هذه النسخة واثنين آخرين .
- ٩ - رسالة في وصف الوزير أبي عبد الله العارض (ذكرها التوحيدى
في « الامتاع والموانسة » ج ١ ص ٢٩ س ٨ - س ٩) .
- ١٠ - رسالة في السياسة .
- ذكرها التوحيدى فقال إن بعض الذين كانوا يغشون مجلس أبي سليمان ،
لما سمعوا منه كلاماً بديعاً في السياسة ، سألوه : « أن ينظم لهم رسالة في السياسة -
فقال (أبو سليمان) : قد رَسَمْتُ شيئاً منذ زمان ، وقد شاع وفشا ، وكتُبَ
وحُصِّلَ في جملة الهدية إلى قابوس بيجران » (« الامتاع والموانسة » ج ٢ ص
١١٧) .
- وقابوس هو من غير شك قابوس بن وشمگیر .
- ١١ - « صوان الحكمة » .
- وقد انتخب منه روايتان : إحداهما طويلة توجد في المخطوطات التالية :

١ - بشير آغا برقم ٩٤٤ .

٢ - مراد ملاّ برقم ١٤٣١ .

٣ - كوپرولو برقم ٩٠٢ .

٤ - فاتح برقم ٣٢٢٢ - والأربعة في استانبول .

٥ - المتحف البريطاني في لندن .

ولا ندري من قام بهذا الانتخاب ، إذ ليس في جميع المخطوطات ولا في المصادر المختلفة أية إشارة إليه .

والرواية الأخرى مختصرة ، وقد قام بها عمر بن سهلان السوي ، صاحب كتاب البصائر النصيرية ، في المنطق . وقد وردت في المجموع رقم ٣٢٢٢ بالمكتبة السليمانية (مكتبة فاتح) في استانبول . وسنصفه فيما بعد بالتفصيل . وقد انفردت بإيراد فصل من الفارابي ، لا يوجد في الرواية الأولى وسنورده فيما بعد .

مختصر الساوي

« صوان الحكمة »

١ - ورد هذا المختصر في المجموع رقم ٣٢٢٢ بالمكتبة السليمانية (مكتبة فاتح) بامتابول . وعنوانه كما في المخطوط هكذا :

« كتاب مختصر صوان الحكمة . اختصره الإمام الأجلّ القاضي ، حجة الحق ، عمر بن سهلان الساوي ، رحمة الله عليه ، المنقول من كلام اليونانيين ، وهو غرر الفوائد ودرر القلائد »

٢ - يبدأ بعد البسملة والتحميد هكذا :

« وبعد ! فهذه فوائد منتخبة من كلام الحكماء ، المنقول في « صوان الحكمة » ، حقها أن ترقم بقلم العقل في لوح النفس . والله الموفق للصواب : وإليه المرجع والمآب .

تاليس الملطي : مَنْ عَمِلَ فِي السِّرِّ عَمِلَ ...

أنكسا غورس : ...

فيثاغورس : أعلى درجات العبد في الخير ...

ويولج كلاماً من عنده في بعض المواضع مثل ما أولج في داخل ما اقتبس

من كلام فيثاغورس فقال بعد قول فيثاغورس : و لو كانا صديقين في الحقيقة
لتواسيا : وقد أحسن بعض الأعراب في الإفصاح عن هذا المعنى وهو :

عجبت لبعض الناس يمنع وده ويمنع ما ضمت عليه الأصابع
إذا أنا أعطيت الخليل مودتي فليس لماي بعد ذلك مانع ،

٣ - وبتلو فيثاغورس : سقراط (ورقة ٣ أ) ، افلاطون (٨ أ) ، ارسطاطاليس
(١٢ ب) ، اسكندر الملك (٢٠ أ) ، ذيوجانس الكلبي (٢٩ ب) ، ثاوفرسطس
(٣٣ ب) ، اوديموس (٣٤ أ) ، هرمس الأول (٣٥ أ) ، سولن الحكيم (٣٦ أ) ،
اوميرس الشاعر (٣٦ ب) ، اسكندر الافروديمي (٣٨ ب) ، اللينوس (٣٨ ب) ،
ادمينوس (٣٨ ب) ، جالينوس (٣٩ أ) ، كلمات لم تنسب إلى معروف مسن
الحكماء (٣٩ ب) ، أمثال لهم (٤٠ أ) ، ديمقراطيس (٤٢ ب) ، طيمانانوس
(٤٢ ب) ، مالمس (٤٢ ب) ، اوقليدس (٤٣ أ) ، بقراط (٤٣ أ) ، باسيليوس
(٤٣ أ) ، بطلميوس (٤٣ ب) ، صولسين (٤٣ ب) ، داريوس (٤٣ ب) ،
بليناس (٤٣ ب) ، بارقليس (٤٤ أ) ، فراطرخس (٤٤ أ) ،
بروطالمورس (٤٤ أ) ، ييسدرس (٤٤ أ) ، نوثرديدس (٤٤ أ) آخنس
(٤٤ ب) ، سطرطومسقوس (٤٤ ب) ، خاوس (٤٤ ب) ، فلاسطس
(٤٤ ب) ، طيلاماخس (٤٤ ب) ، أروس (٤٤ ب) ، اسجبنس (٤٥ أ) ،
اسوپوس (٤٥ أ) ، فلسطين (٤٥ أ) ، زينون (٤٥ أ) ، اسقراطيس (٤٥ أ) ،
انطياخوس (٤٥ ب) ، فيثوس (٤٥ ب) ، حادا فرن (٤٥ ب) ، نيفايون
(٤٥ ب) ، استانس الخطيب (٤٥ ب) ، كسافر سطس (٤٦ أ) ، دينستانس
(٤٦ أ) ، موسوريوس (٤٦ ب) ، افليمن (٤٦ ب) ، انطيتايس (٤٦ ب) ،
طيملطرس (٤٦ ب) ، اباخوس (٤٦ ب) ، فرسطرخس (٤٧ أ) ، طيمن
(٤٧ أ) ، فيلن (٤٧ أ) ، نقراطيس (٤٧ أ) ، يعقوب بن اسحق الكندي (٤٧ ب) ،
احمد بن الطبيب السرخسي (٤٩ أ) ، ثابت بن قرة الحراني (٤٩ أ) ، أبو عثمان
الدمشقي (٤٩ أ) ، أبو نصر الفارابي (٥٠ أ) ، أبو الحسن العامري (٥١ أ) ، أبو

سليمان محمد بن طاهر بن بهرام المسجزي (٥٦ أ) ، أبو جعفر بن بابويه ملك
مسجستان (٥٦ ب) ، يحيى بن عدي (٥٨ ب) ، الحسن بن مقداد (٥٨ ف) ،
عيسى بن علي بن عيسى الجراح (٥٨ ب) ، أبو علي بن مسكويه (٥٨ ب) ،
أبو النفيس (٥٩ أ) . ومن هذا البيان يتبين أن السأوي قد أسقط فصلاً عديداً
جداً .

ويتهيء التلخيص في ورقة ٦٠ ب . وفي الصفحة ١٥ سطرأ ، وفي السطر
حوالي ١١ كلمة .

والسأوي في اختصاره يحذف الأخبار ، ويقتصر فيما يورده على الأقوال
وحددها .

٤ - وقد انفرد بإيراد فصل عن الفارابي : لا نجد له نظيراً في سائر النسخ ،
وما نحن أولاء نورده :

(٥٠ أ) أبو نصر الفارابي

حكى عن فيلسوف يوناني أنه قال : من أنصف من نفسه ازداد عزاً . ومن
أنف من الباطل ينجح به الحق . ومن غشني بذاته اغتبط في آخر أمره .

وحكى أن ثلاثة من المنجمين اجتمعوا في توجههم إلى مدينة . فمروا في
طريقهم ببلاد حسن الهيئة ، جميل المنظر . فجاوروه ، فوجدوه مشاكلاً بعقله
لظواهره . فأحبوا النظر في أمره . واستقصوا ذلك . فقال أحدهم : تلمسه
حية ، ويتفتش سمها في جسده وتقتله . وقال آخر : يقع من عل فينقصف
عقه . وقال آخر : يقع في ماء غامر ، فيغرق ويهلك .

فلم يبرحوا حتى صعد شجرة يريد جناها وثمرتها . فصادف في أغصان
تلك الشجرة حية لسمته . فهوى منها في نهر كان في أصلها ، فمات .

وهذه كلمات حكاهما عن الأوائل : (٥٠ ب)

قال أفلاطون : الشيء الذي لا ينبغي لك أن تفعله فلا تنفوه به . من استحق

منك الخير فلا تنتظر ابتداءه بالمسألة ، ليكون أكل التذاذاً وأهناً موقعاً . لا نحكم قبل أن نسمع قول الخصمين .

وسئل : لِمَ كلما علمتم : كانت عنايتكم بالتعلم أشد ؟

قال : إنا كلما ازددنا علماً ازددنا معرفة بمنفعة العلم .

وقيل له : ذى الأشياء أهون ؟ قال : الأئمة الجُهَّال .

وسئل : أي شيء يقدر كل إنسان أن يجد به ؟ قال : حبه الخير للناس .

وقال : شتم مَنْ لا يحتمل شتمك استدعاءً منك للشتم . وشتم من يحتمل شتمك لؤم . ويجب على من اصطنع معروفاً أن يتناساه من ساعته : ويجب على من أسدي إليه أن يكون ذكره بين عينيه أبداً .

وسئل : أيما أحمد : الحياء ، أم الخوف ؟ قال : الحياء ، لأنه يدلّ على العقل ، والخوف يدلّ على الجُبْن .

إن أحببت أن لا تفوتك شهوتك فاشتم ما يمكنك .

أحسن ما عوشر به الملوك : الثنان : البشاشة وتخفيف المؤونة .

من تشاغل بالأدب فأقل ما يربح عليه ألا يضرغ إلى الخطأ .

لا ينبغي للمرء أن يبلغ من مرارة النفس إلى حدّ يظن به معه أنه شرير ، ولا ينبغي (أن يبلغ) من لُبّ الجانب أن يظن به أنه متلاق .

مَنْ بَرِيء من ثلاثة أشياء : نال ثلاثة أشياء : من بَرِيء من الشرّ نال العز ، ومن برىء من البُخل نال الشرف ، ومن بَرِيء من الكِبَر نال الكرامة .

وسئل : بماذا يتنعم الإنسان (٥١ هـ) من أعدائه ، وبأي شيء يغيظهم ؟ قال :

بأن يزاد فضلاً .

ويلاحظ أن بعض هذه الحكم قد نسبت في مواضع أخرى من الكتاب إلى غير الفارابي .

٥ - كذلك انفرد بفصل طويل عنوانه « وهذه حكم ووصايا انتخبناها من كتب الفرس : الدنيا دول فما كان منها أذاك على ضعفك ، وما كان عليك لم تدفعه قوتك ، التخلص من الدنيا » ... ويستمر هذا الفصل من ورقة ٥١ ب ص^٥ إلى ورقة ٥٦ أ س^١ ، ويتلوه الفصل الخاص بأبي سليمان محمد بن طاهر بن بهرام السجزي . وكل الفصل عبارة عن حكم ووصايا وليس فيه إشارة إلى قائل أو حادثة . وليس من المعقول أن يكون هذا الفصل قد كان موجوداً في أصل « صوان الحكمة » لأبي سليمان ، لأنه يقطع سياق الكتاب قطعاً شديداً ويتنافى مع طريقة أبي سليمان في ذكر الأشخاص ومهم حكمهم وآدابهم . فمن المرجح عندنا إذن أن يكون الفصل قد انتخبه - على حد التعبير الوارد هنا - الساوي نفسه ولم يكن في أصل أبي سليمان الذي اختصره الساوي .

٦ - وبالجملة فإن مختصر الساوي هذا يقدر بثلاث « منتخب صوان الحكمة » الذي نشرناه هنا .

المخطوط رقم ٩٤

في كتابخانه مجلس شورای ملی في تهران

من الرسائل المهمة فيه نذكر ما يلي :

ص	
١	مقالة الفارابي في اثبات المفارقات .
٢	مقالة الفارابي في العقل .
٤	مقالة الفارابي في أغراض ما بعد الطبيعة .
١٦ - ٢٧	رسالة في الفراسة للفارابي .
٢٨ - ٣٤	من تعليقات الفارابي
٣٤ - ٣٦	مقالة الاسكندر الافروديسي في القول في مبادئ الكل على رأي أرسطوطاليس .
٣٦ - ٣٧	مقالة أبي سليمان السجزي في أن الأجرام العلوية ذوات أنفس ناطقة .
٣٧ - ٣٨	مقالة أبي سليمان محمد بن طاهر السجستاني في المحرك الأول .
٣٨ - ٤١	مقالة أبي سليمان محمد بن طاهر بن بهرام السجزي في الكمال الخاص بنوع الإنسان .
٤٢ - ٤٤	مسائل طبيعية لأرسطوطاليس الفيلسوف وهي المسماة بـ « ما بال ؟ » ...

- ٤٤ - ٤٥ آداب أرسطوطاليس كتبها في صحيفة وكان يعلمها الاسكندر .
- ٤٥ - ٤٦ هذا مختصر من قول الحكيم أرسطوطاليس الفيلسوف في النفس ، وهو سبعة أقوال .
- ٤٦ - ٤٨ مقالة لأبي الخبر الحسن بن سوار في الآثار المتخيلة في الجو من البخار المائي وهي : الحالة ، والقوس ، والشموس ، والقضبان .
- ٤٩ - ٦٧ مقالة للفارابي تبدأ هكذا : « المبادئ التي بها قوام الأجسام والأعراض ستة أصناف لها ست مراتب عظيمة ... »
- ٧٠ قسم من كتاب البيروني : « ما للهند من مقولة » يبدأ بقول : « قال باسديو لارجن يحرضه على القتال وهما بين الصغين : إن كنت بالقضاء السابق مؤمناً فاعلم أنهم ليسوا ولا نحن معهم بموتى ولا ذاهبين ذهاباً لا رجوع معه » ...
- ١٠٣ ويتهي هكذا : « ... للتنفس كما للدلفين . وفي أنهارهم الحيوية حيوان يسمى كراه ، وربما يسمى حلتيت ، وأيضاً ثنوده . وهو رقيق طويل جداً زعموا أنه يرصد من يدخل الماء ويقف فيه ، إنساناً كان أو بهيمة ، فيقصده » وهنا ينتهي الكلام وبعده ثلثا الصفحة أبيضان .
- ١٠٤ - ١٢١ الألواح العمادية للسهروردي المقتول .
- ١٢٤ - ١٢٥ رسالة في الوجه ، من مؤلفات الشيخ الامام حجة الحق عمر الخيام .
- ١٢٨ - ١٨٠ وصول رسائل لابن سينا : « وصل الشيخ عدة كتب تشترك في الايناس بخير سلامته وذلك مما يعظم ... » وينتزه كتاب « المباحثات »
- ١٨٠ - ١٨٧ « حاطك الله مغبوطاً بنيل ما شهواه ، واسغنك بجميع ما

تتمناه ، وقسم لك سعادة الدارين... سألت -أدام الله سلامتك -
الابانة عن مسائل منها ما تراه جديراً أن يؤخذ على
أرسطوطاليس إذ يحكم فيها في الكتاب الموسوم بالسما
والعالم » . . .

رسالة في المعاد ، أولها : « أفاض الله على روح الشيخ الأمين
في الدارين أنوار الحكمة وطهر نفسه عن أدناس الطبيعة ...
فلنعد إلى الغرض الذي عنه انفصلنا وهو القول في المعاد »

رسالة في حقائق علم التوحيد ، تشتمل على ثلاثة أصول :
الأول في اثبات واجب الوجود ، والثاني في وحدانيته ،
والثالث في نفي العلل عنه .

« المقالة الأولى في الفصول التي لا يستغني الطبيب الذي
ليس بفيلسوف عن معرفتها لثلا يكون غفلا إذا سئل عن
شيء منها » وهي رسالة مهمة يورد فيها كثيراً من أقوال جالينوس .

مقالة نبين ، حقيقة ما عند المشائين المحصلين من حال المبدأ
والمعاد ، تقريباً به إلى الشيخ الجليل أبي محمد بن ابراهيم
الفارسي . تتضمن مقالتي هذه ثمرة علمين كبيرين أحدهما
الموسوم بأنه في ما بعد الطبيعيات والثاني العلم الموسوم بأنه
في الطبيعيات » .

« رسالة للشيخ الرئيس أبي عبد الله بن سينا في تعريف الرأي
المحصل الذي ختمت عليه روية الأقدمين في جوهر الأجسام
الساوية والعبارة عن مذهبهم اعتمى عنده بمقدار اطلاعه
على ما أخذهم » .

مختصر كتاب النفس عن الفيلسوف أرسطوطاليس : وهو
سبعة أبواب .

من كلام هذا الفيلسوف الفاضل (أرسطو) في الرؤيا .

- فائدة في تحقيق معنى الأقاليم التي قال بها النصاري . ٣٢٣
- رسالة يعقوب بن اسحق الكندي إلى محمد بن الجهم في ٣٢٣ - ٣٢٤
الإبانة عن وحدانية الله تعالى
- رسالة إلى الكاتب الجليل أبي جعفر محمد بن الحسن بن ٣٢٥
المرزبان رحمه الله الذي ذكره من اختلاف الناس في أمر
النفس ... »
- رسالة الحدود لابن سينا . ٣٢٣ - ٣٢٥
- رسالة العشق لابن سينا . ٣٣٣ - ٣٣٨
- رسالة هرمس في معاذلة النفس ، وتبدأ هكذا هنا : « يا ٣٤٠ - ٣٤٩
نفس ! استعملي التصور والتمثيل في سائر الأشياء الموجودة
عقلاً ووحياً ، واعلمي أن الشيء الذاتي بالحقيقة ... »
- بيان أقسام الحكمة على سبيل الاختصار من كلام الشيخ ٣٥٠
الرئيس أبي علي ابن سينا .
- رسالة النغخ والنسوية للغزالي^٩ . ٣٥٢ - ٣٥٥

أبو سليمان شاعرا

ويذكر لنا التوحيدي أن أبا سليمان « كان يقرض البيت والبيتين ، وينشدنا ذلك ، وينهى عن بثه عنه ، ويقول : مَنْ انحَل لضعفه قوة غيره قِيحةٌ وجسارةٌ » ، فقد استجبر إلى نفسه فضيحةٌ وخسارة ^(١) .

فهو إذن كان يقول القليل من الشعر ، وينشده لأصحابه ، ولكنه ينهاهم عن إذاعته لأنه كان يرى نفسه قليل البضاعة من الشعر ، فخشي أن يجر ذلك عليه الهزء ، والتقصيص من شأنه . ولهذا قرر بصراحة أن « الاقلال من هذا الباب (أي من قول الشعر) أولى بنا . فلنأمن من أهل هذا الفن ، وسيمّة التقصير لأمحةٌ علينا ، ودالة على نقصنا ، وإن خفي ذلك بنظرنا ، لأن الإنسان عاشق نفسه وليس بمؤاخذها على تقصيره ^(٢) » .

ويورد له التوحيدي هاتين القطعتين :

— ١ —

وإنّي عزّوفُ النفسِ عَمَّنْ يُخونني ومُعْطِي قيادي للحبيبِ الموالفِ
أشاطرهُ روحِي ومالي وأتقي حذاراً عليه من رباحِ عواصيفِ

(١) التوحيدي : « المقابسات » ص ٢٩٨ ، نشرة السندوبي ، القاهرة سنة ١٩٢٩ .

(٢) الكتاب نفسه ص ٢٩٩ .

فإن خان عهدي لم أخُنه ، وإن أكنُ
على ما أرى من عذره بمواقف
وأترك عقباه لعقبى فعاله
ففي عقب الأيتام كل التناصف

- ٢ -

بكبتُ على مفارقة الشباب
وأيتام البطالة والتصابي
وأيتام التغاؤل والكدال
وأيتام التجني والعتاب
مضت فكأنها لما تولت
مُعقبة نفيًا بالعقاب
لتبلي كل ملبوس جديد
ونمزج كل معول بصاب
ياهر الشيب أعلام المنايا
نشير نذيرة لك بالذهب
هو الكتف الذي يبلى وشيكاً
ويأتي بعده كتف السراب

وواضح أن هذا الشعر في مستوى ردي ، يغلب عليه الطابع التعليمي ، ولا يدل على أن لدى صاحبه أية ملكة شعرية حقيقية . فما أحسن ما صدق بو سليمان عن نفسه حين اعترف بأن قول الشعر ليس من شأنه !

مقارنة بين الشعر والنثر

وفيما يتعلق بالمقارنة بين الشعر والنثر ، يرى أبو سليمان أن للنثر فضيلته التي لا تنكر ، وللنظم شرفه الذي لا يحمد ، وأن مناقب النثر في مقابلة مناقب النظم ، ومثالب النظم في مقابلة مثالب النثر . والذي لا بد منه « فيهما السلامة والدقة ، وتجنب العريص وما يحتاج إلى التأويل والتلخيص »^(١) .

ويقسم البلاغة الى انواع وضروب : منها : بلاغة الشعر : وبلاغته

(١) التوحيدي : « الإمتاع والمؤانسة » ج ٢ ص ١٣٩ .

الخطابة ، وبلاغة النثر ، وبلاغة المَثَل ، وبلاغة العقل ، وبلاغة البديهة ، وبلاغة التأويل .

• فأما بلاغة الشعر فإن يكون نَحْوُهُ مقبولاً ، والمعنى من كل ناحية مكشوفاً ، واللفظ من الغريب بريئاً ، والكتابة لطيفة ، والتصريح احتجاجاً ، والمؤاخاة موجودة ، والمواءمة ظاهرة .

وأما بلاغة الخطابة فإن يكون اللفظ قريباً ، والإشارة فيها غالبية ، والسَّجْعُ عليها مستولياً ، والوهم في أضعافها ساجحاً ، وتكون فِقْرُهُمُ قصاراً ، ويكون رِكايبها شوارد الإبل .

وأما بلاغة النثر فإن يكون اللفظ متناولاً ، والمعنى مشهوراً ، والتهديب مستعملاً ، والتأليف سهلاً ، والمراد سليماً ، والروثق عالياً ، والخواشي رقيقة ، والصفائح مصقولة ، والأمثلة خفيفة المأخذ ، والهوادي متصلة ، والأعجاز مُفَصَّلَة .

وأما بلاغة المَثَل فإن يكون اللفظ مقتضباً ، والحرف محتملاً ، والصورة محفوظة ، والمَرْمَى لطيفاً ، والبالغ كافياً ، والإشارة مغنية ، والعبارة سائرة .

وأما بلاغة العقل فإن يكون نصيبُ المفهوم من الكلام أسبق إلى النفس من مسموعه إلى الأذن ، وتكون الفائدة من طريق المعنى أبلغ من ترصيع اللفظ وتنفية الحدود ، وتكون البساطة فيه أغلب من التركيب ، ويكون المقصود ملحوظاً في عَرْضِ السَّنَنِ ، والمرمى يتلقَّى بالوهم لحسن الترتيب .

وأما بلاغة البديهة فإن يكون انحياش اللفظ للفظ في وزن انحياش المعنى للمعنى . وهناك يقع التعجب للسامع ، لأنه يهجم بفهمه على ما لا يظن أنه بظفر به كمن بعثر بمأموله ، على غفلة من تأمله . والبديهة قدرة روحانية ، في جبلته بشرية ، كما أن الروية صورة بشرية في جبلته روحانية .

وأما بلاغة التأويل فهي التي تخرج ، لغموضها ، إلى التدبر والتصفح .
وهذان يفيدان من المسموع وجوهاً مختلفة كثيرةً ناقلة . وببذة البلاغة يتسع في
أسرار معاني الدين والدنيا ، وهي التي تأولها العلماء بالاستنباط من كلام الله
عز وجل وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم - في الحرام والحلال ، والحظر والإباحة
والأمر والنهي ، وغير ذلك مما بكثرت ، وبها تفاضلوا ، وعليها تجاولوا ، وفيها
تنافسوا ، ومنها استحلّوا ، وبها اشتغلوا . ولقد فقدت هذه البلاغة لفقد
الروح كله وبطل الاستنباط : أوله وآخره . وجوّلان النفس واعتصار الفكر
إنما يكونان بهذا النمط في أعماق هذا الفن . وما هنا تنثال الفوائد ، وتكثر
المعاني ، وتتلامح الخواطر ، وتتلاحق الهمم . ومن أجلها يستعان بقوى
البلاغات المتقدمة بالصفات الممتلئة ، حتى تكون مُمينة ورافدة في إثارة المعنى
المدفون ، وإنارة المراد المخزون ^(١) .

وإذا أردنا إيجاز الفروق بين هذه الأنواع من البلاغة قلنا :

إن بلاغة الشعر تتميز بسهولة العبارة ولطُف الكناية ؛

وبلاغة الخطابة تتميز بالسجع والفقر التقصار ؛

وبلاغة النثر تتميز بالرونق وخفة المأخذ وتفصيل القِصر ؛

وبلاغة المثل تكمن في اقتضاب اللفظ والاقتصار على الإشارة وسهولة

اللفظ ؛

وبلاغة العقل تنبع من كثرة المعاني ؛

وبلاغة الهدية تصدر عن ادهاش السامع بما لا يتوقعه ؛

وبلاغة التأويل هي التي يتسع فيها الكلام لكثير من أسرار المعاني .

ولأبي سليمان تعريف شامل للبلاغة هي أنها : « هي الصدق في المعاني مع

(١) التوسيدي : الامتناع والمزانسة هـ ٢ ص ١١١ - ١١٢ ، القاهرة سنة ١٩٤٢ .

اختلف الأسماء والأفعال والحروف ، وإصابة اللغة ، ونحرتي الملاحاة المشاكلة
برفض الاستكراه ومجانبة التعسف ، (١) .

وعنده أنه لا توجد بلاغة أحسن من بلاغة العرب ، لأن العربية أكثر اللغات
منطقية ، وكأنها هي المنطق بعينه (٢) .



(١) التوجيهي : « المقابسات » ، المقابلة رقم ٨٨ ، ص ٢٩٣ . القاهرة سنة ١٩٢٩ .
(٢) التوجيهي : « المقابسات » ، المقابلة رقم ٨٨ ، ص ٢٩٤ .

آراء أبي سليمان السجستاني

— ١ —

العلاقة بين الفلسفة والدين

ونعرض هنا بعضاً من آراء أبي سليمان في أمهات موضوعات الفلسفة .
ونبدأ بذكر رأيه في العلاقة بين الفلسفة والدين ، وكان هذا الأمر موضوع جدال عنيف بين المفكرين المسلمين في القرن الرابع ، بعد أن استتبّت للفلسفة مكانتها بفضل ما ترجم من اليونانية والسريانية في القرن الثالث والنصف الأول من القرن الرابع ، وبفضل محاولات الكندي والفارابي ومحمد بن زكريا الرازي الفلسفية :

وقد كانت المحاولة الكبرى للتوفيق بين الفلسفة والدين هي تلك التي قام بها جماعة إخوان الصفا في رسائلهم الخمسين — وذلك في الفترة ما بين سنة ٣٣٠ هـ وسنة ٣٧٠ هـ .

ويمكن بنا أن نورد رأي أبي سليمان السجستاني في هذه الرسائل ، كما نقله التوحيدي في « الإمتاع والمؤانسة » (ج ٢ ص ٦ وما بعدها) : قال عن إخوان الصفاء :

« نَعَيُّوا وما أَغْنَوْا ، وَنَصَّبُوا وما أَجْنَدُوا ، وَحَامُوا وما وَرَدُوا ، وَغَشَّوْا وما أَطْرَبُوا ، وَنَسَجُوا فَهْلَهُلُوا ، وَمَشَطُوا ففَلَقَلُوا . ظَنُّوا ما لا يكون

ولا يمكن ولا يُستطاع . ظنّوا أنهم يمكنهم أن يدسّوا الفلسفة - التي هي علمُ النجوم والأفلاك والمجسطي والمقادير وآثار الطبيعة ، والموسيقى التي هي معرفة النغم والايقاعات والنقرات والأوزان ، والمنطق الذي هو اعتبار الأقوال بالإضافات والكميّات والكيفيّات - في الشريعة ، وأن يضمّوها ^(١) الشريعة للفلسفة . وهذا مرّامٌ دونه حدّد ^(٢) . وقد توفّر على هذا ، قبل هؤلاء ، قومٌ كانوا أحدَ أزياباً ، وأحضر أسباباً ، وأعظم أقداراً ، وأرفع أخطاراً ، وأوسع قوى ، وأرقّ عرّى - فلم يتمّ لهم ما أرادوه ، ولا بلغوا فيه ما أمّلوه ، وحصلوا على لُؤثات قبيحة ، ولطخات فاضحة ، وألقاب موحشة ، وعواقب مخزية ، وأوزار ثقيلة . والسبب في ذلك « أن الشريعة مأخوذة عن الله - عز وجل - بوساطة السّفير بينه وبين الخلق من طريق الوحي ، وبسبب المناجاة ، وشهادة الآيات ، وظهور المعجزات ، على ما يوجهه العقل تارةً ، ويمجّزه تارةً ، لمصالح عامة متقنة ، ومرامد تامّة مُبينّة . وفي أثنائها ما لا يسبيل إلى البحث عنه والغوص فيه ، ولا بد من التسليم للداعي إليه والمنبّه عليه . وهناك يسقط « ليم ؟ » ويبطل « كيف ؟ » ويزول « هَلَا » ، ويذهب « لوه » « ليت » في الرّيح - لأن هذه المواد ^(٣) عنها محسومة ، واعتراضات المعترضين عليها مردودة ، وارتياب المرتابين فيها ضارٌّ ، وسكون الساكنين إليها نافع . وجملتها مشتملة على الخير ، وتفصيلها موصولٌ بها على حسن ^(٤) التّقبّل . وهي متداولة بين متعلّق بظاهرها مكشوف ، ومحتجّ بتأويل معروف ، وناسرٍ باللغة الشائعة ، وحامٍ ^(٥) بالجلد المبين ، وذابّ بالعمل الصّالح ، وضاربٍ للمثل السائر ، وراجع إلى البرهان الواضح ، ومتفقّه في الحلال والحرام ، ومستند

(١) وفي نسخة أخرى : يطبقوا

(٢) أي : موانع وصعوبات .

(٣) أي هذه الأسئلة والمطالب لا شأن لها بالشريعة .

(٤) أي قائم على قبحها كما جاءت عن اعتقاد جازم ساذج .

(٥) يقصد به العالم بعلوم الكلام والتوحيد .

إلى الأثر والخبر المشهورين بين أهل المِلَّة ، وراجع إلى اتفاق الأمة . وأساسها على الورع والتقوى ، ومنتهاها إلى العبادة وطلب الرُّزْقى . ليس فيها حديث المنجّم في تأثيرات الكواكب وحركات الأفلاك ومقادير الأجرام ومطالع الطوالع ومغارب الفوارب ، ولا حديث تشاؤمها وتيامنُها ، وجوْطها وصعودها ، ونَحْسها وسعدِها ، وظهورها واستمرارها ، ورجوعها واستقامتها ، وترييعها وتثليثها وتسديسها ومقارنتها ^(١) .

ولا حديثُ صاحب الطبيعة الناظير في آثارها ، وأشكال الأسطقُسات يثبوتها وافتراقها ، وتصريفها في الأقاليم والمعادن والأبدان ؛ وما يتعلق بالحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة ؛ وما الفاعل والمنفعل منها ؛ وكيف تمازجُها وتزاوُجُها ، وكيف تنافرُها وتسايرُها ؛ وإلى أين تسري قواها ؛ وعلى أي شيء يقف منتهاها .

ولا فيها حديث المهندس الباحث عن مقادر الأشياء ونقطتها وخطوطها وسطحها وأجسامها وأضلاعها وزواياها ومقاطعها ؛ وما الكرة ؟ وما الدائرة ؟ وما المستقيم ؟ وما المنحنى ؟

ولا فيها حديث المنطقيّ الباحث عن مراتب الأقوال ، وتناسب الأسماء والحروف والأفعال ؛ وكيف ارتباطُ بعضها ببعض - على ^(٢) ما وضع رجلٌ من يونان - حتى يصحّ ، بزعمه ، الصدق ، وينبذ الكذب . وصاحب ^(٣) المنطق يرى أن الطبيب والمنجّم والمهندس وكل من فاه بلفظٍ وأمّ غرضاً فقراءُ إليه ، محتاجون إلى ما في يديه .

قال (أي أبو سليمان) : فعَلَى هذا ، كيف يسوغ لإخوان الصفاء أن

(١) يقصد قرانات النجوم .

(٢) في المطبوع : موضوع . والرجل من يونان يقتصد به أرسطوطاليس ، صاحب 'المنطق' - أي بحسب ما وضع أرسطو اعتماداً على اللغة اليونانية بما قد لا ينطبق على غيرها من اللغات .

(٣) أي المنطقي بوجه عام ، أو عالم المنطق .

ينصبوا من تلقاء أنفسهم دعوة تجمع حقائق الفلسفة في طريق الشريعة ؟ »

ويتابع فيقول : « ولقد اختلفت الأمة ضروباً من الاختلاف في الأصول والفروع ، وتنازعوا منها فتوناً من التنازع في الواضح والمُشْكِل من الأحكام ، والحلال والحرام ، والتفسير والتأويل ، والعيان والخبر ، والمادة والاصطلاح - فما فترعوا في شيء من ذلك إلى منجّم ولا طيب ولا منطقي ولا مهندس ولا موسيقي ولا صاحب عزيمة وشعبذة وسحروكيما ، لأن الله تعالى تمّم الدين بنبِيِّه - صلى الله عليه وسلم ، ولم يُخْرِجه بعد البيان الوارد بالوحي إلى بيان موضوعٍ بالرأي - .

قال : وكما لم نجد في هذه الأمة مَنْ يفرع إلى أصحاب الفلسفة في شيء من دينها ، كذلك أمة عيسى . - عليه السلام ، وهي النصارى ، وكذلك المجوس .

قال : وما يزيدك وضوحاً وبريك عجباً أن الأمة اختلفت في آرائها ومذاهبها ومقالاتها فصارت أصنافاً فيها وفرقاً : كالمرجئة ، والمعتزلة ، والشيعة ، والسنيّة والخوارج - فما فترعت طائفة من هذه الطوائف إلى الفلاسفة ، ولا حققت مقالاتها بشواهدهم وشهادتهم ، ولا اشتغلت بطريقتهم ، ولا وجدت عندهم ما لم يكن عندها بكتاب ربّها وأثر نبِيِّها .

وهكذا الفقهاء الذين اختلفوا في الأحكام من الحلال والحرام ، منذ أيام الصّدْر الأوّل إلى يومنا هذا ، لم نجدهم تظاهروا بالفلاسفة فاستنصروهم ، ولا قالوا لهم : أعينونا بما عندكم ، واشهدوا ، لنا أو علينا ، بما قبلكم .

قال : فأين الدين من الفلسفة ؟ وأين الشيء المأخوذ بالوحي النازل ، من الشيء المأخوذ بالرأي الزائل ؟

فإذا أدلّوا بالعقل فالعقل موهبة من الله - جلّ وعزّ - لكل عبد ، ولكن بقدر ما يُدرّك به ما يعلوه ، كما لا يخفى به عليه ما يتلوه . وليس كذلك

الوحي فإنه على نوره المنتشر وبيانه المبسّر .

قال : وبالجملّة ، النبيّ فوق الفيلسوف ، والفيلسوف دون النبيّ ، وعلى الفيلسوف أن يتّبع النبيّ ، وليس على النبيّ أن يتّبع الفيلسوف ، لأن النبيّ مبعوث ، والفيلسوف مبعوث إليه .

قال : ولو كان العقل يُكتفَى به لم يكن للوحي فائدة ولا غناء . على أن منازل الناس متفاوتة في العقل ، وأنصباؤهم مختلفة فيه . فلو كنّا نستغني عن الوحي بالعقل ، كيف كنّا نصنع ، وليس العقل بأسره لواحد منّا وإنما هو لجميع الناس ؟ فإن قال قائل بالعبث والجهل : كل عاقل موثّق إلى قدر عقله ، وليس عليه أن يستفيد الزيادة من غيره ، لأنه مكفّي ، وغير مطالب بما زاد عليه - قيل له : كفّاك تمادياً في هذا الرأي أنه ليس لك فيه موافق ، ولا عليه مطابقي . ولو استقلّ إنسان واحد بعقله في جميع حالاته في دينه ودنياه ، لاستقلّ أيضاً بقوته في جميع حاجاته في دينه ودنياه ، ولكان وحده يفي بجميع الصناعات والمعارف ، وكان لا يحتاج إلى أحدٍ من نوعه وجنسه . وهذا قولٌ مردول ورأيٌ مخدول .

فلما رد عليه تلميذه البخاري قائلاً : « وقد اختلفت أيضاً درجات النبوة بالوحي ، وإذا ساغ هذا الاختلاف في الوحي ولم يكن ذلك ^(١) ثامناً له ، ساغ أيضاً في العقل ولم يكن مؤثراً فيه » - صاح فيه أبو سليمان : « يا هذا ! اختلاف درجات أصحاب الوحي لم يخرجهم عن الثقة والطمأنينة بمن اصطفاهم بالوحي ، وخصّتهم بالمناجاة ، واجتباهم بالرسالة ، وأكملهم بما ألبسهم بمنّ شعار النبوة . وهذه الثقة والطمأنينة مفقودتان في الناظرين بالعتول المختلفة ، لأنهم على بُعد من الثقة والطمأنينة إلاّ في الشيء القليل والنزر اليسير ؛ وعوّارُ هذا الكلام ظاهير ، وخططلّ هذا المتكلّم بيّن » .

(١) أي قامساً فيه .

و خلاصة رأي أبي سليمان السجستاني هو :

أ - أن الدين شيء ، والفلسفة شيء آخر ؛ إذ الدين يقوم على الوحي ، والفلسفة تقوم على العقل . والوحي يقرر في ثقة واطمئنان ، بينما العقل لا يستطيع القطع بشيء . ومراتب الناس في العقل متفاوتة ، ومن هنا اختلفت آراؤهم في الفلسفة . بينما الوحي ، وإن اختلفت درجاته ، فهو دائماً يصدر عن ثقة وطمأنينة بما يلقي إليه .

ب - ولا حاجة بالشريعة إلى الفلسفة بكل فروعها : من منطق وطب ورياضيات وكيمياء وموسيقى . ولهذا لم نر أهل الشريعة يفرعون إليها في الفصل في الأحكام أو تقرير الحلال والحرام . وحتى أصحاب المذاهب الكلامية لم يفرعوا إلى الفلسفة ولا اشتغلوا بطريقتها .

ج - والدين لا يسمح بالسؤال عن لِمَ وكيف ولو وليت ؛ لأنه قائم على التقرير المطلق ، فلا محل لاعتراض أو تعليل أو تشكيك .

وموقف أبي سليمان هذا موقف غريب من شخص مشارك في الفلسفة ، ولهذا قال الوزير أبو عبدالله العارض حين سمع ما عرضه أبو حيان من رأي أبي سليمان : « ما عجبني من جميع هذا الكلام إلا من أبي سليمان في هذا الاستحقار والتفضيئ ، والاحتشاد والتعصب ، وهو رجل يعرف بـ «المنطقي» وهو ^(١) من غلمان يحيى بن عدي النصراني ؛ ويقرأ عليه كتب يونان وتفسير دقائق كتبهم بغاية البيان ^(٢) » .

فيحاول أبو حيان أن يفسر موقف أبي سليمان على أساس أن هذا يميز بين الفلسفة والشريعة على أساس أن كليهما حق ، ولكنهما يختلفان في المصدر الذي تعتمد عليه كل واحدة منهما :

(١) هذا يدل على أن تلقب أبي سليمان بهذا القلق كان في حياته وكان شاملاً به بين عامة الناس .

(٢) النوحدي : « الاستماع والمؤانسة » ج ٢ من ١٨ .

قال أبو حيان : « إن أبا سليمان يقول إن الفلسفة حقٌ لكنها ليست من الشريعة في شيء ، والشريعة حقٌ لكنها ليست من الفلسفة في شيء . » وصاحب الشريعة مبعوث ، وصاحب الفلسفة مبعوثٌ إليه . وأحدهما مخصوص بالوحي ، والآخر مخصوص ببحثه . والأول مكفّيٌّ ، والثاني كادح . وهذا يقول : أُمِرْتُ وَعُلِّمْتُ ، وقبل لي ، وما أقول شيئاً من تلقاء نفسي . وهذا يقول : رأيتُ ونظرتُ واستحسنْتُ واستقبحْتُ . وهذا يقول : نور العقل أهندي به . وهذا يقول : معي نورُ خالق الخلق أمثلي بضياته . وهذا يقول : قال الله تعالى ، وقال الملك . وهذا يقول : قال أفلاطن وسقراط . ويُسمَعُ من هذا ظاهر تزييلٍ ، وسائغُ تأويلٍ ، وتحقيقُ سُنَّةٍ ، وانفاقُ أُمَّةٍ . ويُسمَعُ من الآخر : الهبول والصورة ، والطبيعة والاسططقس^(١) ، والذاتي والعَرَضي ، والأَيْسِي والتَيْسِي^(٢) — وما شاكل هذا مما لا يُسمَعُ من مُسْلِمٍ ولا يهودي ولا نصراني ولا مجوسي ولا مانوي^(٣) . »

ثم يعرض رأي أبي سليمان النهائي في هذه المسألة ، ويتلخص في القول في ذات الشخص الواحد بعيداين منفصلين ، أحدهما ميدان الدين ، والآخر ميدان الفلسفة . وهما لا يتدجان ولا يتداخلان ، بل يظل لكل واحد منهما أحكامه الخاصة وأدواته وموضوعاته ومناهجه :

يقول أبو سليمان فيما رواه التوحيدى : « من أراد أن يتفلسف فيجب عليه أن يُعَرِّضَ بنظره عن الديانات . ومن اختار التدين فيجب عليه أن يتفرد (= ينصرف) بعنايته عن الفلسفة ، ويتحلّى بهما مفترقين في مكانين على حالين مختلفين ، ويكون بالدين مقرباً إلى الله تعالى على ما أوضحه له صاحب الشريعة عن الله تعالى ، ويكون بالحكمة متصفّحاً لقدرة الله تعالى في هذا العالم الجامع

(١) الأيسى = الوجودى . التيسى = اللاوجودى .

(٢) التوحيدى : « الامتاع والمؤانسة » ج ٢ ص ١٨ .

للزينة الباهرة لكل عين ، المُحِبَّة لكل عقل . ولا يهدم أحدهما بالآخر ، أعني لا يمحى ألقي إليه صاحبُ الشريعة جملاً ومفصلاً ، ولا يغفل عما استخزن الله تعالى هذا الخلق العظيم على ما ظهر بقدرته ، واشتمل بحكمته ، واستقام بمشيئته ، وانتظم بإرادته ، واستتم بعلمه . ولا يعترض - على ما يتبع في عقله ورأيه من الشريعة ، وبدائع آيات النبوة - بأحكام الفلسفة ، فإن الفلسفة مأخوذة من العقل المقصور على الغاية ، والديانة مأخوذة من الوحي الوارد من العلم بالقدرة .

قال : ولعمري إن هذا صعب . ولكنه جماعُ الكلام وأخذُ المسنطاع وغايةُ ما عرَّض له الإنسان المؤيد باللطائف ، المزاح بالعلل ، وبضروب التكاليف .

قال : ومن فضل نعمة الله تعالى على هذا الخلق أنه نهج لهم سبيلين وتنصَّب لهم علمين ، وأبان لهم نَجْدَيْن ليصلوا إلى دار رضوانه إما بسلوكهما وإما بسلوك أحدهما (١) .

وهكذا نجد أبا سليمان ، كما لاحظ التوحيدى ، « قد أفرز الشريعة من الفلسفة ، ثم حث على انتحالهما معاً . وهذا شبيه بالناقضة (٢) » . وقد هاجم فيه هذا التناقض أحد أصحاب أبي بكر محمد بن زكريا الرازى ، الطبيب الفيلسوف المشهور . وهو أبو غانم الطبيب ، وقد ورد إلى بغداد من الريّ ، وراح يشاد أبا سليمان في هذا التناقض « ويضايقه ، ويلزمه القول بما ينكره على الخصم (٣) » . وقد عرض أبو حيان على الوزير أن يسجل كلامهما في ورقات ، لكن الوزير اكفى بما سمع ، وكنا نود لو أنه سمح لأبي حيان بعرض جملتهما ، إذن لكتنا أمدنا كثيراً في سبيل إيضاح موقف أبي سليمان ، ومعرفة ما كان يثار من حُجَج

(١) التوحيدى : « الامتناع والمؤافاة » ج ٢ ص ١٨ - ١٩ .

(٢) الكتاب نفسه ج ٢ ص ٢٣ .

(٣) التوحيدى : « الامتناع والمؤافاة » ج ٢ ص ٢٣ .

بين المفكرين المسلمين حول هذه المسألة الشائكة .

على أن أبا سليمان قد حدد الفلسفة في إحدى المقابسات (رقم ٤٨ ، ص ٢٢٣) بأنها « محدودة بحدود ستة » ، كلها تدلُّك على أنها بحثٌ عن جميع ما في العالم مما ظهر للعين ، وبَطْن للعقل ، ومركب بينهما ، ومائل إلى حد منهما - على ما هو عليه ، واستفادة اعتبار الحق من جملة وتفصيله ، ومسموعه ومرئيه ، وموجوده ومعدومه ، من غير هوى يُمال به على العقل ، ولا إلف يفتقر معه إلى جنابة التقليد ، مع إحكام العقل الاختياري ، وترتيب العقل الطبيعي ، وتحصيل ما ندَّ وانقلب من غير أن تكون أوائل ذلك موجودةً حِسّاً وعباناً ، وإن كانت محققة عقلاً وبياناً ، مع أخلاق إلهية واختبارات علوية ، وسياسات عقلية ، ومع أشياء كثيرة ذكرها وتعدادها ، ولا يبلِّغ أقصى ما لها من حقها في شرفها .

ويحمل على طريقة المتكلمين ، لأنها « مرسسة على مكابلة اللفظ باللفظ ، وموازنة الشيء بالشيء » ، إمّا بشهادة من العقل ^(١) مدخولة ، وإما بغير شهادة ألبتة ، والاعتماد على الجدل ؛ وعلى ما يسبق إلى الحسّ أو يحكم به العيان ، أو على ما يستنع به المخاطر المركّب من الحسّ والوهم والتخيّل ، مع الإلّاف والعادة والمنشأ وسائر الأعراض التي يطول إحصاؤها ويشقّ الاتيان عليها وكل ذلك ينمق بالمغالطة والتدافع ، وإسكات الخصم بما اتفق ، وإتمام القول الذي لا محصول فيه ولا مرجوع له ، مع بوار لا تليق بالعلم ، ومع سوء أدب كثير ؟ نعم ! ومع قلة ثأله ^(٢) وسوء ديانة وفساد دخلة : ورفض الورع بجملة ^(٣) . فطريقة المتكلمين إذن جدلية ، عقيمة ، لا تستند إلى الدليل المحكم لا من العقل ولا شهادة الحسّ ، وغايتها إفحام الخصم من أيّ طريق وبأية

(١) أي زائفة موحدة .

(٢) الثأله : التقوى والورع والديانة .

(٣) التوحيد : المقابسات ص ٢٢٣ ، نشرة السندوبي ، القاهرة سنة ١٩٢٩ .

وسيلة ، صحت أو أخطأت . هذا مع التشنيب على الخصم والتطاول باللفظ عليه . وكل هذا في غير ورع ولا نزاهة طعنة . أما طريقة الفلسفة فغايتها الوصول إلى الحق جملةً وتفصيلاً ، والبحث في الموجود والمعدوم ، من غير ميل مع الهوى أو مع التقليد ، بل بتحكيم للعقل الاختياري واستناد إلى العقل الطبيعي . ويصاحب ذلك أخلاق إلهية وسمو إلى ما هو أعلى .

ومثل هذه الحملة على المتكلمين نراها مرة أخرى في « الامتناع والمؤانسة » مزودة بشواهد من تاريخ مجادلات المتكلمين المسلمين ، وقد أطال أبو سليمان في إيراد هذه الشواهد مما لا يسمح هذا الموضع بإيراده ، فنحيل القارئ عليه هناك ^(١) . ولهجت في هذا الموضع أشدّ حدة ، وخلاصة رأيه هنا أن الدين موضوع على القبول والتسليم والمبالغة في التعظيم . وهذا لا يخص ديناً دون دين ، ولا مقالة دون مقالة ، بل هو سار في كل شيء في كل حال وفي كل زمان . وكل من حاول رفع هذا فقد حاول رفع الفطرة ، ونفي الطباع وقلب الأصل . ويؤكد أبو سليمان أنه « لمصلحة عامة نُهي عن المراء والجدل على عادة المتكلمين ، الذين يزعمون أنهم ينصرون الدين . وهم في غاية العداوة للإسلام والمسلمين ، وأبعد الناس من الضمانية واليقين » (ج ٣ ص ١٨٨ ، ١٨٩) . ثم يسوق الشواهد التي تدل على شؤم الكلام ونكد جدل المتكلمين وشبهتهم .

(١) التوحيفي : « الامتناع والمؤانسة » ج ٢ ص ١٨٧ - ١٩٥ . القاهرة ، سنة ١٩٤٤ .

العقل

والعقل عند أبي سليمان يتقسم إلى نفس الأقسام التي ينقسم إليها عند الكندي وعند الفارابي ، وهو التقسيم الذي ساد الفلسفة اليونانية عند شراح أرسطو ابتداءً من القرن الثالث الميلادي .

فهو يقسم العقل^(١) إلى الأقسام الثلاثة التالية :

أ - العقل الفعال ، وهو في نسبة الفاعل ، وهو الأولى بالنسبة إلى سائر العقول ؛

ب - العقل المهيولاني ، وهو في نسبة المفعول ، وهو الأخير في سلسلة العقول ؛

ج - وبينهما العقل المستفاد ، وهو في نسبة الفعل والقوة معاً .

وما هو في حيز القوة يحتاج أن يخرج إلى الفعل ، ولهذا يحتاج إلى شيء ، موجود بالفعل ليخرجه من القوة إلى الفعل - وهذا الشيء ، هو العقل الفعال .
على أن العقل الفعال ، وإن كان في القمة من السُّمُومَ وعلو المكانة ، فإن فيه انفعالاتاً . لكنه الانفعال الأول الذي ليس فوقه انفعالٌ البتة . وكلما

(١) راجع المقابلة رقم ٨٣ ص ٢٨٩ من نشرة السندريبي .

هبط الانفعال في المنفع بعد المنفع بعدُ عن الشرف الذي كان بالنسبة الأولى في الأول . وهكذا يتدرج في مراتب للمنفعلين حتى يُنتهى إلى المرتبة الدنيا من الانفعال .

وبالمثل « إذا اعتبرت فاعلاً بعد فاعل حتى تنتهي من عندك إلى الدرجة القصوى : مررت بأقسام الفاعلين ومراتبهم ^(١) » .

العقل والبدية

وإلى جانب الحسن والعقل بوصفهما أداتي المعرفة ، يقول أبو سليمان بالبدية intuition أو الوجدان . فالمعرفة إما أن تتم بالروية والفكر والتصفح والقياس ، أو تتم بالخاطر والبدية والإلهام والوحي حتى كان الموضوع كان حاضراً بنفسه مترصداً للبروز والظهور .

و « البدية تحكي الجزء الإلهي بالانجاس ، وتزيد على ما يغوص عليه القياس ويسبق الطالب والمتوقع . والروية تحكي الجزء البشري ، وكذلك الفكر والتبصّر والاستمداد والتوقع » . ولا تتوافر القوتان معاً في الإنسان الواحد بدرجة عالية ، أي لا يوجد الإنسان غايةً في البدية غاية في الروية ، لأن إحدى القوتين إذا اشتغلت قمعت الأخرى وحاجزتها عن بلوغ الغاية القصوى .

ولما سأله التوحيدى : أي القوتين أشرف ؟ أجاب أبو سليمان قائلاً : « كلتاهما على غاية الشرف . إلا أن البدية أبعد من معاني الكون والفساد ، وأغنى عن ضروب الاجتهاد والاستدلال . والروية ألصق بكمال الجوهر ، وأشدّ نصفية للصفة من الكدر . ثم قال : والروية والبدية تجريان من الإنسان مجرى منامه ويقظته ، وحُلُمه وانتباهه ، وغيبته وشهوده ، وانبطاه وانقباضه . ولا بد من هاتين الحالتين . ومن ضعف فيهما ، فاته الحظ المطلوب في

(١) التوحيدى : « المقابسات » ، المقابلة رقم ٤٧ ، ص ٢٢٢ .

الحياة ، والثمرة الحلوة من السّعي (١) .

ومن تأمل هذه النعوت التي نسبها أبو سليمان السجستاني إلى البديهة وجد فيها مشابه مما سيصف برجسون به intuition ؛ لكنها أقرب إلى ما وصف به أفلوطين الوجدان .

العقل إلهي

وإلى جانب هذا التحديد للعقل ، نجد أبا سليمان يخلع على العقل من النعوت ما يخلعه أفلوطين على « النوس » Nous ، فيصف العقل بأنه قوة إلهية ، ويقول إن « العقل هو خليفة الله ، وهو القابل للفيض الخالص الذي لا شوب فيه ولا قذى . وإن قيل (أي عن العقل) : إنه نور في الغاية ، لم يكن بعيد . وإن قيل بأن اسمه مُخْن عن نعته لم يكن بمُنْكَر (٢) » والعقل شمس ، إشرافه دائم ، ونوره منتشر ، وطلوعه سرمد ، وكوفه معلوم ، وتجليه غير متوقف .

وواضح ما في هذا الكلام من تأثير بما ورد في « أثولوجيا » المنسوب إلى أرسطوطاليس والذي هو في الحقيقة فصول منتزعة من « تساعات » أفلوطين (٣) .

(١) التوحيدى : « المقابسات » ، المقابلة رقم ٥٥ ، ص ٢٣٨ - ٢٣٩ .

(٢) التوجيهى : « الاستماع والمزاينة » ج ٣ ص ١١٦ ، القاهرة سنة ١٩٥٤ .

(٣) راجع كتابنا : « أفلوطين عند العرب » ط ١ سنة ١٩٥٥ ، ط ٢ سنة ١٩٦٦ ، القاهرة .

النفس والروح والجسم

في محاولة أبي سليمان تعريف النفس ، يبدأ فيستعرض آراء الفلاسفة اليونانيين في النفس وتعريفهم لها ، ويذكر منها التعريفات التالية :

١ - النفس مزاج الأركان - والأركان أي العناصر ؛ وهذا التعريف نجده عند أبقراط .

٢ - النفس تألف الاسطوانات - ويمكن أن نقول إنه تعريف ديمقريطس .

٣ - النفس عدد عرك بذاته - وهو تعريف الفثاغوريين .

٤ - النفس هوائية - ويمكن أن يكون تعريف انكسمندريس وانقسامس .

٥ - النفس طبيعة دائمة الحركة .

٦ - النفس تمام "لجسم" طبيعي ذي حياة - وهو تعريف أرسطوطاليس المشهور للنفس .

ومن الملاحظ أن أبا سليمان استمد هذه التعريفات من كتاب « الآراء الطبيعية » المنسوب إلى فلوطرخس ، والذي ترجمه إلى العربية قسطنطين لوقا البعلبكي ، ونشرنا نحن هذه الترجمة في ضمن كتابنا : « أرسطو : في النفس ... » (القاهرة ، سنة ١٩٥٤) .

لكنه يختار تعريفاً لها قريباً مما ورد في « اثولوجيا » أرسطوطاليس ،

فيقول : « إن النفس قوة إلهية واسطة بين الطبيعة المُصَرَّفة للاسقطات والعناصر المنهضة ، وبين العقل المنير لها ، الطالع عليها ، الشائع فيها ، المحيط بها . وكما أن الإنسان ذو طبيعة لآثارها الظاهرة في بدنه ، كذلك هو ذو نفس لآثارها الظاهرة في آرائه وأبحاثه ، ومطالبه ومآربه ، وكذلك هو ذو عقل لتمييزه وتصفحه واختباره وفحصه واستنباطه ، وبقينه ، وشكّه ، وعلمه وظنّه ، وفهمه ورويته ، وبديته وذكره ، وذنه وحفظه وفكره ، وحكمته ولغته وطمأنينته ^(١) . »

وأما فعل النفس فهو « إثارة العلم من مظانّه ، واستخلاصه من العقل بشهادته ، مع إفاضات لها أخر ، وإفالات منها جليلة عند الإنسان ، بها ينال ما يكمل به ، وبكماله يجد السعادة ، وبسعاده يتجو من شقوته » (الموضع نفسه) .

ويفرق بين النفس والروح ، على أساس « أن الروح جسمٌ يضعف ويقوى ، وبصلح ويفسد ، وهو واسطة بين البدن والنفس ؛ وبه تفيض النفس قواها على البدن ، وقد يحسّ ويتحرك ، ويلذ ويتألم ^(٢) » . وواضح من هذا التعريف أن الروح عنده هو ما يعرف بالروح الحيواني ؛ وتبعاً لذلك هو في مرتبة وسطى بين النفس وبين البدن . أما النفس « فشيء بسيط ، عالي الرتبة ، بعيد من الفساد ، منزّه عن الاستحالة » (الموضع نفسه ج ٣ ص ١١١) .

ولا يمكن النفس أن تكون جسماً ، لأن النفس بسيطة ، والجسم مركّب . ولهذا فإن « كل نعت أطلق على الجسم نُزّهت عنه النفس ؛ وكل نعت أطلق على النفس نبا عنه الجسم » (الموضع نفسه) .

وما دامت النفس بسيطة ، فهي باقية خالدة . ذلك أنه لما كانت بسيطة فإنه

(١) التوحيد : والاشاع والموازنة ج ٣ ص ١١٠ .

(٢) الكتاب نفسه ج ٣ ص ١١١ .

« لا يدخل عليها ضدٌ ، ولا يدبُّ إليها فساد ، ولا يصِل إلى شيءٍ بها بلىٌ . والإنسان إنما يَبلى ويفسُد ويخلَق ويطل ويموت ويفقد ، لأنه يفارق النفس . والنفس تفارق ماذا ، حتى تكون في حكم الإنسان بشكله ؟ ولو كانت كذلك ، لكانت لعمرى تموت وتبلى . » (الموضع نفسه) .

والنفس إذا وصلت إلى معدن الكرامة وجنَّة الخلد ، فلا حاجة بها إلى عِلْم العالم السفلي الذي لا ثبات له ولا صورة ، لغلبة الحيلولة عليه ، وتذكر الحيلولة حيلولة -- وذلك دليلُ النقص ، واعتراضُ الألم . ولو أن إنساناً نُقِل من كَرْب حَبْسٍ ضيقٍ إلى رَوْضٍ بستانٍ ناضرٍ بهيجٍ مونتٍ ، ثم تذكر ما كان فيه في حال ما هو عليه -- لكان ذلك مؤذياً لنفسه ، وكارياً لقلبه ، وفادحاً في روحه . وأخذاً من حبورهِ وغبطته ، ومؤهلاً لتتغيص عليه في نشوته » (الكتاب نفسه ج ٣ ص ١١٢) .

والنفس قابلة للفضائل والذائل ، والخيرات والشرور . وللنفس الحيوانية أخلاق لا تستحيل ولا تتغير ، بقصد بذلك : الغرائز . وللنفس الناطقة أخلاق ترقى بها وتكتمل ^(١) .

إثبات وجود النفس

وقد تناول أبو سليمان موضوع إثبات وجود النفس مستقلة عن البدن ، وبيان حقيقتها غير الجسمية فيما نقله التوحيدي في « الإمتاع والمؤانسة » (ج ١ ص ٢٠١ - ٢٠٥) - وهما نحن اولاء نلخص رأيه :

يقول : اننا نعرف باليقظة الثامة - أي بما يسميه علم النفس الحديث باسم : الاستبطان introspection - أن فينا شيئاً ليس يحسم له أبعاد ثلاثة : طول وعرض وسَمَك (= عمق) ، شيئاً لا يجرّأ إلى أجسام : ولا إلى

(١) التوحيدي : « المقاييسات » ، المقابلة رقم ٦١ ، ص ٢٤٦ من نشرة السندوبي .

أعراض ، ولا حاجة به إلى قوة جسمية ، لكنه جوهر مبسوط (= بسيط) ،
غير مُدرَك بحس من الأحساس .

ولما وجدنا فينا شيئاً غير الجسم وضدّ أجزائه بحدّته وخاصّة ، ورأينا
له أحوالاً تبارن أحوال الجسم حتى لا تشارك في شيء منها ، وكذلك وجدنا
مباينة للأعراض ، ثم رأينا منه هذه المباينة للأجسام والأعراض إنما هي من
حيث كانت الأجسام أجساماً والأعراض أعراضاً - قضينا أن ها هنا شيئاً
ليس بجسم ولا جزء من الجسم ؛ ولا هو عرض ، ولذلك لا يقبل التغيّر ولا
الحيلولة ، - ووجدنا هذا الشيء أيضاً يطّلع على جميع الأشياء بالسواء ولا
يناله فتور ولا ملال . ويتضح هذا بشيء أقوله : كل جسم له صورة فإنه لا
يقبل صورة أخرى من جنس صورة الأولى ألّبتة إلا بعد مفارقتها الصورة الأولى -
مثال ذلك أن الجسم إذا قبِلَ صورة أو شكلاً كالتلّيث ، فليس يقبل شكلاً
آخر : من الترييع والتلوير ، إلا بعد مفارقة الشكل الأول . وكذلك إذا قبِلَ
نقشاً أو مثلاً فهذا حاله ؛ وإن بقي فيه من رسم الصورة الأولى شيء لا يقبل
الصورة الأخرى على النظم الصحيح ، بل تُنقش فيه صورتان ، ولا تمّ واحدة
منهما . وهذا يطّرد في الشمع وفي الفضة وغيرها ، إذا قبِلَ صورة نقش في
الخاتم . ونحن نجد النفس تقبل الصورة كلّها على التمام والنظام من غير نقص
ولا عجز . وهذه الخاصّة ضدّ الخاصّة الجسم . ولهذا يزداد الإنسان بصيرة
كلّما نظر وبحث وارتأى وكشّف .

ويتضح أيضاً عن كذب أن النفس ليست بعرض ، لأنّ العرض لا
يوجد إلا في غيره ، فهو محمول ، لا حامل ، وليس هو قواماً . وهذا الجوهر
الموصوف بهذه الصفات هو الحامل لما لها أن تتحمّل ؛ وليس له شبهة من الجسم
ولا من العرض .

و ... إذا صدق النظر ، وكان النظر عارياً من الهوى ؛ وصحّ طلبه للحق
بالعشق الغالب ، فإنه لا يخفى عليه الفرق بين النفس المحركة للبدن ؛ وبين

البدن المتحرك بالنفس .

... ولما عَرَضَتْ الشبهة لقومٍ قَصَرَ نظرهم ولم يكن لهم حظٌ ولا اطلاعٌ ، ظنوا أن الرباط الذي بين النفس والبدن إذا انحَلَّ فقد بَطَلَ جميعاً .

وهذا ظنٌ فيه عسف ، لأنهما لم يكونا في حال الارتباط على شكل واحد وصورة واحدة ، أعني أنهما تابنا في تصاحبهما ، وتصاحبا في تباينهما . ألا ترى أن البدن كان قيوامه ونظامه وتماحه بالنفس ؟ هذا ظاهر .

وليس هذا حُكْمُ النفس في شأنها مع البدن ، لأنها واصلته في الأول عند مسقط النطفة فما زالت تربيته وتغذيته ، وتُحْيِيهِ وتُؤَيِّدُهُ ، حتى بلغ البدنُ إلى ما ترى : ووُجِدَ الإنسان بها ، لأن النفس وحدها ليست بإنسان ، والبدن وحده ليس بإنسان ، بل الإنسان بهما إنسان . فإذا الإنسان نصيبه من النفس أَكْثَرُ مِنْ نصيبه من البدن ^(١) .

وهذه الحجج نجدها عند أفلاطون وعند أرسطو في كتابه في « النفس » . وقد ذكر التوحيدى في « المقابسات » ^(٢) أنه قرأ على أبي سليمان كتاب « النفس » لأرسطو في سنة إحدى وسبعين وثلثمائة بمدينة السلام — ولا بد أن ذلك كان في الترجمة العربية الممتازة التي قام بها اسحق بن حنين ، ونشرناها لأول مرة ^(٣) سنة ١٩٥٤ .

(١) التوحيدى : « الامتاع والمؤانسة » ج ١ ص ٢٠٢ - ٢٠٣ : القاهرة ، سنة ١٩٢٩ .

(٢) التوحيدى : « المقابسات » : المقابلة رقم ٦١ ، ص ٢٤٦ من طبعة المندوبي سنة ١٩٢٩ .

(٣) بعنوان : « أرسطوطاليس : في النفس ... » : القاهرة ، ط ١ سنة ١٩٥٤ .

مسائل في الطبيعة

أ) الطبيعة

عند أبي سليمان أن الطبيعة اسم مشترك يدل على معانٍ مختلفة ، راح يعددها فذكر أنها ثدل :

١ - على ذات كل شيء ، عرضاً كان أو جوهرأ ، بسيطاً كان أو مركبأ ؛ كما يقال : طبيعة الانسان ، وطبيعة الفلك ، وطبيعة اليأض ، وطبيعة الحرارة .

٢ - على المركب من الأشياء المختلفة ؛

٣ - على المزاج الأول اللاحق لكل مركب من الاستقصات ؛

٤ - على المزاج العام لنوع الانسان ؛

٥ - على المزاج الخاص بشخصٍ شخصٍ من نوع الإنسان ، كما يستعمله الطبيب ؛

٦ - أما بحسب النظر الطبيعي العام الذي ينص الفيلسوف الطبيعي فإن الطبيعة هي المعنى الذي حدّه أرسطوطأليس فقال إن الطبيعة هي « مبدأ الحركة والسكون للشيء الذي هو فيه ، أولاً وبالذات ، لا بطريق العرّض . وهذا المعنى يتعمّم قيسي المركب ، أعني المادّة والصورة . فإن المادّة مبدأ للتحرك

والسكون ، والصورة مبدأ التحريك والتسكين . والأولى بهذا الاسم عند
أرسطو طاليس الصورة دون المادة ^(١) .

٧ - وينتهي أبو سليمان إلى حد الطبيعة بأنها « حياة تنفذ في الأجسام »
فعطيتها التخلق والتصور بالصورة الخاصة بواحد واحد منها ، وكأنها القوة
السارية من المبدأ الأول إلى جميع الأشياء المنفصلة بها والقابلة لها ، المراقبة بينه
وبينها . وهي - بوجه ما - الصورة المتولفة من جزئي المركب ، التي هي غير
كل واحد منهما على الأفراد ^(٢) .

ب (الزمان والدهر

يورد أبو سليمان تعريفين للزمان ، الأول هو أن « الزمان هو عدد حركة
الفلك المترقي ^(٣) بالتقديم والتأخير » . وهذا هو تعريف أرسطو المشهور للزمان
بأنه « عدد الحركة بحسب المتقدم والمتأخر » . والثاني قول بعض الناس إنه « مدة
تعدّها الحركة » .

ويعترض أبو سليمان على هذا التعريف الثاني قائلاً إن « هذا اخذ يوهم أن
الحركات كالمكيال للمعنى المفهوم من اسم الدهر . وليس هذا معنى الزمان على
الحقيقة » .

ولهذا يفرق في الأشياء الحادثة على ضربين : فمنها ما هي جارية مع
الدهر ، وتتعلق في وجودها بالذات الأولى . وهذه الأشياء لا يلزمها التناهي
وغير التناهي ، ولا القبل والبعد الذي من قبيل الزمان . إنما هي مضافة في
وجودها إلى وجود الذات الأولى . والضرب الثاني : الأشياء الحادثة في الزمان ،

(١) النوحدي : « انقابات » . المقابلة رقم ٧٩ . ص ٢٨٥ .

(٢) الكتاب نفسه ، ص ٢٨٥ .

(٣) في طبعة السندوبي : المشرقي - وهو تحريف .

وهو محصور بين ظرفين : « قبل » و « بعد » .

أما الدهر فهو إشارة امتداد وجود ذات من الذوات . وينقسم إلى قسمين : مطلق وبسيط — من قبل أن الذوات إما أن تكون موجودةً وجود إطلاق ، أو بالحقيقة من غير أن تقرن بمبدأ ونهاية ؛ — وإما أن تكون متناهية . فإذا فهم وجود ذات لا ابتداء لها ولا انتهاء — فهو الدهر المطلق . وإذا فهم امتداد وجود ذات ذي نهاية ، فيكون الدهر الذي بالاضافة والشرط . ومثال الأخير أن نقول إن فلاناً دهره يفعل كذا ، أو كنتُ أفعل الدهر كذا . ومثال الدهر المطلق ما يرجع إلى الذات التي هي أقدم الذوات وأتمتها وأمدّها إلى غير نهاية ومن غير بدء^(١) .

وعلى هذا فالدهر إما مطلق ، وإما نسبي . فالمطلق هو الديمومة والأزلية الأبدية ، وليس له بدء ولا نهاية ، ويطلق على القديم الأزلي الأبدي . أما النسبي فهو الذي يتعلق بفعلٍ في وقت محدود له بداية ونهاية .

وهو في هذا كله متأثر بأفلوطين وبرقلس فيما ترجم لهما إلى العربية^(٢) :

(١) راجع المقابلة رقم ٧٣ ، ص ٢٧٨ - ٢٧٩ .

(٢) راجع كتابينا : « الافلاطونية المحدثة عند العرب » (برقلس) ، القاهرة سنة ١٩٥٥ ؛ « أفلوطين عند العرب » ط ١ ، القاهرة سنة ١٩٥٥ ، ط ٢ سنة ١٩٦٦ .

مسائل في الالهيات

كيفية فعل الله

هل يفعل الله باضطرار ، أو باختيار ، أو لا بهذا ولا بذلك ؟

سؤال وجهه أبو زكريا الصيمري إلى أبي سليمان ، وشرح سؤاله قائلاً إنه إن كان فعل الله كاستنارة الهواء عن الشمس فهو ضروري ، وإن كان كفعل أحدنا فهو اختياري ، وما خلا هذين فقير معقول ، وما لا يعقل هو غير مقبول .

فأجاب أبو سليمان : « قد قال كبار الأوائل : إنه - أي الله - بفعل بنوع أشرف من الاختيار . وذلك النوع لا اسم له عندنا ، لأننا إنما نعرف الأسماء التي قد عهدنا أعيانها أو شبهها لها . والناس إذا عدّموا شيئاً عدّموا اسمه ، لأن اسمه الخواص فرع عليه وعينه أصل له ، وإذا ارتفع الأصل ، ارتفع الفرع ... والخواص معروفة الأسماء ، ونحن نحس بمعاني جمّة وفوائد كثيرة ، لا نستطيع صرفها عن أنفسنا ، وقد التبست بها وفترت في أفئدتها . ومع ذلك إذا حاولنا أسماءها عجزنا . بل قد نعتاض من الأسماء الفائتة إشارات بصفات وتشبيهات تقوم لنا من بعد مقام الأسماء الفائتة » .

وفعل الله من هذا النوع : لا اسم له عندنا ، لأنه ليس عندنا نظيره ، ونحن لا نطلق الأسماء إلا على ما عندنا نظيره . وليس لنا أن نقول إن فعل الله

باضطرار ، لأن هذا يؤذن بالمعجز في الله ، تعالى عن ذلك . كما ليس لنا أن نقول إن فعل الله باختياره لأن في الاختيار معنى قوياً من الانفعال . « فلم يبق بعد هذا إلا (أن نقول إن فعل الله) بنحو عالٍ شريف يضيق عنه الاسم مشاراً إليه ، والرسم مدلولاً به عليه .

بل ينتهي به الأمر إلى القول بأنه لا يجوز حتى أن نقول إن الله « يفعل » ، لأنه لا فاعل إلا ويعتريه نوع من أنواع الانفعال في فعله ، كما أنه لا يتفعل إلا وهو يعتريه نوع من أنواع الفعل في انفعاله . إلا أن الفعل في حالة الانفعال خفي جداً ، والفعل في المتفعل خفي جداً ، وكذلك الانفعال في حالة الفاعل خفي جداً . وإنما يطلق كل واحد منهما : الفاعل والمتفعل ، بحسب ما هو الأعم فيه والغالب على جملة (١) .

(١) راجع المقابلة رقم ١٠ ص ١٤٩ - ١٥١ من نشرة السندوبي .

مسائل في الأخلاق

أ - غاية الإنسان

دعا أبو سليمان إلى التفكير والاعتبار في حال النفس الإنسانية ، إذ بهذا الاعتبار تظهر الأسرار ، وإذا عرف الإنسان نفسه عرف السبيل إلى صلاحها . وعلى الإنسان أن يخلو مرآة نفسه مما تلتطخ بها من أدران الشهوات . ولهذا قال : « اعلم أنك لا تصل إلى سعادتك في نفسك وكال حقيقتك ونصفية ذاتك ، إلا بتنقيتها من دَرَن بدنك ، وصفائها من كَدَر جملتك ، وصرفها عن جملة هواك ، وفطامها عن ارتضاع شهوتك ، وحسمها عن الضراوة على سوء عادتك ، وردّها عن سلوك الطريق إلى هلكائك وتلكك وثبورك واضمحلالك ».

ب - الخير

ولكننا لا نعرّ - فيما لدينا من نصوص منقولة عن أبي سليمان - على تفاصيل الأخلاق التي يدعو إليها ، وما هنالك من نفع متناثرة في هذا الباب منسوبة إليه هي كلمات متناثرة تتناول بعض موضوعات الأخلاق ؛ ثم ما ورد في مقالاته « في الكمال الخاص بنوع الإنسان » التي ننشرها هنا . ومن بين هذه

(١) التوحيد : « المقابسات » المقابلة الأولى ، ص ١١٩ .

النصوص قطعة في الخير ، وفيها يميز بين نوعين من الخير : الخير بالحقيقة ،
والخير بالاستعارة . فأما « الخير على الحقيقة فهو المراد لذاته ، والخير بالاستعارة ،
هو المراد لغيره . فالمراد : منه ما يراد لذاته فقط ، وما يراد لغيره فقط ، ومنه
ما يراد لذاته ولغيره . والذي يراد لغيره فقط بمنزلة (= مثل) الدواء ، والذي
يراد لذاته فقط بمنزلة السعادة ، والذي يراد لذاته ولغيره بمنزلة الصحة ^(١) » .
ومع الأسف ضاعت رسالة « في اقتصاص طرق الفضائل » التي أشار إليها
صاحب « نعمة صوان الحكمة » ؛ وكانت خليفة ، لو وجدت ، أن تزودنا بمزيد من
البيان في هذا الباب .

١ .

(١) الكتاب نفسه مقابلة رقم ٨١ ، ص ٢٨٦ .

الفرق بين النحو والمنطق .

ميّز أبو سليمان بين النحو والمنطق تمييزاً جيداً ، لخصه في قوله « إن النحو منطق عربي ، والمنطق نحو عقلي » .

وجل نظر المنطقي في المعاني ، وإن كان لا يجوز له الإخلال بالألفاظ : وجّل نظر النحوي في الإلفاظ ، وإن كان لا يسوغ له الإخلال بالمعاني التي هي لها كالحقائق والخواهر . وكما أن التقصير في تحبير اللفظ ضار ونقص وانحطاط ، فكذلك التقصير في تحرير المعنى ضارٌ ونقص وانحطاط .

والنحو العربي نظر في كلام العرب يعود بتحصيل ما ألفوه واعتادوه في تعبيرهم عن المعاني . وأما المنطق فهو « آلة » بها يقع الفصل والتمييز بين ما يقال : هو حق ، أو باطل ، - فيما يعتقد ، وبين ما يقال : هو خبر أو شر - فيما يفعل ، وبين ما يقال : هو صدق أو كذب - فيما يطلق باللسان ، وبين ما يقال : هو حسن أو قبيح بالفعل ،^(١) .

وهذا التعريف للمنطق غريب ، لا نجده عند الفارابي ولا عند أحد من سائر الفلاسفة المسلمين أو غير المسلمين ؛ إذ اتسع به أبو سليمان حتى جعله يمتد إلى

(٥) راجع شرحنا التفصيلي لهذه المشكلة في كتابنا : « المنطق الصوري والرياضي » .

(١) التوحيد : « المقابسات » ، المقابلة رقم ٢٢ ، ص ١٧١ من طبعة الصنوبري .

الأخلاق ، وهو أمرٌ لا يُقرّه عليه أحد . وكان عليه أن يقتصر على تعريفه بأنه آلة يقع بها الفصل والتمييز بين الحق والباطل أو بين الصدق والكذب — فحسب .

ثم يأخذ أبو سليمان في بيان ما في كليهما من عون للآخر ، فيقرر أن اجتماع المنطق العقلي والنحو هو الغاية والكمال في التعبير والقول .

ويميّز بين النحو والمنطق من جهة أخرى على أساس أن النحو خاص باللغة التي هو نحوها ، بينما المنطق عامٌ لأنه عقلي يشترك في الخضوع لقوانينه وأحكامه كل العقول أينما كانت وإلى أية أمة انتسبت .

ويقرر أن الشهادة في المنطق مأخوذة من العقل ، بينما الشهادة في النحو مأخوذة من العرف ، والنحو متصور ، والمنطق مبسوط .

والنحو أول مباحث الانسان لشدة احتياجه اليه في الكلام ، والمنطق آخر مطالبه لأنه يقتضي درجة عالية من الإدراك . والخطأ في النحو يسمى لحناً ، والخطأ في المنطق يسمى إحالة ، أي قولاً بما هو محال غير معقول . والنحو تحقيق المعنى باللفظ ، والمنطق تحقيق المعنى بالعقل . والنحو يدخل المنطق ، ولكن مرتباً له في نظم العبارة ، والمنطق يدخل النحو ، ولكن محققاً له في تصحيح المعاني . والنحو شكل سمعي ، لأنه يقوم على السماع والعرف ؛ والمنطق شكل عقلي ، لأنه يقوم على أحكام العقل . المنطق وزن بعيان العقل ، والمنطق كيل بصاع اللفظ .

الكهانة وعلم أحكام النجوم والارزاق

كان أبو سليمان يؤمن بالكهانة ، أعني إمكان التنبؤ بالغيب . إذ كان يرى أن الكهانة قوة إلهية توجد في شخص بعد شخص ^(١) بسهام سماوية وأسباب فلكية ، وأقسام علوية . فإذا توسطت صارت في منتصف ^(٢) البشرية والربوبية . فحيث يكون ما يبدو بها مشبهاً إلى غيب أمور الدنيا وإلى غيب أمور الآخرة على حد يكون على سواء . والفكسب ، مع ذلك ، لأموال الدنيا ، لأن الإنسان بالطبيعة أكثر منه بنيرها ، في الأعم الأغلب والشائع الأشمل . فإن تحررت ^(٣) هذه القوة قليلاً ، كانت الإشارة إلى أمور عالية شريفة . وعمل النبوة بين أبناء هذه القوة بالترقي والتحرر . وكلما كان التباس النفس بالمزاج الموافق ، كان النور المقتبس من هذه القوة أسطع وأعلى ^(٤) .

وقوة المنجم الذي يتتبع آثار الكواكب ضعيفة ، لأن الآلة لا تساعد والصبر لا يوافيه ، إذ هو يتلقى هذه الأمور المنتشرة باختياره وقصده وبحسه . أما الكاهن فقوته لا تقوم على التبع والبحث ، بل هي كالإلقاء والوحي والسائح والطارىء .

(١) جمع سهم ، بمعنى : نصيب .

(٢) أي في مركز وسط بين البشرية والربوبية .

(٣) في المطبوع : تحدرت - وهو تحريف .

(٤) التوسيدي : المقابسات ، المقابلة رقم ٥٠ ، ص ٢٢٩ - ٢٢٧ .

وتكون الكهانة أقوى إذا كان صاحبها لا يشوبها بشيء من الحس ، وكان يلقيها على صفائها ، « لأن قوتها تنسكب من المحل الأعلى بحسب نسبتها إلى الصلة الأولى تامة قوية وصحيحة واضحة » .

لكن الكاهن قد يخطئ ، كما يخطئ المنجم ؛ ذلك أن الخطأ ليس معصوماً منه الكاهن ، « لأن قوته لا تبلغ الغاية في الخلاص أبداً ، بسبب تركيبه » .

ولما سأله أبو العباس البخاري : فهل يخطئ صاحب النبوة ؟

أجاب أبو سليمان : « لا . ولكن يسهو ، كما في حديث ذي الـدين ^(١) . وسهوه وخطؤه لا يقدحان في الحال التي رُشِع لها (أي النبوة) ووشح بها وجعل سفيراً إلى الخلق من أجلها ، بل يُحرّس حراسةً إن لم تنفخ عنه كلّ الظنة لم يعلفه كل قرفة » .

فسأله التوحيدي : فهل يخطئ النبي بقوة النبوة من غير أن يستقرها ويعرض للخلق من أجلها ؟

فأجاب أبو سليمان : « لا ! ولكن يعرض له خيال » ، كما في حديث تأيير ^(٢) نخل الأنصار ، ثم رجع عن رأيه وقال لهم : أنتم أعلم بأمور دنياكم . ولا مانع من ذلك . ولولا هذه القوة التي على حدودها ومائتها في أشخاص العلماء والبررة ، ما كان يصحّ حدّس ، ولا تصدق نفس ، ولا يتحقق ظن ، ولا يتوضح وهم . بل هذا أمر في غاية الغلبة والظهور ، حتى في كثير من أنفس العوام » (« المقابسات » المقابلة رقم ٥٠ ، ص ٢٢٨) .

وما يأتي به صاحب الكهانة يحتمل الطعن والاستنكار . وهذا واجب ، ذلك

(١) ذو الـدين هو الخريبان السلمي ، أحد الصحابة . ونص حديثه هكذا : عن أبي هريرة أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) انصرف من اثنتين (إلى من صلاة ركعتين) فقال ذو الـدين : أقصرت الصلاة ، أم نسيت يا رسول الله ؟ فقال النبي : أصدق ذو الـدين ؟ فقالوا : نعم ! فصل اثنتين آخرين . ثم سلم ، ثم كبر ، ثم سجد سجدة مثل سجوده ، أو أطول ، ثم رفع .
(٢) التأيير : ضرب أهل النخل بسيف مائه طلع كي يلفح

أن « صاحب هذه القوة يرسل الكلام إرسالاً ، بجدّة قوّة مرة ، وبخمودها مرة ، وبتوسطها أخرى : ولها ، في نفسها ، شأنٌ بالإضافة إلى مزاج صاحبها ، بل بالإضافة إلى كلِّ حالٍ عارضة ، وإلى كلِّ سببٍ واقع ، والسُنّة عاملة عملها ، والبشرية جارية على خاصّتها . فحينئذ يخرج ذلك الكلام بين مراتب ثلاث : في الغاية التي لا غاية وراءها ، وفي الوسط الذي يعتدل فيه ، وفي الطرف الأدنى ، وفيما بين ذلك كله بالأرجح والأنقص ، والأقل والأكثر . والتأويل بركب منشورها ، والظنّ بسري في أطرافها ، والقالة تجدد سبيلاً إلى التشنيع عليها . فلذلك وأشباهه يكون ذلك . على أن هذا إذا تومّل بالتصنّف مقيساً إلى الطبائع المختلفة والعادات المتباينة والأغراض المتشعبة — كان في نصاب الحكمة ثابتاً ، وعلى مدارجها جارياً ، وإلى أصولها وفروعها نازعاً . ولولا ضيق أعطاف الناظرين في هذه القوائم عن الثبوت والإنصاف لكان يتجلى هذا كلُّ التجلي ، ويزول عنه الخلافُ كلُّ الزوال . (الموضع نفسه ، ص ٢٢٨ : ٢٢٩) .

ومراتب أصحاب هذه القوة تتفاوت بحسب أنصباهم منها ؛ وهم نالوا منها بحسب مقادير مزاجهم وطباعهم وبوضهم واحتمالهم . « وذلك التفاوت هو الذي يُعَلِّي حال هذا عن هذا ، ويَحْطُّ شأن هذا عن هذا — إلى آخر أفق الانسانية المحتملة لغاية هذه القوة العالية الشريفة » (الموضع نفسه ، ص ٢٢٩) .

والخطأ الأعظم في حقّ الأنبياء يقع من جهتين : أن يظن بهم أنهم كذبة أصحاب حيلٍ ومخاريق ، أو أن يظن بهم أنه لا يجوز أن يقع منهم من القول والفعل ما يوجب التهمة ويوجب الشك . والرأي الحق هو أن « يُعَلِّم أن المخصوص بهذه القوة (= النبوة) على الدرجة بها ، رفيع المكانة معها ، ما دام يجبر بها ولا يمزجها بغيرها : فإنه حينئذ ينبيء عن أعيان الأمور وقلوب الأحوال وعواقب الأيام . فأمّا إذا عَاد إلينا (أي إلى طبيعتنا الانسانية المعتادة) مفارقاً للاقتباس (أي من نور النبوة) ، داخلاً في عادة ذوي

الأحساس - فهو كواحد من ضرباته (= أمثاله) ولِداته : إن أصاب
فبفطنته ، وإن أخطأ فبفطرته ، لأنه في مسلك غيره من البشر ، ومسكوب من
الطين الأول ، ذو طبائع أربع متعادية وعناصر متشابكة ، لا فرق بينه وبين
غيره ألبتة ، ما دام الحال على ما وصفنا وحددنا . وإنما إذا انبعثت القوةُ
بسلطانها وانجست النفس ببرهانها ، فإن هذا الشخص يأتي كل ما يهدي العقول ،
ويُصلح الأحوال ، ويُفنع النفوس ، وَيُنظّم المصالح ، ويقوم الأخلاق ،
ويهدّب الطبائع ، ويكون نوراً للعالمين ، ورحمةً للخلق أجمعين ^(١) .

(١) التوحيدي : « المقابسات » ، المقابلة رقم ٥٠ ، ص ٢٣٠ .

لا يجتمع الرزق والحكمة معاً

لقد رأينا ما نال أبا سليمان من فقر وضيق حال ، وما كان يعيشه من عيش الكفاف . ويبدو أنه أراد أن يبرّر هذا الوضع الشائع في أن الحكمة والرزق قلما يجتمعان ، فاستشهد بقول لأفلاطون هو : « أن الله تعالى بقدر ما يُعْطِي من الحكمة يمنع الرزق » - وراح يفسّر أسبابه فقال :

« لأن العلم والمال كضَرْتَيْنِ قلما يجتمعان ويصطلحان ، ولأن حظ الإنسان من المال إنما هو من قبيل النفس الشهوية والسَّبعِيَّة ، وحظّه من العلم إنما هو من قبيل النفس العاقلة . وهذان الحظان كالمُتَعَانِدَيْنِ والضِدَّتَيْنِ ... فيجب على الحصيف والمميز أن يتعلم بأن العالم أشرف في سِنَخه وعُنصره ، وأوله وآخره ، وسفّره وحفّره ، وشهادته ومغيّبه من ذي المال . فإذا وهب له العلم ، فلا يتأمر على المال الذي يُجزىء منه السير ، ولا يُلْهِيه نفسه على فوته حُسرةً وأسفاً . فالعلم مُدَبِّرٌ ، والمال مُدَبَّرٌ ، والعلم نفسي ، والمال جسدي . والعلم أكثر خصوصيّةً بالإنسان من المال . وآفاتُ صاحب المال كثيرة وسريعة ، لأنك لا ترى عالماً سُرِقَ علمه وترك فقيراً منه . وقد سُرقت أُمُورهم ونُهيت وأُخِذَت ، وبقي أصحابها محتاجين لآحيلة لهم . والعلم يزكو على الإنفاق ، وبصحب صاحبه على الإملاق ؛ ويهدي إلى القناعة ، ويُسبِّل السُّتْرَ على انفاقه . وما هكذا المال ^(١) . »

(١) أبو حنين النوحيني : « الاتعاق والموانسة » ج ٢ ص ٤٩ ، القاهرة سنة ١٩٤٢ .

هذا الكتاب

وها نحن أولاء ننشر في هذا المجلد ، ولأول مرة ، كل ما بقي لدينا من مؤلفات أبي سليمان الجستاني المنطقي ، وهي :

١ - « منتخب صيوان الحكمة » ؛

٢ - « رسالة في المحرك الأول » ،

٣ - « مقالة في الكمال الخاص بنوع الإنسان » ؛

٤ - « مقالة في أن الأجرام العلوية طبيعتها طبيعة خامسة ، وأنها ذات أنفُس ، وأن النفس التي لها هي النفس الناطقة » .

نشرها وفقاً للمخطوطات التي ذكرناها في الفصل الخاص بمؤلفات أبي سليمان في هذا التصدير العام .

والنص الأصلي الكامل له « صيوان الحكمة » تأليف أبي سليمان مفقود ، ولم يبق منه إلا هذا « المنتخب » وما اختصره عمر بن سهلان الساوي .

ولا شك أن فقدان الأصل الذي كتبه أبو سليمان خسارة هائلة .

والكتاب ينقسم أولاً إلى قسمين أساسيين متفاوتين في الحجم : قسم يتناول تاريخ الأطباء ، وقسم آخر يتناول تاريخ الفلسفة في عصرين : العصر اليوناني ،

والعصر الإسلامي . وفي القسم الأول المتعلق بتاريخ الأطباء اعتمد المؤلف على كتاب يحيى النحوي في نفس الموضوع ، كما يقول هو صراحة (ص ١٤ من مخطوط بشير آغا = ص ١٠٠ هنا) . وبينه وبين الفصل الذي عقده ابن النديم في الطب والأطباء في كتاب «الفهرست» - مشابه واضحة .

أما القسم الخاص بتاريخ الفلسفة اليونانية فيبدأ مع البداية ، أي بطاليس الملطي . ويهتم المؤلف خصوصاً بما ينسب إلى كل فيلسوف من آداب وحكم . وكما يبيننا في تصدير نشرتنا لكتاب « مختار الحكم وعحاسن الكلم » للمبشر بن فائق الآمدي - وثم آداب كثيرة مشتركة الأبراد في هذا الكتاب وفي منتخب صوان الحكمة - لا يمكننا أن نردّ غالبية هذه الآداب والحكم إلى مصادر يونانية باقية لدينا حتى الآن : مثل « حياة الفلاسفة » لديوجانس اللايرسي و« أمشاج » Stromates القديس كليمانس الاسكندري وغيرهما من مجموعات من هذا النوع . لكن ليس معنى هذا أبداً أنه ينبغي نسبة تأليفها إلى مؤلفين مسلمين أو سريان . فليست المشكلة بهذه البساطة .

وفي هذا القسم استعان أبو سليمان ، إلى حد ما ، بما ورد في كتاب «نوادير الفلاسفة » لحنين بن اسحق - وقد نشرناه هذا العام ، لكن « منتخب صوان الحكمة » أوسع جداً من « نوادر الفلاسفة » ، ويورد عشرات بل مئات أمثال ما رد في هذا الأخير من حكم وآداب . وهذا يجعلنا نفترض بالضرورة أن ثمة مصادر أخرى كثيرة استعان بها أبو سليمان في تصنيف كتابه ، مصادر لا نستطيع تحديدها على ضوء ما لدينا الآن من معلومات . ومن بين هذه المصادر كان من غير شك كتابُ فرفوريوس في تاريخ الفلسفة ، وعنه نقل ابن النديم وغيره .

ويتهي هذا القسم بفصل عن يحيى النحوي ، والكل يعدونه آخر الفلاسفة اليونانيين .

وبعده مباشرة يبدأ القسم المتعلق بالمشتغلين بالفلسفة في الإسلام ، فينحدث

أولاً عن حنين بن اسحق ، ويتلوه بفصل عن أبي يوسف يعقوب الكندي .
 وآخر الفصول يتناول أبا سليمان المقدسي ، وهو أحد مؤلفي « رسائل إخوان
 الصفا » . والغريب في هذا القسم أن فيه فصلاً عن أبي سليمان السجستاني ،
 مؤلف الكتاب ، وقد حرّر بصيغة الغائب لا المتكلم ؛ وهذا يجعلنا نقرض أن
 هذا الفصل ليس بقلم أبي سليمان السجستاني نفسه . ويمكن تفسير وجوده
 هنا بأنه من وضع من انتخب من « صوان الحكمة » ، وهو أمر محتمل جداً ..
 وقد جرت العادة بذلك مراراً على الأقل من باب العرفان لصاحب الكتاب الذي
 انتخب منه ، كما نفعل نحن اليوم حين ننشر كتاباً فنضع في مقدمة التحقيق
 ترجمة لحياة المؤلف . فلا بدع في هذا إذن ، أي في أن نجد فصلاً عن أبي
 سليمان السجستاني في داخل هذا « المنتخب » من كتابه .

أما الرسائل الثلاث الأخرى فأراها لا تخرج عمّا ألفناه من أفكار أبي
 سليمان مما أورده التوحيدي في مختلف كتبه . ولكنها دراسات قائمة بذاتها
 وبقلمه ، تشبع القول في الموضوع المحدد الذي تناوله . والمذهب فيها مستمد
 الغالب من «أثولوجيا» المنسوب إلى أرسطو ، والذي هو في الواقع فصول موسعة
 مترعة من «نساعات» أفلوطين .

خاتمة

وعليّ - في ختام هذا التصدير - أن أعبر عن عميق امتناني للمؤسسة
 الثقافية الإيرانية : بنباده فرهنگت ، المشمولة برعاية صاحبة الجلالة الامبراطورة
 فرح وسامي توجيهاً . وأشكر أجزل الشكر سعادة الأستاذ الدكتور پرويز
 خاnlري ، العالم الكبير والأمين العام لتلك المؤسسة ، والذي تفضل بقبول نشر
 هذا الكتاب ضمن منشوراتها تلك .

عبد الرحمن بدوي

طهران في شتاء ١٩٧٣/١٩٧٤

منتخب صوان الحكمة

تأليف

أبي سليمان السجستاني المنطقي

حقيقة وقدم له

الدكتور عبد الرحمن بدوي

رموز المخطوطات

غ - بشير آغا ٩٤٤

م - مراد ملاّ رقم ١٤٣١

ك - كوبرولو ٩٠٢

ف - فاتح ٣٢٢٢

أرقام الصفحات هي أرقام مخطوط بشير آغا

بسم الله الرحمن الرحيم

ربّ اغفرم بالخير ، منك السداد وإليك المتهى

الحمد لله ربّ العالمين حمّد الشاكرين ، وصلواته على خير خلقه محمد وآله الطاهرين .

قال الحكيم الفاضل ، وهو متخيبٌ هذا الكتاب ، رحمه الله :

إني رأيت أن أثبت تواريخ الحكماء وأساميهم وبعض كلامهم وأخلاقهم . فانتخبتُ من كتاب « صوان الحكمة » ذكر القدماء ، وأثبتُ في آخره كتاب « تنمة صوان الحكمة » للإمام الفاضل ظهير الدين أبي الحسين بن أبي القاسم البيهقي ، رحمه الله تعالى . ووضعت في آخره رسالة^(١) وسميت « بإتمام التتمة » ، وذكرت فيها أشعار المتأخرين من الحكماء . وختمتُ التواريخ^(٢) به . فنقول :

١ - أول من ظهر منه الفلسفة وعُرف بالحكمة :

إنّا وجدنا ، فيما فتننا عنه من الكتب ، اختلافاً كبيراً في تواريخ صيني

(١) كذا في غ ، ك والأصح أن تكون : - ست . م : وسميتها إتمام التتمة . (٢) به : ناقص في م .

الفلاسفة (بمبحث) ^(١) لم نجد بدءاً من إيراد كُله على التفاوت الموجود في أثنائه ، طلباً للخروج من العهدة فيه ، وصرف المذمة والمحمدة في صوابه وإخلاله إلى قائله . وقد ^(٢) قيل للحسن بن سهل : لم تجعل كلام الأوائل حجة ؟ فقال : لأنه مرّ على الأسماع قبلنا . فلو كان ^(٣) زكلاً لما تأدى مستحسناً إلينا .

ذكّر في بعض الكتب أن ثالث ^(٤) الملطي (ثالث الملطي) هو أول من تفلسف بمصر ، وصار إلى ملطية وهو شيخ . وبه سميت فرقة من اليونانيين فلاسفة . وقد كان للفلسفة انتقال كثير . وكان يُنشد أن أول ما خلق الله تعالى هو الماء ، وينحل جميع الكائنات أولاً إلى الماء . ودعاه إلى أن يتوهم ^(٥) جميع الأشياء من الرطوبة . واستدل بقوله أدميوس ^(٦) الشاعر ، حيث قال إن أوقيانوس ^(٧) كأنه عمل مؤلداً للكل .

(انكسماندرس الملطي)

ثم كان بعده انكسماندرس ^(٨) الملطي ، وكان يرى أن مبدأ الموجودات التي خلقها الله تعالى هو « الذي لا نهاية له » ^(٩) ، وأن منه كان الكون ، وإليه ينتهي الكل .

(١) زيادة يقتضيهما السياق . (٢) قد : ناقصة في ك .

(٣) ك : كان فيه زللا .

(٤) Thalès de Milet ك : الملطي .

(٥) ك : توهم .

(٦) غ : أومينوس . والمقصود Homère . وفي ك ، م : أوميرس .

(٧) غ : أوفانوس . والمقصود Oceanus

(٨) غ : انكسمندروس ، وهو تحريف لاسم انكسماندرس Anaximandre . ك :

انكسمندروس .

(٩) l'Infini = Apeiron

(أنقسامس الملطي)

ثم كان بعده أنقسامس ^(١) الملطي ، وكان يرى أن مبدأ الموجودات التي خلقها الله تعالى هو الهواء ، وأن منه كان الكل وإليه ينحل ، مثل النفس الذي فينا ، فإن الهواء هو الذي يحفظه فينا . والروح والهواء : يمسكان العالم كله . والروح والهواء بقالان على معنى واحد قولاً متواطئاً .

(انقساغورس)

ثم كان بعده انقساغورس ^(٢) من قلازمانبوس : وكان ^(٣) يرى أن مبدأ الموجودات التي (٥٢) خلقها الله تعالى هو المتشابهة الأجزاء ^(٤) .

(أرخلوس بن أبولودوروس)

ثم كان بعده ^(٥) أرشيلوس ^(٦) بن أبولودوروس من أهل أثينية . وكان يرى أن مبدأ ما خلق الله تعالى هو ما لا نهاية . ويعرض ^(٧) - فيه التكاثف والتخلخل : فمنه ما يصير ناراً ، ومنه ما يصير ماءً .

(فيثاغورس)

وهؤلاء الفلاسفة بعضهم كان تالياً لبعض . وبهم استكملت فلسفة اليونانيين

(١) غ : انقسامس . وهو Anaximène ورده رسمه صحيحاً في ك . (١) + فإن ... فهنا : ناقص في غ .

(٢) غ : انقساغورس وفلازمانبوس - وعلى هذا عددها اسمين لشخصين مختلفين . والمقصود هو Anaxagore de Clazomène . ك : انقساغورس وفلازمانبوس .

(٣) غ : وكانا يريان - أنظر الحاشية السابقة .

(٤) المتشابهة الأجزاء homéomères

(٥) غ : بعدهما .

(٦) غ : أرسلوس بن ايدلوزدروس ك : أرسلوس من أهل ... - وهو Archélaus, fils de

Apollodoros راجع ديوجانس اللايرتي ١٦ : ٢ . (٦) + ك : يفرض .

التي كان مبدؤها ومنشؤها من الرجل الذي يقال له ثالث الملطي .

وذُكِرَ أيضاً أن الفلسفة كان (لها) مبدأ آخر هو من فوتاغورس بن منسارخوس^(١) من أهل سامس^(٢) . وهو أول من سمى الفلسفة بهذا الاسم . وكان يرى أن المبادئ التي خلقها الله تعالى أولاً هي الأعداد والمعادلات التي فيها ، وكان يسميها تأليفات ؛ ويسمى المركب من جملة ذلك اسطقتات ويسميتها أيضاً هندسيات .

(هرقليطس)

ثم ابراقليطس^(٣) من أفاسس التي تنسب إلى ماطابنطس^(٤) . وكان يرى^(٥) أن مبدأ الأشياء كلها النار ، وانتهأؤها إلى النار . وإذا انطفت النار انقضت^(٦) معها العالم .

ثم افيقودس بن^(٧) فاولس من أهل أثينية الذي تفلسف في أيامه (على مذهب) ديمقريطس . وكان يرى أن مبادئ الموجودات أجسامٌ مدركة عقلاً ، لا خلاء فيها ، ولا كون لها ؛ فإن الله خلقها سرمدية غير فاسدة ، لا تحتل أن تنكسر ، ولا تنهشم ، ولا يعرض لها في شيء من أجزائها اختلاف ولا استحالة . وهي مدركة عقلاً . فهي تتحرك في الخلاء بالخلاء ، إلى أن

(١) غ : ميسارخن . ك : فلسفة كان مبدؤها آخر .

(٢) ك ، غ : ساميا . والمقصود Samos

(٣) غ : ابراقليطس وثالثس ، وثبما للآك ظنهما اسبين غنثامين ووضع الفعل بعد ذلك في سائر المتن . وهو Héraclite d'Ephèse . ك : ابراقليطس وثالثس الذي

(٤) ك ، غ : الذي ينسب إلى ماطابنطس . ومطابنطس Métaponte

(٥) ك غ : كانا يريان .

(٦) غ : تشكلت بها العالم ! ك : تشكل بها العالم .

(٧) غ : انيقودس بن ساوفوس . ولعل المقصود

ابيقودس بن ناوليس . Epicuro, fils de Neoclas

يشاء الله تعالى . وهذا الخلاء لا نهاية له عنده . وكذلك الأجسام يرى أن لا نهاية لها . والأجسام لها هذه الثلاثة الأشياء : الشكل ، والعِظَم ، والثقل .

(أناباذقلس)

ثم اناباذقلس^(١) بن مان من أهل اغراغتينا^(٢) : وكان يرى أن الاسطقسات التي خلقها الله تعالى أولاً هي أربعة : النار والهواء والماء والأرض ، والمبادئ اثنتان : المحبة والفكبة : إحداهما تفعل الاتحاد ، والأخرى تفعل التفرقة .

(سقراط وأفلاطون)

ثم سقراط بن سفرنسفس^(٣) من أهل أثينية ، وأفلاطون بن أرسطن ، فإِن رأيهما في جميع الأشياء رأي واحد . وهما يريان أن المبادئ ثلاثة ، أو هي^(٤) الله تعالى ، ثم خلق العنصر والصورة .

(أرسطوطاليس)

ثم ارسطوطاليس بن نيقوماخُس ، من أهل اسطاغيرا^(٥) : وكان يرى أن المبادئ التي خلقها الله تعالى هي : الصورة ، والعنصر ، والعدم (١٣) ، والاسطقسات الأربعة ، وجسم خامس^(٦) هو الأثير غير مستحيل .

(١) غ : انبازقلس بن فاذن - ك : بن هاذن . وهو Empédocle, fils de Meton

(٢) ك ، غ : افراغتينا - وهي Agrigente في سقاية .

(٣) غ : ثوفرستس . ك : سفرنسفس .

(٤) غ : ان .

(٥) م ، ك ، غ : اسطاغرا . وهي Stagira

(٦) غ : خامس .

(زينون بن ماساوس)

ثم زينون بن ماساوس ^(١) من أهل قطيس ^(٢) وكان يرى أن أول ما خلق الله هو العنصر . فاقله هو العلة الفاعلة ، والعنصر هو المتفعل ، وأن الاسطقات أربعة .

وفرقتهم ^(٣) سميت ابطالقي ^(٤) ، لأن فيثاغورس كان مقبلاً بإيطاليا ^(٥) ، لأنه انتقل من سامس التي كانت موطنه ، بسبب تغلب بولوقراطس المتغلب ، فإنه كان غير راضٍ عنه بذلك .

وإنما لم أورد ما أنكرته الحكماء الموحّدون من بعض هذه المقالات ورَدَّته على أصحابها ، لأنه غير لائق بهذا الموضع . وقد أودع الكتب من ذلك ما فيه كفاية ومقنع . ولم يكن القصد هنا إلا ذكر التاريخ وإتباعه بالنكت والنوادر . فدخل فيه ذكر المقالات بالعرَض والقصد الثاني .

وذكر أبو الحسن محمد بن يوسف العامري ^(٦) — قدس الله روحه العزيز ! — في كتابه الذي يسميه « الأمد على الأبد » ٢ — أن أول من وُصِف بالحكمة كان لقمان الحكيم . والله تعالى يقول : « ولقد آتينا لقمان الحكمة » (سورة

(١) م ، ك ، غ : ماساوس — وهو Zenon . راجع للإلارسي المقالة السابقة ١ .

(٢) ك ، غ : فيقس . وهي

(٣) لا يظهر من السياق إلى من ينصرف هذا الضمير ، وإن كان المقصود هو الفيثاغوريين .

(٤) غ : لفطالقي . والمقصود نسبة إلى جنوب إيطاليا ، وفي اليوناني

(٥) م ، ك ، غ : بانطاليه .

(٦) هو أبو الحسن بن أبي ذر محمد بن يوسف العامري النيسابوري المتوفى سنة ٣٨١ هـ . راجع عنه : مجتبى مينو : « از خزائن تركيه » ، مقالات في « مجلة دانشكده ادبيات طهران » رقم ٣ السنة الرابعة ، ص ٥٩ — ٨٣ .

وكتابه « الأمد على الأبد » منه مخطوط في المكتبة السليمانية باستانبول ضمن المجموعة رقم ١٧٩ في ٣٤ ورقة ، وفي آخر الكتاب أنه « فرغ من تصنيفه ببخارى في شهر سنة خمس وسبعين وثلاثمائة » .

لقمان) . وكان في زمن داود النبي عليه السلام ، وكان مقامهما جميعاً ببلاد الشام . وكان انبادقلس اليوناني يختلف إليه - على ما حكى - ويأخذ منه حكمته . إلا أنه لما عاد إلى بلاد يونان ، تكلم في جيلة العالم بما شاء . فوجدت ظواهره قاذحة في أمر المعاد . واليونانيون كانوا يصفونه بالحكمة لمصاحبتة التي كانت للقمن الحكيم . بل هو أول من وُصِفَ منهم بالحكمة :

(فيثاغورس)

ثم أحدُ الموصوفين منهم بالحكمة : فيثاغورس . وقد اختلف بمصر إلى أصحاب سليمان بن داود ، عليهما السلام ، حين جلوا إليها عن الشام . وقد كان تعلم الهندسة قبلهم من المصريين . فتعلم أيضاً العلوم الطبيعية والإلهية من أصحاب سليمان عليه السلام . ونقل العلوم الثلاثة : أعني علم الهندسة ، وعلم الطبائع - والعلم الإلهي ، إلى بلاد يونان . ثم استخرج بذكائه علم الألحان ، وأوقعها تحت النسب والأعداد . وادّعى أنه قد استفاد هذه العلوم من مشكاة النبوة .

(سقراط)

ثم أحد الموصوفين منهم بالحكمة بعده سقراط . وكان اقتبس الحكمة من فيثاغورس . واقتصر من أصنافها على المعالم الإلهية . وأعرض عن ملاذ الدنيا . وأعلن الخلاف على اليونانية في الدين . وقابل رؤساء ذوي الشرك (٤) بالحجج والأدلة . فتوروا الفاقة عليه ، وأجلاؤا ملكهم إلى قتله . فأودعه الملك (١) السجن نَحْمَداً إلى جماعتهم . وسقاه السم تغدياً من شرهم . وسندكر هذه القصة على الاستقصاء في موضعها .

(١) ك ، م : فأودعه الملك الحبس . غ : أودعه الملك إلى السجن .

(أفلاطون)

ثم أخذُ الموصوفين بالحكمة بعده أفلاطون . وكان فيهم شريف النسب ، مفضّلاً . وقد وافق سقراط في اقتباس الحكمة وفيثاغورس ؛ إلا أنه لم يقتصر على المعالم الدينية ، بل جمع إليها العلوم الطبيعية والعلوم الرياضية . وله كتب مشهورة ، تولى تصنيفها ، إلا أنها ^(١) مرموزة مغلقة . وقد تخرّج به عدة من التلامذة ^(٢) . وفي آخر عمره فوّض التعليم والمدرسة إلى ذوي البراعة من أصحابه ، وتخلّى عن الناس متجرّداً لعبادة ربه . وفي زمانه فشا الوباء في بلاد اليونان ، فتنصّروا منه إلى الله سبحانه وتعالى وسألوا أحد أنبياء الله من بني اسرائيل عن سببه فأوحى الله إليه بأنه متى ما ضعّفوا مذهباً لهم على شكل المكعب ارتفع عنهم الوباء ^(٣) . فابتنوا مذهباً آخر وأضافوه إلى الأول فازداد الوباء . فعادوا إلى ذلك النبي عليه السلام ، وسألوه عن ذلك . فأوحى إليهم بأنهم لم يُضعّفوه ، بل قرّنوا إليه آخر مثله ، وليس هذا تضعيف المكعب . فاستعانوا حينئذ بأفلاطون فقال : « إنكم كنتم تزجّرون عن الحكمة ، وتنفّرون عن الهندسة . فابتلاككم الله بالوباء عقوبة لكم ؛ فإن للعلوم الحكيمة عند الله مقداراً » . ثم ألقى على أصحابه بأنه : « متى أمكنكم استخراج خطين من خطين على نسبة متوالية ، توصلتم إلى تضعيف المذبح ، فإنه لا حيلة لكم دون استخراج ذلك » . فعملوا على استخراجهم ، وقاموا ^(٤) بعمل تضعيفه . فارتفع الوباء عنهم ، فأمسكوا عن ثلب الهندسة وغيرها من المعالم ^(٥) النظرية .

(١) أنها : ناقصة في ذلك .

(٢) الوار : ناقصة في غ ، ك ، م .

(٣) واضح أن هنا نقصاً ، وتامه : (فلم يرتفع الوباء) .

(٤) غ : نتنوا العمل تضعيفه .

(٥) ترى المؤلف يستعمل كلمة : « المعالم » بمعنى « المعارف » أو « العلوم » وهو استعمال غريب لم يجده عند غيره حتى الآن .

(أرسطاطاليس)

ثم أخذُ الموصوفين منهم بالحكمة بعده: أرسطاطاليس ، وهو معلم الاسكندر ذي القرنين . وكان ملازماً لأفلاطون قريباً من عشرين سنة لاقتباس الحكمة . وكان يُسمَّى في حديثه : « الروحاني » لفرط ذكائه . وكان أفلاطون يسميه : « العقل » . وهو الذي صنف الكتب المنطقية ، ورتَّب الأبواب الطبيعية والأبواب الإلهية . ووضع لكل باب منها كتاباً على حدة ، محافظاً على الولاء ^(١) فيه . - وفي أيامه استتب ^(٢) الملوك الذي القرنين وانتمتع به الشرُّك في بلاد اليونان .

• • •

فهؤلاء الخمسة كانوا يوصفون بالحكمة . ثم لم يُسمَّ أحدٌ منهم ، بعد (٥) - هؤلاء ، بـ « الحكيم » ، بل كل واحد منهم كان يُنسب إلى صناعة من الصناعات أو سيرة من السير ، مثل بقراط الطبيب ^(٣) ، وأوميروس الشاعر : وإرشميدس المهندس ، وذيوجانس الكلاي ^(٤) ، وديمقراطيس ^(٥) الطبيعي . وقد تعرَّض جالينوس في زمانه ، حين كثرت تصنيفاته ، لأن يوصف بالحكمة ، أعني أن يُنقل عن لقب الطبيب إلى لقب الحكيم ، فهزأوا به وقالوا : « عليك بالمراحم والمُسَهلات ، وعلاج القروح والحميات . فإن من شهد على نفسه بأنه شاكٌّ في العالم : أقدم هو أم مُحَدَّث ؟ وفي المعاد : أحقُّ هو أم باطل ؟ وفي النفس : أجوهر هو أم عَرَض ؟ - لتُتضع الدرجة عن أن يسمى حكيماً » . إلى ها هنا كلامُ العامري .

(١) الولاء = التسلسل .

(٢) ك : استتب .

(٣) ك : هؤلاء كلاً .

(٤) غ : أومينوس . م : ك : أوميرس .

(٥) ك : غ : اكلف .

(٥) ك : ديمقراط م : ديمقراط = ديمقريطس Démocrite

ثم^(١) نشأ ، بعد مَنْ ذكرنا من الأوائل ، قومٌ سَلَّموا الأصول الصحيحة لمن تقدمهم ، ثم اشتغلوا بنصفِ الجزئيات لتصحَّ لهم صناعة . فاقتصروا من النظر على تلك الآراء المحسوسة في تلك الصناعة الواحدة . وأخذوا أكثر براهينهم من الأوائل المسلَّمة التي اشتغل بها أهلُ النظر من الأوائل . وبعضهم أخذ قياساته من الأوَّل والأشبه . وإن كانوا فاضلين ، فلبست لهم قوة على تحقيق أصول صناعتهم ، أعني^(٢) مبادئها ، وهم مثل جالينوس وبطلميوس : فإن كل واحد منهما اشتغل بالتجربة وحكاية أصحاب التجارب ومستعملي القياس بتسليم الأصول والمقدمات التي بُني عليها .

أما جالينوس فإنه نظر في المنطق ، إلا أن كتابه في البرهان لم يرضه أهل البراعة من المنطقيين . وذكروا أنه ليس يدل على براعته فيه سوى حنين بن إسحق ، فإنه أظهر لهذا الكتاب تعصباً عظيماً تجاوز فيه الحد . وليس هاهنا موضع ذكره . وكذلك ما وجد له كلامٌ في تحقيق مبادئ صناعته ، أعني الأصول الطبيعية التي هي أوائلها ، كالكلام في العنصر الأول والصورة والفاعل . ولما عمل في آخر عمره كتاباً « فيما يعتقد رأياً » عدد فيها هذه الأمور واعترف بالجهل ، وأذن للتقصير فيما اتعب الحكماء به أنفُسهم ، حتى قال الاسكندر الافروذيبي إن جالينوس غرم من عمره ثمانين سنة حتى حصل على الإقرار بأنه لا يعلم ، وإن تعب بصناعته المأخوذة من القياسات من التجارب المأخوذة من الحسن ، وعمل فيها أشياء يتفجع الناس بها انتفاعاً كبيراً ، (٦) حتى إنه ليس في المعمورة أحدٌ ليس لجالينوس عليه مينة . ولكنه لم يرمُ ، مع تحقيقه بصناعته وبراعته فيها ، بلوغَ الدرجة العالية من الحكمة والنظر في العلوم الشريفة التي تسمى الحكمة على الإطلاق ، وهي البلوغ .

ولأننا قد ذكرنا اعتقاد كل واحدٍ من الحكماء ، الذين أولهم ناليس

(١) غ : انشأ .

(٢) غ : مبادئها .

الملطى ، في المبدأ ، أوردنا أيضاً ما يراه كل واحد من هؤلاء الحكماء أيضاً — أعني الذين أولهم أنبأذقليس — في صفات البارى تعالى .

فأقول : إن مذهب أنبأذقليس في صفات البارى — جل جلاله — أنه وإن وُصِفَ بالعلم والجود والإرادة والقدرة ، فليس هو ذو مكان متميز يختص بهذه الأسماء المختلفة . لكن كما أننا نقول لكل واحد من موجودات العالم إنه معلومه ومقدوره ومُرادُه وفيض جوده ، من غير أن نثبت منه معاني تنتهي ^(١) ، كذلك أيضاً نصف موجدنا بالعلم والجود والقدرة والإرادة ، وإن كان واحداً فرداً . وكما أن وجوده ليس يشبه شيئاً من موجودات العالم أو الموجودات العالمية محققة بالوجود الإمكانى ، أعني بحسب الصنعة ، وذاته واجبة الوجود لا بحسب الصنعة ، كذا أيضاً وحدانيته ليس تشبه وحدانية شيء من موجودات العالم ، إذ الوحدانيات العالمية معرضة للتكثُر إما بأجزائها ، وإما بمعانيها ، وإما بنظائرها . وذاته متعالية عن هذا . فهو إذن وإن صلح أن يوصف بالعلم والجود والقدرة والإرادة ، فمن أخص صفاته هو أنه حق بذاته ، وحكيم بذاته . وإن معنى الحق أن وجوده بحيث يتمتع عليه إطلاق اللاوجود ^(٢) . وأن معنى الحكيم هو أنه موجد لكل شيء على آتم ما يليق به من الغرض .

وقد وافقه فيثاغورس فيما يعتنقه من صفات البارى — جل جلاله! — إلا في نقطة واحدة وهي أنه زعم أن وصفنا إياه بأنه حكيم (هو الأصح) فإن الحكمة قبل الحق ، وبها يصير الحق حقاً . ثم خالفه في شأن المعاد ^(٣) . وأيضاً فإن المشهور من مذهبه أنه كان يقول إن العالم بكلّيته ينقسم إلى اثني عشر قسماً : أربعة منها هي الأجرام السفلية ، أعني : الأرض والماء والهواء والنار ، وثمانية

(١) غ : تم (١)

(٢) م ، غ ، ك : أن لا وجود .

(٣) ك : م : المعاد أيضاً فإن المشهور .

منها هي الأجرام العلوية ، أعني السموات السبع والكرمي المحيط بها . وإن فوق هذا العالم عالماً نورانياً لا يُدرك العقلُ حُسْنَهُ وبهاءَهُ ؛ وإليه تشاق الأنفسُ الزكية (٧) . وإن كل قسم من هذه الأقسام منضودٌ تحت القسم الذي يعلوه ؛ وهو بالإضافة إلى المستعلّى عليه كالثقل له . وأيضاً إنسانٌ أحسنَ تقويمٍ نفسه بالتبري من العُجب والتجبرِ والمرآة والحسد وغيرها من الشهوات الجسدانية ، فقد صار مستاهلاً لأن يصبر في أعلى أقسامها ، فيطلع على جميع ما في جواهر العالم من الحكمة الإلهية . ومتى سَعِدَ بذلك ، فقد نال السرورَ الحقَّ ، والعزَّ الحقَّ . فإن الأشياء المُلذّة حيثُ تأتيه رُسُلًا نحو اتیان الألحان الموسيقية إلى حاسة السمع . ولا يحتاج أن يتكلف في طلبها أصلاً .

وقد وافقه سقراط على هذا إلاّ في نُكُتَيْنِ : إحداهما أن (١) قال : إنَّ وصفنا إياه أنه حكيم متعلّقٌ بوصفنا إياه أنه حق ، فإن الحق قبل الحكمة . ومهما حصل العلم على غاية كماله ، وُصِفَ بأنه حكمة . والأخرى أن قال : إنَّ السماءَ هي في النشأة الثانية نصير بلا كواكب ، فإنَّ سبب ثباتها فيها هو سرعة حركات الأفلاك الحاملة لها . وكل متحرك فإلى سكونٍ ما . ومهما سكنت الأفلاك عن دورانها ، فإن كواكبها تتناثر فتصير مَحِيطَةً بالأرض متصلاً بعضها ببعض كالدائرة الملتهبة ؛ وإن كل نفس كانت دنسة شربرة ، فإنها تبقى في هذه الأرض المحاطة باللهيب . وتصير السماءُ للأنفس الزكية كالأرض ، وتصير سماؤهم سماءً نورية أشرف من هذه . وهناك الحُسْنُ المحض واللذة المحضة .

ثم زاد على فيثاغورس بأن قال : كل إنسانٍ شَرُفَ باقتناء الحكمة الخالصة فقد صار محتوياً (٢) على الخيرة المطلقة . وأعلى درجات العبد في الخيرة هو

(١) أن : ناقصة في غ .

(٢) غ ، ك ، م : محوياً .

أن يكفي بمولاه الحق عن الوساطة بينه وبين مولاه . ومن احتاج في اقتناء الحكمة إلى واسطة بينه وبين مولاه فهو ناقص في ذاته في العبودية . وكل من كانت الوسائط بينه وبين مولاه أكثر ، فهو في رتبة العبودية أنقص . فإذا كان البدن مفتقراً في مصالحه إلى تأثير الطبيعة ، وكانت الطبيعة مفتقرة في تأدية أفعالها إلى تدبير النفس ، وكانت النفس مفتقرة في اختيارها إلى إرشاد العقل ، ولم يكن فوق العقل فأنح إلا الهداية الإلهية ، فبالجهد أن يكون المستعين بصريح العقل في كافة المصارف مشهوداً له (٨) بفضيلة الاكتفاء بمولاه ؛ وأن يكون التابع لشهوة البدن اعتقاداً لدواعي الطبيعة والمؤاتي لقوى النفس إذا لم يكن متمسكاً بموجب العقل بعيداً من مولاه ناقصاً في رتبته ، فلاذن لا غيرورة لمن لزم الأوائل الكثيرة ، ولم يترق بمقله إلى الأول الحق .

أما أفلاطون فقد اختلف في مذهبه : فإنه قال في كتابه « أفوليطيغوس »^(١) أي تدبير المدن^(٢) : إن العالم أبدي ، غير مكن : دائم البقاء . وتعلق بهذا القول بوقلس^(٣) الدهري ، وصنف في أزلية العالم كتابه الذي نقضه يحيى النحوي .

ثم ذكر في كتابه المعروف بـ « طيماوس » أن العالم مكن ، وأن الباري قد أبدعه من لا نظام إلى نظام ، وأن جواهر العالم كلها مركبة من المادة والصورة : وأن كل مركب فهو معرض للانحلال .

ولولا أن تلميذه أرسطوطيلس^(٤) شرح معناه في اختلاف القولين لحكم

(١) غ : أنوليطيغوس ، ك : بولوطيغوس ؛ م : بولوطيغوس . والمقصود عبارة « السياسي »
Politikos ، راجعها ص ٢٦٩ ، ج ٢٧٠ .

(٢) م ، غ ، ك : البدن - وهو تحريف واضح إذ الكتاب في السياسة .

(٣) غ ، ك : بوقلس : والمقصود Proclus . راجع الحج التسع الأولى له في إثبات أبدية العالم في كتابنا « الأفلاطونية المحدثة عند العرب » ، القاهرة ، سنة ١٩٥٥ .

(٤) هذا الرسم الموجود في غ أقرب للرسم إلى النطق اليوناني لاسم أرسطوطاليس ؛ ولم نجده إلا هنا .

عليه بالحيرة . إلا أنه يبيّن أن لفظة : « المكوّن » مرتبة تحت الأسماء المشتركة ، وأن مقصوده من قوله إن العالم أبديّ غير مكوّن : أي : لم يسبقه زمان ، ولم يحدث عن شيء . وإن مقصوده من قوله إنه مكوّن أنه قد ^(١) صرفه الباري من لا نظام إلى نظام ، أي وجوده متعلق بالصنعة النازمة للمادة بالضرورة : وليس ولا لواحد ^(٢) من هذين وجود بذاته ، دون الاتحاد بصاحبه . فالمبدع لهما إذن أوجدهما على ^(٣) التّأخيد النّظمي . فهو إذن بفعله الإبداعي صارفٌ للعالم من لا نظام إلى نظام ، أي من العدم إلى الوجود . ولقد صرح بذلك في كتاب « النواميس » فقال إن للعالم بدءاً عليّاً وليس له بدءٌ زماني ، أي له فاعل قد اخترعه لا في زمان . وإنّ فاحصاً إن فحص عن سبب اختراعه له ، أجبتاه بأنه يريد بذاته لإقامة جوده ، وقادرٌ على إيجاد ما أَرادَه . وبمثله قد أطلق القول في كتابه المنسوب إلى « فاذن » : بأن النفس غير مكوّنة وأنها ^(٤) لا تموت . وقال في كتاب « طيماموس » إنه مكوّن ، وإنه يموت ^(٥) ؛ غير دائم .

وقد تولى ارسطوطيلس تبين مراده من اختلاف اللفظتين فقال : عني بقوله الأول أي ما يتدرج في حدوثه من القوة إلى الفعل ، لكنه حدث دفعةً ، ثم ان لها الموت في دار المثوبة ^(٦) . وعني بقوله الثاني أنه معرض للاستحالة من الجهل إلى العلم ومن الرذيلة إلى (٩) الفضيلة ، وأن ذاته ما كان ليفوز

(١) م ، غ ، ك : أنه مكوّن وقد صرفه ...

(٢) غ : واحد .

(٣) ك : بالتأخيد ، وفي هامشها : حل التأخيد . م : حل التأخيد .

(٤) ٢ ، غ ، ك : وانه . (هـ) م ، ك : ميت .

(٥) هذه الجملة هيمدة الصلة بما قبلها ، ولكنها موجودة في كل المخطوطات .

بالبقاء الأبدي لولا استبقاء الله له على الدوام ^(١) . ولقد صرح بذلك في كتاب « طيمارس » فقال إن خالق الكل أوحى إلى الجواهر الروحانية : « بأنكم لستم بميت لا تموتون » ، ولكفي استبقيكم بقوتي الإلهية » .

وقد أوضح ارسطوطيلس حقيقة الصواب فيما اختلف فيه فيثاغورس وسقراط في أن الحكمة قبل الحق ، أو ^(٢) الحق قبل الحكمة - فقال ^(٣) : إن الحق أعم من الحكمة ، إلا أنه قد يكون جلياً ، وقد يكون خفياً . وأما الحكمة فهي أخص من الحق ، إلا أنها لن تكون إلا جلية . فاذن الحق مبسوط في العالم ، يشتمل على الحكمة المستفيضة في العالم . والحكمة مستفيضة في العالم ، موضحة للحق المبسوط في العالم . وكلا المعنيين ليسا يفارقان صنع الله الموجد للعالم وقوته الممسكة للعالم . فالقولان إذن مقبولان بجهة واحدة .

فهذا هو جملة ما تصوّر من مذهب هؤلاء الأربعة وتلقّف من الأئمة المنسويين إلى الفلسفة ^(٤) . وليست كتبهم المصنفة في هذه الأبواب بحيث يوقف عليها من غير فاتح يفتحها ، فإنها محشوة بالرموز والألغاز . وإنما كانوا يتمهدون ذلك لمعاني ثلاثة : أحدها الكراهة لثلاث بغوص ^(٥) أحد على أسرار الحكمة ممّن ليس لها بأهل ، فتصير عُدّة له على اكتساب ضرب من الشرارة . - والثاني أن لا يتوانى العاشق لها في بذل العناية لاقتنائها ، وإن لحقته المشقة في تحصيلها . ويستصعبها الكسلان لغموضها ويزدريها . - والثالث : تشجيد ^(٦) الطبائع باستكداد الفكر لثلاث بمنح المتعلم إلى طيب الدّعة وروّح النفس ، ويقبل بجهده على تفهّم ما ينفر عنه .

(١) م ، غ ، ك : الدم .

(٢) غ : و .

(٣) غ : قال .

(٤) م ، ك : إل الفلسفة ، غ : المنسويين بالفلسفة .

(٥) م ، ك : ثلاث بغوص على أسرار الحكمة أحد .

(٦) م ، ك : الطباع .

فأما مذهب أرسطوطيلس فهو مذكور في كتبه في الطبيعيات وفيما بعد الطبيعة ، فلا نحتاج إلى ذكرها هنا .

(رأي آخر في ظهور الفلسفة)

وقيل إن أول ظهور الفلسفة كان في زمن بختنصر . وأول من ابتدأ بها ونجم كان ثالث الملطى هذا الذي ذكرنا ، وأن أول (ما) أظرف أهل زمانه به منها أنه قد كان أطل وقت كسوف قمري فحسبه وأنذرهم به قبل كونه . فلما وقع الكسوف ، قيل ^(١) في أنفسهم بما أنذرهم به . وصار إليه جماعة فتعلموا له . ولم يكن قبل ذلك في بلاد يونان شيء من (١٠) العلوم البرهانية . وإنما كانت حالهم كحال أمة العرب الجاهلية ليس عندهم إلا علم اللغة وتأليف الأشعار والخطب والأمثال والرسائل . إلى أن نجم ثالث بالفلسفة ، وكذلك علم الحساب والهندسة والمساحة أدخلوها عن المصريين . فأما وجود الشعر في أمة يونان فإنه ظهر فيهم قبل الفلسفة . وأبدعه وميرس ^(٢) الشاعر ، وهو عندهم بمنزلة امرئ القيس في العرب .

وثالث كان بعد اوميرس بثلاثمائة واثنين وثمانين سنة . فمن كون ثالث إلى ابتداء ملك بختنصر ثمان وعشرون سنة وأيام . وأمة اليونانيين نجمت بعد موسى عليه السلام ، وإن الشعر بدأ فيهم ^(٣) قبل الفلسفة ثمانين من السنين . وأول فيلسوف كان منهم في سنة تسعمائة واحد وخمسين من وفاة موسى عليه السلام . وهذا ما خبر به يوزيس ^(٤) في كتابه الذي رد فيه على هيروقلس ^(٥) فيما ناقض به الإنجيل .

وذكر فرفوربوس أن ثالث ظهر في سنة ثلاث وعشرين ومائة من ملك بختنصر ، وغلب خسرو بن دارا على مدينة أثينة من اليونانيين والروم ،

(١) أي صار مقبولا عندهم بسبب ما أنذرهم به من هذا الخوف القمري .

(٢) غ : اومينوس .

(٣) غ : فهم .

(٤) ك ، م ، غ : كوريس - والمقصود Eusebius في كتابه ضد هيروقلس Contra Hieroclem

(٥) غ : الثالث ؛ م ، ك : اليانس - فهل المقصود اليانس المرتد Julien l'apostat ؟

وفي زمانه كان ما خلا النبي عليه السلام ، وظهر في بلاد فلسطين ، ونجم في زمانه ديمقريطيس (+) وانكساغورس في بلاد اليونانيين بالفلسفة . وفي زمان ملك أردشير - وهو بهمن الفاضل بن اسفنديار بن كشتاسب - ظهر ديمقراط وابقراط ، وشهراً ابقراط الطب . وفي ملك دارا بن أردشير عرف اليونانيون كتابتهم التي هي على أربعة وعشرين ^(١) حرفاً ، لأنه لم يكن لهم قبل ذلك إلا ستة عشر حرفاً . ذلك أن قدمس ^(٢) واضون ، اللذين من مصر ، جاءا إلى مدينة اثيناس ^(٣) ، وحملتا معهما ستة عشر حرفاً ، وهي التي كان اليونانيون يكتبون بها أولاً ، وهذه تسمى حروف فونيقية ^(٤) . ومن بعد ذلك وجد فالاميديس ^(٥) أربعة أحرف أخرى . ومن بعد ذلك وجد سيمونيدس ^(٦) أربعة أحرف أخرى ، وإنما لم تلبث صورها لقلّة الفائدة فيها ^(٧) لمن لا يحسن الخط اليوناني .

(+) غ : ديمقراطيس .

(١) غ : جزءاً .

(٢) غ : قدمس واضون م ، ك : دمس وايمون . وقدمس = Cadmus الذي قيل انه جاء إلى بونثيا Boeotia من فونيقية في سنة ١٥٥٠ ق . م ، واسمها عليها وعلم أهلها الحروف الأبجدية ، أما « واضون » فلم نجد إليه .

(٣) غ : اغياس . ك : ابيناس .

(٤) ك ، م ، غ : مودسه (!) Phoinikèia

(٥) ك ، م ، غ : قاريس ادمس .

(٦) غ : سمونورس . ك : سمونوديس = Simonides

(٧) ك ، م ، غ : من .

(٥) المعروف عامة أن الأبجدية اليونانية كانت تتألف من ١٧ حرفاً مأخوذة من الفينيقية ، بينما الأبجدية الفينيقية كانت تتألف من ٢٢ حرفاً . ثم إنه ينسب إلى Palamedes ، وكان معاصراً

لحرب طروادة أنه اخترع أربعة عشر حرفاً أخرى وهي χ, ϕ, θ, ψ . ثم جاء سيمونيدس

Simonides فاشترع أربعة عشر حرفاً أخرى هي $\omega, \pi, \eta, \psi, \zeta$ ، وأكمل عدد حروف

الأبجدية اليونانية ٢٦ حرفاً . أما الستة عشر حرفاً الأولى فهي : خمسة صائفة $\alpha, \epsilon, \gamma, \delta, \theta$

و ١١ ساكنة وهي $\beta, \gamma, \delta, \kappa, \lambda, \mu, \nu, \pi, \rho, \varsigma, \tau$

ويقال إن أول من وضع الكتابة أهل مصر ، ومن بعدهم أهل فونيقية ، وهي التي جاء بها أولاً قدموس إلى ما هناك ثم من بعدهم اليونانيون . وفي ذلك الزمان ولد أفلاطون . وفي سنة ست عشرة من مُلك أردشير (١١) بن دارا كان أفلاطون حدثاً متعلماً تلميذاً لسقراط . ثم اغتيل سقراطيس بالسّم ومات ، بعد أن مهر أفلاطون في الفلسفة وقام مقامه . وأظهر أفلاطون فلسفته وتعاليمه وجلس (...) على كرسيه ، وفي أول سنة من ملكه ولد ارسطوطيلس . فلما أنت له سبع عشرة سنة أسلمه أبوه نيقوماخس إلى أفلاطون . فمكث أفلاطون تسعاً وعشرين سنة يعلم ارسطوطيلس الفلسفة . وفي زمن أردشير الثاني ، ابن دارا تملك على بلاده مقدونية من بلاد اليونانيين - فيلفس أبو الإسكندر . وفي سنة ثلاث عشرة من مُلك أردشير هذا ، ولد الاسكندر . ولستين بقيتاً من ملك^(١) مات أفلاطون الفيلسوف . وفي زمانه أحضر من في مدينة رومية من الناس فمكثوا في الإحصاء^(٢) ثلاث سنين ، ثم كَلّوا وأعبأهم الحساب والعد ، فأمسكوا . وفي زمان دارا ، آخر ملوك فارس ، تملك فلغوس ، والد الاسكندر ، على بلاد اليونانيين ، وصالح دارا على خراج يؤديه . وهلك فيلفوس هذا في السنة الخامسة من ملك دارا .

وذكر علي بن يحيى النديم في كتابه الذي جمعه في التاريخ ان جالينوس

(١) غ : ارسغو (!) م ، ك : ارسغوا . وأفلاطون توفي سنة ٣٤٧ ق. م. في عهد ارتكركس الثالث (من ملوك الفرس) .

(٩) م ، غ ، ك : الاحصار (١) .

(٥) المعروف أن ملوك فارس في القرون من السادس إلى الرابع قبل الميلاد هم : قمبيز (٥٢٨ - ٥٢١) ، ساردس (٥٢١) ، دار الأول (٥٢١ - ٤٨٥) ، اكركس الأول (٤٨٥ - ٤٦٥) ، ارتكركس الأول (٤٦٥ - ٤٢٥) ، اكركس الثاني وصنديانوس (٤٢٥ - ٤٢٤) ، دارا الثاني ، نوبس (٤٢٤ - ٤٠٤) ، ارتكركس الثاني (٤٠٤ - ٣٥٩) . ارتكركس الثالث ، أوغس (٣٥٩ - ٣٣٨) ، أرس (٣٣٨ - ٣٣٦) ، دارا الثالث (٣٣٦ - ٣٣٠) وهو الذي قضى عليه الاسكندر .

الطبيب يَدْكُرُ في كتاب « جوامع كلام أفلاطون في سياسة المدن »^(١) ، قولاً يدل على أنه كان بعد زمان عيسى عليه السلام ، وهو أن قال : إن جمهور الناس لا يمكنهم أن يفهموا سياقة الأقاويل البرهانية ، ولذلك صاروا يحتاجون إلى رموز ينتفعون بها - يعني الرموز التي جاءت عن الأنبياء عليهم السلام لأنهم ينتفعون بها منفعة ليست باليسيرة في سيرهم من التصديق بأشياء بغير برهان .

ونجم فيثاغورس الفيلسوف في زمان دارا الثاني . قال : « وقد افتتح ملوك فارس كُوراً لليونانيين في الروم »^(٢) ، وغلبوا على مدائن كانت معادن لكتبهم التي تشمل على الفلسفة والحكمة ، كالجزيرة ، والشام ومصر وقسطنطينية وغيرها من البلدان . فأخذوا ما كان فيها من كتب الحكماء : بعضها (بالقوة) وبعضها بالهدية . وأما كتب النجوم والهندسة والعدد والموسيقى والطب والحيثل فأهداها غوردبانوس ملك الروم لشابور بن أردشير الملقب بذي الأكتاف .

وقال : في فصل من هذا التاريخ : فلذلك نهياً أن كان بالقرس من أبداع آلة العود العجيبة الغالبة جميع (١٢) آلات الموسيقى . قال : « وإنما صار العود ليس بمنسوب إلى رجل بعينه مشار إليه باسمه ، لأن الفيلسوف الذي تولى إبداعه يحكم أن الغالب على أكثر الناس الجهل والبطالة . فخاف أن يَدْعُوا أهل الجهل إلى أن يظنوا أن هذه الآلة إنما قَصِدَ اللهو واللغو واللعب وليست^(٣) بصناعة تنسب إلى شرف ورفعة كصناعة الفلسفة والكتابة

(١) غ : البدن . وهذا الخبر يدل على أن « جوامع كتب السياسة (الجمهورية) » لأفلاطون قد ترجم أيضاً إلى العربية ، إلى جانب كتاب « جوامع طيماس » الذي نشرناه في كتابنا « أفلاطون في الإسلام » ، طهران سنة ١٩٧٤ .

(٢) الروم : آسيا الصغرى . م : ك : اليونانيين والروم .

(٥) أي علي بن يحيى في كتابه المذكور .

(٣) واقف وليست : ناقصة في غ : وموجودة في ك ، م .

وتدبير المدن . فكره أن ينسب الجهال إلى اللهو ^(١) واللعب لإبداعه هذه الآلة ويعملونه بمنزلة من أحدث الطبل والدَّفَّ اللذين قصدهما قصد اللعب . فأنف لنفسه من هذه الحال ، ولم يَنْسُبْ ^(٢) لنفسه هذه الآلة ، فبقيت هذه الآلة غير منسوبة إلى رجل مشار إليه بعينه .

قال : وقد يُعَلِّمُ أن هذه الآلة لم تكن في عصر نيقوماخس ^(٣) ولا بطليموس ، فإن نيقوماخس أقدم عهداً من بطليموس ، ولم نجد لهما ذكراً — في كتابيهما في صناعة الموسيقى — لهذه الآلة . وقد ذكرا القيثارة واللورا ^(٤) ، وهما دونها في القدر والشرف . ولو وجدت ^(٥) في عصرهما لما تركا ذكرها مع علوها على آلات الموسيقى ، وذكرهما دونها .

قال : وبطليموس لم يكن في عصره ببعيدٍ عن ابتداء عصر أردشير بن بابلي .

وأما علم النجوم فإن ^(٦) ابتداءه كان من بابل من جهة الكلدانيين ، وذلك قبل زمان ابراهيم — صلوات الله عليه . وسببه أنهم كانوا مقبلين على صناعتي الفلاحة والملاحة ، ولن يُسْتَفْعَى فيهما عن أحكام النجوم . وأعانهم على ذلك صفاء الجوِّ في بلادهم ولطائف طبائعهم وذكاء أذهانهم وخفة أرواحهم وقلة الأتداء والسحاب في بلادهم .

وأما علم المساحة والهندسة فمن مصر ابتداءه . وسببه أن مدَّ النيل كان

(١) ك : اللعب واللهو .

(٢) ك : ولم ينسب فبقيت ... غ : لنفسه هذه الآلة غير منسوبة ...

(٣) هو نيقوماخوس الجراشي من جرش في الأردن حالياً وكان فيلسوفاً فيثاغورياً وروانياً ؛ وازدهر في حدود سنة ١٠٠ ميلادية ، وله كتابان موجودان هما « المدخل إلى علم العدد » و « متن في الدوافع الموسيقي » في مقالة واحدة ، وهو أقدم حجة عن النظرية الفيثاغورية في الموسيقى .

(٤) القيثارة Cithare ؛ اللورا Lyra

(٥) أي آلة العود .

(٦) غ : قال — وهو تحريف ظاهر .

يكسح مزارعهم في كل سنة ، فيحتاجون إلى قسمتها ومساحتها وتقديرها وتحديد حدودها ، بالضرورة^(١) التي دعتهم إلى ذلك تحرزاً من الفراق .

وأما تأليف اللحن فأول من أبدعها قومٌ من اليونانيين يقال لهم تامس^(٢) فيما بين قسطنطينية واسقليه^(٣) ، وذلك لكثرة ما نالهم من الحروب . فوضعوا أداتين : إحداهما لتنتج الجراءة في قلوب أوليائهم وتخريصهم على لقاء عدوهم وإزالة الجبن من صدورهم وإمالة الفشل عنهم بالألحان القاذحة لنار الغضب المهيّوة للموت . والأخرى لترهيب^(٤) (١٣) قلوب أعدائهم وتشويه عقولهم ونوبله فكثروهم بالألحان المجزعة المؤدية إلى النكول .

وأما علم الحساب فإن أول من فتحه أهل فونيقيا^(٥) ، وهم أهل حمص ومن يليهم . وذلك لأنهم كانوا تجاراً مسافرين محتاجين إلى الحساب لأرباحهم وحفظ رؤوس أموالهم عليهم في شرائهم وبيعهم وخسراتهم . فهم الذين اخترعوا هذا العلم .

وأما علم الطبائع فمن الشام منشؤه . وسببه أن الوباء في نواحيه كان يكثر ويعم فيضطرون إلى الاستعانة بالقوى الطبيعية .

ولما كانت صناعة الطب من فروع العلم الطبيعي وكثُر استعمالُ أهل زماننا لأحد قسميه المنسوب إلى يونان ، دون القسم المنسوب إلى الهند حتى صار كالمُعْلَفِي المستغنى عنه وجب ذكر طرفٍ من تواريخ الأطباء اليونانيين لذلك : ولخصلةٍ أخرى وهي دخول أخبار جماعة منهم معدودين في جملة

(١) م ، ك : بالضرورة .

(٢) م ، غ ، ك : تامس .

(٣) ك : وسقليه . - واسقليه = بلاد الصقالية . م : وسقالية .

(٤) م ، ك : لتهذيب .

(٥) ك ، م ، غ : قونيقي .

أهل الفضل والحكمة في أثناء من نريد أن نقص أخبارهم ونحكي المستحسن^(١) من نوادرهم : فلاسفة وحكماء .

(من تاريخ الأطباء)

فنقول : إن الأطباء على فرقتين : إحداهما تدعى أن الله تعالى ألهم الناس صناعة الطب ، كما ألهمهم سائر مصالحهم . والفرقة الأخرى تدعى أن الناس استخرجوها . وهم أصناف : فبعضهم يصححون ذلك من أمر الدواء المعروف بالراسن ، وسنذكر قصة ذلك بعد . وبعضهم يدعي أن أهرمس استخرج صناعة الطب في جملة ما استخرجه من سائر الصناعات الحكيمة . وآخرون يقولون إن أهل فولوس استخرجتها^(٢) من الأدوية التي لفتها القابلة^(٣) اليونانية لامرأة ملكها . وبعضهم يقول إن أهل موسياء وافروغيا استخرجوها^(٤) وذلك أن هؤلاء هم أول من استخرج الزمار ، وكانوا يشفون بتلك الألحان والنوقيات^(٥) آلام النفس ، وبشفاء آلات النفس ما يشغى البدن . وبعضهم يقولون إن المستخرج لها السحرة من أهل بابل وفارس - وهذا خرافة . وبعضهم يدعي أن أهل الهند استخرجوها أولاً . وبعضهم : الصقالبة . والله تعالى أعلم !

(١) غ : المستجيب .

(٢) غ : استخرجها .

(٣) غ : استخرجوا ذلك ...

(٤) غ : النوقيات .

(٥) موسياء Mysia إقليم في الشمال الغربي من آسيا الصغرى كان أهله يسمون Musioi . وكانت تحيط بها لوديا Lydia وافروريا Phrygia من ناحية الجنوب ، وبنوب Bithynia من ناحية الشمال الشرقي ، وبروبونسس Propontes وبغرابجه من الشمال والغرب . وكان أشهر بلادها برجاموم Pergamum وكوزيكوس Cyzicus . وافروريا كانت تشمل إقليماً واسعاً في آسيا الصغرى . اذ شملت القسم الغربي من مضبة أناضول الوسطى ، واليونانيون سموها أهلها Phruges - الأحرار .

وأما الذين قالوا إن الطب من الله تعالى فهم أيضاً فِرق : ففرقة تدعي أن الله تعالى ألهم الناس الطب بالرؤيا . واحتجوا في ذلك بأن جماعة رأوا ، بلا خلاف ، استعمال أدوية ، فاستعملوها في (١٤) الیقظة فشفيتهم من أمراضٍ صعبة ، وصارت تشفى كل من استعملها . — وفرقة تدعي أن الله — عز وجل ! — ألهم الناس الطب بالتجربة . وزاد الأمر في ذلك وقوى . واحتجوا في ذلك بأن امرأة كانت بمصر ، وكانت شديدة الهم والحزن ، مبتلاة بالغیظ والدرد ، ومع ذلك كانت ضعيفة المعدة وصدرها مملوءاً خلطاً رديئاً ، وكان ^(١) حیضها محتبساً . فانفق لها أن استعملت أكل الراسن مراراً كثيرة بشهوة . فذهب عنها جميع ما كان بها ، ورجعت إلى صحتها . وجميع من كان به شيء مما كان بها أستعمله فبرىء منه . واستعمل الناس التجربة في سائر الأوجاع وسائر الأشياء ، أعني المواد .

ولما كان الخلف والتباين في هذا على ما ذكرت ، صعب طلب أوله جداً . لكنني اعتمدت من بين جملة التاریخات ^(٢) على تاریخ يحيى النحوي ، وهو الذي يسميه الناس « المحب » ^(٣) لاتب ، — من جهة أنه كان إذاهم تأليف الشيء من الأشياء بحث عنه بحثاً مستقصيً وتعب فيه تعباً كثيراً ولم يأت به إلا على الصحة والجودة . فبحسب ذلك علمت أن ما ^(٤) قاله في ذلك أصح ما قبل فيه وأقربه من النظام . وقد أدخلت أنا في خلال ما قاله ذكر من كان في عصر كل واحد من الفلاسفة ، ليكون ذلك أتم وأكمل .

(١) غ : كانت حیضها محبسة .

(٢) جمع : تاریخ — وهو غريب .

(٣) ترجمة لقب يحيى النحوي : فيلوبيونس Philoponos . راجع كتابنا : « التراث اليوناني في الحضارة الإسلامية » ط ٣ القاهرة سنة ١٩٦٥ .

(٤) ما : ناقصة في غ .

(كلام يحيى النحوي في نشأة الطب)

قال يحيى النحوي الإسكندراني :

أولُ مَنْ أظهر الطب بمدينة قو ، على ما تنهى إلينا في الكتب المكتوبة والأحاديث المشهورة من العلماء الثقات بذلك ، هو أسقليوس من مدينة قو ^(١) . وهي مدينة بقراط الذي استخرج الطب بالتجربة . وكان بينه وبين ظهور جالينوس خاتم الأطباء ثمانية أطباء :

اسقليوس الأول

وغوروس

ومنيس

وبرمانيدس

وأفلاطون الطبيب

واسقليوس الثاني

وبقرات الثاني

وجالينوس

وكانت مدة ما بين ظهور اسقليوس الأول إلى وفاة جالينوس خمسة آلاف سنة وخمسمائة سنة وستون سنة ، منها الفترات من كل واحد من هؤلاء الأطباء منذ وفاته إلى ظهور الآخر : أربعة آلاف وثمانمائة وتسعة وثمانون سنة . من ذلك ، منذ وقت وفاة اسقليوس الأول وإلى ظهور غورس ثمانمائة وست وخمسون سنة . ومنذ (١٥) وقت غورس وإلى ظهور منيس : خمسمائة وستون سنة . ومنذ وقت وفاة منيس وإلى ظهور برمانيدس : سبعمائة وخمسة

(١) قو = Kos جزيرة عند مصب خليج هاليكرناسوس ، طولها ٢٥ ميلا ومحيطها ٧٤ ميلا تقريبا . ومن أشهر أبنائها : ابقرات والرسام أبليس Apelles والشاعر فبكتاس Philctas ، وربما أيضاً ثيوكريتوس Theocritus .

عشرة سنة . ومنذ وفاة برماندس إلى ظهور أفلاطون سبعمائة وخمسة وثلاثون سنة . ومنذ وفاة أفلاطون إلى ظهور اسقليوس الثاني : ألف وأربعمائة وعشرون سنة . ومنذ وفاة اسقليوس الثاني إلى ظهور بقراط : ستون سنة . ومنذ وفاة بقراط إلى ظهور جالينوس ستمائة وخمسة وستون سنة . ومنها ما عاش كل واحد من هؤلاء الثمانية الأطباء منذ وقت مولده إلى وقت وفاته : ستمائة وثلاث عشرة سنة . من ذلك : اسقليوس الأول عاش سبعين سنة : صبي فتى قبل أن تفتح له القوة الإلهية : خمسين سنة ، عالم ومعلم^(١) : أربعين سنة . غوروس عاش سبعمائة وأربعين سنة : صبي ومتعلم : سبع عشرة سنة ، عالم ومعلم^(٢) : ثلاثين سنة . منيس عاش أربعاً وعشرين سنة : صبي متعلم : خمساً وعشرين سنة ، عالم معلم : خمس عشرة سنة . أفلاطون عاش ستين سنة : صبي متعلم أربعين سنة ، عالم معلم : عشرين سنة . اسقليوس الثاني عاش مائة وعشر سنين : صبي ومتعلم : خمس عشرة سنة ، عالم معلم : تسعين سنة ، عَظِل : خمس سنين . بقراط عاش خمساً وتسعين سنة : صبي ومتعلم : ست عشرة سنة ، عالم ومعلم^(٣) : تسعاً وسبعين سنة . جالينوس عاش سبعمائة وعشرين سنة : صبي ومتعلم : ست عشرة سنة ، عالم معلم : احدى وسبعين سنة .

ولكل واحد من هؤلاء الأطباء الأصول من علموه هذه الصناعة وخلفوه بعدهم كبات ذكرهم من الأولاد والتلاميذ من بين العصاة^(٤) والكلالة : لا من أولاد القرباء ، إذ كان بينهم العهود والمواثيق أن لا يعلموا هذه الصناعة غريباً ، على ما رسمه اسقليوس الأول ، فإن اسقليوس هذا خالف من التلاميذ من بين ولده وغيره من القرابة سنة ، وهم : ماغينوس^(٥) ،

(١) م . ك : عالم يعلم .

(٢) ع : عالم معلم .

(٣) م ، ك : العصابة .

(٤) ك . م : ماغينوس .

وسقراطون : واخروسيوس : ومهراريس - المكذوب عليه المزور بسببه الكتب أنه (١٦) لحق سليمان بن داود عليهما السلام : لأن بينهما ألف سنين ! وهذا حديث خرافة - وسورموزس ^(١) : وسيفافوس . ووجدت في بعض الكتب أن هذا ^(٢) هو المكذوب عليه : لا مهراريس . وكان كل واحد من هؤلاء يتحل رأي أستاذه اسقليوس . رأى التجربة . إذ كان الطب إنما خرج لهم بالتجربة .

ولم يزل الطب يتقل من هؤلاء التلاميذ إلى من علموه حتى ظهر غوروس .

ومن الأطباء المذكورين في الفترة التي بين اسطيوس وبين غوروس : سوريندوس . ومانوس ^(٣) : وسموملس : وثيادبوس : ومينارس : وسفروقوس الأول ، وسقلموس ، واوطيماخس ، وقذفيون ، واغانيس : وايرافلس . واستورس ^(٤) الطبيب .

ولما ظهر غوروس نظر في رأي التجربة وقواها ، وختلف من التلاميذ بين ولد وقريب سبعة ، وهم : مرقس : وجرثرجيس ^(٥) : وماسطش ، وفولس ، وماهانس . وأرسيسطراطس الأول : وسيفورس . وكان كل واحد من هؤلاء يتحل رأي أستاذه في التجربة .

ولم يزل الطب يتقل من هؤلاء إلى من علموه وخلقوه من ولد وقريب

(١) م ، ك : وسورموزس وسيفافوس .

(٢) غ : هذا المكذوب .

(٣) م ، ك : وسادماس وسيفافوس .

(٤) م ، ك : اسقوروس .

(٥) م ، ك : وغروجس .

(٥) Herophilos ؟ لكن ايرافلس هذا ولد في خلفونية في الثلث الأخير من القرن الرابع

قبل الميلاد ، ودرس على ايراكساجوراس . Praxagoras

إلى أن ظهر مينيس . ومن الأطباء المذكورين في الفترة التي بسين غوروس
ومينيس : افسورس ، وسفوريزدس الثاني ، واخطيقون ، واسفوريس ،
وباريس ، واستقلس ^(١) وموطيس ، وأفلاطن الأول الطيب ، وبقراط
الأول من اسقندوس ^(٢) .

فلما ظهر مينيس نظر في مقالات من تقدم ، فإذا ^(٣) التجربة خطر عنده ،
فضم إليها القياس وقال : ليس يجب أن تكون تجربة بلا قياس ، لأنها تكون
على خطر . فلما توفي خلف من التلاميذ بين ولد وقريب : أربعة ، وهم :
فطرس . وامينوس ^(٤) وسورانوس . وساسوس القديم . ورأى هؤلاء
القياس والتجربة . ولم يزل الطب ينتقل من هؤلاء إلى من علموه وخطفوه من
أهل أثينة إلى أن ظهر برمانيدس .

ومن الأطباء المذكورين في الفترة التي بين مينيس وبين برمانيدس :
برسماس ، وغوراس ، واسفورس ، واسطفانوس ، واسقولس ، وساوراس ،
وخوراطيمس ، وفولوس ، وسورانيد يقوس ، وساسوس الثاني ^(٥) ،
وساموس ، واقتافولوس ، وسوتاخس ، وسريارنوس ، وماماليس .

ثم ظهر برمانيدس ^(٦) فقال إن التجربة ، وحدها كانت أو مع القياس ،
فهي خطر . فأسقطها ، وانتحل القياس وحده . فلما مات خلف من التلاميذ
من أهل بيته ثلاثة وهم : ثاسلس ، واقرن ، وذيوفيلس . فوقع بينهم
المنازعات ، واقرعوا ثلاث فرق . وادعى اقرن بالتجربة وحدها . وادعى
ذيوفيلس القياس وحده . وادعى ثاسلس الحيل وذكر أن الطب إنما هو ^(٧)

(١) ك : اسفلس . م : اسفلس .

(٢) م : ك : اسقندوس .

(٣) في غ م ، ك بألف متونة .

(٤) م : ك : أميس .

(٥) غ : أفلاطون الطيب .

(٦) م : ناقصة في غ .

حيلة^(١) . ولم يزل الطب ينتقل من هؤلاء التلاميذ إلى من علموه وخلفوه حتى ظهر فلاطون الطبيب^(٢) .

والأطباء المذكورون في الفترة التي بين برمانيدس وفلاطون الطبيب ينقسمون ثلاثة أقسام : أما أصحاب التجارب فهم اغراغطي ، وسخن ، وانفلس . وفيلس ، واغافيطمس ، والخدروس ، وميلسين . وأما أصحاب الحيل فهم ماناخس ، وماساوس ، وغدوناس ، وغوفولس ، وقومس^(٣) . وأما أصحاب القياس فهم : انكساغورس ، وافولوطيمس ، وماخاخيس^(٤) . وسقولدس ، وسويقس .

فلما ظهر فلاطون ونظر في المقالات علم أن التجربة وحدها رديئة خطر ، والقياس وحده لا يصح . فانتحل الرأيين جميعاً ، وأحرق الكتب التي ألفها ناسلس وأصحابه ومن انتحل رأياً واحداً : من التجربة ، أو القياس . وترك الكتب القديمة التي فيها الرأيان جميعاً .

وتوفي أفلاطون : وختلف من تلاميذه من أهل بيته وأولاده ستة ، وهم ميروس ، وأفرده بالحكم على الأمراض ، وفوريوس وأفرده بتدبير الأبدان ، وفولوس وأفرده للفحص والكَيِّ ، وتافرودوس وأفرده لعلاج الجراحات ، وسرخس وأفرده لعلاج العين ، وفانيس وأفرده بلجبر العظام المكسورة وإصلاح العظام المخلوعة .

وليس يمكن في هذا الكتاب ذكر سيرة كل واحد من مضي من الأطباء ، إذ كان يحتاج في ذلك إلى ألوف من الأوراق . والفرض ها هنا الإيجاز وتجاوز

(١٠٠١) ناقصة في غ .

(٢) م ، ك : قونيس .

(٣) م ، ك : منقولوس .

(٥) Soranos = ولد في أفسوس ، وازدهر في روما في أيام نيريان وهادريان (٩٨ - ١٣٨)
ويعد أكبر طبيب أمراض النساء في العصر القديم .

مثل هذه الأقايصيص إلى ما هو الأهم والمراد : من ابراد حِكَم الفلاسفة ونوادرهم والمستحسن من كلامهم .

فلم يَزَلْ الطب يجري على سداد بين هؤلاء التلاميذ وبين مَنْ خَلَقُوهُ من ولد وقريب ، إلى أن ظهر اسقليبوس الثاني ^(١) « ومن الاطباء المذكورين في الفترة بين افلاطون واسقليبوس الثاني ^(٢) » : (١٨) ميلن ، والاغراغطي ، وثامسطيوس الطبيب ، وافيليوس ، وفوذيقولس ، وابرقلس الأول ، واندروماخس القديم ، وافلاغورس ، وماجيس ، وسطس ، وسيفورس ، وغالوس . وملياطس ^(٣) ، وابروقليس ^(٤) الطبيب ، وفوثاغورس الطبيب وكان في هذا الوقت من الفلاسفة : فيثاغورس ، وذيو فيلس ، وثاون ، واناذقليس ، واقليدس ، وساوري ، وطيمانائوس ، وانكسيمناس ، وذيمقراطيس فإنه لحق بقراط وهو مع أستاذه اسقليدس وناسلس .

فلما ظهر اسقليبوس الثاني نظر في الآراء القديمة ، فوجد أن الذي يجب أن يعتقده هو رأي أفلاطون : فانتحلّه . وشرح ذلك شرحاً طويلاً لا نحتاج إلى ذكره في هذا الموضع .

فلما توفي خلف من أهل بيته من غير أن كان فيهم غريب من التلاميذ : ثلاثة نفر ، وهم بقراط بن ابرقليس ^(٥) ، وماغارس ، ووارخس . فلم تمض مُدَّة أشهر حتى توفي ماغاريس ، ولحقه وارخس . وبقي بقراط وحيد دهره : كامل الفضائل ، عالماً بسائر الأشياء التي بها يضرب المثل أعني الطبيب الفيلسوف . إلى أن بلغ به الأمر أن حُبِد . وسيرته طويلة . وسنذكر بعضها في تضاعيف الكتاب عند ذكره . وقوى صناعة القياس والتجربة تقوية

(١٠٠١) = بين الرقمين ناقص في غ . ويلاحظ ان اسم اسقليبوس الثاني يرد دائماً في ك. هكذا : اسقليبوس .

(٢) م ، ك : مليا طاس .

(٣) = Herophilus وقد ولد في خلقيدونية في الثلث الأخير من القرن الرابع قبل الميلاد ،

ودرس على براكساجورس .

(٤) ن ، م : ابروقليس .

عجبية لا يتهياً لطاغن أن يحلها منه وأن يهتكها . وعلم الغرباء الطب ، وجعلهم أشبه بأولاده ، لما خاف على الطب أن يفنى من العالم ، كما ذكر ذلك في كتاب عهده إلى الأطباء الغرباء ، ومن التلاميذ من آل اسقليوس ومن غير آل اسقليوس : أما من أولاده فثالسوس ، وذراقن ، ومالانا اريسا ، ابنته : وكانت أبرع من ابنه . ومن أولاد أولاده : بقراط بن ماسلوس بن بقراط : وبقراط بن ذراقن بن بقراط . ومن التلاميذ من أهل بيته ومن غيرهم من الغرباء : ملاذن ، وماسرخس ، وميسانوس ^(١) وفولولس أجل تلامذته وخليفته ، ومانيسيون ^(٢) ، واسطاث ، وساموس ^(٣) ، وغورس ، وسبتيوس من أهل بيته ، ومائالس .

ولم يزل الطب يتقل من هذه الأطباء إلى (١٩) من علموه (وخلفوه) إلى ظهور جالينوس . والأطباء المذكورون في الفترة التي بين بقراط وجالينوس . فهم تلاميذ بقراط وأولادهم : اسقليوس الطبيب المفسر لكتب بقراط ، وانقلاوس الأول الطيب ، ولوقوس ، وارسطيطراطيس الثاني القياس ^(١) ، وميلن الثاني ، وغاليوس ^(٥) ، ومثروذيطوس صاحب العقاقير ، وسقاطس المفسر لكتب بقراط ، ومالطالس ^(٦) المفسر لهذه الكتب أيضاً ، وغالونس ^(٧) الكاريكاي ، ومغنس ^(٨) الحيمصي ، وأندرومانس القريب العهد ، وسوتاخس

(١) ك : سدوس . م : وميسانوس فولولس .

(٢) م ، ك : مانيسون .

(٣) م ، ك : ساموس .

(٤) القياس : ناقصة في ك ، واردة في غ . م .

(٥) ك ، م : غالوس ومثرييطوس .

(٦) ك : ومايلطاي . م : ومالطالس .

(٧) ك : غالولس الطارطاي . م : غالوس الطارطاي .

(٨) Magnus Eriensensus طبيب يوناني من فرقة النفسانيين Pneumatistes ماثر قرب نهاية القرن الأول الميلادي ، وألف كتاباً عن الاكتشافات التي تمت منذ عهد تيمسبون . وقد حفظ لنا منه جالينوس بعض الشذوات . وله في العربية كتاب عن «البول» من مخطوطات في برلين (برقم ٦٢٣٢) وأياصونيا (٦٥٦٣)

الأوني وروفس الكبير ، واسولوسوس ، وأرسجانس صاحب النبض ،
 وذياسقوريدس الأول المفسر لكتب بقراط ، وثياذريطوس الملقب بموهبة
 في عمل المعجونات ، ومستباوس المعروف بالمقسّم للطب : ومارس الخييلي^(١)
 الملقب بثاسلس ، باسم ثاسلس الأول الذي ذكرته في أصحاب الحيل لأنه
 وقع إليه كتاب من كتب ثاسلس ، هذا الخييلي ، كان بقي بعد إحراق تلك
 الكتب فاتحله وقال : لا صناعة غير صناعة الخييل ، وهي صناعة الطب
 الصحيحة . وأراد أن يفتر^(٢) الناس عن اعتقاد القياس والتجربة . ووضع
 من ذلك الكتاب في الحيل كتباً كثيرة : فلم تزل مع الأطباء يقبلها بعضهم
 ويردّها بعضهم . حتى ظهر جالينوس فناقضه عليها وأفسدها وأحرق ما وجد
 منها . وأبطل هذه الصناعة . واقريطن الملقب بالمديني ، وامافيسوس .
 وخاركانانس . واوريباسيس ، ومارلطس . وغافولوس ، وبارقس :
 ورغالس : وهرمس الطبيب ، ويولانس ، وماخوراخناس . وهؤلاء
 الاثنا عشر طبيباً أولهم اقريطن يعرفون بمعاضدي بعضهم بعضاً في تأليف
 الأدوية لمنفعة الناس تشبيهاً لهم بالبروج الاثني عشر . وفلس الحاقدون^(٣) ،
 المنتب بالقادر : فإنه كان متجرباً على العلاجات الصعبة في الأمراض الشديدة
 يشفيها ولا يخطيء له علاج . وديمقراطيس الثاني الطبيب ، وافروسيس :
 وانكفطراطس ، وافروذيس ، وبطلميوس الطبيب ، وسقراطس الطبيب ،
 ومارفس الملقب بعاشق (٢٠) العلوم ، وسواريس^(٤) ، وثياذريطوس الملقب
 بالشاعر ، وفورلس قادح العين ، وذياسقوريدس العين زربني^(٥) ، صاحب

(١) غ : بجلي . وانسبة ال منهج الحيل في الطب .

(٢) غ : يفتر - وبصح أيضاً بمعنى يحملهم ينسلخون عن .

(٣) ك : الحاقدون (بلقاء المهلة كما هي مضبوطة في المخطوط) .

(٤) ك : سوزس . م : سوريش .

(٥) غ : العين زوبى . وهو منسوب إلى عين زوب ، بلدة في سوريا بالقرب من طرسوس (في
 قيليقية) وازدهر في منتصف القرن الأول الميلادي ،

(٦) وله حوالي سنة ٣٢٥ في برغامون وتوفي في ستهل القرن الخامس ، وكان صديقاً لـ يوليوس

النفس الزكية ، النافع للناس المنفعة الجليلة ، السائح في البلاد ، المقتبس لعلوم الأدوية المفردة من البراري والجزائر والبحار ، المصور لها ، المُعَدِّدَ لمتافعها حتى إذا صَحَّتْ له بالتجربة ووجدها غير مختلفة أثبتتها وصورها . وعنه أخذ جميعُ مَنْ جاء بعده . وبه تقوَّوا على سائر ما يحتاجون إليه من الأدوية المفردة . وللادفوس المفسر لكتب بقراط ، وقلاوبترا (X) : امرأةٌ طبيبة ، وجالينوس أخذ عنها أدوية كثيرة وعلاجات شتى خاصة في أمور النساء . واسطاساذوس (+) ، وسورانوس الملقَّب بالذهبي ، وإيراقليس ⁽¹⁾ الطرابطي ، وأرويمس الملك ، وسياروس الفلسطيني ، وغالس الحمصي ، وكسانوقريطس . . . ، ومرطانس ، وذويجانوس الطبيب الملقَّب : بالقرايبي ، وذوالس الكحال ، واسطاساذوس (+) البلاذي ، ومقراطيس الجوارشي ، ولاون ، وأرسوس الطرسوسي ، وعي الحراني ، وموذيوس ⁽²⁾ الأثيني ، وإيراقليس ⁽³⁾ المعروف بالهادي ، وبطروس بن مارس ، وفرداذس الفاصد ، وثافراطس العين زربي ⁽⁴⁾ ، وانطيماطروس المنسي المعروف بالعين . وأريوس المعروف بالمُضَادَّ . وفيلوس الطرسوسي الذي له معجون القلونيا . وغانسواص المصري ، وطوطوسوس الاسكندراني ، ووالس ، وسقورس الملقَّب بالمطاع لأن الأدوية كانت تطاوعه فيما استعمله . وثانون ، وإيران الحراني . وجميع هؤلاء أصحابُ أدوية ⁽⁵⁾ مركبة . وجالينوس

الموتد ، وكتب دائرة سارف طبية في سبعين مقالة ، لم يبق الا ثلثها ومختصرها . وقد نشر ما بقي من مؤلفاته بوساكر ودابيرج في ٦ مجلدات ، باريس سنة ١٨٥١ ، سنة ١٨٧٦ في مجموعة الأطباء اليونان واللاتين .

(X) . ك . م . : وفلا ونطوا .

(+) م . ك : اسقاساذوس

(. . م) م . ك : كسانوقريطس .

(١) م . ك : سوففوس

(٢) ك . م . غ : إيراقليس .

(٣) غ : إيراقليس . وبدون نقط في م .

(٤) غ : العين زرقى .

(٥) ك : الأدوية المركبة .

أخذ منهم كتب في الأدوية المركبة ، وعن الذين كانوا قبلهم ميمن سميتهم
أولاً مثل أبولوسوس وأرشيجانس^(١) وغيرهما .

ومن كان في هذه الفترة من الفلاسفة : زينون الكبير ، وزينون الصغير ،
وأقراطس^(٢) المنطقي ، ورامون المستوفي ، واغلوqn النصيبني ، وسقراط ،
وذيمقراط ، وأرسطوطيلس وثاوفرسطس ابن أخته ، وأوذيموس ، وقافانس ،
واخروسيس . وذيوجانس الكلبي ، وفيلاطس : وفيماترس ، واسقليوس
(٢١) وأرسيس^(٣) الرومي معلم جالينوس ، واغلوqn المحب لجالينوس ،
والاسكندر الملك ، والاسكندر الافروديسي ، وطاسلوس^(٤) الاسكندراني ،
ومولوموس الاسكندراني ، وفرفوريس الساورى ، وابرقلس الافلاطوني ،
واسطافانس المصري ، وسحس ، ورامس .

ومن وفاة جالينوس ، وإلى سنة تسعين ومائتين للهجرة فالأطباء المذكورون
في هذه الفترة : اسطفن ، وجاسيوس ، وانقيلالوس ، ومارينوس — هؤلاء
الأربعة الاسكندرانيون ، وهم الذين فسروا كتب جالينوس وجمعوها
واختصروها وأجزوا القول فيها . وطيماترس الطرسوسي ، ومفينس
الاسكندراني ، واصطفن الحراني ، وسموأي^(٥) الملقب بالهلل لأنه كثير
الملازمة لمتزله مشتغلاً بالتأليفات . وارساسيوس^(٦) ، وفولس . ، وارساسالوس
القوابلي ، لأن القوابل كن يشاورنه في أمور النساء ، وذياسقوريدس الكحال ،
وماقالس الاثيني ، وافروسطس الاسكندراني ، ونيطس الملقب بالمجبر ،

(١) Archigenes = ارشيجانس

(٢) Cratyle = أقراطس

(٣) نذ : ارسيس . م : ارمينس .

(٤) نذ : م : طالينوس .

(٥) نذ : م : سموي .

(٦) م : ك : ارپارس

(٥) = Paulus of Aegina (615-690)

وكان من الخذاق في سائر صناعات الطب . ومارسيوس الرومي الذي قدم الاسكندرية فصار واحداً منهم . وايرون ، وورماتك .

ومن الفلاسفة المذكورين ثامسطيوس ، وفرفوريوس الصوري ، وبحيى النحوي ، وفرايوس ، وانقلاوس ، واومينوس^(١) ، وفولوس ، وافروطرخس ، وادولس^(٢) ، وماغار العين زربي ، وساروس الاثيني ، وادني الطرسوسي .

فجملة السنين من وقت اسقليوس الأول إلى سنة ست وتسعين ومائتين للهجرة : ألف وثلاثمائة وسبع عشرة سنة . فأما ابراهيم وموسى عليهما السلام ! — فإنهما بين السنين التي بين أفلاطون الطبيب واسقليوس الثاني : والمسيح — عليه السلام ! — بين السنين التي بين بقراط وجالينوس . من ابراهيم — عليه السلام — إلى موسى عليه السلام : خمسمائة وخمسين سنة . ومن ابراهيم إلى المسيح ألفان وخمسون سنة . ومن ابراهيم إلى سنة تسع^(٣) ومائتين للهجرة ألفان وتسعمائة وثلاثون سنة (٢٢) من موسى إلى المسيح ألف وخمسمائة وستون سنة . من موسى إلى سنة تسعين ومائتين للهجرة ألفان^(٤) وأربعمائة وأربع وثلاثون سنة . من المسيح إلى سنة تسعين ومائتين للهجرة^(٥) ثمانمائة وأربع وسبعون سنة . ومن اسقليوس الأول إلى ابراهيم ثلاثة آلاف وثلاثمائة وثمان وسبعون سنة . من المسيح إلى جالينوس سبعة وخمسون سنة . والله أعلم .

(١) ك : امرسوس . م : أمروس .

(٢) ك : واويزيم . م : واويزيس .

(٣) كذا في كل النسخ ، ولعل صوابه كما فيها بعد : تسعين .

(٤) ... ما بين الرقبين فاقص في غ .

(لئس الملتطبي)

هو أول من ابتدأ بالفلسفة ، وبه سميت فرقة من اليونانيين فلاسفة . فقد كان للفلسفة انتقال كبير . وهذا الرجل تفلسف بمصر ، وصار إلى ملطية ^(١) وهو شيخ . ولم يوجد من كلامه إلا اليسير لتقدم العهد وتطول المدة ، وهو قوله :

الحق ليس بممدوح ولكنه مستجد لأنه أرفع وأعلى من المدح . وإنما نمدح الأشياء التي تقوى أن تميل بفعلها مرة إلى الخير ، ومرة إلى الشر . وقال : رأس الفضائح : اليمين ، وإن صدق صاحبها فإنها تعيبه ، والشتيمة من العي ، والغضب من ضيق الفكر ، والتندم على ما فات من الفعل . وقال : من عمل في السر عملاً يستحي منه في العلانية ، فليس عنده قدر . وقال : إن الذي لا نحس فيه نفساً ناطقة ، وإنما نحس بأنه لايس بدنأ ميتاً فقط فإنه بهيمة ، ويجب أن يكون شأنه ما يفعله البهائم . فأما الذي نحس بأن فيه نفساً ناطقة غير مائة فليس بالواجب أن يكون شأنه ما تفعله البهائم ، لكن الواجب عليه أن يمثل أفعال الله تعالى .

وقيل له : ليم صار الذين يفعلون الشر إنما يعاقبون على أفعالهم من دون

(١) ك : ملطية .

الذين يَتَنَوُّونَ فعلَ الشر ؟ فقال : مِن قَبْلَ أَنَّهُ إِنَّمَا مَا قَصِدُ بِالْإِنْسَانِ لَا لِأَنَّهُ لَا يَتَفَكَّرُ ، لَكِنْ لِأَنَّهُ لَا يَفْعَلُ الرَّدِيءَ مِمَّا يَتَفَكَّرُ فِيهِ .

وقيل له : أَيُّ الْحَيَوَانَاتِ لَا يَشِيْعُ ؟ فقال : الْإِنْسَانُ الَّذِي ^(١) يَرِيحُ .

وقال : الْكَبِيرُ الْهَمَّةُ الَّذِي يَكُونُ عُنْفُ النَّاصِحِ عِنْدَهُ الْطِفَ مَوْقِعاً مِنْ لَيْلِ الْمَلِكِ الْكَاشِحِ .

وقال : إِذَا وَعِظْتَ مُذْنِباً فَرَقْتُ بِهِ ثَلَاثَ مَخْرُجَاتٍ إِلَى الْمَكَاشِفَةِ .

وقال : كُونُوا مِنَ الْمُسِيرِ الْمُوْغِيلِ أَخَوْفَ مِنْكُمْ مِنَ الْكَاشِفِ الْمَعْلِينِ .
لِأَنَّ مَدَاوِةَ الْعِلْلِ (٢٣) الظَّاهِرَةَ أَهْوَنُ مِنْ مَدَاوِةِ مَا اسْتَخْفَى وَبِطْنِ .

(٣) وقال : مَن سَقَاكَ الْمَرْءَ لَتَبَرَأَ أَشْفَقَ عَلَيْكَ مِمَّنْ أَوْجَرَكَ الْحُلُوْ لَتَسْغَمَ
وَمَن خَوَّفَكَ لِتَأْمَنَ أَبْرَأَ بِكَ مِمَّنْ آتَسَكَ حَتَّى تَخَافَ .

وقيل له : أَخْرِجْ هَذَا الْغَمَّ مِنْ قَلْبِكَ ! فقال : لَيْسَ بِإِذْنِي دَخَلَ .

وَسُئِلَ عَنْ حَالِهِ بَعْدَمَا هَرَمَ ، فَقَالَ : هُوَذَا أَمُوتَ عَلَى مَهْلٍ .

وقال : إِنْ الْقَوْلَ الَّذِي لَا مَرَدَّ لَهُ هُوَ أَنَّ الْمُبْدِعَ ، وَلَا شَيْءَ مُبْدَعٍ .
أَبْدَعَ الَّذِي أَبْدَعَ وَلَا صُورَةَ لَهُ عِنْدَهُ بِالذَّاتِ : لِأَنَّ قَبْلَ الْإِبْدَاعِ إِنَّمَا هُوَ
فَقَطْ . وَإِذَا كَانَ إِنَّمَا هُوَ فَقَطْ ، فَلَيْسَ يَقَالُ حِينَئِذٍ جِهَةٌ وَجِهَةٌ . بَلْ هُوَ وَكَيْفَ
هُوَ ، وَمِمَّا هُوَ ، وَعَلَى مَا هُوَ دَاخِلٌ فِي هُوَ هُوَ . وَالْإِبْدَاعُ إِنَّمَا تَأْيِيسٌ ^(١)
شَيْءٌ مِمَّا لَمْ يَكُنْ . وَتَأْيِيسُ الشَّيْءِ إِذَا أُيِّسَ لَيْسَ يَكُونُ حِينَئِذٍ نَحْوَ ذَاتِ الْمُؤْيِّسِ :
بَلْ نَحْوُ مَا هُوَ خَارِجٌ مِنْهُ . فَلَا مَحَالَةَ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لِذَلِكَ التَّأْيِيسِ صُورَةً أَلْبَنَةً :
وَالْإِلَّا فَلَيْسَ هُوَ مُؤْيِّسٌ . فَإِذَا كَانَ هُوَ مُؤْيِّسَ الْأَشْيَاءِ ، فَالْتَّأْيِيسُ لَا مِينَ

(١) يَح : لَا يَرِيحُ .

(٢) م ، ك : حَتَّى تَأْمَنَ .

(٣) التَّأْيِيسُ = التَّوْجُودُ ، الْمُؤْيِّسُ = الْمَوْجِدُ ، الْمُبْدِعُ . أَيْسَ مَعْ أَوْجَدَ .

شيء تقدم ، ولا شيء إنما هو أيسر ولا مايس . فإذا كان كذلك فمؤسس الأشياء ليس يحتاج أن تكون عنده صورة الشيء بأبسته ؛ وإلا فقد يلزمه ، إن كانت الصورة عنده (+ أن يكون مقارناً للصور التي عنده ، لأن من كانت الصورة عنده +) ، قائمة منفصلة ؛ فلا محالة أنه مقارن لتلك الصور المبدع الأول إذا بلغت إلى ما لا غاية بعده فإنه لا يلزمه أن تكون الصور عنده ، وإلا فليس هو مبدع .

(١)

انقسامانس الملطي

ثم كان بعده انقسامانس الملطي . فمما روى عنه قوله :
الزمان مغير العالم .

وقال : ما أحسن بالإنسان وأجمله وأكله أن يكون طاهراً في نفسه ، زكياً في آله عند دنوه من تعاليم الأدب وطلب الحكمة ، لتكون فكرته خالية من الفكر القبيحة الشاغلة العائقة عما يريد من الأدب ، وليكون قوله ، إذا خرج منه ، بيتاً واضحاً حسناً كالماء الصافي المأخوذ من عين صافية ، لأن حب النساء وشهوة الإناث هي غاية منافع الفساق^(١) وذخائر الإثم للفجّار .

وقال : ينبغي لنا أن ننظر في الحكمة ونمرتها بالمرأة النقية . ثم تفكر بعدُ فيما يجب أن نهتم به^(٢) فلما قد رأينا الناس إذا خافوا اللاتمة (٢٤) وتجنبوا الإثم لزمهم الهم والخسرة ورأينا أضدادهم يفرحون في الحالات كلها ،

(١) غ : أنفستانس .

(٢) م ، ك : المشاق .

(+ ... +) ما بين العلامتين ناقص في غ .

(٣) غ : لما .

ويتربون في المراتب ويتمجبون منهم وهم لا يدرون بذلك لأنهم لما رأوا العقلاء مهتمين آسفين مشاغلين مفكرين في صلاح أنفسهم وما يصلح لهم في (١) معادهم بعد مفارقة هذا البدن ، ورأوا أنفسهم قد فرغت ولزمتها الرأس ، ظنوا أنهم هم الأفاضل السعداء ، وأن هؤلاء هم الأخسَاء الأشقياء ، وذلك انحلال بصّره عن تأمل هذا العالم الذي يحتاج أن يتأمل بنظر لطيف . ورأى غلاماً يتقدم إلى مصوّر بتبته صورته به ، فقال : ما أشدّ حرصك على ألاّ تبته صورتك !

أنكساغورس

ثم كان بعد انقسامانس الملطي : أنكساغورس . وقد ملأ الحكيم (٢) كتبه بأقواله وآرائه ومذاهبه والردّ عليه فيما لم يوافقه عليه . وكان يأخذ نفسه بالتعسف ، ويسومها الشدائد من مقاساة البرد والجلد والتلج عرباناً حافياً على كبره وضعفه . فقيل له في ذلك فقال : لأن نفسي سريع المرح فاحش الأثر ، فأخاف أن تجمع بي فتورطني في أمواتها المذمومة . فما لي لا أجعلها تحتي ، دون أن أكون تحتها ؟ ! ولِمَ لا أحملها على الشدائد دون أن تحملني على القواحش ؟ !

وكان في مدينته هيج وهرّج واختلاط لبعض الحوادث ، والفيلسوف ساكن قاراً . فقال له بعضهم : أما تتحرك لهذا الهيج ؟ فقال : لو رأيتم مثل هذا في النوم ، أكنتم (٣) تتحركون له في البقطة ؟ ! فكذلك لا يقلقني هذا الذي رأيت إذا رجعت إلى صحة الرأي ، لأن أمور العالم كلها كالنحلّم ، وصحة

(١) في : ناقصة في ك .

(٢) الحكيم = أرسطوطاليس .

(٣) ك ، م ، غ : كنتم .

الرأي كالقطة .

وخاصته (١) امرأته ، ومكث (٢) طويلاً يسمعها وهو محتلم منها ساكت لا يجيبها بشيء ، فلما بلغ منها الغيظ أخذت غسالة ثياب كانت تغسلها فصبتّها على رأسه وعلى كتاب كان في يده . فرفع رأسه إليها وقال لها : أمّا إلى هذه الغاية فكنت تبرقين وترعدين . وأمّا الآن فقد (٢٥) أمطرت . ومراً برجل عريض عبث (٣) فشنمه وأفحش عليه ، فأعرض عنه الفيلسوف فقيل له : لِمَ لا تمتعض من كلامه ؟ فقال : لأني لا أتوقع أن أسمع من الغراب هدير الحمام ، ولا من الكُرْكِي تغريد القُمْرِي . فكما أنّي لا أسمع من الطير إلاّ الصوت الذي يشبهه ، كذلك لا أمتعض إذا سمعت من الإنسان ما يشبهه .

وقال : ليس ينبغي لك أن تعدد أمور الحكمة بين يدي كسلان ، وذلك كما أن البهيمة إنما تحسّ من الذهب والجواهر بثقلهما فقط ولا تحسّ نفاستهما ، كذلك الكسلان إنما يحسّ من الأمور الحكيمة بثقل التعب عليه منها ولا يحسّ بنفاستها .

وقال : الحزن (٤) عارضٌ من فقد المحبوب وفوت المطلوب .

(٥)

أرمالوس بن ابولودرس

ثمّ كان بعد انكساغورس أرمالوس بن ابولودرس من أهل ألبانية . ولم يحفظ من كلامه غير قوله : لا تلبسوا اللثام ملابس الحكيم ، فإن أجسادهم أوحش من أن تتزين بيرودها ، ورقابهم أقبح من أن تتحلّى بعقودها .

(١) غ : خاصته .

(٢) غ : مكث ... يسهل .

(٣) غ : خبيث .

(٤) غ : الحزن .

(٥) م ، ك : أرمالوس بن ابدلورس .

وهؤلاء الفلاسفة بعضهم كان تالياً لبعض ، وبهم استكملت فلسفة اليونانيين ، التي كان مبدؤها ومنشؤها من الرجل الذي يقال له : ناليس الملطي .

فيثاغورس

كان من العلماء الزهاد في الدنيا . وذُكِرَ عنده يوماً المال ، فقال : ما حاجتي إلى شيء أعطاه ^(١) البخت والحظ ، ويحفظه عليّ اللؤم والشح ، ويهلكه السخاء والبذل ! ولما حضرته الوفاة في الغربة جعل أصحابه يتحزنون على موته في غير بلاده ، فقال : يا معشر الأصدقاء ! ليس بين الموت في الغربة وبينه في الوطن فرق . وذلك أن الطريق إلى الآخرة واحدٌ من جميع المواضع . وأهدى إليه ملك هديةً ، فردّها . فسأله عن ذلك فقال : لأن بذل الموجود وترك طلب المفقود يكونان عن فقر غير ^(٢) النفس وشحّها . فلم أحب أن يسخو وأشح ، ويتغنّى وأفقر . ودعا جماعة من أصدقائه إلى طعامه ، فصادف خادمه قد نهاون بالأمر ولم يُعِدْ شيئاً مما يحتاج إليه . وحضره القوم (٢٦) فلم يغضب ولم يمتعض ، لكنه ضحك وقال : لقد استغفنا اليوم ما هو أفضل مما اجتمعنا له ، وهو كظم الغيظ ، ومِلْكُ الغضب ، والظفر بالصبر ، والتحصن بالحلم .

وأناه تلميذٌ له يتعذر إليه من تقصيره في خدمته فقال له : لا تجمع عليّ الضرر من جهتين : تمنعني نفسك ، وتشغلني عن الذي أحتاج إليه وإلى النظر

(١) م ، ك : أعطاه بالبخت .

(٢) كذا في ك ، غ . م : عن غير فقر النفس وشحّها - وقد يكون صوابه : عند .

والفكر فيه ^(١) .

وسُئِلَ عن الحكمة فقال : علم حقائق الأشياء الموجودة بحالٍ واحدة أبداً .
وكانت سيرته أن يقول : ينبغي للمرء أن يكون حسن الشكل في صغره ،
وعفيفاً عند ادراكه ، وعدلاً في شبابه ، وذا رأى في كهولته ، وحافظاً
للشئ عند كبره ووقت فثائه ، فلا تلحقه الندامة بعد الموت .

وأراد أن يعظ الناس ويوبخهم على تباهيهم بالعلم . فصعد موضعاً عالياً
وصاح : « يا معاشر الناس ! » . فلما اجتمعوا قال : « إني لم أدعكم ،
بل ^(٢) دعوتُ الناس » .

وقال أيضاً : خذوا أنفسكم من الشريعة بثلاثة أشياء : ترك اللجاج
والغضب ؛ واهجروا كثرة الأكل ؛ ولا تناموا الكثير .

وقال لتلميذ له يتهاون بالتعلم : أيها الحدّث ! إنك إن لم تصبر على
نعب التعلم ، صبرت على شفاء الجهل .

وقال : علّموا أبناء الفلاسفة الأعداد والأشكال ، ليعرفوا من الأعداد
كيف انحرف الأشكال وخروجها من الاستقامة .

ومن أجل ذلك كان أفلاطون ينادي : « لا يدخلنَّ في الفلسفة شابٌّ
لم يعرف التعاليم الأربعة » .

وقال ^(٣) : إذا فعّلتَ الخيرَ ، ثم فارقتَ هذا البدنَ ، كنتَ سائحاً في
الملوكوت غير عابرٍ إلى الإنسية ، ولا قابلاً للموت .

(١) غ : انظر فيه والفكر .

(٢) غ : ادعكم فادعوت الناس (!)

(٣) أي فيأغورس .

وسئِلَ : ما الذي يَهْدُ الرجلَ وينهكه ، فقال : الغضب والحد .
وأبلغ منهما الهم .

وقال : لا تطلبنَ من الأشياء ما يكون بحسب محبتك ؛ ولكن اطلبِ
منها ما هو محبوبٌ في نفسه لصحته وصوابه .

وقال : إن أردت أن يطيب لك عيشك ، فارُضْ بأن يقال إنك عديم
العقل^(١) ، بدلاً من أن يقال إنك عاقل ؛ فإن الناس أعداء مَنْ يخالفهم .

وقال لابنه : إذا دعوت ابنك أو غلامك أو خادمك ، فأخْطِرْ ببالك
طاعةً من تدعو وعصياناً ، وإنه يمكنه (٢٧) أن يطيعك أو يعصيك لتكون
من رأيك على صحة وثقة ، ومن أمورهم على معرفة لتلاّ تجعلهم سبباً لتكدير
حياتك .

وقال : روضوا النفس بالأحلام ، لأن كثيراً من التلامذة إذا سهروا
استرّت منهم أنواعٌ من العلوم ، وإذا ناموا حلّموا بها .

وسئِلَ عن اللذة فقال : ليس كل لذيةٍ ينافع ، وليس^(٢) كل نافعٍ
لذيداً .

وقال : ينبغي للرجل أن يحسن خلقه مع أهله في كل وقت ؛ وبخاصة
عند الصنيع لتلاّ يقصروا في تحميله عند إخوانه .

وسئِلَ عن النوم فقال : راحةٌ من التعب ، وملاءمةٌ للموت .

وقال : النوم مدته خفيفة ، والموت نومٌ طويل .

وقال : التعب^(٣) في الحكمة وتعلم الأدب أكاليل وتيجان تصاغ من

(١) م ، لك : عديم عقل .

(٢) م ، لك : ولكن كل نافع لذية .

(٣) م ، لك : التعب في الأدب وتعلم الحكمة أكاليل وتيجان تصاغ في جوهر .

جوهر البيان ، وتوضع على رؤوس المحبين لها . فلناظرون إليها يمدحون ، والمعلمون يفرحون ، والتلامذة يقلون ويكثرّون ، والجهال يحسدون ويتعذّبون .
وقال : الصورة ذكّر ، والميولي أنثى ، والطبيعة لا ذكر ولا أنثى .
وقال : إذا كان الفناء يأتي على كل شيء ، فالموت واقع بكل حيّ ،
وقد وقع الكون مع الفساد ، فالطمأنينة إلى الأمن غرور .

وقيل له : من أنت ؟ وما أنت ؟ فقال : أنا من حيث أنا « من » فأنا
ملكك ، ومن حيث أنا « ما » فأنا طينة ، ومن حيث اختلاط « من »
« ما » فأنا إنسان . ومن حيث تصفية الأخلاط فأنا ربّ . وهذا مجموع من
كتا إيامبليخس^(١) لتبيين وصايا فيثاغورس المعروفة « بالذهبية » ، (و)
التي يقال إن جالينوس الفاضل كان يقرؤها كل يوم . غدواً وعشيّة تعظيماً
لها وأخذاً بها .

(وصايا فيثاغورس الذهبية)

قال فيثاغورس :

أول ما أوصيك به ، بعد تقوى^(٢) الله ، تبجيل الذين لا يحلّ بهم الموت
من الله تعالى وأوليائه ، وإكرامهم بما توجه الشريعة . وتوقّيّ اليمين . ثم
أوصيك بامثال ذلك^(٣) في خدمة الباصرين في مذاهبهم .

• حدثتنا اضطراب في أوراقك ، وانتلاوة في بدء الكراسة الخامسة .

(١) . غ : انا ملخص . والمقصود شرح إيامبليخوس Iamblique على الوصايا الذهبية
المنسوبة إلى فيثاغورس ، والتي نشرنا نصّها العربي في تحقيقنا لكتاب « جازيدان خرد »
لمسكويه ، القاهرة ، سنة ١٩٥٢ . ويوجد من شرح إيامبليخوس هذا نسخة في مخطوطة
بكتابخانه مجلس شوراي مل ايران ، في طهران .

(٢) بعد تقوى الله : ناقصة في ك ، م .

(٣) ك ، م : ذلك في الإلهين .

وأوصيك أيضاً بتبجيل عمّار الأرض ، بفعل ما توجبه الشريعة في إكرامهم .

و^(١)أوصيك باكرام سَلَفِكَ وأقربائك :

وأوصيك أن تتخذ من سائر (٢٨) الناس أفضلهم صديقاً ^(٢) ، لتكون صديقاً للفضيلة ، وأن تُلِّينَ له جانبك في الكلام وفي الفعل ، ما أدّاه ذلك إلى المنفعة . ولا تستفسد صديقاً خفوة تكون ^(٣) منه ما أمكنك . على أن الإمكان قريبٌ من الضرورة . فهذا أوّل ما ينبغي أن تعلمه .

ثم ينبغي ^(٤) أن تتعوّد ضبط نفسك عن هذه الأشياء التي أنا ذاكرها ^(٥) أولها : أمر بطنك وفترجك ، والغضب ، والنوم ^(٦) .

واحذر أن ترتكب قبيحاً من الأمور في وقت من الأوقات ، لا على خلوّة ولا مع غيرك . وليكن استحيائك من نفسك أكثر من استحيائك من كل أحد . ثم ينبغي لك أن تلزم نفسك الإنصاف في كلامك وفِعْلك : ولا تحملنّ نفسك على ارتكاب أمرٍ من الأمور بلا تمييز ، بل اعلم ان الموت حالٌ لجميع الناس لا محالة .

وأما المال ، فليكن قصدك فيه اكتسابه في حال ، وإتلافه في حال ^(٧) آخر .

وما قد يتال الإنسان ^(٨) من الأشياء المؤذية بالأسباب السماوية ، فاصبر

(١) م ، ك : ثم .

(٢) م ، ك : صديقاً في الفضيلة وأن ...

(٣) تكون : ناقصة في ك ، م .

(٤) م . ك : قد ينبغي لك .

(٥) غ : أنا أذكر .

(٦) م ، ك : وغضبك ونومك .

(٧) غ : في حال . م ، ك : في آخر .

(٨) غ : الناس .

على ما ينوبك منها من غير أن تتذمر بل تروم مداواتها بقدر طاقتك . وينبغي لك أن تعلم أن ما ينوب الأخيار من الناس من هذه الأشياء ليس بالكثير .

وإذا سمعت من كلام الناس الكثير : جیده ورديته ، فلا تمتعض منه ، ولا تحمِلَنَّ نفسك على الامتناع من استماعه . وإن سمعت كذباً فهوَنَ على نفسك الصبرَ عليه .

وما أنا قائله فأجُرْ أمرَك عليه في كل ما تستعمله : لا يحملنك أحدٌ ، لا بكلام ولا بفعال ، على أن تفعل ما ليسَ بِجَمِيل ولا تنفُوهُ به . وروَّ قبل الفعل ، كي ^(١) لا تعاب في فعلك . واحذر أن تقول ^(٢) أو تفعل ما يستجهل منك ، بل إنما ينبغي أن تقتصر فيما تفعله على ما لم يَعدُ بالضرر عليك . ولا تفعل فعلاً وأنت جاهل به ، بل تعرَّف في حال ^(٣) وفي كل واحد من الأفعال ما يجب أن تفعله ، فإنك حينئذ تُسرُّ بمعاشك . ولا ينبغي لك ^(٤) أن تمهل أمرَ صحَّة بدنك ، لكن ^(٥) تعني بالقصد في الطعام والشراب وأسباب الرياضة وإنما أعني بذلك ^(٦) القصد : ما لم يضر . وعود نفسك أن (٢٩) يكون تدبيرك تدبيراً نقيّاً غير مضطرب . واحذر أن تفعل ما يجلب عليك الحسد . ولا تتكُنَّ ^(٧) متلاًفاً بمنزلة مَنْ لا خير له بقدر ما في يده . ولا تكن يضاً شحيحاً فتخرج عن الحرية ، بل ^(٨) الأفضل في الأمور كلها هو ^(٩) القصد

(١) غ : كيما لا .

(٢) م ، ك : تفعل أو تقول .

(٣) م ، ك : تعرف ما يجب في كل واحد من الأفعال .

(٤) ك : ناقصة في ك ، م .

(٥) م ، ك : كل .

(٦) غ : بالقصد .

(٧) م ، ك : ولا تكونن .

(٨) م ، ك : والأفضل .

(٩) هو : ناقصة في ك ، م .

فيها . وليكن ما تفعله ما ^(١) لا يعود بالضرر عليك ^(٢) . واستعمل الفكر قبل العمل . ولا تساعدنَّ عينيك على النوم قبل أن تتصفح كلَّ واحدٍ من الأفعال التي فعلتها في نهارك أجمع ^(٣) ، فتقف قبل نومك في الموضع الذي تجاوزت فيه ما ينبغي أن كنت فعلت ذلك عما زُلَّت إن كنت زُلَّت وعلى ما فعلته ممَّا كان يجب أن تفعله ، وما كان يجب أن لا تفعله ففعله وما ^(٤) كان يجب ألا تفعله ويتصل ألا تفعله فلم تفعله ^(٥) وابدأ من ذلك من أول ما فعلته ، وأجرُ تفقدك فيه ^(٦) إلى آخر ما فعلته . فمَنى كنت قد أتيت مكروها ، فليذهرنك ^(٧) ، ومَنى كنت قد أتيت رضىاً ، فليبهجنك . فعل ^(٨) هذا فليكن حرصك ، وفيها دؤوبك ، وإليها فاصرف همتك ^(٩) ، فإنها توطئ لك ما يريك إلى الفضيلة الإلهية .

إي والذي وهب لأنفسنا الينبوع ذا الأربع من الطبيعة التي لا تتغير ! متى التمت فعلاً من الأفعال فابدأ بالابتهاك إلى ربك بالنجح فيه ، فإنك إذا لزمته ذلك ^(١٠) ، ولم تخالف هذه الوصايا ، وقفت على كنه ما يجري عليه الأمر ^(١١) في تدبير الله تعالى وأوليائه ؛ وفيما : معشر الناس ، ما منه زائل في الواحد بعد الواحد ، وما منه ثابت . وعلمت ما قدر من مجرى الطبيعة في كل شيء على مثال واحد كيما لا ترجو لها ما لا يُرجى ولا

(١) ما : ناقصة في ك .

(٢) عليك : ناقصة في ك .

(٣) م ، ك : أجمع ثلاثاً بثلاث فتقف على الموضع الذي زلت فيه عما زلت ، وعلى ما فعلته ،

(٤...٤) ما بين الرقين ناقص في غ .

(٥) غ : تفقد له ذلك إلى ...

(٦) م ، ك : فليزهرك .

(٧) م ، ك : ففي هذه الأشياء فليكن اجتهدك ودؤوبك .

(٨) م ، ك : بهجتك .

(٩) ذلك ولم تخالف : ناقص في ك .

(١٠) ك ، م : في الله وفي أوليائه .

يذهب عليك أمر من الأمور ^(١) . وعلمت أن الناس بشقاء جدهم الذي اختاروه لأنفسهم بإرادتهم في حدّ من يرثي لهم ، إذ كانوا مشرفين على الخيرات وهم لا يقفون عليها ولا يتفقدون أنفسهم ^(٢) فيما بلّوا به ، فإن انشاذ من الناس يتبيها له استقاذ نفسه من الشرور . وإنّ ما بلّوا به من ذلك هو الذي يقدح في قلوبهم ^(٣) وأذهانهم ، فهم يتقلّبون في الشر ^(٤) ، بمنزلة ما يتدحرج في الأوقات المختلفة إلى آفات مختلفة وإلى أحوال مختلفة ، فيقومون في شرور لا إحصاء لها . وذلك أن الشرّ الملازم للغريزة نجته ينكبيء ، وهو (٣٠) لا يشعر ، وقد ينبغي أن لا يساعّد ، بل يهرب منه باظهار الاستخذاء له .

بأيّتها الأب الواهب للحياة ! حقاً أقول إنك لقادر على أن تدفع عنهم بلايا كثيرة إن ظهرت هم السكينة التي جعلتها فيهم . لكنك أنت ، أيها الإنسان ، ينبغي لك أن تشجع فإنه إذا كان في الإنسان جنسٌ إلهي ، فالطبيعة الإلهية تقوده إلى الوقوف على كل واحد من الأشياء التي إن نِلت منها حظاً من الحفظ وانزمت ما أشير به عليك ، وشفيت نفسك من هذه الأوصاب ^(٥) والأضغاث - نجوت سالماً . لكن اشبع من الأطعمة التي ذكرناها ، واجعل امتحانك لما بتركية النفس وحلّ أسرها من جسدها ^(٦) . ونخبّر الناس بما تقف عليه في واحد واحد . واجعل القيسم المشرف على ذلك التمييز الصحيح ، فإنك عند ذلك إذا فارقت هذا البدن حتى تصير مُخْلِياً في الجو ، تكون حينئذ سائحاً غير عائد إلى الإنسانية ولا قابل للموت . والسلام ! تمت ^(٧) الوصايا .

(١) ولا ... الأمور : ناقص في غ .

(٢) ك ، م : حسا .

(٣) م ، ك : في أذهانهم فهم ...

(٤) في الشر : ناقص في ك ، م .

(٥) غ : الاحباب . م ، ك : الحفظ انزمت ... ونجوت .

(٦) من جسدها : ناقص في م ، ك - م ، ك : وغير لواحد ما - تقف عليه من ذلك واجمل ...

(٧) والسلام : ناقصة في ك . تمت الوصايا : ناقصة في غ .

وقيل له : كيف نقول : بقدر ما نعلم نطلب ، أم بقدر ما نَطْلُبْ نعلم ؟ فقال : نقول : إن الطلب يتقدم العلم ، لأننا نطلب أن نعلم . فإذن قال قائل : أفيمكن الطلب بعلم ، أم بلا علم ؟ نقول : يكون الطلب مع علم جزئيّ يراد به إدراك العلم الكلّي ، فنطلب بالجزئيّ الكلّي ، وبالشخص : الصورة . ويقدر الطلب يكون إدراك العلم . ولو تقدم العلمُ الطلبُ لبطلَ الطلب ، لأننا إذا علمنا لم نحتاج إلى الطلب .

« قال^(١) فيثاغورس : اعلم أنك ستعارض بأفكارك وأقوالك وأفعالك . وسيظهر لك في كل حادثة فكرية أو عملية صورةً روحانية أو جسمانية . فإن كانت الحركة شهوية أو عصبية صارت مادةً للشيطان تؤذيكَ في حال حياتك ، ومحجلك عن ملاقاته النور بعد وفاتك . وإن كانت الحركة أمرية أو عقلية ، صارت ملكاً تلذُّ بمناذمته في دنياك ، وتهتدي بنوره في آخرك ، إلى جوار الله وكرامته^(٢) .

(٢)

سقراطيس الحكيم

كان حنين بن إسحق^(٣) يقول :

سقراطيس أبو الفلاسفة القدماء . وهو حكيم الحكماء . من عنده وردت الفلسفة ، وعنه صدرت الحكمة . له الأمثال السائرة ، والفوائد الغامرة . كلامه في القلوب كنسيم الرياح عند المهبوب ، وكالراحة للمكروب . وأثره في الخواطر والعقول كأثر الماء في الهواجر .

(١...١) هذه الفقرة موجودة في قطعة ورق طيارة بين ص ١٥ و ص ٢٦ من المخطوط غ . ولا توجد في سائر النسخ .

(٢) الحكيم : ناقصة في ك .

(٣) ك : كان حنين بن إسحق يقول سقراطيس أبو... غ : قال حنين بن إسحق كان سقراطيس أبو...

وكان زاهداً ورعاً ، ما شبع من الخبز قط .

وكان يقول : سَوَاءٌ لِمَن أُعْطِيَ الحكمة فجزع لفقد الذهب والفضة ، وَلِمَن (٣١) أُعْطِيَ السلامة فجزع لفقد التعب والألم ! فإن ثمرة الحكمة السلامة والدعة ، وثمره الذهب والفضة التعب والألم .

وقال : القُصْبَةُ مَحْدُومَةٌ . وَمَنْ خَدَّمَ غَيْرَ ذَاتِهِ فَلَيْسَ بِحُرٍّ .

وقال : القُصْبَةُ يَنْبُوعُ الْأَحْزَانِ ، فَلَا تَقْتَنُوا .

وقال : لَا تَحْرُصُوا عَلَى اكْتِسَابِ الْقُصْبَاتِ ، فَيَتَبَدَّدُ فِكْرُكُمْ . وَاسْتَهِنُوا بِأَمْوَالِكُمْ كَيْلَا تَمُوتُوا . وَأَمِيتُوا الشَّهَوَاتِ ، تَخْلُتُوا . وَالْزَمُوا الْعَدْلَ ، تَلْزَمَكُمُ النِّجَاحَةُ .

وقيل له : مَا لَكَ لَا تَحْزَنُ ؟ فَقَالَ (١) : لِأَنِّي لَا أَقْنِي مَا يَحْزِنُنِي فَقَدَهُ .
قيل له : فَمَا لَكَ لَا تُشَاهِدُ ؟ فَقَالَ (٢) : لِأَنِّي وَجَدْتُ الْإِنْفِرَادَ بِالْخُلُوةِ أَجْمَعَ لِدَوَاعِي السَّالِوةِ .

قيل له : فَمَا لَكَ قَلِيلَ الْأَسَفِ ؟ فَقَالَ (٣) : لِأَنِّي لَا أَتَعْجَلُ الْكَائِنِ ، وَأَدْعُ الْمُمْكِنَ .

قيل : وَمَا لَكَ قَلِيلَ الْمَرْزِيَّةِ (٤) مِنَ الطَّعَامِ ؟ فَقَالَ (٥) : إِشْفَاقاً عَلَى الطَّبَائِعِ مِنْ تَضَادِّهَا .

وكتب إليه فيلسوفٌ بعاتبه وَيُعَبِّرُهُ بِقِلَّةِ الْأَكْلِ وَلِبْسِ الْمَسْوُوحِ وَاقْتِصَارِهِ عَلَى وَزْنِ سَبْعِينَ دِرْهَمًا مِنَ الطَّعَامِ ، وَيَقُولُ (له) : « أَنْتَ تَرَعِمُ أَنَّ الرَّحْمَةَ وَاجِبَةٌ عَلَى كُلِّ ذِي رُوحٍ وَكُلِّ ذِي نَفْسٍ ، وَأَنْتَ ذُو رُوحٍ وَنَفْسٍ وَتَظْلِمُهُمَا

(١) غم : ك : قال .

(٢) كذا في النسخ كلها .

بأن تقلل غذاءك وتقتصر على وزن سبعين درهماً خبزاً يابساً ، وهو غذاء طير .

فأجابه بجواب طويل محصوله : « لقد مدحتني في وجهي وهو ذم ؛ وعاتبني على لبس الخشن وقد يعيش الإنسان الفبيحة ويترك الحساء . وأنت تعيني بقلة الأكل ، وإنما أنا آكل لأعيش ، وأنت تعيش لتأكل . وبيننا في هذا الذي نقصد فرق ثم لا قليل على الإطلاق ولا كثير ، لأن كثير سقراط هو قليل هوفيقس ، وكثير هوفيقس هو قليل أوميروس الشاعر ، وكثير أوميروس هو قليل ذنياطس — ويقال إنه هو كان آكل^(١) من رُؤي من اليونانيين طفلاً^(٢) في الدنيا — وقليل سقراط عنده كثير . والسلام ! » .

وكتب إليه : « قد عرفت السبب في قلة أكلك ، فما السبب في قلة كلامك ؟ فأنت تبخل على نفسك بالمأكل ، وعلى الناس بالكلام ، فتؤثر الفقر على الغنى وقلة الكلام على انفساحة » . فأجابه بجواب طويل محصوله : « ما احتجت إلى مفارقتي وتركه على الناس (٣٢) فليس لك . والشغل بما لبس لك^(٣) عناء . وأما قلة الكلام فإن الله تعالى خلق لي أذنين ولساناً واحداً ، لأسمع^(٤) ضيعفَ ما أقول . وأنت تتكلم بأكثر مما تسمع » — ونسبه إلى الهذر والكذب .

ومرَّ به رجلٌ سمين . فقيل له : ما الذي أسمن هذا ؟ فقال : غفلته عن الأدب .

وقيل له : مَنْ أخسَرُ الناس صفقةً ؟ فقال : من باع قديم المودة بمستحدثها .

(١) أي أكثر الناس أكلًا بين اليونانيين .

(٢) طفلاً في الدنيا : ناقص في ك . — وفي م : اليونانيين نفل في الدنيا .

(٣) لك : ناقصة في ك ، واردة في م ، غ .

(٤) م ، ك : ضمني .

وقيل له : مَنْ شرُّ الناس ؟ فقال : معاونك على اتباع الهوى .

وقال : الملُك الأعظم هو أن يَنْلُب الإنسانُ شهواته .

وقال : الطبيعة أمةٌ للعقل ، والعقل عبْدٌ للمبدع الأوّل .

وسئِل : أيُّ شيء أنفع من جميع المقنيات ؟ فقال : الصديق المُخلص .

وعابه رجل من المترفين الاغنياء فقال : «لو أردتُ أن أعيش كعيشك قدردتُ عليه ؛ ولو أردتُ أن تعيش كعيشي لم تقدر عليه . وعابه بعض الأغنياء بالفقر فقال :^(١) : لو عرفت الفقر لشغلك التوجُّع لنفسك عن التوجع لسقراط .

وكان يتعلم الموسيقى على الكبير . فقيل له : أما تستحي أن تتعلم على الكبير ؟ فقال : حيائي مِنْ أن أكون جاهلاً على أنكبر أكثر .

وقال له رجل : حرَّمتَ يا سقراط على نفسك^(٢) نعيم الدنيا ، فقال : وما نعيم الدنيا ؟ قال : أكل اللحمان الطيبة وشرب الخمور اللذيذة ، ولبس الثياب الفاخرة ، واتباع المناكح الحسنة . قال (أي سقراط) : وهبتُ ذلك لمن رضي لنفسه^(٣) أن يشبه الخنازير والقردة ، وأن يشبه السباع في أن تكون بطنه مقبرة للحيوانات . وآثرتُ عمارة البدن الفاسد على عمارة الروح الباقي .

وقال : إن اللذة خناق من عمل .

ونظر إلى امرأة قد تزوّجت لتذهب إلى المدينة ، فقال لها : إني أظنُّ أن ذهابك ليس للنظر إلى المدينة ، ولكن لتنتظر المدينة إليك .

وكان جالساً عند رجل فعطش الرجل وقال لغلامه : اذهب إلى الخمّار

(١) ١٠٠٠ ما بين الرّقمين ناقص في غ .

(٢) م : ك : حرمت نفسك يا سقراط نعيم الدنيا .

(٣) م ، ن ، غ : نفسه .

فَقُلْ لَهُ أَقْبَرُضْنَا جَرَّةَ خَمْرٍ وَارْفُقْ بِنَا فِي الشَّمَنِ . فَقَالَ مَقْرَاطُ : أَحْسَنُ مِنْ هَذَا أَنْ تَسْأَلَ تَقْسُكَ أَنْ تَقْنَعَ ^(١) بِالْمَاءِ .

وَقَالَ : الرِّجَالُ أَرْبَعَةٌ : جَوَادٌ ، وَبَخِيلٌ ، وَمُسْرِفٌ وَمُقْتَصِدٌ . فَالْجَوَادُ هُوَ مَنْ أُعْطِيَ نَصِيبَ دُنْيَاهُ لِنَصِيْبِهِ (٣٢) مِنَ الْآخِرَةِ . وَالبَخِيلُ هُوَ الَّذِي لَا يُعْطِي وَاحِدًا مِنْهُمَا نَصِيْبَهُمَا . وَالْمُسْرِفُ هُوَ ^(٢) الَّذِي يَجْمَعُهُمَا لِدُنْيَا . وَالْمُقْتَصِدُ هُوَ الَّذِي يُعْطِي كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا نَصِيْبَهُ .

وَقَالَ : إِذَا كَانَ الْعَقْلُ صَحِيحًا وَالْفَهْمُ قَوِيًّا ، كَانَ يَسِيرُ التَّجَرُّبَةُ لَهُ كَثِيرًا . وَأَمَّا قُوَّةُ الْأَبْدَانِ فَإِنَّمَا جَعَلَتْ قِسْمًا لِمَنْ لَاحِظٌ لَهُ مِنَ الْعَقْلِ ، بِمَنْزِلَةِ الْبَهَائِمِ .

قَالَ : الْجَاهِلُ إِنْ نَطَقَ أَخْطَأَ ، وَإِنْ سَكَتَ أَخْطَأَ ، وَإِنْ رَأَى عَجَزَ ، وَإِنْ سَلَكَ ضَلَّ .

وَقَالَ : الرِّخَاءُ يُبْطِئُ ، وَالبَلَاءُ يُؤَدِّبُ .

وَقَالَ : إِذَا بَلَغَ الْمَرْءُ فَوْقَ مَقْدَارِهِ مِنَ الدُّنْيَا تَكَدَّرَتْ أَحْوَالُهُ لِلنَّاسِ .

وَقَالَ : مَنْزِلَةُ لَطَافَةِ الْقَلْبِ فِي الْأَبْدَانِ مَنْزِلَةُ التَّوَاطُرِ فِي الْأَجْفَانِ .

وَقَالَ : الْمَالُ رِذَاءُ الْمُنْكَبِرِ ، وَالْهُوَى مَرْكَبُ الْعَاصِي ، وَالتَّمَنِّي رَأْسُ مَالِ الْجَاهِلِ ، وَالْكِبَرُ قَاعِدَةُ الْمَقْتِ ، وَسُوءُ الْخَلْقِ سِتْرٌ بَيْنَ الْمَرْءِ وَبَيْنَ اللَّهِ تَعَالَى .

أَفْلَاطُونُ الْحَكِيمُ ^(٣)

وَهُوَ الْإِلَهِيُّ الَّذِي سَلَّمَ لَهُ السَّبْقَ كُلَّ مَنْ كَانَ بَعْدَهُ . وَإِذَا شِئْتَ

(١) ك ، غ : تَقْنَعُ . وَمَا أَثْبَتْنَا فِيهِ .

(٢) هُوَ : نَاقِصَةٌ فِي ك ، م .

(٣) ك : أَتَقْبَلُوهُ ، وَمَا أَثْبَتْنَا فِيهِ ، غ .

أن نشهده في هذه القلّة العليّة ، وفي هذه المكانة الرفيعة ، فانظر إلى أثارته وأمارته في أرسطوطاليس ، فإنه الذي ألّف الصناعة بأجزائها ، وتصنفها من حضيضها إلى عليائها ، وأجنتي ثمرة كل من غرسها من أوليائها .

والقول في هذين السّبدتين الفاضلين الكاملين طويل ، والثناء عليهما موصول ، وإحسانهما إلى كلّ من كان بعدهما ظاهر .

ومن نوادر كلامه قال : فعل الإنسان الخير والشر . فأول الخير ترك الشر ، وأول الشر ترك الخير .

وقال لتلميذه أرسطوطاليس : اعرف ربك وخضه ، وأدِم عنايةك بالعلم والتعليم .

وقال : أكثر عنايةك بغذائك يوماً بيوم -- أي : لا تدخر .

وقال : لا تنم حتى نحاسب نفسك على ثلاث : هل أخطأت في يومك ؟ وما اكتسبت فيه ؟ وما كان ينبغي أن تعمله من البر ، فقصرت فيه ؟

وقال : الزم العدل في كل أمرك ، وعليك بالاستقامة ولزوم الخير .

وقال : العالم يعرف الجاهل لأنه مرة كان (٣٤) جاهلاً ، والجاهل لا يعرف العالم لأنه لم يكن قط (١) عالماً .

وقال : كما أن المرأة لا تأتي بولد إلا بوجع ، كذلك الرجل لا يأتي بالفضيلة إلا بتعب .

وقال : فضيلة الحكمة معرفتها الكل ، وفضيلة الحكيم معرفة الجزء إذا وصله بالكل .

(١) م : ك : مرة .

وقال : إذا أردت أن يدوم سرورك فلا تَسْمَ اللذة نحو الشيء حتى حتى تنقطع ، بل تدع (من) اللذة فضلة في المثلث ليدوم السرور ، لأن آخر كل شيء هو الخالد في الذهن .

وقال : إنما يكون نظرك إلى حُسْن الشيء بقدر نظرك إلى حُسْن ذاتك .

وقال : النوم هو غوص القوى في عمق النفس .

وقال : فضائل النفس في ثلاث : المنطق ، والغضب ، والشهوة . فضيلة المنطق : الحكمة ، وفضيلة الغضب : الشجاعة ، وفضيلة الشهوة : العفة والنسك .

وقال : مزاج العزّ بالذل ، والجود بالمحبة ، والرحمة بالشجاعة ، والحلم بالعفة ، والحُسْن بالملاحة — هذه تمام العشر الروحانية . وأما التعمتان المركبتان فالمنطق بالإشارة ، والتبسم .

وقال الحليم مَلِكٌ ، والشجاعة خادِمٌ ، والعدل وزير .

وقال : الانسان مركب من اعتدال وانحراف : فالعبودية واليشرية ، وما أشبه ذلك ، من حيث الجور الذي هو الانحراف . والفضائل كلها من حيث الاعتدال .

وقال : السمع شاهدٌ للمنطق ، والشمُّ شاهدٌ للذوق . واللمس شاهدٌ للبصر .

وقال : العادل هو الذي يعدل من نفسه ، لا عند المجاوزة .

وقال : ليس الشَّم في المنطق ، بل في العقل . وذلك أن المنطق هو قرع الهواء . وإذا أثر فيك فعلٌ من خارج من طريق العقل ، فذلك هو الشَّم .

وقال : احذر المشاجرة في وقت الرأي الضيق مع صاحب الآراء . واستعمل امتزاج الآراء حتى تسلم في ذلك الوقت .

وقال : إنما تكون نتائج الجواب بقدر فروع المسئلة .

وقال : استعمل الحذر مع العلمانية والدعة ، فإنه فلما ينفع الحذر عند ورود المصيبة .

وقال : مَنْ لم يعرف ما صور الفضائل لم يحسن أن يستعملها ولا (أن) يتصرف فيها .

وقال : إذا دخل الحزن النفس حمد نورها (٣٥) . وإذا سُرّت وفرحت ، اشتعل نورها وظهر زبرجها .

وقال : فضيلة النفس هي أن تكون رَحْبَةً لتصرف الأشياء .

وسئل عن التجارة فقال : حرص المرء على الجمع بالشرّ وقلة القناعة .

وقال : أشدّ الناس موافقة لِسُنَّةِ الله تعالى أعلمهم بالحسنات ، وأشدّهم رأياً أعلمهم برضوان الله ، وأكملهم أبعدهم من الشكّ في الله ، وأحقّهم بتعليمهم أعلمهم بالدنيا والآخرة وما خلقنا له ، وأحسنهم عملاً أكثرهم لهم بالصدق تأديباً ، وأصوبهم رجاءً أوفقهم بالله ، وأشدّهم بعلمه انتفاعاً أبعدهم من الأذى ، وأفضلهم علماً أبصرهم بالأمور ، وأحسنهم معرفة أنفذهم بصراً ، وأكثرهم بالخير عملاً أعظمهم ^(١) ، وأرضاهم أفشاهم معروفاً ، وأقومهم ^(٢) أحسنهم معونة ، وأشجعهم أشدّهم على الشيطان ، وأفلحهم أغلبهم ^(٣) للشهوة والحرص ، وأحرقهم أمراً أخذهم بدين الله ، وأثبتهم طريقة ألزمهم حُسن الخلق ، وأفضلهم ودّاً أشدّهم لنفسه حياءً ، وأجودهم أصوبهم لعطية . وأرفعهم ذكراً أعظمهم فعلاً ، وأفضلهم راحةً أشدّهم للأمر احتمالاً ، وأغناهم أقمهم بما أوني ، وأفضلهم عيشاً آمنهم ، وأثبتهم ^(٤)

(١) يبدو أن هاتين بقصتي في النسخ .

(٢) م . ك : أقدام .

(٣) غ : الشهوة

(٤) ك : وأبينهم .

شهادة عليهم أنطقهم عنهم ، وأعلمهم فيهم أرومهم مسألة لهم ، وأحفظهم
بالنعم أشكرهم لما أوتي منها وأرغبهم^(١) في المجازاة بها .

وقال الجواد هو الذي يعطي بلا مسألة .

وقال : كل ما يريد الجاهل أن يفعله في آخر أمره فافعله أنت ، أيها
العاقل^(٢) ، في أول أمرك .

وقال : الغضب سكر النفس .

وقال : الانكار بالحق مثل الإقرار بالباطل .

وقال : ليس الحكيم من ينطق بالحكمة فقط ، بل من عمِل بها .

وقال : شهوات العالم تجذب العقل سنلاً ، والحكمة تجذبه علواً .

وسأله بعض تلامذته : بماذا أعرف أني قد صرتُ حكيماً ؟ فقال : إذا لم
تكن بما نصيب من الرأي معجباً ، ولم يستفزك عند الذم الغضب :

قال : الحلم والحكمة هما أعظم الشرف ، وأرفع الذكر ، وأزین الحلية ،
وأصدق المدح ، وأفضل الأمل ، وأوثق الرجاء ، وأذكر المروءة ، وأبين
الجمال ؛ لا يصلح عدل ولا ثقال منفعة ولا يسلخ شرف^(٣) إلا بهما ، إلا
إن نال من قبيل سوء التدبير وجور البرة الشيء اليسير نفعه ، القليل بقاؤه ،
الذي تمنعه قلة بقائه وسوء موضعه من أن تقر به عين أو يحمده لسان أو تظمن
إليه نفس ، مع ما ذكر في حكمة الحكيم أن العلم هو السعادة ، وأنه ليس يكون
سعيداً من ليس بعالم ، ولن يكون جاهلاً من كان سعيداً .

وقال : العلم بالخير والشر هو تمام العلم ؛ وتمام العمل تمام الحكمة ؛
وبتمام الحكمة تمام سلامة العاقبة .

(١) في : ناقصة في ك .

(٢) غ : يا حائل .

وقال : مَنْ عَرَفَ صورة الجهل كان عاقلاً ، وَمَنْ جَهِلَهَا كان جاهلاً ،
بصورة العقل أيضاً .

وقال : الراحة في البطالة حلوة الأصل ، مُرّة الثمرة ؛ والنصب في طلب
الأدب مرّة الأصل حلوة الثمرة .

وقال : القضاء والقدر فوق كل شيء . والتواقي والبطالة تحت كل شيء .
ولين الجانب ورُحْبُ الدرع موافقان لكل أحد . والكِبَرُ والإعجاب غير
موافقين لأحد .

وقال : أحق الأشياء أن يستكملها أهل الدين التواضع والورع والتقويم . فأمّا
الذل والتواضع فالقناعة والصبر واحتمال المكاره فيما نرجو من المعاد . وأمّا
الورع فكفّ المرء نفسه عن الذنوب . وأمّا التقويم فكفّ غيره عنها .

وقال : الرأي الجليد بالفكر العميق فيما يحتاج فيه إلى (+) المعرفة أفضل من
الاجتهاد . والاجتهاد فيما يحتاج فيه (+) إلى العمل أفضل من الرأي .

وقال لأصحابه : لتكن غايتكم رياضة النفس . وأمّا البدن فاعتنوا به ^(١)
بما يدعو إليه الاضطراب . واهربوا عن اللذات فإنها تنزف النفوس الضعيفة والقوا
بما على القوة ^(٢) .

وقال : مَنْ ساس نفسه باعتدال ساس الكثرة المتفرقة باعتدال ، لأن
الاعتدال هو الوحدة ، وما خرج عن الاعتدال هو الكثرة .

وقال : من خاصّة الحكمة ^(٣) أنها تدعو إلى نفسها ولا تجذب ^(٤) أحد

(+) ... -) ناقص في غ .

(١) ك : م . غ : له .

(٢) كذا في المخطوط غ - م ، ك : القوة

(٣) غ : الحكمة .

(٤) غ : ولاحد من أحد يطلبها .

يطلبها . وَمَنْ طلبها ألبسته رداءها . وَمَنْ بَعْدَ عنها كشفت له نورها . وليس يرى الحكمة ولا يطلبها إِلَّا مَنْ كَانَ بصر عينيه في قلبه ، لا بصر قلبه في عينيه .

وقال : الشهوات تخالف العقل وتضاده بكل (٣٧) وجه . فأصحاب العقل يستمدون بالحكمة . وأصحاب الشهوة يستمدون بالحواس . فمن استمد من العقل بالحكمة نقيبت نفسه وطال عمره ولم يَدُثُرْ ذكره . وَمَنْ استمد من الشهوة بالحواس ، انقطع عمره ودثر ذكره وسقطت هيئته .

وقال : إذا خطرت لك فكرة في شيء تريده أو تشتهي ، فاجعله من بالك كالعارض فإن تبيأ لك ننته بأسهل الأمور . وإن فات ، لم تضطرب النفس إليه .

وقال : من استفاد الأدب في حياته . انتفع به في كبره . ومن يفرس كرمأ ، يشرب خمرأ .

٩٤

وقيل له : كيف ينبغي أن يُعْتَقَدَ الصديق ؟ قال : إذا حضر أحسنت الصنع إليه ، وإذا غاب أحسنت القول فيه .

وقال : الخط عقال العقول .

وقال : إن للنفس حياة وموتاً وصحة وسقماً : فحياتها بأن تعرف خالقها وتتقرب إليه بالبر والشكر ؛ وموتها بأن تجهل خالقها وتتباعده منه بالفجور والكفر . وصحتها بالحكمة ، وسقمها بالجهل .

وقال : حساسة الإنسان تُعرَفُ بشيئين : بأن يكثر كلامه فيما لا ينتفع به ، ويخبر بما لا يُسأل عنه .

وقال لأرسطاطاليس : لا تجالس إِلَّا من يحفظ عليك وتستحي منه .

المعلم الأول

وهو أرسطاطاليس

وتفسير هذا الاسم : الفاضل الكامل . وكان ابن رجل يسمى نيقوماخس الاسطغريني ^(١) - وهذه مدينة بأرض مقدونية . وكان أبوه هذا عالماً نافذاً في علم الطب . فولد له أرسطوطاليس في موضع من هذه المدينة يسمى براى ^(٢) . فلما بلغ ثماني سنين حملته أبوه إلى أثينة : وهي المدينة التي كانت مجموع الفلاسفة والحكماء . فضمه إلى أشعراء والنحويين والبلغاء الذين كانوا بها ، تلميذاً لهم ومنعماً منهم . فجمع علمهم واستوعب ما عندهم في تسع سنين . واتفق في ذلك الوقت أن قوماً من الفلاسفة أزرؤوا بعلم هؤلاء القوم ، وعنفوا المتشاغلين بالتعلم منهم والمفتخرين بصناعاتهم ، منهم افيفورس ^(٣) ولوننفوس وزعموا (٣٨) أنه لا يحتاج إلى علمهم في شيء من الفلسفة ، ولا المتعلمين لذلك فلاسفة ، لأن النحويين معلمو الصبيان ، والشعراء أصحاب أباطيل وكذب وخنا ، والبلغاء أصحاب محاباة ومك وخبث ومكر ، إلا أنهم كانوا هم القضاة والحكام في (ذلك) الوقت . فلما بلغ ذلك أرسطوطاليس أدركته الحفيظة لهم ، ففاضل

(١) ن : الاسطغريني . م : الاسطغريني .

(٢) ن : براى .

(٣) م : ن : افيفورس ويوننفوس .

عنهم وأثبت حُجَّتَهُمْ ، وقال : لا غناء ^(١) للفلسفة عن هذه العلوم : لأن المنطق أداةٌ لعلمهم ، والشعرُ والبلاغة والنحو والاختصار والإيجاز - - حِكْمِيٌّ للمنطق وزِينٌ . وقال إن فضل الناس على البهائم بالمنطق : وأحقهم بالإنسانية أبْلغهم في منطقته ، وأوصلهم إلى العبارة عن ذات نفسه وأَوْضَعهم لمنطقه في موضعه وأَحْسَنهم اختياراً لأَوْجِزه . ثم من بعد ذلك يمكنه وضعُ شيءٍ في شيءٍ على شاكلته ، حتى ينتهي إلى الفلسفة القصوى في غاية الإنسية ، لأن الفلدغة أشرف الصناعات ، ورأس العلوم . فينبغي أن يكون القول بها والعبارة عنها بأحكام المنطق وأبْلَغ الكلام وأفصح اللهجة وأبْلَغ اللفظ وأبعده من الخلل ، والدخل ، والزلل ، وسماجة المنطق ، ومنبوذ اللفظ . واللكنة ، فإن ذلك يذهب ببرهان الحجة ونور الحكمة ، ويَقْصُر عن الحاجة . وَيُلَبِّس على المستمع ، ويفسد المعاني ، ويُوْثِرُ الشبهة .

فلما انتهى إلى ذلك وأتى على جميع ما ذكرناه ، واستقصى صناعات النحو والشعر والبلاغة - قصد لعلم الفلسفة ورغب فيه ، وانقطع إلى أفلاطون - الذي تفسير اسمه : العريض الواسع . وصار تلميذاً له ومتعلماً منه ، وهو يومئذ ابن سبع عشرة سنة ، وذلك في موضع يسمى « أقداميا » من أثينية ، مدينة الحكماء . ولم يكن لأفلاطون تلميذ يتولى هو بنفسه تعليمه إلا تلميذ يقال له كسانوقراطيس ^(٢) فإنه كان يستفيد العلم من أفلاطون ، وذلك لأن أفلاطون كان ولاه خلافته وجعل له منبر الفلسفة وكرسيهم ، وصيّر تعليم سائر تلامذته إليه ، وكان هو الذي يتولى ذلك لهم ، ومنه كانوا يستفيدون علوم الفلسفة إلا أرسطوطيلس ^(٣) فإنه كان يتعلم العلم (٣٩) من أفلاطون بالسَّماع ويقبله بالمباشرة من فيه أيضاً .

(١) م ، غ : بالفلسفة . وما أثبتنا موجود في ك .

(٢) ك ، م ، غ : كسانوقراطيس - م ، ك : تلميذ له كان يقال

(٣) سنكتب رسم اسمه كما يرد في كل موضع في غ ، وهو رسم يثير هنا كثيراً : ارسطاطاليس ، ارسطوطاليس ، ارسطوطيلس .

فلما مات أفلاطون خرج أرسطوطاليس إلى موضع بأثينية يسمى «لوقين» لتعليم الناس الفلسفة . وخلف كسانوقراطيس^(١) باقزانيا ليعلم من هناك عليم أفلاطون ويخرجهم بذلك .

وكان من رأي أفلاطون الرياضة للبدن بالمشي المعتدل والسير المقتصد لتحليل الفضول عن الأبدان . كرياضة النفس بالعلوم الحكمية ، لتجتمع الخلتان من رياضة النفس والبدن . وتقدم في ذلك إلى أرسطوطاليس وكسانوقراطيس^(٢) . فكانا يعلمان التلامذة الفلسفة وهم^(٣) مشاة مترددون بمئة وبسرة . فلقبوا بالمشاة القاذامين .

فلما مضى من ذلك حين من دهرهم ، حذف عن أصحاب أرسطوطاليس الذين بأقادميا اسم المشاة وسموا القاذامين^(٤) ، وألقى أصحاب كسانوقراطيس^(٥) عن تلامذة أرسطوطاليس .. اسم^(٦) القاذامين وسموهم المشاة فقط .

وكان جميع كتب أرسطوطاليس وما وضع من الحكمة والمنطق وغيره موجوداً في الموضع الذي انتقل إليه المسمى «لوقين» . وكانت كتبه وحيكته تسمى ، علم إصابة الحق وساعه . »

قال المعلم الثاني أبو نصر محمد بن محمد بن طرخان الفارابي - قدس الله روحه ! - في بعض كتبه : « ما قرط أرسطوطاليس في وضع المنطق . ولقد منحض النصيحة . وافترده بكمال الفضيلة وبأن من جلالة قدره وجزالة رأيه فيه ما ذلت له الرقاب ، وخضع له أولو الألباب ، وأقرت الألسن له

(١) ك . م . ع . : كسانوقراطيس .

(٢) جمع : ماشي ، أي وهم يمشون .

(٣) لا بد أن حاشنا تحريماً في النفس ، وصوابه : ... الذين بأقادميا اسم « القاذامين » ، وسموا المشاة .

(٤) اسم : ناقصة في غ . م . و . ووجوده في ك .

بالعجز عن لطيف ما أتى به ودقيق ما أرى ، وبديع ما ألتف ، وغريب ما صنتف ، حتى صار في الناس علكماً ، وعليهم حكماً .

وقال أبو سليمان السجزي - قدس الله روحه ! - : لو لم يكن لأرسطوطيلس إلا قوله - في وصف الإنسان وذكر حاله وما يدل عليه وعلى غايته وبدله - : « كيف يتصلح الإنسان وهو يصره ما يضره ؟ ! » - لكان كافياً .

وقال : نصحتك مَنْ أسخطك بالحق ، وغشك مَنْ أَرْضاك بالباطل .

وقال : رَفَعُ الأصوات عن خلوص النيات بِحُلْ عُقْدُ الأفلاك الدوائر .

وقال : إِنَّ مَنْ رام (١) هذا العلم فليعتقد أنه يستأنف لنفسه خلقاً آخر ، يعني أنه يجب أن لا يتبع المحسوسات والأمر المعتادة .

وقال : نظر النفس للنفس هو العنابة بالنفس ، وردع النفس للنفس هو العلاج للنفس ، وعشق النفس للنفس هو المرض للنفس .

النفس العزيزة هي التي لا تؤثر فيها النكبات . النفس الكريمة هي التي لا تثقل عليها (١) المؤونات . لا تصدق بما لا برهان عليه . الكذب فضاح ، والكاذب يستشهد أبداً بالخلف . لسان العلم الصدق . مَنْ عَدِمَ الفهم عن الله عز وجل لم يَجْزُ أن يستفهم موعظة حكيم . إذا رأيت الأمر المنكر الغريب ، فلا بتدخلكم الارتباب ببربكم ، ولا تندموا على ما قد كنتم من الخير والشر . لا تأسفن على ما فاتك من الثراء . فإن المال شبيه بطائر ينتقل من نشز إلى نشز : فهو عند إقباله سريع الإقبال ، وعند زواله حثيث الانتقال .

(٥) حدث منا قديم وتأخير في أروان مخطوط بشير آغا ، فأصلحنا ترتيبه .

(١) ك : تثقل عنها . وفي م بدون نقط .

وقال في وصيته للاسكندر : ليس الأمر بالخير أسعد به من المطيع ، ولا المعلم أقل انتفاعاً بالعلم من المتعلم ، ولا الناصح أولى بالمديح من المنصوح له ؛ حتى قيل إن الله - تعالى ذكره ! - لم يَرَفُسْ لنفسه من الناس إلا مثل ما رضي ضم به منه : فإنه أمرهم بالرحم ورحمتهم ، وأمرهم بالتصادق وصدقهم . وأمرهم بالجلود وجاد عليهم ، وأمرهم بالعفو وعفا عنهم ؛ فليس قابلاً منهم إلا مثل ما أعطاهم ؛ ولا آذناً لهم في خلاف ما أتى إليهم . فأعطى من ولّيت أمره من رأفتك ورحمتك وعفوك ما ترغب في مثله موقناً بأنك إن أعطيت ذلك من نفسك أعطيته موقراً .

وتقدم رسول ارسطوطاليس على الإسكندر ، فمكث طويلاً لا يتكلم . فقال له الإسكندر : إما أن تقول فأسمع ، وإما أن أقول فتسكت ؟ فقال الرسول : أيها الملك ! التخيير إليك لا إلي ، والطاعة علي لا عليك .

فقال الاسكندر : وما فعل الحكيم ؟

قال : أيها الملك ! جدد في الجهاد . ولقد كان حذراً مستعداً .

قال : ما بلغ جده ؟

قال : عينه لا تسكن ولا تطرف ؛ ولسانه (١) لا يقف (٢) . الدنيا عنده كالقيح والدم .

قال : كيف عميل في الرعية بعدي ؟

قال : أثار القلوب المظلمة في الصدور الخربة ، وكثر (٣) فيها الحكمة ، وأمات فيها الجهالة .

قال : فما لبأسه الظاهر ؟

قال : الزهد في الدنيا والامتناع من شهواتها .

(١) ك : يفتري م : يغفر .

(٢) م ، ك : كثر .

قال : فما لباسه الباطن ؟

قال : الفكر الطويل والتمجُّب الدائم .

قال : وممّ ذاك ؟

قال : مِنْ أهل الدنيا كيف اغرؤا بها ، وَمِنْ أهل التجربة كيف ونقوا بها .

قال : فمن أيّهم كان أشدّ تعجّباً ؟

قال : مِنْ مصروعها كيف عاودها ، وَمِنْ مسلوبها كيف راجعها .
ومن الذي مات أبوه كيف رجا البقاء ، وَمِنْ غنيّها كيف فترّح بما ليس له ، وَمِنْ فقيرها كيف حزن على فوت ما يشقى به الغنيّ .

قال : فمن أيّها كان أشدّ تعجّباً ؟

قال : من جميعها سواء . وذلك أن هذا فترّح بما ليس له ، وهذا حزن على فوت ما يشقى به الغنيّ كيف لم يَنكَله : فأحبّ أن يثقل ظهره وهو خفيف الظهر ، وأحبّ أن يكثر همّه وهو قليل انهم والغمّ ، وأراد أن يكون في تعب ونقص وهو مستريح ؛ وإنما يكفيه من الدنيا ما يسدّ جوعه ويُدْهِب ظمأه ، ويستر جسمه .

قال : أهو في دوام الملْك للملِك أظهر سروراً ، أم في زواله ؟

قال : بل في دوامه للملِك .

قال : ولِمَ ذاك ، ولبست الدنيا من شأنه ؟

قال : للقدرة على إظهار الحكمة في سلطانه ، والاستمكان مِنْ إفاضة العلم وإشاعته ، وتقريب العلماء والحكماء ، وأخذ الرعية بالأدب العائد بالخير ، ودرك الأجر في تبصير أهل الجهالة وحمل الناس على الهدى والسيرة الفاضلة والقوة على رفض الدنيا ونبد الشهوات وتحريك اللذات عند القدرة

عليها، والتمكن منها والامتناع عليها عند تكاثرها وتواترها فإن الدنيا لم تغلبه^(١) على نفسه ولم تورطه في فيحائها ، ولم تمدّه بجلاوتها وأنواع خُدّتها وزخارفها المموّهة وأسباب غرورها التي يسرع إليها أهلُ الجهالة ، ويسمى إلى النشوب في تلفها أهلُ الغيرة الذين لا يفكرون في عواقب الأمور . ففتح بأن غلبها ولم تغلبه ، وقهرها ولم تقهره ، وضبطها ولم تضبطه ، ولكنها كلما^(٢) ملّت له ازداد منها (٤٢) بُعداً ؛ وكلما تزيّنت له ازداد منها استيحاشاً ، وكلما تقرّبت إليه ازداد منها نفوراً .

قال : كيف كانت هيئته للموت وخوفه من^(٣) من الوقوف على حساب النفوس وديّاتها ؟

قال : كان إلى الموت مشتاقاً ، ولما بعده مرتجياً .

قال : ولِمَ ذلك ؟

قال : لأنه افتدى نفسه بالدنيا ، وفكّ رهنه بالبرّ ، وباع نفسه بالآخرة ، فسمى الحكيم لآخرته فاشترى النعيمَ الباقي بالنعيمِ المنقضي ، وصار الموت عنده نجاةً من الحبس ، لا يسلبه الموتُ شيئاً مما قدّم من الخير وتزوّد من الحسنات .

قال : فما أغلب طباعه عليه ؟

قال : الرحمة لكل أحد ، وكفّ الأذى^(٤) عن كل أحد ، والإحسان إلى كل أحد ، والتوقير لأهل العلم والحكمة ، وبذل فوائد الخير للمستعدين^(٥) ،

(١) غ : تغلب على نفسه .

(٢) غ : ملقت .

(٣) ك ، غ : هل ... حسب . م : على الموقوف على حسب .

(٤) م ، ك : الكف عن أذى كل أحد .

(٥) م ، ك : المستفيدين .

وشكرهم على تعلّم الحكمة والاستفادة والسؤال والطلب .

وكان يقول : ضَنَّ الرجل بالعلم والحكمة المقرّبين إلى السعادة مِنْ أَشدّ القسوة وأعظم الإثم .

قال : كيف تركت أهل البلاد ؟

قال : استلّ الجهلُ سيفه ، وأفلت عن إساره ، وعزّزَ بعدد ذلك . وفقر احرصُ فاه متوقفاً متضرباً مستولياً غالباً : فتغلب خسارة الناس ودهماؤهم على الحكماء ، والعلماء الصالحين فأذلّوهم وهجروهم : فانقطعت مواد ^(١) العقول . وضمرت النفوس ، ودخل الحزن علينا . فنحن متبدّدون بأيدي الجهال : منتشرون في عيش كدر . فبكى عند ذلك الاسكندر وقال : صابرونا وجهدنا في طلب هذه الدنيا الفرّارة ، وصابر العلماء وجهدوا في رفضها وأبترأ أن يقبلوها ، وأبينا أن نرفضها فرغبنا فيما زهدوا فيه ، وزهدوا فيما رغبنا فيه : وأعقبهم فعلهم سروراً دائماً ، وأعقبنا فعلنا حزنًا طويلاً ، فأصبحنا نرى لأنفسنا ونعيطهم ، ونبكي لأنفسنا ونفرح هم . فالويل والثبور لمن سلبت منه الدنيا وجميع ما جمع فيها ونصب في ادخاره منها ولم يدرك الآخرة .

وقال له معلمه أفلاطون : ما الدليل على إثبات الله تعالى ؟

فقال : ليس ^(٢) شيء مِنْ خَلْقِهِ بأدل عليه من شيء .

قال : وقد كنت أشرب فازداد ظمأ (٤٣) حتى عرفت الباري قُرْوَيْت من غير شُرْب .

وقال : احرص مفسدة ، والبخل منقصة . والعجلة خطر ، والرفق يُحْمَنُ ، والبناء ثوم .

(١) ك ، م ، غ : مراد .

(٢) ك ، م ، غ : ليست شيء من خلقه بأدل عليه شيء . (!)

وسئل : أي شيء أصعب عملاً ؟ فقال : السكوت .

وسئل : أي وقت ترى لنا للباءة ^(١) ؟ فقال : إذا شئت أن تضعُف .

وكلّمه رجلٌ بكلام طويل . فلما أكثر عليه قال : أيتها الرجل ! أما أول كلامك فقد أنسيته لبُعْد عهدي به . وأما آخره فلم أعلمه لتفاوت أوله .

قال : لكل جليلة دقيقة ، ودقيقة الموت فقد الأحبة والهتجر .

وقال : حَسْبُ الأدب شرفاً أنه يتحلّه غير أهله ، ويتزيّن به مَنْ هو خيلو منه .

وسئل عن اللذة فقال : إذا شاركت الشهوة بعض الخواس ، ظهرت اللذة .

وقال : إنما شرف الإنسان على جميع الحيوان بالنطق والذهن . وإن سكّنت ولم يفهم ، عاد بهيماً .

وقال : المنطق ^(٢) آلة لجميع الحكمة .

وسئِلَ • : إلى كم شيء يحتاج الإنسان حتّى يصير فيلسوفاً ؟ فقال : إلى ثلاثة أشياء : فقر ، وطبيعة ، وعناية .

وقال : ناموس الأشياء الملك العادل .

وقال : ليس في العالم شيء غير تام ، وما فعلت الطبيعة شيئاً باطلاً .

وقال : الأدب يزِين غِنَى الغني ، ويسرّ فقر الفقير .

وقال : الحليم هو الذي لا يقلقه غضبٌ غيره .

(١) الباءة : الباء . ك : ترى لنا الباء . م : ترى لنا الباءة .

(٢) أي علم المنطق .

(٣) إلى هنا ينتهي الخطط في تركيب المخطوط ك ، ويمود الترتيب مع بدء الكراسة الثالثة .

وقال : ينبغي للملك أن يحرس الخبز من التجار ، والرأي من القواد .
وقال : المنطق يحرك الغضب ، والغضب يحرك القلب ، والقلب يحرك
الوريدين . والوريدان يحركان البدن كله .

وقال : الحليم إذا قُتِلَ تَوَلَّدَتْ الشجاعة ، وإذا سكن كان منه العفة
والعدالة .

وقال : شرف البلاغة قلة اللفظ ، وعِظَمُ البيان ، وسَعَةُ المعرفة .
وقال : مَنْ أراد أن ينظر إلى صورة نفسه مجردة ، فليجعل الحكمة مرآة .
وقال : بَصَرَ العقل وبصر النفس قد يقومان بذاتيهما ، وبصر العين لا
يقوم إلا بأحدهما .

وقال : الفكرة قوة مطرقة للعلم إلى الشيء المعلوم .

وقال : الفاقة تجعل الرجلَ الطويلَ الجسيمَ في عين الناظر إليه صبيّاً
صغيراً ، وتُفْخِمُ الرجلَ القَوَالَ (٤٤) البليغ ، وتلبس (١) منطقهُ وتعجبه
عند من يسمعه منه .

وقال : ينبغي للأديب أن يطلب من كل مكان ، وأن يقتبس من
كل أحد ، فإنه من أصيب منه (و) حُبُّ أصيب نافع لمن أصابه .

وقال : نحن مع كل أحد كما يجب ، ومع الصديق فوق ما يأمل .

وقال : في الشتاء يُحتاج إلى الغطاء والدثار ، وفي قُرْب الكِبَرِ يُحتاج
إلى التكشف من الأحزان .

وقال : الإنسان مضطرب في صورة مختار .

وقال : إن من أشدَّ العيوب للإنسان خفاء عيوبه عليه : لأنَّ مَنْ

(١) غ : وليس .

خفى عليه عييه لم يُبصر محاسن غيره . ومن خفى عليه عيب نفسه ومحاسن غيره لم يُقلع عن عييه الذي لا يعرف ، ولم ينل من محاسن غيره التي لا يبصرها .

وقال لتلاميذه : إن أنفع الأشياء لكم ما تُوعونه آذانكم ، وأنفعها لغيركم ما يسمع منكم .

وقال : العشق همة نفس فارغة لا شغل لها .

فأخذ الأخطل^(١) هذه الكلمة وقال :

وكم قتلت أروى بلا دية لها وأروى لفرأغ الرجال قتول

وقال : الشرير عدو نفسه ، فكيف يكون صديقاً لغيره ١٩

وقال : لتكون غائبك في طلب المال الإفضالُ به على الإخوان ، فإن الشريف الهمة لا يطلب الصيد لياً كله أو يسد به فورة جوعه ، لكن ليتحف به أصدقائه .

وقال : القلم العلة الفاعلة ، والمداد الصورة الهيولانية ، والخط العلة الصورية ، والبلاغة العلة التمامية .

وسئل عن معنى الصديق ووصفه ، فقال : صديقك من كان قلبه فيما يحب لنفسك كقلبك إلا إنه في غير جسمك .

وقال : الفصل بين المتأدب وبين من لا أدب له كالفصل بين الأحياء والأموات .

ولقبه ولّد زنا فشتمه فقال : احذر أن تشتم الناس فإنك لا تدري لعلك تشتم أباك .

(١) راجع ديوان الأخطل ، نشرة انطون صالحاني في بيروت

وقال : عودوا النفوس الآداب لأن منها وفيها تظهر عجائب الفكر ولطائف النظر .

ورأى انساناً ناقهاً كثير الأكل وهو يرى أنه يقوى به ، فقال له : يا هذا ليست زيادة القوة بكثرة ما تورد ^(١) على بدنك من الغذاء ، ولكن بكثرة ما تقبل .

وقال : ما أحسن الحكمة في الملوك وأهل الشرف وذوي الأقدار ! وذلك أنها تقسط (٤٥) حالاتهم وتعدّها لها في جميع ما يتصرفون فيه ، وهي مع ذلك ترفع الدنيء من (الرتبة) السفلى إلى رتبة عليا ، وليس هو دنيء في ذاته ، بل عند من يجهله .

وقال : لا خير في شدة لا تمازجها حيلة . وصاحب الحيلة قد يقوم في مواضع كثيرة مقام صاحب الشدة وأكثر ، وصاحب الشدة لا يقوم مقام صاحب الحيلة : فصاحب الحيلة أفضل من صاحب الشدة .

وقال : إذا كان الملك عالماً والقاضي عفيفاً ، وصاحب الشرطة ^(٢) عادلاً — دام المُلْكُ وثبتت سُنَّتُه ولم تدر . وإذا ^(٣) كانوا على خلاف ذلك دثر وفسد .

وقال لتلامذته : لتكن لكم أربع آذان : اثنتان تسمعون بهما ما يهكم ، واثنتان لما لا يعينكم ، لئلا يجتمع ما يعنى به وما لا يعنى به في دعاء واحد . وسمع قوماً يتفاخرون بالطعام والشراب ، فقال لهم : ليكن تباهيكم بالحكمة والأدب ، فلما يباهى ^(٤) بها . ودعوا ذكر الطعام والشراب ،

(١) عل : ناقصة في ك ، م .

(٢) غ : الشريطة .

(٣) ك ، م ، غ : كان .

(٤) ك ، غ : تباهة . م : نباهة .

فإن ذكر ذلك في غير وقت الحاجة إليه نقص "وشره".

وسُئِلَ : أيّ الرسل أخرى بالشُّجْع ؟ فقال : الذي له جمالٌ مع عقل .

...

وكان مؤدّب الإسكندر ومعلمه ووزيره والمشير عليه . وبلغ من تعظيم الإسكندر له أن سُئِلَ عن أبيه وعن أرسطوطيلس : أيُّهما أحبّ إليه ؟ فقال : أرسطوطيلس ، لأنّ والدي كان سبب كوني القريب ، وأرسطوطيلس كان سبب تجوُّد كوني .

وسأله الإسكندر أن يصير معه إلى بلاد آسيا ، فقال : لا أحبّ أن ألزِم نفسي بالعبودية وأنا حرّ .

ولما عزم على محاربة دارا أثناه أرسطوطيلس زائراً ومودّعاً ، وكان قد غاب عنه مدةً فأراد أن يصله ويصرفه^(١) مكرماً مَجْزِياً . فسأل الخازن عن مقدار ما تبقى في بيت المال بعد تجهيزه وما لا بدّ له منه . فذكر أن الخااصل في بيت المال من العيّن : خمسمائة ألف دينار حُمُر . فقال : ندفع جميع ذلك إلى أرسطوطاليس ، وذلك لأنّا على مجاهدة هذا الرجل : فإن غلبنا فهو أحقّ مَنْ أخذها ، إذ كان معلّمنا مع مكانه منا وأثره فينا وبركته علينا . وإن غلبنا نحن ففي مال دارا وخزائنه ما يفي بحاجتنا ، ويُفْصِلُ عن إرادتنا .

وقال ارمينوس^(٢) إن أرسطوطيلس كان يحاور الإسكندر في كل يوم ، ويقسم يومه معه أربعة أقسام : القسم الأول يحاوره وينظره في العدل ، والقسم الثاني في الحكمة^(٣) ؛ والقسم الثالث في الشجاعة ، والقسم الرابع في العفة :

(١) غ : ويصرفه محبوباً مكرماً .

(٢) ك : اومينوس . م : ارمينوس .

(٣) غ : الحكم .

وقال له الإسكندر ^(١) لما أراد الخروج : عِظْني إذا إن لم تخرج ممي !
فقال ^(٢) : اجعل ثأنيك زمام عجلتك ، وحيلتك رسول شدتك ،
وعفوك مِلك قلدرك ، وأنا ضامن لك قلوب رعييتك ، إن لم تُحْرِجهم
بالشدة عليهم ، أو تبطّهم بفضل الإحسان إليهم .

وقال له : احفظ عني ما أقول لك : إذا كنت في مجلس الشراب فلتكن
مذاكرتك في القول ، فإن النفس آتسُ بذلك . وإذا جلست إلى خاصّتك ،
فاذكر الحكمة فإنهم لها أفهم . وإذا خلوت في النوم فاذكر العنة فإنها تمنعك
أن تضع نطفتك فيما لا معنى له .

وكتب إلى الإسكندر في رسالة : إن الزمان يأتي ^(٣) على كل شيء :
فِيُخْلِقُ الآثار ، ويميت الأفعال ، إلّا ما رصخ من الشكر في قلوب الأخيار .
فاجتهد أن تُودِعَ قلوبهم محبةً لك يَبْنَى ذَكَرُكَ بها وَيُزِمَ أفعالُك وشرف
آثارُك .

ولما أراد الاسكندر الخروج إلى أقاصي الأرض . عَرَضَ عليه الخروجَ
معه ثانياً ، فقال : نَحْلِلْ جِسمي ، وَضَعُفَ عن الحركة ، فلا تُرْعِجْني .
وقال : فأوصيني بشيء يرفع قلدي ويحبّيني إلى رعييتي ! فقال : تعلّم العلم
اعمل به واستنبط ما يملو بقلوب السامعين ، وَيَعُذُّبَ على ألسنة الذاكرين
تَنَقَّدَ لك الرعية من غير حَرْبٍ .

وكتب إليه أن اكتب إليّ بما أنتفع به وأوجِزْ . فكتب إليه : تحبّب
إلى خاصّتك بالعدل ، وإلى عامّتك بالعدل والسلام .

وقال : إن أخلص الإخوان مودةً مَنْ لم تكن مودته لرجاء منفعة ،

(١) غ : ولا .

(٢) أي أرسطوطاليس .

(٣) غ : أني .

ولا خوف مضرة ، ولكن لصالح به وطباع منه ، فإنه من كانت مودته من قبيل طباعه وصلاحه فهو أفضل للمرء ثقة من والدته وامرأته وولده . ولا يسلب الاخوان من كان كذلك من المودة لهم إلا الموت .

وقال : من آية الأخ النصح أن يودّ إخوان إخوانه ، ويعادي أعدائهم .

(٤٧) وحكى عنه ^(١) أن هذه الآداب كتبها في صحيفة ^(٢) وتعلّمها الإسكندر : لكل إنسان حاجة ، وإلى كل حاجة سبيل من أصابه أنجح ، ومن أخطأه خاب . وحاجة الإنسان خير الدنيا والآخرة : والسبيل إلى إدراكها العقل ، والعقل نوعان : مطبوع غريزي ، ومستفاد . فالمطبوع خلقة ، انفرد بها الخلق عز وجل . والمستفاد فائدة التعلم . ولا سبيل إلى نائدة المتعلم إلا بصحة العقل المطبوع . ومن صح منه العقل المطبوع ، استفاد العقل المتعلم . وإذا اجتمع العقل الطبيعي إلى العقل المتعلم قواه بقوته كنور ^(٣) الشمس نور البصر . ولا عائق للعقل إلا الهوى . والهوى نوعان : أحدهما بغية الهوى الباطنة ، والآخر بغية الهوى الظاهرة ، فمترلة ما ظهر من بغية الهوى من طبيعة الهوى كمثل ما ظهر من النار الموقدة الكامنة . فإذا اتصل بالهوى بغيته أشعله إشعال الحطب . وإن انقطع عنه سكن كامناً . وليس بساكن ، إلا ريشما يقدر عليها . فإن قدر عليها أذكى ناره بقضاء لذته إلا أن يمنع . ولن يمنعه إلا العقل الوافر الصحيح إذا قدر . وقد تبلغ صحة العقل أن تعرف حقائق الأمور ، ولا يبلغ من قوته أن يمنع الهوى من شهوته . فإذا كان العقل بتلك المترلة ، ألقى صاحبه بصيراً بالرشد ، غير قادر عليه ، وعارفاً بالغي غير ممتنع منه . وقد يكون من العقل ما يجمع مع

(١) ك : م ، غ : منه .

(٢) يوجد من هذه الآداب نسخة ضمن مجموع في كتابخانه علومي برقم ١٣٠ في طهران وعمله الآن في المكتبة المركزية بجامعة طهران .

(٣) كنور : نائسة في ك ، م .

المعرفة بالأمور الامتناع من الهوى . وعلة ذلك أمران : أحدهما قوة العقل ، والآخر ضعف الهوى . فإن غلبت طبيعة العقل في القوة طبيعة الهوى لم يقدر الهوى على غلبة العقل إلا بما يتصل به من الشهوات : ولا العقل على أن يغلب الهوى إلا بما يتصل به من فائدة العقل المتعلم . ولما كُنّا على حال لا تكمل فيها عقولنا كمالاً يستغنى به ، ولم تضعف أهواؤنا ضعفاً تزهده معه في الشهوات ، لم يكن إلاّ المواظبة على التعلم لتزيد في العقل المعين على الهوى . والله الموفق ، ولا قوة إلاّ به .

وكتب إلى الإسكندر : إذا استولت عليك السلامة فجدّد (٤٨) ذكر العطب . وإذا هتأتك العافية ، فحدّث نفسك بالبلاء . وإذا اطمأنّ بك الأمن ، فاستشعر الخوف . وإذا بلغت نهاية الأمل ، فاذكر الموت . وإن أحببت نفسك ، فلا تجعل لها في الإساءة نصيباً .

وقال : نصيحة العاقل مبنولة للعامة ، وسيرة مكتموم عن الخاصة .

وقال : إن الشيء الذي به تتميز هو شيء إلهي عارف بذاته ، وأنه هو الإنسان بالحقيقة ، وأن حياة هذا هي الحياة الفاضلة السعيدة : وإن له فعلاً خاصاً به لا يشاركه فيه غيره وهو : يتصور ذاته ، ويدور على ذاته بأن يعقل ذاته .

وقال لبعض أولاد الملوك حين شخص مع الإسكندر : صنّ عقلك بحلمك ، ووقارك بعفافك ، ونجدتك بمجانبة الخبلاء ، وجهّدك بالإجمال في الطلب . ولا يأتينّ عليك وقت إلاّ وأنت فيه متعقب ما كان منك ، ومترقب لما سيكون منك . واجعل بحيانك على كل من استرقها منك ، وعن قهرها في نفسك فلا تغيبها عندما تأخذ منها ، ولا تحايبها عندما تعطها .

وكان يقول : ينبغي لمن أراد أن يتعلم الأمور الجميلة العادلة أن تكون

أخلاقه قد جرت على ما ينبغي ، فإن ابتداء العلم بالشيء هو العلم بآيته ^(١)
ثم : لم هو .

وقال : النفس ليست في البدن ، بل البدن في النفس ، لأنها أوسع منه
وأبسط .

حكى أبو حيان ^(٢) في كتابه الذي سماه « البصائر » أن الأستاذ الرئيس
أبا الفضل بن العميد - رحمه الله ! - كان كتباً بأبي عثمان الجاحظ ،
حربصاً على كتبه ، ومثله محروس عليه ومُتَنافَسٌ فيه . وكان ^(٣) يقول :
ينبغي للفاضل أن يذهب في المعاني مذهب ^(٤) أرسطاطاليس : فإنه وطأ
طُرُقَ الحكمة ، وضرب منازها ، ونشر أعلامها ، وأنشأ الله في دهر
صالح ، وقبض له عدلٌ فاضل - يعني الاسكندر - ، وحبب
إليه معرفة أسرار العالم . وفرغته لتمهيد المنطق ، وألهمه دقائق الحكيم ،
وأنتم على لسانه حقايق ما سلف من الأمم . قال ^(٥) : وإنما يحفل قدر هذا
الحكيم عامي حشوي ، أو من هو في طباعه وإن كان بآئناً ^(٦) عن ظاهر
أمره ، أو عالماً لم يذق حلاوة الحق ولم ^(٧) ينسلخ من جلباب الهوى : فهو
يشنع على هذا الرجل تارة بالكفر ، وتارةً بالجهل - تملقاً لمن يطلب إليه
ما في يديه أو يفرح بعرض الجاه عنده . وصاحب هذا الفصل ليس للحكمة
محل ، ولا للعالم في نفسه مقَرٌّ . وإنما هو متشيع بالدعوى ، ومُظْهِر عنده
للحيلة .

قال : وفي الألفاظ يكون مقتدياً بأبي عثمان الجاحظ ، فإنه أوحدُ

(١) م ، ك : بأنه .

(٢) أي أبو حيان التوحيدي في كتابه « البصائر والفخائر » .

(٣) أي ابن العميد .

(٤) م ، ك : مذاهب .

(٥) ك : نائياً . م : نائياً . لي .

في غزارته وفصاحته ؛ وفي النظم لا يختار على البحرى ، فإنه سهل الطريقة
ممتنها . ومن عَرَفَ جوهر الكلام ومواقع الاستعارة وآثار المعاني
وسبيل التأليف في الكتابة ^(١) لا يخلُ بالمكنى عنه ، وتصريح لا يفصح المصريح
به ، ورقة لها تغفل في القلب ، ودقة فيها مجال للعقل ، وإيضاح يغنى عن
تحكم الظن ، وتلطّف خلوب السامع عليم ما دللت عليه وأشرت إليه .
ثم العمل متعرّض لك ، فخذّه كيف وجدته وأردته .

الاسكندر الملك

وهو ذو القرنين

كان من قصته أن والده كان رجلاً من أهل مدينة يقال لها ماقدونية ،
اسمه فيلفوس من أهل بيت الملك ، أفضى إليه ذلك وراثته عن أبيه .
وكان رجلاً لا يولد له . فاشتد ذلك عليه وعلى أهل مملكته ، مخافة أن يحدث
عليه حدث الموت فيذهب ذكره ولا يكون له عقب . فكثُر لذلك همُّه ،
لأن الملك لم يكن فيهم قديماً . فجمع أصحاب النجوم ومن له علم —
بالحساب ^(٢) ، وكل من يظن ^(٣) أن عنده معرفة بشيء من ذلك . وسألهم ^(٤)
النظر في أمره . فأجمعوا على أنه سيرزق ولداً يكون له علم وشرف يبلغ
أقطار الأرض ، ويبلغ ملكه ما لم يبلغه ملك أبيه . فسر بذلك الملك ، وجعل
يترقب الوقت الذي وقت له . وجعل يتوقى أن يصيب من نسائه إلا ذات
الحسب والجمال . فمكث بذلك حيناً . ثم إنه ذات ليلة خلا فيها بنفسه وعرضت
له فكرة في زوال العالم وما الناس عليه من وشيك الرحلة . فبينما هو في ذلك

(١) ك ، م ، غ : كتابه .

(٢) ك ، م ، غ : الحساب .

(٣) ك ، غ : تعلق . وما ابتناه في م .

(٤) م ، غ ، ك : فسألهم .

إذ رأى حبةً عظيمةً قد توسّط البيت معه . فأرعبه ذلك وأذهله عما كان فيه من الفكر . ثم سمع قائلاً (٥٠) يقول : « يا فيلفوس ! قد وهب الله لك غلاماً يُحِبُّ ذكرك ، ويقوم به نَسْلُكَ » . ثم توارت عنه الحية . فقام من ليلته فواقع^(١) المرأة الأخصَّ به ، فحملت من ليلتها . ولم تزل مصونة حتى ولدت غلاماً . فسمّاه « الاسكندر » . فنشأ نشوئاً حسناً حتى بلغ سبع سنين . وطلب له المعلمين والمؤدّبين . وكان مولده في السنة الثالثة عشرة من ملك دار الأكبر الملّقب بـ « أردشير » ، والد دارا الأصغر ، ولستين بقية من زمان ملك ارسجور . فملك اليونانيين كلها بعد أن كان ملكاً على بلاد مقدونية فقط ، وصالح دارا على خراج يؤدّيه إليه ، وهلك في السنة الخامسة من ملك دارا الأصغر . فملك بعده الاسكندر ابنه . وكان يجمع الحكماء وأهل الأدب بمدينة يقال لها أثيناس . وكان رئيس الحكماء وكبيرهم أرسطوطيلس الفيلسوف .

فكتب إليه فيلفوس الملك كتاباً ، هذه نسخته :

« أما بعد ! فإنه لو كان بالمرء غناء عن الطرق المحمودّة والسبيل المرشدة ، والفحص عن ذلك وطلبه من موضعه ، لكان الأولون المتقدمون أجدر بترك ذلك ، ولم يكن عمارة ولا دأب ولا ملك ولا مقدرة . وأحق الناس ، أيها الحكماء ، بطلب ذلك والمعانة له والدأب في طلبه والاجتهاد فيه : مَنْ كان بأمور الناس معنياً ، وللقيام بأمورهم وصلاحهم متضمناً — ليستكمل بمعرفة ذلك الحيلة عليهم والذب عنهم والمنع من عنوهم والنظر في مصلحتهم : وقد أجهدت نفسي إذ كنت المتولي لذلك ، القائم به ، وفي واجب حق ملكي عليّ ومن كنت^(٢) به متقلداً وبه قائماً ، أن أقدم حُسنَ النظر إليهم

(١) غ : امرأة : ك ، م : امرأته .

(٢) غ : ومن حيث كنت .

وجميل الاحتياط لهم ^(١) حتى يكون ذلك لي باقياً ، وأن أودع قلوب الناس من جميل الذكر بعد المفارقة لهم ما يبقى .

وقد وهب لي ولدٌ امتحنته من صغره بالعلامات التي وضعتها الكهنة فيه ، فوجدته هو الذي يتولى هذا الأمر من بعدي . وأرجو أن يكون ذلك . وأحييت أن ينال الغاية ^(٢) في العلم به والمعرفة له وإصلاح تديره : فيكون متمسكاً بالدين ، قائماً بحق الديانة ويرضي الناس (٥١) عنه ^(٣) لما يظهر من دقيق سياسته ومحمود رياسته ، فيبلغ ^(٤) من ذلك مبلغاً محموداً يتحدث عنه ويبقى ذكره . وإنه ينبغي ، لمن كان في مثل ذلك المحل ، أن يصرف نفسه في مصلحة رعيته وبودعهم من جميل فعله بهم ما يبقى له . فإنّ منْ يذكر بحسن الأثر وصواب التدبير فذكره غير دائر .

وقد منّ الله تعالى على أهل هذا العصر بك أيها الحكيم العالم : لعلمك وقديم أثرك وكثرة تجاربك . فأردت لك هذا الأمر الجليل ، ورأيت إبداعك هذا المصون ، وسألتك ^(٥) توقيفه على ما فيه مصلحته للرعية ومصلحة الرعية له : حتى يشاكل (كلُّ) واحدٍ منهم صاحبه ، ويصحُّ للراعي الرعية على حفاها ، كما تصحُّ للرعية الراعي ، فيتولى هذا الجسيم بعدي ، وأعقد ذلك له في أعناق نظرائه ، وأتقدم فيه بعد التوفيق .

(١) لهم : ناعمة في ك .

(٢) م ، غ ، ك : بغاية العلم به .

(٣) غ : منه ما .

(٤) م ، ك ، غ : فيبلغ .

(٥) م ، ك : وسألتك .

« أما بعد !

فإن كتاب المَلِكِ العظيم ذكره ، العالِي قدره ، وصل إليّ بأعظم السرور ، وأخضلت البهجة لعظيم الرأي الذي وفق له المَلِكُ الظاهر فضله ، المنتشر كرمه . وفهمتُ ما ذكره من الكهانة ، وما وصفت به ابن الملك . فلعمري إنه على ما وصفته للملك ، ووجدته سيبلغ ملكاً إلى مملكته ، ويستعيد سلطاناً إلى سلطانه وجنداً وأعواناً ، وسيحصل الناس على سُنَّة القسط وحق العدل . فإنه وإن كان يجب على الملك النظر في الأمور الغامضة والفحص عن جميع ذلك حتى تصحّ عنده ، فتفقد أمره على ما عُرِف منه حتى تصحّ له أمور العامة ؛ وإنما يجب على العامة الفحص حتى يجمعوا للملك بالحق الذي له علمهم ضرورة .

وقد قال اوقليدس إنه لا ينبغي لأهل الحكمة أن يمنعوا طُلّابها ، فإن من منع ذلك كان بمنزلة من منع الماء من الظمآن إليه ^(١) وكذا أيضاً لا ينبغي أن تُعرض على من لم يطلبها فيقل قدر الحكمة ويُسْتخفّ بها ، فيكون ذلك بمنزلة من يعرض على الرَبّان الماء المالح .

وقد عرف الملك حال الناس . وإن آباءك المحمود أثرهم الذين كانوا أسوا العلم فيها (٥٢) وتقدّموا فيه بكتاب وضعوه عند مسروغس ، رئيس الكهنة ، بأن لا ينفل العلم منها ، وأن تكون هي معقل ذلك وموضعه . فإنه متى صار الأمرُ إلى خلافها ، دثر ذكرهم واضمحَلَّ الاسمُ الذي شرفوا به .

(١) غ : البه . م : من الماء الظمآن .

وقد كاد لعمرى أن يدخل ذلك الموضع الخلل ويخلو حتى حسن نظر الملك في ذلك وكثر تفقده ^(١) له ، وأمر بإقامته علم ما لم يزل . وقد قال أوميرس ^(٢) الشاعر : إن للحكمة خلاء ^(٣) موضع لترسخ في العقول وتفهم .

وقد أجبته ، أيها الملك المحمود ، إلى الذي سألتني وامتدحت به عند أهل الحكمة ، ورجوت أن تكون مسدداً ، وأن يكون المشار إليه بهذا الأمر حقيقة لما يؤهل له من سعادة الجسد وإظهار الرشيد .

وبعد هذا ، أيها الملك ، فإنه إن لم يكن بأثيناس أحد يوازيه في القدر ، فإن فضل المذاكرة عزيز عند من يقصد الحكمة . وقبلنا قوم ليس بنا عن اجتماعهم معه غناء ، لرسوخ الحكمة وثبات المعرفة . ففي سعادة جسدك ، أيها الملك ، وما يمكن لك ، دليل على زيادة ذلك لك أولاً وآخرأ .

...

فلما وصل الكتاب إلى فيلفوس الملك ، حمد ذلك من الحكيم ، ثم دعا بالقواد ومن في ^(١) أثينية من أهل النجدة والبأس وأهل القدر ، فعقد لابنه البيعة في أعناق الكل ، وأطرى ذكر نفسه عندهم ، وحدد لهم العطايا والمواهب . وكتب إلى جميع عماله فأخذ ^(٢) ذلك عليهم وصححوه . ثم كتب إلى أرسطوطيلس بتعليمه ذلك ، ووجه إليه بالاسكندر ابنه إلى أثيناس ^(٣) . فقبله أرسطوطيلس بأحسن قبول ، وقصد نحوه حتى بلغ الغلام

(١) ك ، م ، غ : تفقده .

(٢) غ : أوميرس .

(٣) كذا في النسخ كلها .

(٤) غ : ومن أهل أثينة . م ، ك : ومن أهل أثينية بأهل النجدة .

(٥) غ : فأخذ دلائل عليهم .

(٦) لاحظ أنه يكتب الاسم مرة : أثينية ، ومرة : أثيناس - والرسم الأثير هو اليوناني الخالص .

حيث ظنَّ به ، ورجا أن يكون الخلف الصالح بعد أبيه . وأقام ^(١) على ذلك خمس سنين ينمو أحسن نموً ، وبلغ أحسن بلوغ ^(٢) ، ونال من العلم والفلسفة ما لم يتنَّه أحدٌ من أهل زمانه .

ثم إن والده اعتلَّ عِلَّة خاف منها على نفسه . فكتب إلى أرسطوطيلس يُعلِّمه ذلك ، ويسأله القدوم عليه بابه ليجدَّ له العهد الذي عقد له . فلما ورد الكتاب إلى أرسطوطيلس قدَّم عليه بالاسكندر (٥٣) وقد زينه من العلم بأحسنه . فدخل على الملك . فأمر بتقديم مجلس أرسطوطيلس ، وأحسن المكافأة له على ما كان منه في ابنه . وجتمع أهل العلم وأولى المعرفة ، وفاتحه ، فرأوا أنه قد بلغ الغاية في الأدب . فقال له الملك : « أرجو ، يا بُنَيَّ ، أن تبُلِّغ ما نؤمل فيك ، ونرجو لك من سعادة الجدد ، وتكون المستحقَّ للقيام بأمر الناس كقيام آبائك تحسُّناً وعظماً ورأفةً ورحمةً » . ثم جدَّد له البيعة ، وتقدم في عقد الإكليل على رأسه ، وأجلسه مجلس الملك ، وأدخِل عليه القواد والجند ، وسلموا عليه بسلام الملك . ثم دعا ^(٣) معلِّمه وقال : « الحمد لله الذي جعلك ^(٤) أهلاً لما أتاك من العلم ، وإياه أسألُ الزيادة لك من الحُسْن » . وشكر له ، وأعلمه موقعه منه . ثم سأله أن يعهد إلى ابنه عهد الجند ^(٥) ويكون داعياً له إلى مصلحته ويكون عزاء الملك على فراق الدنيا . فأجابته إلى ذلك وبدأ بأن قال : « ليس الأمر بالخير بأشدَّ به من المطيع له ، ولا المتعلم بأبعد من المعلم » .

• • •

(١) غ : ماما بذلك (١) م ، ك : فامام بذلك .

(٢) ك ، م ، غ : البالغ .

(٣) غ : دعه .

(٤) ك ، م : غ : جعل .

(٥) ك : اختار يكون . م : عهداً يجبل به .

وقرأتُ في بعض الكتب أن الاسكندر كان أزرق العين ، أشقر ، أبرش ، وطوله ثلاث أذرع . وكان في المكتب مع إخوة له . فقال أرسطوطيلس يوماً للأكبر سنّاً (١) : إذا أفضى إليك الملكُ بعد أبيك ، ما أنت صانعٌ بي ؟ فقال : أفوض إليك أمري . وقال (٢) للآخر - ويقال له فاليقلا - وأنت ؟ قال : أتخذك وزيراً ومشيراً . وقال للآخر (٣) وكان يقال له : اقربطن ، فقال : أشتركت في أموري . وقال للاسكندر : وأنت ، ما تقول ؟ قال : « أبها المعلم ! لا ترسخني اليوم لغد ، ولا تسألني عما أنا فاعلٌ فيما بعد . فأمهلني فلاني إذا صرتُ إلى ما ذكرت ، أفعل لك الذي أرى أنه ينبغي أن يفعل في تلك الحال لمثلك » . فقال أرسطوطيلس : أصبت ! أقول حقاً إنك لتحيل (٤) بملك عظيم ، وعلى ذلك يدل طباعك ، وبذلك تحدث الفراسة عنك » .

وفي رواية أخرى أن أرسطوطيلس لما قال له ذلك ، وكانت العبارة عنه بأن قال : إن أفضى إليك هذا الأمر يوماً ما ، فأين تضعني منه ؟

فقال (٥) : أتريد جواباً على الحقيقة ، أم على التملق ؟

قال (٥٤) : بل جواباً على الحقيقة .

قال : بحيث نضعك طاعتك في ذلك الوقت .

فقبل رأسه وقال : الآن وثقتُ ببلوغك إياه .

وكان (٥٥) يعظم معلمه . ف قيل له : إنك تعظم معلمك ، أكثر من

(١) غ : سنوان (١) - ولعله اسم هذا الأخ الأكبر . ك : ستران .

(٢) غ : الآخر يقال م ، ك : للآخر يقال .

(٣) ك ، م ، غ : للآخر كان .

(٤) ك ، م ، غ : لتحيل (بالهاء المهللة) .

(٥) أي الاسكندر .

تعظيمك والدك .

فقال : لأن أبي كان سبب حياتي^(١) الفانية ، ومؤدبي هو سبب حياتي الباقية .
وفي رواية قال : لأن أبي كان سبب حياتي^(٢) ، ومؤدبي سبب تجويد حياتي .
وفي رواية أخرى : لأن أبي سبب كوني ، ومعلمي سبب نُظْمِي .
قال أبو زكريا الصميري^(٣) : لو قيل لي هذا لقلتُ : لأن أبي كان
قضى وطراً بالطبيعة فعترضْتُ ، ومعلمي بفجر^(٤) من أجلي أوطاراً فكملت
به .

وقال أبو سليمان : لو^(١) قيل لي (هذا) قلت : لأن أبي أفادني الطبيعة
التي انطلقت عليّ بالكون والفساد ، ومؤدبي أفادني العقل الذي به انطلقت
إلى ما ليس فيه كون ولا فساد .

وقال النوشجاني : لو قلتُ أنا لقلت : لأن أبي كوّني بالعرض ،
ومعلمي زينني في كوني بالعرض .

وقال الاندلسي : لو قلتُ أنا لقلتُ : لأن أبي قيّدني فأوثق ، ومعلمي
حلّ قيدي وأطلق .

• • •

وقال له قواده : قد بسط الله ملكك ، وأظهر قدرتك ، فأكثر من
الطروقة يكثر ولدك ، ويبعدُ صيتك ، وينشر ذكرك بعدك .

فقال : أيها القوم ! إنما الذكر والصيت في السُنّة الصالحة والسّير

(١) ... ١) ما بين الرّقين ناقص فيك ، وموجود في غ ، م .

(٢) ك ، غ : الصميري . م : الضميري .

(٣) ك ، غ : ومعلمي بفخري احل ...

(٤) م ، ك : لو قلتُ أنا لقلت .

الحسنة والآثار الغريبة والأفعال العالية . فليس يحسن أن يغلب النساء ، مع ضعفهن ، على من غلب الرجال على قوتهم .

ثم إن الملك فيلفوس اشتدت عليه وثقل جداً ، فقال له أرسطوطيلس : « أيها الملك المحمود ! قد جمع الله لك من حسن الذكر وجميل الصوت ما تستحق به (من) ^(١) الكرامة ما أنت صائر إليها - وهذا سبيل الأبرار والمثاليين » .

فلما فرغ أرسطوطيلس من كلامه قضى الملك نجه . وأفضى الملك إلى الاسكندر فساس الناس سياسة حسنة ، وفتحت عليه فتوح عظيمة . وكان لا يخلي معلمه من برّه ومشورته ، حتى مات بابل بعد أن دانت له الأرض أربع عشرة سنة . وتفرق الملك بعد ذلك في فارس وملوك الأطراف والروم ونقضت الأمور .

ولمّا ملك (٥٥) ندب أصحاب أبيه للحركة معه . فاستعفوه من ذلك ، وقالوا له : قد كبرنا وضعفنا عن ذلك . فقال لهم : إنه ليس الذي يحتاج في الحرب : البطش والجلد فقط ، بل يحتاج مع ذلك إلى الرأي والتجارب . وقد رأيت أن تكونوا فيمن بشخص معي ليجتمع لي جلد الشباب ورأي الشيوخ .

وكان قد استعد لقصد مدينة ^(٢) قيليقية فبلغه أنه قد أصاب أهلها قحط وجوع وضّر . فأمر بحمل المسيرة إليهم من ماقبلونية . فقال له لوانطيفونا ^(٣) : أيها الملك أأمر بحمل المسيرة إليهم وأنت على غزوهم ومحاربتهم ؟ فقال الاسكندر : إنه ليس دهري ^(٤) فيهم أن يموتوا جوعاً . إنما أريد أن أغزوهم فأرجع بالظفر والغلبة .

(١) م ، ك ، غ : كرامته ما أنت صائر إليه .

(٢) ك ، غ : ماسفه . م : ملسفه .

(٣) كذا في النسخ كلها

(٤) كذا في المخطوطات كلها .

وإنما قدّمناه في ذكر أصحاب أرسطوطيلس على غيره بخصال : منها تقدمه عليهم بالملك وبسيرته الحسنة وآثاره العظيمة ؛ ومنها اختلاط أكثر ما نمكيه في الفضل عنهما ببعضه ببعض . وإنما تأتي في هذا الموضع من أخباره بما يشاكل ما تقدم القول فيه من النواذر الحكيمية والنكت العلمية ، سوى أفاصب سيرته وفتوحه وغزواته . وبالله التوفيق .

(آداب الاسكندر)

قال له بعض الحكماء : أخلاقك تجعل العدو صديقاً ، وأحكامك تجعل الصديق عدواً ، ويشهد لك عدمٌ مثيلك فيما كان يعدم مثلك فيما يكون . وقال له بعض الملوك : بم بلغت ما بلغت ؟ قال : بحسن سياستي ، ومعرفتي (بما) تحب خاصتي وعامتي ، وقلة خفلي عما يقدح بافساد في مملكتي .

وعزى الإسكندرُ ثاوفرسطس على ولده فقال له : أيها الملك (١) ! قد علمت أن الذي ولدت سيصير إلى الموت .

وجلس يوماً فلم يسأله أحدٌ حاجةً . فقال لأصحابه : والله ما أعدّ هذا اليومَ من أباتم عمري في مملكتي ، اللهم إلا أن يكون العدل قد شملهم ، والغني قد أزال الحاجة عنهم فيكثر بذلك سروري وابتهاجي .

وكان يُنادي على باب داره في كل يوم ثلاثة أصوات : يا معشر

(١) لا بد أن هاتما تحريفاً ، إن كان المقصود ثاوفرسطس تلميذ أرسطو وابن أخته . اللهم إلا أن يكون الكلام هنا لثاوفرسطس رداً على تمزية الاسكندر له . لكن ما الداعي إذن إلى إيراده هنا والحديث عن آداب الاسكندر . ! لكن الاسكندر لم يكن له ولد توفي في حياته . أو لعل ثاوفرسطس هذا كان ملكاً وشخصاً آخر غير ثاوفرسطس الفيلسوف ؟

الناس ! التمسك (٥٦) بطاعة الله أحسنُ من الوقوف على المعصية وأسلم ،
فاحذروا فإن الطاعة تورث فرحاً وتُجدي ، والمعصية تُعقِّب نداماً
وتُردِّي . والسلطان قيم الله والمستوفي ما يجب له في الظاهر إن عيتم أو
تناقلتم .

و كتبت إليه أمه : « احذر طبيبك أن لا يسقيك سُمّاً ! » .

فدعا بطيبه وقال له : أنتني بشرية دواء . فتناولها من يده بيده اليمنى ،
ودفع إليه الكتابَ بيده اليسرى ، وقال له : اقرأه لتعرف كيف ثقني بك .
فقال الطبيب : ما قالت إلا ما يقال مثله بفرط الشفقة . ولقد فعلت ما لا
يفعل مثله إلا بالكرم . ولقد اعتدنتني اليوم بما لا يفكتي منه شيء ، وكنتُ
قبلُ عبداً على غير ذلك .

وسعى إليه ساعٍ برجل من أصحابه ، فقال له : يجب أن تقبل قولك
فيه وقوله فيك . قال : لا ! قال : فكُفَّ عن الشرِّ ليكفَّ الشرُّ عنك .

وفي رواية أخرى : دنا رجلٌ منه : فجعل يثلب صاحباً له ويهتكه
ويشهر به . فأصغى إليه للاستماع منه بأذن واحدة . فقيل له : « أيها الملك !
تسمع بإذن واحدة ؟ » فقال : « تركت الأخرى لأسمع من خصمه » . فعلم
الساعي أن خصمه إن جاء سمع منه ، فكفَّ .

وأهدى (١) له فختار ، فأعجب به وأجاز عليه جائزة حسنة . ثم أمر بها
فكسرت كلها . فقيل له في ذلك ، فقال إنها كانت تنكسر على أيدي الخدم
واحداً واحداً فلا يزال ذلك يحدث فينا غمّاً ، فكسرتها جملةً وأرحت
نفسي منها .

وذُكر له سوء حال رؤساء أثينية بما كان فيلفوس أبوه حازه من أموالهم

(١) هذه الحكاية شبيهة بحكاية الإمبراطور نيرون Néron مع القبة التي أهديت له . راجعها في
كتاب « الجسامير في معرفة ابغواهم » للبيروني .

فقال : « قد يجب ^(١) للآباء على الأبناء إزالة الدمّ عنهم وإبقاء المحامد لهم » .
وأمر بردّ أموالهم عليهم والإحسان إليهم .

وسئِلَ عن ألدّ ما يوجد في هذا العالم ، فقال : برّ الوالدين في حياتهما .
وكان يقول : إن من آيين ^(٢) الملِك أن يقبل الهدايا القليلة والأشياء
الصغار ، ويَجْبُرُ بالكثير ، ويعطي الرغائب مسروراً بذلك .

وقبل له : فلان يُبَغْضُك وبثلبك ؛ فلو عاقبته ؟ قال : هو عند ذلك
العقاب أعذّرُني بَغْضِي وتلبي .

وسأله بعض الملوك عن علامة ثبات (٥٧) الملِك ، فقال : الجِدّ في
الأُمُور .

قال : وما علامة زواله ؟ فقال : الهزل فيها .

قيل (له) : فما سرور الدنيا ؟ فقال : الرضا بما رزقت .

قيل ^(٣) (له) : فما غمّها ؟

قال : الحرص على ما لعلّ لا يناله .

ودخل إليه رجلٌ في جملة أصحاب الحوائج ، فتكلم بين يديه بكلامٍ
استحسنه ؛ وكان رثّ الكُسُوة ، فقال : « أيها الملك ! أما الكلام فلاني
أقدر عليه ؛ وأما الكُسُوة فأنت أقدر عليها » . فبسم وأمر له بجائزة سنة .
وقال : جودوا على أقربائكم ، وأكرموا إخوانكم ، واحسنوا إلى
المنقطعين إليكم .

(١) غ : الآباء .

(٢) الآيين : المراسم والعادات والتقاليد .

(٣) ك ، م ، غ : قال .

وقال : صحة المحبة ^(١) أن لا تميل إلى نفع ، ولا ^(٢) يقصد بها منع .

وقال : ليس الموت بالم للنفس ، بل للجسد .

وقال : من ^(٣) يريد أن ينظر إلى أفاعيل الله مجردة ، فليعف عن الشهوات .

وقال : إن الحكمة شبيهة بإكليل ذهب مزين بجواهر فائق الشرف والبهاء ، لتزينها الأنفس بالأدب والمدن بالسنة الصالحة .

وقال : العقل لا يألم في طلب معرفة الأشياء ، بل الجسد الحامل له ؛ كما أن البياض ليس هو الذي يتغير إلى السواد ، بل الجسد الحامل للبياض .

وقال : النفس تحتاج إلى ثلاثة أشياء إليها تنوق ، ونحوها تنزع ، وبها يتم اعتدالها وحسن حالها وهي : الغذاء الخفيف ، والشراب الطيب ^(٤) اللطيف ، والثاني : إدخال السرور إليها من المسموعات الطيبة والعلوم البرهانية ؛ والثالث : الحركة التي يقوى بها البدن ، ويتحلل بها فضول الغذاء المتقدم .

وأخذ يوماً تفاحة ، فقال : ما أطف قبول هذه الميولى الشخصية لصورتها ، وانفعالها لما تؤثر الطبيعة فيها من الأصباغ الروحانية : من تركيب بسيط ، وبسط مركب ، حسب تمثيل النفس لها ؛ كل ذلك دليل على إبداع مبْدع الكل ، وإله الكل .

وقال : سلطان العقل على باطن العاقل أشد تحكما من سلطان السيف على ظاهر الأحق .

وقال : لولا القلم ما قامت الدنيا ، ولا استقامت المملكة . وكل شيء

(١) ك ، م ، غ : التي .

(٢) غ : يقصر .

(٣) م ، ك : الذي .

(٤) الطيب : نائمة في ك ، م

تحت القلم والعقل واللسان . . يريكما شايين ويحصرها صورتين .

وقال : السعيد . (٥٨) مَنْ لَا يَعْرِفُنَا وَلَا نَعْرِفُهُ ، لَأَنَّا إِذَا عَرَفْنَاهُ أَكَلْنَا يَوْمَهُ وَأَطْرَقْنَا نَوْمَهُ .

وقال في رجلين رآهما يختصمان ويتفاحشان ، فقال : لن تقع بين عاقلين خصومة^(١) ، ولا بين عاقل وأحمق . وإنما تقع الخصومة بين أحمقين لجهلها بقدر الحلم ، وشرف رتبته وحسن زينته .

وسأل بعض بطارقه : مَنْ أَنْجَدُ النَّاسِ ؟ فقال : من يسأل الاسم ، ولا يسأل القَسَمَ .

ورُفِعَ إِلَيْهِ أَنَّ رَجُلَيْنِ مِنْ أَصْحَابِهِ ، وَكَانَا أَخَوَيْنِ ، أُبْلِيَا فِي الْحَرْبِ وَأَغْنِيَا وَاسْتَبْلَا^(٢) فِي وَجْهِهِ الْأَعْدَاءُ ، وَأَثَرُوا أَنْ أَحَدَهُمَا قَالَ لَصَاحِبِهِ : أَتُرَى الْمَلِكَ يَعْرِفُ لَنَا وَقَفَّتَنَا^(٣) وَهُوَ غَائِبٌ عَنَّا ؟ فَأَجَابَهُ أَخُوهُ : إِنْ غَابَ الْمَلِكُ عَمَّا يَجِبُ لَنَا^(٤) ، فَإِنَّا لَا نَغِيبُ عَمَّا يَجِبُ لَهُ . فَأَعْجَبَ بِحَوَارِهِمَا وَتَقَدَّمَ لِحَبَابِهِمَا^(٥) وَاصْطَفَاهُمَا ، وَقَالَ : لَوْ عَلِمْتَ أَنَّ فِي عَسْكَرِي مِثْلَ هَؤُلَاءِ عَشْرَةً لَأَنْكَرْتَ نَفْسِي زَهُوًّا .

وسعى إنسان عنده بآخر ، فقال له : مَنْدُكُمْ عَرَفْتَ هَذَا الرَّجُلَ ؟ فقال : منذ عشر سنين . قال : انصرف^(١) ، فَإِنِّي أَقْنُومُ^(٢) مَعْرِفَةً بِهِ مِنْكَ .

ولما فرغ الإسكندر من جميع مغازيه ، أقبل إلى بابل ليجعلها دار المملكة .

(٥٥) تحت اللسان والعقل والقلم يريكما : م ، ك .

(٥٥) من هنا يعود الترتيب الصحيح في توقيم المخطوط غ .

(١) ك ، غ ، م : فضاءنا .

(٢) م ، ك : وقفنا .

(٣) ك ، م ، غ : له .

(٤) أي لجهلها عطاء وجزاء . م : بحبابهما .

فبينما هو في الطريق إذ وجد فتوراً في بدنه . وتأذى بحرارة الشمس . فترل عن دابته . وظلله أصحابه فوقه بأترسهم ، وكانت موهة بالذهب ، فلم يجد خفة . وقرب ذهاب الشمس فأمرهم أن يعدلوا به إلى أقرب القرى منه . ففعلوا . وبات بها مقيماً ، وأصبح وقد اشتدت به الشكاية ؛ فسأل عن اسم القرية ، فأخبروه بأنها تسمى رومية المدائن . فانقطع عند ذلك رجاؤه ، إذ كان قد عرف ببعض الإنذارات وفنون مقدمة المعرفة ان موته يكون في بيت من ذهب برومية . فلما أيقن بذلك بدأ بالكلام والوصية ، ولم يكن له وارث . وصبر وصيته إلى سلبقوس ^(١) خليفته ، واستخلفه على بابل . وأدركه أجله . وكتب إلى أمه :

(كتاب الاسكندر إلى أمه)

« من عبد الله ، الاسكندر ، المستولي على أقطار الأرض بالأمس ، وهو اليوم — هنيها — إلى اولومفاس ^(٢) الرحيمة الحبيبة ، التي لم يتمنع بالقرب منها . السلام عليك الطيب الزاكي .

إن سبيلي يا أمّاه ^(٣) سبيل (٥٩) من قد مضى من الأولين ، وأنت ومن يتخلف بعدي بالأثر . وإنما مثلنا في هذه الدنيا كالיום الذي يتبع ما تقدمه . فلا تأسفي على الدنيا فإنها غارة لأهلها . والعبرة في ذلك ما قد عرفت في الملك فليغوس ، حيث لم يجد سبيلاً إلى المقام معك ، ولا التخلّف عليّ . فتذرعي بالصبر ، وأنثني الجزع من قلبك . ونادى بأن لا يدخل عليك إلا

(١) غ : سيفنوس . وهو Seleucus كبير قواده ، ولقبه نيفاتور Nicator وقتل سنة ٢٨١ .

(٢) ك ، غ ، م : ارفيه أمه — رام الاسكندر كان اسمها اولمپياس Olumpias .

(٣) غ : باه (١) م : يا أمه .

من لم تُصِبه مصيبةٌ ، لتعرفي ما في ذلك وتستعيني على أمرك إلى أن تعضي
لشأنك ، فإن الذي تصبرين ^(١) إليه خير مما كنت فيه وأرواح . فاحسني إلى
وإلى نفسك بقبول الغزاء .

وأمر بحتم الكتاب وإنفاذه إلى أمته سرّاً .

وتقدم إلى سليفوس ^(٢) وزيره أن يسر موته ، وأن يُجِدَّ السير إلى
الإسكندرية . ثم جعل يقول وهو يجود بنفسه : « رب أنيلني رضاك !
فكلّ ملك باطل سواك » - حتى مضى . فأودع في تابوت من ذهب
إجلالاً له وأعظماً ، لثلاثِ عِمسٍ بدنه التراب . وسرّ الوزير موته . وقاد
الجيوش والخزائن : حتى انتهى بها إلى الإسكندرية ، المدينة التي بنيت له .
وأخرج التابوت فوضعه في البلاي لتعام اثنتين وثلاثين سنة عاشها في الدنيا ،
ملك فيها اثني عشرة سنة .

ويقال إن بعض عبيده سمّه في مرضه فقتله .

وأظهر للوجوه والحكماء موته ؛ فبكوا عليه وندبوه . وأمر الوزير أن
يقول كل امرئ منهم عليه تدبة ، تكون للخاصّ تعزية ، وللعام موعظة
بإيجاز . فقال نليموس الحكيم : « هذا يوم عظيم ، أقبل من شرّه ما كان
مدبراً . وأدبر من خيره ما كان مقبلاً . فمن كان باكياً على من قد زال
ملكه ، فليتبكّه ! » .

وقال ميلاطوس الحكيم : « خرجنا إلى الدنيا جاهلين ، وأقمنا فيها
غافلين ، وفارقنا منها كارهين » .

(١) م ، ك ، غ : نصير .

(٢) ك : فاروق وأحسن .

(٣) غ : ميلوس - وهو Seleucus م ، ك : سيفلوس .

وقال زينون الحكيم : « يا عظيم السلطان ! ما كنت إلا ظلّ سحاب
اضمحلّ لما أظّل » ، فما نحسُّ لملكك أثراً ، ولا نعرفُ منك ^(١) خبراً .

وقال زينون الأصغر : « إن الأمر في الذهب قد ماوى ^(٢) صمتنا .
فهل نرجو أن ينفذ بعد أمرك أمر ١٢ » .

وقال ذولس الحكيم : « يا من ضاقت عليه البلادُ طولاً وعرضاً !
ليت شعري كيف حالك فيما احتوى عليك (٦٠) منها ! » .

تمت ^(٣) قصة الإسكندر ^(٤) .



(١) م ، ك : ك .

(٢) م ، ك ، غ : الذهب قد سارا صتنا .

(٣ ... ٢) لم يرد في ك ، م .

ذيو جانس الكلبي

كان ذيو جانس هذا حكيماً فاضلاً ، وقد أخذ^(١) نفسه بالتششف ، لا يقضي شيئاً بته ، ولا يأوى إلى منزل . ولم يكن في ملكه شيء غير ما يوارى عورته ، ويسر بدنه . يأكل قوت يوم بيوم . وكان إذا جاع أكل الخبز أين وجدته ، ليلاً كان أو نهاراً ، عند مالك كان أو عند سوقه . لا يحتشم أحداً . وقيل إنه مرّ بحجاز بنجر . فأخذ من خبزه ، وأكل . ثم مرّ به في الغد ، فوجده بنجر ، فتناول من خبزه ليأكل . فقال له الحجاز : قد أكلت أمس . فقال له : وآكل اليوم أيضاً لأتلك بنجر في كل يوم ، وأنا أجوع في كل يوم :

وهو صاحب الشيخ اليوناني ومعلمه^(٢) . والشيخ اليوناني^(٣) هو صاحب الحكمة التي ظهرت منه في كتبه المعروفة به ، وليس ها هنا موضع ذكرها . فمن أحب أن يطالعها ، فليقرأها من تلك الكتب ، فإنها موجودة فيها .

ولما سُمّي ذيو جانس وأصحابه « الكلبيين » لأنهم كانوا يترَوّن اطراح الرسوم والأسباب المفترضة على الناس ، مثل التزويج والبناء والتجارة والاقتناء .

(١) غ : يأخذ نفسه بالتششف . م ، ك : بالقشف .

(٢) غ : ويعلمه .

(٣) الشيخ اليوناني = أفلاطون Plotinus . راجع كتابنا : « أفلاطون عند العرب » ، ط ٢ ، القاهرة سنة ١٩٦٦ .

وكانوا يحبّون أقدارهم وإخوانهم فقط ، أو مَنْ ذهب مذهبه وأحسن إليهم ،
ويغضون سائر الناس . وهذه أخلاق تخصّ الكلاب .

وقيل له الكلب ^(١) للجبّة الذي فيه ، والتحكك الذي به .

وسئل : لم سميت كلباً ^(٢) ، فقال : لأنّي أجبّه أهل الشرّ والباطل
بالحق ، وأصدقهم في أنفسهم ، وأنبص للأخبار ، وأدير في وجوه الأشرار .

وقيل له : لم لا تتخذ لنفسك بيتاً ؟ فقال : لو علمتم بيّني وكبره لأيقنتم
أن يوتكم ويوت العالم لا تسعّه ، يعني أن الأرض كلها بيته ، وأن السماء
سقفه .

وقيل له : أنت شرب ؟ فقال : ما أرضى ^(٣) عقلي مجتمعاً ، فكيف إذا
تفرّق ؟ !

وكان الإسكندر ^{٩٤٥} يُقرّبه ويأنس بكلامه . وقال يوماً للإسكندر : أيها
المالك ! قد أمنت الفقر ، فليكن غناك اقتناء الحمد وابتناء المجد .

وسئل عن الملاحه ، فقال : مجاورة الموت .

وقال : الأمن مع الفقر خير من الغنى مع الخوف .

وسئل : أي العلوم أنفع ؟ فقال : ما عمّل به .

وقيل له : ادخل (٦١) البستان لتأكل الفاكهة . فقال : إذا حضرت
الفاكهة أكلتُ .

ومرّض فعاده تلامذته ، فقالوا : كيف نجدك أيّها المعلم ؟ فقال : أجدني

(١) م ، غ : الكلب وللمه (١) . والجبّه : المجابهة)

(٢) غ : كلباً ... اسمه (١٠) .

(٣) م ، ك : والله ما أرضى .

أفر بكم من الله ، وأبعدني منكم .

وقال : « أيها الناس ! اجتمعوا ! » فبادر إليه خلقٌ كثير ، فقال : « إنما أدعو الناس ، لا أنتم » .

وكان يقول لتلاميذه : دَعُوا أخلاق البهائم والتشبه بأهلها . واعمُرُوا الخفة بالوقار ، وأطفئوا نار الغضب بالكظم ، واغلبوا الإساءة بالإحسان ، واستبدلوا بطلب الثأر العفوَ إن كنتم تريدون استكمال الحكمة بالاسم والفعل .

ومرّ بعشار . فقال له العشار : « أمعلك شيء من المال ؟ » قال : نعم ! « ووضع محلاته ففتشها العشار فلم يجد فيها شيئاً ، فقال : « أين ما قلت ؟ » ففتش في صدره وقال : « ها هنا حيث لا تقدر عليه ولا تراه » .

حضر هو وقورقس المضحك مجلس الإسكندر . فقال الإسكندر : « أيها الكلب ! كيف الذي بينك وبين قورقس ^(١) ؟ » فقال : « أيها الملك ! إن الذي بيني وبينه يختلف بعيداً جداً . قال : « وكيف ذلك ؟ » فضحك وقال : « لأنني بحكمتي أدعى الحق ، وصرتُ مهزوءاً بي . وقورقس ^(٢) المضحك بحمقه صار كليماً . فأنا لست أنتفع بحكمتي كما ينتفع هو بحمقه » . فضحك الإسكندر من قوله ثم قال لقورقس ^(٣) : « كيف تقول أنت فيما يدعيه الكلب ؟ » قال : « أيها الملك ! قد أدركتُ بحمقي ما ضيع الكلب بحكمته . وحق ^(٤) يُجدي عليّ ويكفيني أحبُّ إليّ من كلمة تحرمني وتبعدني وتفرّج مني حظي » .

وقيل له : بلغنا ^(٥) أنك تبغض الناس أجمعين ؟ فقال : نعم ! أبغض

(١) لك ، غ ، م : قورقس (الفاتين) .

(٢) غ : وحمقي .

(٣) غ : بلغت .

أشرارهم لسيرهم الخبيثة ، وأبغض أخيارهم لأنهم لا يعطون أشرارهم .
وعيب بالفقر ، فقال : لم أر أحداً عُدَّبَ على الفقر ، ولكن الذين
يُعَدَّبُونَ على الغنى كثيرون .

وسئل : ما الفصل بينك وبين الملك ؟ فقال : الملك عبد الشهوات ، وأنا
مولاها .

وسئل عن الغنى ، فقال : الرضا بالكفاف ، والكفُّ عن الشهوات .
وقيل له : بلغنا أن بليون ^(١) يريد أن يقتلك . فقال : إن فعل ذلك كان
عليه أضر .

وسأل الإسكندر جلساءه من الفلاسفة عن الشرف والغنى (٦٢) فقال
ذيوجانس : أيها الملك ! ليس المال الكثير من الشرف والغنى في شيء . إنما
الشریف من تجنب ^(٢) الرذائل ، والغنى غنى النفس .

قال (له) الإسكندر : أردتُ أيها ^(٣) المُعَلِّم أن أكون مثلك !

الشيخ اليوناني ^(٤)

ولما ذكرنا في ابتداء هذا الفصل من اختصاص الشيخ اليوناني بذيوجانس
وكونه من تلامذته ، أتبعنا ذكره بفصل يشتمل على نُبذةٍ من كلامه ، حسبما
وُجِدَ وظُفِرَ به .

(١) لم يرد في غ تكملة هذه الجملة بل توقفت عند هذه الكلمة .

(٢) ل ، غ : الشریف من تجنب الرداء !

(٣) أيها : مكررة في غ .

(٤) هو أفلاطون Plotinus راجع كتابنا : أفلاطون عند العرب ، المقدمة . القاهرة ١٩٦٦ .

قيل له : ما بلغت ^(١) محبتك للعلم ؟ فقال : إذا اغتممتُ فهو سلوتي ، وإذا ارتعتُ فهو لذتي ، وإذا فترتُ فهو هزتي ، وإذا نشيطتُ فهو عدتي ، وإذا أظلمتُ عليّ فهو ضيائي ونوري ، وإذا تجلّيتُ عليّ فهو نزهتي وسروري .

وقال : النفس جوهرٌ كريمٌ شريفٌ ، يشبه دائرة قد دارت على مركزها ، غير أنها دائرة لا بُعدَ لها ، ومركزها هو العقل . وكذلك العقل هو دائرة استدارت على مركزها ، وهو الخير الأول المحض . غير أنه ، وإن كان العقل والنفس دائرتين ، لكنّ دائرة العقل لا تتحرك أبداً ، بل هي ساكنة ^(٢) ذاتية شبيهة بمركزها . وأما دائرة النفس فإنها تتحرك على مركزها ، وهو العقل ، غير أن دائرة العقل ، وإن كانت شبيهة بجوهرها لكنها تتحرك حركة الاشتياق ، لأنها تشتاقي إلى مركزها وهو الخير الأول . وأما ^(٣) دائرة النفس فإنها تتحرك حركة الاشتياق أيضاً ، إلاّ أن في حركتها ميلاً ، لأنها تشتاقي إلى العقل والخير الأول والأُن ^(٤) الذي هو فوق كل أن .

وأما دائرة هذا العالم فإنها دائرةٌ تدور حول النفس ، وإليها تشتاقي . وإنما يتحرك هذا الحركة الدائمة شوقاً إلى النفس كشوق النفس إلى العقل ، وشوق العقل إلى الخير المحض الأول ، لأن دائرة هذا العالم إنما هي جرمٌ ؛ والجرم يشتاقي إلى الشيء الخارج منه ، ويحرص على أن يبصر إليها طبعاً ^(٥) فيعانقه . فلذلك يتحرك الجرم الأقصى الشريف حركة مستديرة ، ولأنه يطلب النفس من جميع النواحي لينالها فيستريح إليها ويسكن عندها .

(١) غ : بلغ - ك ، م : ما بلغ من

(٢) غ : دائمة .

(٣) ك ، م ، غ : ولها .

(٤) ألأن (بضم الألف .) تعريب لمكلمة اليونانية لأن = الوجود ، الموجود .

(٥) طبعاً : ناقصة في ك ، م .

وقال : ليس للمبدع الأول - جل وعلا ! - صورة ولا حليّة مثل صور الأشياء العالمية ولا مثل الصور التي في العالم السفلي ، ولا قوة مثل قواها ، لكنّه فوق كل صورة وكل حليّة وكل قوة ، لأنّه مُبدِع كل حلية وصورة حسنة بثوسط العقل ، وذلك أن الشيء المكوّن إذا كان مكوّناً فإنّه من الواجب أن يكون شيئاً ما ، وأن تكون له حليّة ما ، وصورة ما . وأما المبدع الأول - جل وعلا ! - الذي لم يكوّنه أحد ، ولم يبدعه أحد ، فلا حلية ولا صورة له ، لأنّه هو المصور الحق ومبدعُ المهورات كلها .

وقال : المبدع الأول الحق ليس بشيء من الأشياء ، وهو جميع الأشياء ، وليس الأشياء كلها ، لأن الأشياء منه .

وقال : ما غيظي على الذين كذبوا على الأشخاص السماوية ذات الزينة والحركات الموزونة والآثار الغريبة والأخبار العجيبة ؛ ولكن غيظي على الذين كذبوا على ناظمها ومصرفها وناضدها ؛ فإنهم افترّوا عليه ، ونسبوا الباطل إليه ، وادّعوا أنهم أبناؤه وأخياره وأحباؤه ، فأتوا نكراً ، وكلّفوا عباد الله حُسراً ، وكانت عاقبة أمرهم خسراً .

وقال : قد صدّق أفاضل الأوّلين في قولهم في مالِك الأشياء إنه الأشياء كلها ، لأنّه هو علّة كونها بأنّه فقط وعلة شوقها إليه . وهو خلاف الأشياء كلها ، وليس فيه شيء مما أبدعه^(١) آتيته ؛ وذلك أنّه لو كان فيه شيء ، لما كان هو علّة الأشياء كلها . فإن كان هذا هكذا ، وكان العقل الأولُ واحداً من الأشياء ، فليس فيه إذن عقل .

وقال أيضاً : الله أبدع الأشياء بأنّه فقط وبأنّه يعلمها ويحفظها ويدبّرُها ، لا بصفة من الصفات . وإذا وصفناه بالفضائل والحسنات كلها^(٢) فإنما نعني

(١) غ : أبدعها . ك : أبدعها .

(٢) غ : وإنما .

بذلك أنه علة الحسنات والفضائل وأنه إنما جعلها في الصور ، وهو مبدعها .
وقال : إن الفاعل الأول - جلّ وعلا - أبداع الأشياء كلها بغاية الحكمة .
لا يقدر أحدٌ أن ينال علة كونها ، ولمَ كانت على الحال التي (هي) الآن عليها ، ولا أن يعرفها كنهَ معرفتها ولمَ (١٤) صارت الأرض في الوسط ، ولم كانت مستديرة ولم تكن مستطيلة ولا منحرفة ؛ فإنك (١٥) لا تقدر أن تقول شيئاً إلا أن تقول : كذلك كان ينبغي أن تكون الأرض مستديرة موضوعة في الوسط ، وأن الباري - عزّ وجلّ (١٦) ! - صبرها وسطاً وكذلك (١٧) كان ينبغي لها أن تكون مستديرة موضوعة في الوسط (١٨) لأن الوسط هو موضعها الذي لا يمكن أن تكون إلا فيه . ولو فكرت دهرَكَ ، ورويت في شكل الأرض وسائر الاسطوانات ومواضعها وفي سائر الأشياء الجزئية ولمَ كانت على الحال التي (هي) الآن عليها ولم تكن على خلافها - لم تقدر على ذلك إلا بالتخمين والحدّز . فأمّا العلة القصوى التي من أجلها كانت الأشياء على ما هي عليه الآن فلن تناها ولن يعرفها أحد لأنها كانت بغاية الحكمة الواسعة لكل حكمة : وذلك أن كل فاعل يفعل بروية وفكر فإنه يفعل فعله لا بآنيته لكن بفضل فيه (١٩) . فلذلك لا يكون فعله غاية في التقانة والإحكام . وكل فاعل يفعل بلا روية ولا فكر : فإنما يفعل بذاته فقط ، لا بفضل فيه ، فلذلك يكون فعله فعلاً محكماً غاية في الاتقان والحسن . - فإن كان هذا هكذا ، قلنا إن الفاعل الأول - جلّ وعزّ - لا يحتاج في إبداع الأشياء إلى روية وفكر . وذلك أنه ينال العلل بلا قياس . ولذلك لا يروي في إبداع الأشياء ولا يفكر في نيل عيّلها ومعرفتها ، بل يبدع الأشياء ويتعلم عللها قبل أن يروي فيها ويفكر ، وذلك أن الروية والفكرة والعيل والعلم والبرهان والتقنوع

(١) ك : لن .

(٢) ك : جلّ وعزّ .

(٣ ... ٣) ما بين الرقمين نافر في غ . م : ك : في الوسط وهو موضعها ...

(٤) ك : بفضل . غ : بمقد .

(٥) غ : فإنه .

وسائر ما يشبه هذه الأشياء ، إنما كانت أجزاءً وهو الذي أبدعها . وكيف يستعين بها وهي لم تكن بعد ؟! هذا محال غير ممكن ، والله تعالى أعلم بالصواب . .

ثاوفرستس

كان من أصحاب الحكيم أرسطوطاليس وتلامذته ، واستخلفه على كرسي حكيمته بعد وفاته فأعانه على تعليم الفلسفة ^(١) للمبتدئين والقيام بما فوض إليه اوديموس واسخنولوس ^(٢) (٦٥) - وكانا أيضاً من تلامذة ارسطوطيلس الكبار فيهم ^(٣) .

وله الكتب الكثيرة والتصانيف الجلية والشروح الكثيرة ككتب أرسطوطيلس الأصول .

ومما يؤثر عنه من اللائق بهذا الموضع قوله : « الآلهة ^(٤) لا تتحرك » . ومن تأمل اللقطة وتفكر في قلة لفظها مع غزارة معناها وكثرة ريعها ^(٥) ، استدل بها على علمه وبُعْد غوره وجلالة قدره من العلم .

وقوله : ^(٦) لما قيل له إن ضبط الغضب عسير - فقال : وضبط الشهوة

(٥) نشرنا هذا الفصل الخامس بالشيخ اليوناني قبل هذا في كتابنا « أفلوطين عند العرب » ، الطبعة الأولى ، القاهرة سنة ١٩٥٥ ، والثانية سنة ١٩٦٦ .

(١) م ، ك : المتفلسفة والمبتدئين .

(٢) م ، ك : واسخنولوس .

(٣) م ، ك : منهم .

(٤) م ، ك : الإلهية .

(٥) وكثرة ريعها : ناقصة في غ .

(٦) م ، ك : محله .

(٧) غ : ما .

أيضاً بحسب^١ ، وذلك أنه ليس شيء من الخيرات سهل .

وقوله : النفس تقدر على الطيران والحلول على جميع ما تريده بالأجنحة الخفية التي لها^(١) ، وهي تنظر إلى ما تريد ولا ينظر إليها ، شبيهة بالنحلة التي تطير وتسقط على الشجرة المملئة من عسل الثمار فتأخذ حاجتها منها ، وتجاوز ما خلا من ذلك . وترك نفس العقاقير فقيرة من الحلوة التي كانت فيها وتكتسب هي منها أطايب^(٢) ذلك .

وقال : متى طرحت النفس عنها الثقل من فكر العالم التي نعوقها عن حركاتها إلى الشيء الفاضل ، باشرت الحكمة بأيسر كلفة وأهون سعي ، وصارت كالسراج الذي هو يضيء لنفسه وبضوء غيره . فالجاهل إذا لزمها صار غافلاً ، والفقير إذا تبعها صار غنياً . وكلما علت^(٣) أكثر ، ازدادت في العلم فتصادف من الغنى يساراً .

وكان يقول : إن السماء فيها مسكن لجميع الكواكب . وأما الأرض ففيها مسكن لجميع الناس ، لأنهم شبيهة ومثل لهم فهم الآباء^(٤) وهم مدبرونا ، وذلك أن لها أنفساً وعقلاً مميزة وليس لها أنفـس نباتية ، لأنها لا تقبل الزيادة والنقصان .

وقال : ليس الغنى حسناً ، ولكن كيف ينبغي هو الحسن .

ورأى مصارعاً لا يتصرع أحداً فترك الصراع وصار طيباً – فقال له : الآن تصرع من شئت .

وسأله الاسكندر : بماذا يصنع المملك ؟ فقال : إذا أطاعت الرعية ملكها ،

(١) م . ك : هي لها .

(٢) غ : أطايب .

(٣) غ . م . ك : علت .

(٤) غ . فهم الآباء هم الآباء وهم ... م : لهم هم الآباء .

وَعَمِلَ الْمَلِكُ بِالسُّنَّةِ وَالْعَدْلِ .

ونظر إلى معلم رديء الكتابة يُعَلِّمُ الكتابة . فقال له : لِمَ لَا تُعَلِّمُ
(٦٦) الصَّراخ ؟ قال : لِأَنِّي لَا أَحْسِنُهُ . فقال : هُوَذَا أَنْتَ تُعَلِّمُ الْكِتَابَةَ وَلَسْتَ
تَحْسِنُهَا !

وقيل له : مَنْ أَصْدَقَاؤُكَ ؟ فقال : « وما علمي ! فإني موسر » - أي إذا
مكثرت من المال فلا صديق لي .

وقال : لو كان للاستماع درجةٌ فضيلة ، كانت الأيائل (١) قد أخذت
بِحفظها منها (٢) ، إذ هي تحبُّ أصوات الملامي كثيراً .

وسئِلَ : أيتها أولَى : طَلَبُ الْغِنَى ، أَمْ طَلَبُ الْحِكْمَةِ ؟ فقال :
الحكمة غنى النفس ، والمال غنى البدن . وطلَبُ غِنَى النَّفْسِ أَوْلَى ، لِأَنَّهَا
إِذَا غَنِيَتْ بَقِيَتْ ؛ وَغِنَى النَّفْسِ مَمْدُودٌ . وَغِنَى الْبَدَنِ مَحْدُودٌ .

ولما حضرته الوفاة أقبل على لوم الطيِّمة فقال : كيف فعلتِ ؟ إنك بنيت
الكراسي والفرابي (٣) والنسور بنيةً تقبل حياة كثيرة ، وبنيت الإنسان بنيةً
تقبل حياةً قليلةً ، فصار الذي يحتاج إلى الحياة بدثر سريعاً ، والذي لا يحتاج إلى
حياة يبقى كثيراً .

أَوْذِيْعُوسُ

كان أيضاً من تلامذة الحكيم أرسطوطاليس والمدرسين لعلمه وحكمته ،
والمصنفين للكتب على قوة كلامه (١) ونمط تأليفه ونسبتها إليه .

(١) جمع أيل

(٢) م ، غ ، ك : منه - إذا المقصود : من الفضيلة .

(٣) تحنها في مخطوط غ : جمع غراب .

(٤) أي كلام أرسطو .

وقيل له : لم تمنع من يسألك ؟ فقال : لئلا أسأل من يمنعني .

وقال : يمنع الجاهل من أن يجد ألم الحلق السريع في قلبه ما يمنع السكران منه أن يجد سن الشوك الداخلة في يده .

وقال : اللفظة هيولى ، والمعنى صورة ، والنظر منظر ، والبلاغة جمال المنظر .

وقيل له : أين بلغت فكرتك ؟ فقال : بلغت الدرجة التي تحيط بمبالغ فكر أهل دهرى . فتنى تصفحت مبلغ فكرة مفكراً ، أحطت بمبلغها علماً ولم أقصر عن معرفتها ، وعلمت أني تجاوزتها . وإنما يكون المرء عالماً ، أكثر علماً من غيره . إذا أحاط علماً بمقدار فكرته ، أعني إلى أي مبلغ انتهت فكرته وما مقدار ما عرفت من المسالك وتوجهت إليه . فعلى حسب الدرجة التي انتهت إليه من طريقة السلوك الصحيحة ، يروض فكرته : كأن في كل ما تصرف فيه فكرته مقصراً . وإذا علم المرء طريقة السلوك أمين عليه الزيف والزلل .

وقال : اللحن الصحيح الفصح هو المستوفي لصفة النفس . وأيضاً صانع^(١) أظهر الصورة التي في النفس (٦٧) حتى تخرج^(٢) إلى أن يقع عليها الإحساس على أقصى ما يمكن إظهارها - فهو حكيم .

وقال : أحببت السباع امرأة الأب . فقيل له : أيتها^(٣) يسلب من السباع ؟ فقال : لا أعرف من السباع سبباً أحب من امرأة الأب .

وقيل له : مات فلان عدوك . فقال : وددت أنكم قلتم إنه تزوج .

(١) غ . ك . : الصانع .

(٢) غ . : أن تخرج .

(٣) م . ك . : أيتها .

ونظر إلى ميت فقال ^(١) هذا نذيرٌ يُنادِي العاقلين بلا صوت : ويُحرك
الناظرين إليه بلا حركة ، ويُنَبِّه الحواسَّ ولا حسَّ له .

وقيل له : هل يوجد في الدنيا من لا عيب له ^(٢) ؟ فقال : لا ، لأن من لا
عيب فيه لا يموت .

وسُئِلَ عن قدر انتفاع الإنسان بالحكمة ، فقال : إذا حوى الحكيم
كلها والتحف بها واشتمل عليها كانَ مَثَلُ الإنسان الذي بلغ بسيره ^(٣) في
البحر إلى مقصده في سفره ، فهو ينظر ^(٤) وراءه إلى غيره مكروباً بالأموال
المحلقة ، والرياح المجترقة عليه .

وقال : مِن حُسْنِ جَدِّ الإنسان أن تفوته شهرته . ومن حُسْنِ جَدِّه أن
يضطر إلى خدمة الحكمة وأهلها .

وقال أيضاً : اقنع بالكفاف . فإنَّ ما فوقه عاقبته وخيمة ، والتبعة فيه
عظيمة .

وقال : وإيتاك والمرء فإنه يربِّي الشرَّ ، كما يربِّي المطرُ الحبَّ .

وقال : الدهر يستخدم الزمان ، والجدعان يستخدم أصحاب الأكوام .

وقال : لسانٌ يذْكُر المبدعَ الأول لا ينبغي أن يجري بالرفث .

وقال : أبصر الناس بعوار الناس المُعْجِرُ بعيب نفسه .

وقال : إن الله تعالى تفرد بالكمال ، ولم يُعَرِّ أحداً مِن خلقه من
النقصان .

(١) فقال : ناقصة في م .

(٢) ك ، م : فيه .

(٣) م : سيره .

(٤) وراءه : ناقصة في م .

وقال : حظ المرزوق بالعقل حظٌ روحاني ، وحظ المرزوق بالجهل قدرٌ جري بسه .

وقال : الظفر بالحرص ، والحرص بإجالة الرأي ، وإجالة الرأي بتحصيل الأسرار .

وقيل له : متى نحمد الغياوة ؟ فقال : إذا اتصنت بكرم . قيل : فمتى تذمُّ الفطنة ؟ قال : إذا اقترنت بلوم .

وقال : لا شيء أنفس من الحياة ، ولا غيبٌ أعظم من إنفاذها لغير حياة أبد .

وسئل عن المحال فقال : ما لا صورة له في النفس .

اسخولوس

كان أيضاً من كبار (١٨) أصحاب الحكيم أرسطوطيلس ، وجارياً مجرى ثاوفرسطس وأوديموس فيما ذكرناه من شأنهما . وكان الإسكندر يعظمه ويرفعه على نظرائه .

وكان يقول : أربعٌ يفتن العمر قبل فئانه : قلّة ذات اليد ، وسوء خلق المرأة ، وفساد الولد ، وافتقار الإخوان .

وقيل له : (١) هلّا اتخذت أهلاً وولداً ؟ فقال : أنا في السمي في إصلاح نفسي هذه والحيلة في مصالح جسدي هذا — في مؤنّ وجهد وهموم وغوم لا قوام لي بها ، فكيف أضمّ إليها وأقرنُ بها مثلها ؟!

(١) غ : ايبيدولوس ك ، م : اسخولوس .

(١) غ : لم : ك : لو .

وقيل له : مالك تُدْمِن القراءة والكتابة ؟ فقال : لأعلم أنتي جاهل محتاج إلى العلم .

وقال : المُلْحِف على عقله كالعنيف بدابته ^(١) يَدْعُ بها أحوج ما يكون إليها .

وقال في الإسكندر : كان جامعاً للشدة والحكمة . وكان سلاحه في محاربة أعدائه : الحكمة .

وسُئِل عن الحسن فقال : ما تضمن استحسان الأوهام المتفاوتة من الغائص والغام .

وقال : أقيح عمل المقندين : الانتقام ؛ وما استنبط الصواب مثل المشاورة ؛ ولا حُصِنَت النعم بمثل ^(٢) المرواسة ؛ ولا اكتسبت الفضائل بمثل البذل . ولا البغضاء بمثل الكبير .

وقال : إياك والحسد : فإنه من ^(٣) فيك ، ولا بمس ^(٤) على عدوك .

وقال : التجنيّ وإميد الصرْم ، والسنيّ قائد الخزم ^(٥) . والتظنيّ رائد العزم .

وقال - وقد رأى طوقاً من شوك فوقه حبةٌ يجري به الماء - : ما أشبه الملاح بالسفن !

وقال - وقد أسمع بعض السفهاء فلم يعبأ به - فقل له في ذلك : - ليس يخلو من أن يكون صادقاً . فما غضبي ! أو كاذباً فأحرى أن لا أغضب ؛ إذ ليس الأمر على ما قال .

(١) غ : فدع (١) . م : فدع به . خرج . ك . : فدع .

(٢) غ : مشر .

(٣) كذا في النسخ كله بدون نقط ...

(٤) م : الحرم .

و غضب عليه الاسكندر : فأمر بحبسه ، فلما أُدْخِلَ السجن أتاه السجّان
يُفتش ما معه من المال ، فقال : ما رأيتُ أَجهلَ منك ! ما جئتُ هاهنا للتجارة
ولا للهو ولا حاجة . ^(١) أتراني بلغ من جهلي ما بلغ من جهلك أن أحمل معي
مالاً تأخذهُ . قال : اجلس لا تَحْتَصِلَكَ الله ! فبلغ قوله الاسكندر فضحك
وأمر بتغليبته .

وقال في كلام له ملفوظ ^(٢) به : لا يَشْرَبُ الشَّرَابَ الْمُسْكِرَ إِلَّا مَلِكٌ .
- قال المفسر : عني بذلك مَنْ مَلَكَ نَفْسَهُ فلم يشرب (٦٩) منه إِلَّا بِقَدَرِ
طاقته ، فإن الملك هاهنا بالحقيقة مَنْ مَلَكَ نَفْسَهُ ولسانه وجوارحه . قال :
وهو حرامٌ على العبيد والموام . قال المفسر : عني بالعبد من لم يملك شهوته في
وقت صحته ، فبالحرى أنه إذا شرب أن يصير متعرياً من كل خير ، مُسْكِرًا
بالحقيقة كالمعتوه الذي لا تميز له والبهيمة التي لا فكر لها .

وقيل له : متى يحمد الكذب ؟

فقال : إذا وَصَلَ بين المقاطعين . قيل : فمتى يذم ^(٣) الصدق ؟ قال :
إذا كان عيباً . قيل : فمتى يكون قليل البذل خيراً من كثيره ؟ قال : إذا كان
قليله في الحقوق . وكثيره في الشرف . قيل : فمتى يحمد الجزع ؟ قال : عند
مصيبة أخيك . قيل ^(٤) : فمتى يكون الصمت ^(٥) خيراً من النطق ؟ قال : عند
الرأي .

وسئل عن حبه للمال وجمعه له ^(٦) على الكِبَر ، فقال : لأنْ أَمُوتَ

(١) م ، ك ، غ : أتراني .

(٢) به : نافعة في م .

(٣) غ : ذم .

(٤) غ : قل .

(٥) له ، م : الصدق .

(٦) م ، غ : هـ ، ك : لذلك .

وَأَخْتَلَفَ مَالِي لَعْدُوِي أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أُحْتَاجَ فِي حَيَاتِي إِلَى أَصْدِقَائِي .
وقال : الملاحه حركة لطيفة من حركة مشتعلة .

هرمس الحكيم

ذكر أبو معشر في أخبار الأمم السالفة من الغربيين أن هرمس الأول الذي يدعى الحرفانية نبوته : ويسميه الفرس : انبجهد^(١) وتفسيره : ذو العقل^(٢) . كان قبل الطوفان . وكان ألّف كتباً كثيرة بأشعار موزونة ، بلغة أهل زمانه في معرفة الأشياء العلوية والسفلية الطبيعية على طريقة الفلسفة . وإنه علم أن آفة مساوية تصيب بعد وفاته سكان الأرض : من الفرق بالمياه والاحتراق بالنيران والحرارات . فبنى هو وأهل زمانه في الناحية التي يسكنها من المغرب في الأرض المعروفة بيونان فيما بين صعيد مصر المتصل ببلاد السودان إلى الاسكندرية وأسفل إهراماً كبيرة^(٣) من حجارة على رموس الجبال والمواضع المرتفعة ارتفاع كل هرم منها بين الثلاثين ذراعاً إلى الخمسين ذراعاً عريضة الرؤوس ، وجعلوا من بنائها بينها^(٤) هرمين أرفع سكا .

ومن كلامه : أنفع الأمور للناس وأقرها للعيون القناعة والرضا ، وأضرها وأشنعها عليهم الشر والسخط . وذلك (٧٠) أن أفضل ما في الدنيا السرور الذي هو ثمرة كل خة يصيبهم . وأشد ما يصيبهم الحزن الذي هو ثمرة كل شر يصل إليهم . وإنما يكون جل السرور بالقناعة والرضا ، ويكون جل الحزن بالشر والسخط . ولن تجتمع القناعة والسخط ، ولا السرور والحزن .

(١) م ، غ ، ل : انبجهد .

(٢) كذا في غ . وفي ل . ل : ذو العقل .

(٣) غ : كبيرة الحجارة .

(٤) غ : من بنائها .

وقال : إنما تجري الأمور بمشيئة الله - عز وجل ! - إذا كان الفيلسوف منكأ ، أو بملك متفلسف .

وقال : كل شيء يُطابق تغييره غير الطباع . وكل شيء يُقَدَّر على إصلاحه غير الخلق السوء . وكل شيء يستطاع دفعه غير القضاء .

وقال : إن الموت موتان : موت ارادي ، وموت طبيعي . فمن أَمَات نفسه موتاً إرادياً فإن موته الطبيعي له حياة .

وكان إذا جلس للشرب ^(١) قال للموسيقيار : أطلق لي النفس - من عقاليها - .

وقال لتلميذه له وعنده موسيقار : فهمت عنه ؟ فقال : نعم . فقال هرمس : ما أرى آثار الفهم فيك . قال : وكيف ذلك ؟ قال : لأنك لو فهمت ، سررت ، وما أراك مسروراً .

وسئل : أي العلوم يجب أن يتعلمها الصبيان ؟ فقال : العلم الذي إذا شاخوا سَجَّج بهم ألا يحسنوه .

ورأى فتى على شاطئ البحر محزوناً متأسفاً على ما فاته من عَرَض الدنيا - فقال : يا فتى ! ما تلهفك على الدنيا ؟ قل لي : لو كنت في غاية العناء وأنت راكبٌ بلحمة قد أشرفت على الفرق ، وأنت تملك من المال ما لا يحصىه الحسبة - أفلا تكون غاية أمنيته النجاة بنفسك ؟ قال : نعم . قال : فكذلك لو كنت ملكاً وقد أناخ بفنائك وأحاط بك مَنْ هو أقوى منك وأكثر جنوداً يريد قتلك وسلب مالك ^(٢) ؟ قال : نعم ! . قال : فأنت الغني ، وأنت المملوك . إلا أنك نجوت بنفسك ، فاقنع بما أنت فيه ، واغنم مساربحت من

(١) غ : الشرب قال الموسيقار .

(٢) م ، ك : ملك .

الأمن . - فتعزى الفتى بما سمع منه ، واتعظ بما وعظه به .

وقال : إن الذي لا يعلم ولا يعمل فذلك يموت موتة واحدة . والذي يعلم ولا يعمل فذلك يضاعف له ^(١) ضعفين من العذاب . والذي يعلم ويعمل فذلك الذي يدخل (٧١) في ملكوت السماء .

وقال : إذا أنكرت على غيرك شيئاً ، فاحذر مثله في نفسك فإنه لا شيء أقبح من عار يرجع على ^(٢) المعير به .

وقال : الفهم في الأمور والفحص عن الأسباب وطلب غورها واطف النظر فيها يحدث للإنسان الحكمة والأدب ، ويمنعه الإساءة والجور . والجد والاجتهاد والرغبة في الحكمة والأدب تزيد من كان منه ذلك في كل يوم حليماً إلى حلمه وعلماً إلى علمه ومروءة إلى مروءته .

وقال : لا ينبغي لطالب الحكمة أن يكون طلبه إناها ورغبته فيها لثواب عليها وثمرتها ، ولكنه ينبغي له أن يكون ذلك منه رغبة فيها لفضلها في نفسها على كل شيء مواها .

وقال : إن أفضل الناس من عظم شأنه وتواضع في نفسه . وأجمل الناس من صغر شأنه ويعظم في نفسه . والمتزلة الوسطى أن يعظم شأنه ويعظم في نفسه . أو يصغر في نفسه ليصغر شأنه .

وقال : خير المملوك من بدّل السنّة السيئة في مملكته بالسنّة الصالحة ، وشرهم من بدّل الحسنة بالسيئة .

وقال : يدل على غريزة الجود : السماحة عند العُسرة ، وعلى غريزة النور : الصدق عند السخط ، وعلى غريزة الحلم : العفو عند الغضب .

(١) ك . م : المذاب ضعفين .

(٢) إل . إل .

وقال : سبعة أشياء تُجْعَلُ بسبعة نفر : السلطان بولاية الصدق ، والتدبير بالعلماء ، والغنى بالسحباء ، والثرويق بطلاب^(١) الخير ، والقوة بالعائدة بها على الضعفاء ، والأدب بأهل النذل له : والمدح بأفواء النصراء بقول البلغاء فيه .
وقال : مَنْ سَرَّ مودَّةَ الناس له ومعونتهم إياه وحُسْنُ القول منهم (فهو) حقيق بأن يكون على مثل ذلك لهم .

وقال : مَنْ قُضِّلَ العلماء على غيرهم ، وقَصِدَ العادل واستفاد العمل الصالح ، واجتهد في طلب الحكمة والأدب — أصاب ما يرغب فيه من خير الدنيا والآخرة .

وقال : صيحة الأرواح في الحكماء الصالحين خاصة . وأما^(٢) صيحة الأجساد فليست أبالي بها من الجهال والأشرار .

وقال : المرء حقيق^(٣) أن يطلب الحكمة ويشتتها في نفسه ، وأن^(٤) (٧٢) لا يمزج من المصائب التي نعم^(٥) الأخيار ، ولا يأخذ الكبر فيما^(٦) يبلغه من الشرف ، ولا يعير أحدا بما هو فيه : ولا يغيره الغنى والساطان ، وأن يعدل^(٧) مرتبه حتى لا يتفاوت ذلك منه البتة ، وتكون سُنَّته ما لا عيب فيه ، ودينه ما لا يختلف فيه : وحجته ما لا ينتقض .

وقال : ثمرة الشهوة الهلاك ، وثمره الهوى الندامة ، وثمره الفخر المقت ، وثمره الحرص الفقر والفاقة .

وقال : أنا^(٨) أشبَّه النفس بضارب العدد ، فإنها في اسكارتها وتدبيرها

(١) م : بطلاب .

(٢) غ : ولها .

(٣) ع : أو لأن لا يخرج ك ، م : أو لا أن لا يفرج .

(٤) غ : يبيته .

(٥) ك . م : يبين لبيته .

(٦) أنا : ناقصة .

كالمعازف ينقر الأوتار ويقلب الأصابع عليها وفوقها على ما يريد إظهاره من اللحن حتى يفهم عنه .

وقال : ما أقل كثرة .. (١) المعرفة مع غلبة الشهوة ! وما أكثر قنبل المعرفة مع ميلك النفس !

وقال : الخير والشرّ واصلان إلى أهلهما لا محالة (٢) : فالطوبى والويل لمن جرى وصولهما ، إلى من وصلا إليه ، على يديه .

وقال : أحمدُ الأشياء عند أهل السماء وأهل الأرض لسانُ صادقٍ ناطقٍ بالعدل والحكمة (٣) والحق في الجماعة .

وقال : المظلوم والمخدوع والمعذب والمبتلى في جنب الظالم والخادع والمعذب والمبتلي سعداء ، فإنه حقٌ على الله أن يعقب المظلومين رَوْحاً ، والظالمين بلاءً .

وقال : الخير الذي لا شرّ معه : الشكر عند النعمة ، والصبر عند النازلة .

وقال : اعتياد الخير أبسر من قطع عادة الشرّ .

وقال : أول ما يجب على المرء الفاضل بطباعه : المحمود بيسخه المرضي في عاداته ، المرجو في عاقبته تعظيم الله وشكره على معرفته . وبعد هذا فالسلطان عليه قوة الطاعة والمناصحة ، (٤) وللناموس عليه التظاهر به والعناية ، ولنفسه عليه الاجتهاد والدأب فيما فتح باب السعادة وصار أمانة للكرامة المطلوبة . فأمّا حق خلصائه عليه فأن يتحلّى لهم بالود ، ويسارع إليهم بالهدل ؛ فإذا أحكم

(١) غ : المروفة .

(٢) لا محالة : ناقصة في غ .

(٣) غ : والحكمة وبالعدل والحق ...

في جنب ... الميئل : ناقص في غ .

(٤) بدون ه وار ه في م .

هذه الأسس ، لم يبق عليه إلاّ كَفُّ الأذى عن العامة وحسن المعاشرة بسهولة الخلق .

وقال : الجهل والحمق في النفس بمنزلة الجوع والعطش في البدن ، لأنّ هذين جلاء للنفس ، وهذين ^(١) جلاء للبدن .

وقال : مَنزَعُ أنفع الأشياء لطباع الناس الاقتصاد في (٧٣) المطاعم ، فإن الإكثار من الأطعمة والأشربة عذابٌ على الجسد ومضرةٌ له : ولا سيما الخمر . فإن الإكثار منها يزلزل الجسد ، ويكدر الحسّ ، ويوهن قوى النفس : من العلم والحلم والمعركة بالخير والشرّ ، والحسن والقيح ^(٢) وما ينبغي مما لا ينبغي . فهي المهلكة للحسنات ، والعدو للطبيعة ، والموهنة للحزم والأناة ، والماحقة للأشرف ، والملحقة للخزاية ، والسبب للذنوب ، والعلّة للغضب والمبعدة عن كل خير .

وقال : النار يطفئها الماء ، والسم يدفعه الترياق ، والحزن يكفّه ^(٣) الصبر ، والعشق يسليه طول الغربة ، والحق شرٌّ لا دواء له .

وقال : يا أهل العافية ! لا تشتغلوا شيئاً من العمر ، وإن قصّر ، مع العافية .

وقال : لا يكون المرء فاضلاً وبالحكمة عاملاً وبين أهلها داخلًا حتى لا يبالي في يد من كانت الدنيا ولمن ساعدته الشهوات . ولن يتم له هذا حتى يصرف ماله عن الاهتمام بسوء التدبير فيها إلى غيره .

(١) م ، ك : وهذين .

(٢) ك ، م : والقيح .

(٣) م ، غ ، ك : يكفّيه .

سولون *

كان جَدّ أفلاطون مِن قَبْلِ أُمّة ، وهو الذي وضع نوااميس أهل يونان وسنتهم وأحكامهم .

وسئل : لِمَ لَمْ يَفرض على مَنْ قتل أباه ما يجنبه ^(١) عليه ؟ فقال : لأنّي لم أعلم أن أحداً يقدم على ذلك .

وسئل - وقد كان أُمّت عليه سنون كثيرة - عن عمره : فقال : الوقت الذي أنا فيه . وفي رواية أنه قال : ليلة واحدة .

وكان من سُنّته أن لا يباشر أجسادُ الأحرار أجسادَ الإماء مخافة أن يكون أولادُ هُجَناء .

ومن ناموسه أن لا يسكر من يشرب من الشراب من اليونانيين ، لتبقى العفة فيهم . وإذا مات الملك أن لا يخرجوا إلى الأسواق ثلاثة أيام ولياليها في المدينة . وإذا توجّج الملك لم يخرجوا ثلاثاً أيضاً ، ويقبلون على لذاتهم ليطهر السرور بالملك في المدينة .

ومن سُنّته أن يستعمل الفارس في الحرب من لدن ثلاثين سنة إلى ستين سنة ، ثم يستعملونه بعد الستين في الحُدس . وأن ينادي المتنادي كُلُّ يومٍ . لا تُنكحوا كثيراً فتنهدّ أبدانكم وتقصّر أعماركم . وإذا أذنب الرجل أن يرفع إلى السلطان نيبث ذنوبه (٧٤) والشهر واليوم والسنة التي يذنب فيها . ثم إذا رفع عليه شيء بعد ذلك نُظِر في ذنوبه ومناقبه : فإن فَضَلَتْ مناقبه على ذنوبه خُلّي عنه ، وإن نقصت عنها قُتِل .

وقال : لَيْسَتْ فضيلةُ الرجل ما ادّعاه في نفسه ، ولكن ما نسبة الناس

(*) ك : م : سولون .

(١) م : ك : يجنبه .

إليه بما يظهر لهم من كرم طبعه .

وسُئِلَ : بماذا نمتحن أنفسنا على الصبر ؟ فقال لهم : بأن ^(١) تصبروا على مقارنة المرأة المِهْذَرة .

وسئل : ما أصعبُ الأشياء على الإنسان ؟ فقال : أن يعرف نفسه ، ويحكم السر ، ويمسك عملاً لا ينبغي أن يتكلم به .

وسئل : أي شيء في غاية المفسدة للإنسان ؟ فقال ^(٢) : حب المال .

وقال : إذا أردت أن تعرف كيف الجزاء فأعرفه بمن يطيعك ويعصيك .

وقال : إن الذي يطلب شيئاً ليست له نهاية : جاهل ، والبسار هو شيء ليست له نهاية .

وسأله رجل : كيف لي بأن ينزل خطاي ؟ - فقال : لا تتعرض لعداوة الأشرار .

وقال : ليكن صديقك من خالفك على الهوى وأعانك على الرأي .

وسُئِلَ عن الجواد فقال : من جاد بالمال ^(٣) ، وصان نفسه عن المطامع . وكفَّ يده عن مال غيره .

وقال : من فعل خيراً فليجتنب ^(٤) ما خالفه ، وإلاّ دُعي شريراً ، لأن الخير والشر لا يتخالطان . بل يتخابطان ^(٥) . وبحق الشرّ للخير أقرب من بحق الخير للشرّ لأنهما في غاية التعاند والتباعد : تعاند بشهادة العقل ، وتباعد بتعذر الجمع .

(١) م . غ . ك . : أن .

(٢) ك . غ . م . : قال .

(٣) م . ك . : بماله .

(٤) م . ك . : فليجتنب .

(٥) أي يجتمع كل واحد منهما الآخر ويبطئه . ك . م . : يتخابطان .

وقال : إن أمور الدنيا حق وقضاء . فمن أسلف فيلقض ، ومن قضى فقد رَفَى .

وقال : إذا هممت بالحسن فبادر به قبل فوت القدرة . وإذا هممت بالقبح فبادر بمعاينة النفس عليه .

وقال : فعل الجاهل في خطئه أن يذم غيره ، وفعل طالب الأدب أن يذم نفسه ، وفعل الأديب أن لا يذم نفسه ولا غيره ، بل لا يركب ما يذم عليه .

وقال لتلاميذه : إذا نضب الدُّهن والزيت والشراب ، وانكسر الإناء فلا نغم ، بل قل : كما أن الأرباح لا تكون إلا فيما يباع وبشرى ، كذلك مصيبة الفقدان لا تكون إلا في الموجودات . فهذا ثمن الغم والخسارة عندك . لأن لكل شيء (٧٥) ثمناً وليس شيء بالمجان ^(١) .

وسئل : ما الشيء الذي هو أحدٌ من السيف ؟ - ^(٢) فقال : لسان الرجل الرديء إذا كان فصيحاً .

أومبروس ^(٣) الشاعر

هو من القدماء الكبار الذي يُجْزِيهم أفلاطون وأرسطوطيلس : ومن يجزِي مجراهما في أعلى المراتب . وكان أرسطوطيلس لا يفارق متكأه ^(١) ديوان شعر أومبروس ^(٢) . ويستدل هو ومن تقلعه وتأخر عنه أبداً بشعره ، لما كان يجمعه مع الخلق في قول الشعر من اتقان المعرفة ومتانة الحكمة وجودة السراي .

(١) غ : بجان .

(٢) ك ، غ ، م : قال .

(٣) أومبروس . ك ، م : أومبروس .

(٤) م ، ك : تكأته .

فمن ذلك الاستدلال بقوله في عدة مواضع : « لا خير في كثرة الرؤساء »^(١) — وفي هذا كفاية لمن تأمل ريع هذه الكلمة واحتوائها على معانٍ جليلة جعلها كل من تكلم في شيء من التوحيد — من الفلاسفة والمتكلمين بعده — قدوة وعمدة فيما أثبتوه من ذلك .

وسئل ذيوجانس : مَنْ هو أكبر الشعراء اليونانيين ؟ فقال : كلُّ أحدٍ عند نفسه ؛ وعند الجماعة : أو ميروس^(٢) .

وقد نقل اصطفن^(٣) شيئاً من أشعاره من اللغة اليونانية إلى العربية . ومعلوم أن أكثر رونق الشعر ومائه يذهب عنه (في) ^(٤) النفل ، وجلّ معانيه يتداخله الخلل عند تغيير ديباجته . لكنني مع ذلك أثبت ببعضها لإفصاحها — مع ما تقدم وصفه — عن كل معنى دقيق وعلم غزير . وقدّمت على ذلك شيئاً من مثنور كلامه على مجرى العادة في باب غيره من الحكماء . وضمت هذا الفصل المشتغل على ذكره بما أثبتته من بعض أشعاره .

١ - مثنور (كلامه)

قال : إني لأعجب من الناس إذا كان يمكنهم الاقتداء بالله — عز وجل ! — فيدعون ذلك إلى الاقتداء بالبهائم ! فقال له تلميذه : لعلّ هذا إنما يكون لأنهم قدّروا أن يموتوا^(٥) كما نموت البهائم . قال : فبهذا السبب يكثر تعجبي منهم ، من قبل أنهم يحسبون أنهم لا يموتون بدناً ميتاً ، ولا يحسبون أن في ذلك البدن نفساً غير ميتة .

(١) : شهد أرسطو بقول هوميروس هذا في آخر انفصل العاشر من مقالة اللام من كتاب « ما بعد الطبيعة » ص . وقول هوميروس « وجود في » الألياذة .

(٢) أي اصطفن بن سبيل المترجم الكبير . وهذا خبر مهم جداً .

(٣) النفل : ناقصة في غ .

(٤) م ، ك : أنهم يموتون .

وقال : من يعلم أن الحياة لنا مستعبدة ، والموت معتيق مُطْلِق ؟ !
 وقال : الدنيا دار تجارة ، فالويل لمن تزود منها بالخسارة .

(٢ - بعض مقطعات من شعره)

وهذه بعض مُقْطَعَات (٧٦) من أشعار أوميروس ^(١) التي تسمى
 « يامبو » ^(٢) ، فيها معانٍ حسنة وترتيها على ترتيب حروف اليونانية - نقلها
 اصطفن إلى العربية :

قال : ينبغي للإنسان أن يفهم أمور الإنسانية (و) أن الأدب للإنسان ذُخْرٌ
 لا يُسْتَلَب .

ارفع من عمرك ما يحزنك
 إن الأحرار يكتبون بأن يسموا الشيء مرة واحدة
 من لم يهتم بمعاشه لم يحسن أخلاقه
 إن العقل أبداً كتنزُّ خبر عظيم
 من احتمل المصائب احتمالاً شديداً فهو رجل
 إن الله منتقم من الأشرار
 لا تدع الأشياء الظاهرة وتطلب ما ليس بظاهر
 إن الرجل الشرير شقي وإن ظنَّ به أنه سعيد
 إن كنت إنساناً فافهم كيف تضبط غضبك
 إن الغضب أوضعُ جميع الأشياء
 لا تفعل فعلاً قبيحاً أبته ولا تتعلمه
 إن الأدب يؤنس كل شيء

(١) غ : اومينوس . م : اوميروس .

(٢) ك ، م ، غ : يابوا - أي المنظومة في بحر الياپيو vers iambiques

اهرُبْ من مشورة الرجل الشرير
 اكتبْ أيمان الرجل الكذّابة على الماء
 إذا نالتك مضرة فاعلم أنك كنت أهلها
 قد يُعلم مذهب الرجل من كلامه
 إن مُحبي المال ليست لهم حرّية
 إن الرجل الشقي يعيش بالمنى
 إن القول الحسن هو دواء الغضب
 إن الرجل يسلم الرجل : والمدينة تسلم المدينة
 لا تتخذنْ صديقاً الرجل الذي ليس عنده شكر
 إن الإنسان الشرير لا ترق أحشاؤه على أحد
 الرجل إذا ساءت حاله هرب أصدقاؤه منه
 ليس لشيء من العمر الفاني ثبات
 اسلك^(١) الطريق المستقيم لتكون خيراً
 كلنا نريد الفنى ، لكننا لا نفكر عليه
 إن العمر هو الذي يمر صاحبه بالفرح
 إن العمر سُمي عُمرّاً لأنه يكتسب بمشقة
 من استعمل العدل في عمره تكون آخرته آخرة صالحة
 كنْ رزينا واتخذ الأصدقاء بالرزانة
 ليس شيء أصح من الرأي الصحيح
 إن الموت واجب على جميع الناس كلهم
 مترّض الجسد أصنع من مترّض النفس
 إن المرأة تقصر عُمر الرجال
 إن لم تكن لك امرأة عشت عمراً صالحاً

(١) غ ، م ، ن : أسالك الطريق .

(٥) وقع من هنا خلط في ترتيب أوراقك ، وانتلاوة في البوحة .

زينة كل امرأة سكونها ^(١)
 إن المرأة الصالحة تسلم المنزل
 إن الضحك في غير وقته هو ابن عم البكاء
 الشيخ الفاسق هو في غاية رداءة (٧٧) البخت
 من تزوج فإنه سيندم
 إن المرأة العادلة هي سلامة العمر
 وجود المرأة الخيرة ليس بسهل
 تدفن المرأة أصلح من أن تزوج بها
 إن المرأة على كل حال هي مطبوعة على الإفراط في النفقة
 تزوج بالمرأة ، لا بجهازها
 إن المرأة الصالحة ركن لبيتها
 إن الناس يتزوجون بالجهاز ، لا بالنساء
 إن الطبيعة لا تطلق الرئاسة للنساء
 إن المرأة سلامة بيتها وسبب عطبه
 إذا أردت التزويج فانظر إلى الجيران
 اللسان الرديء يكتسب لصاحبه غرامة
 إن المرأة لا تشير بشيء ألبته فيه صلاح
 إن المرأة لا تعلم شيئاً إلا ما تريده
 إن رأي المشايخ أفضل من رأي الشبان
 إن المرأة تعلقك لتأخذ منك شيئاً
 عند حسن الحال يجب ذكر الله وحده
 إن المرأة مولاة من تزوج بها
 اهرب من الرجل العاشق في جميع عمره

(١) ك ، م : سكونها .

إن الجوع والفقر يقطعان العشق
 إن العشق مع الشبع لا مع الجوع
 قلماً نجد الأمانة في النساء
 إن في الأسرار شيئاً من اللذة
 إذا لم تصدق الأعداء لم تتلك مضرّة
 إن الله سميعٌ لدعاء الحق
 إن كانت لنا أموالٌ صارت لنا أصدقاء
 ليس عند الرجل العدو شيء من المنفعة
 صبيّر مذهبك مذهب الأحرار
 إذا تزوّجت فاطلب المرأة التي تُعينك على الأمور
 إن الحياة اللذيذة لا تنهياً للفاجر الشره
 ما كان ينبغي أن تعيش المرأة لأسباب كثيرة
 إذا أقبل الكبير جلتب كلّ علة
 إن سرعة الغضب في الناس شرٌّ عظيمٌ على من يستعمله
 الأب المحتمل المداري لولده أحمدٌ ممن يتجنّى عليه ويغضب
 إن الأخلاق الرديئة تغير الطبيعة المحمودة
 إن محبة الأموال شيءٌ لذيذ
 إما أن لا تتزوج بته ، أو تزوج (١) متصوفاً
 إن الوطن محبوب عند الناس
 إن اللذة المترتبة تورث مضرّة
 إن النظر إلى حُسن حال الرجل العادل — لذيذ
 إما أن لا تعمل شيئاً تحفيه ، (٢) أو إذا عملت تفردت به
 باللسان يفتح السرور

(١) غ : فيسرها (!)

(٢) م ، لك ، غ : وإذا .

إما أن لا تلعب بالرد ، أو تحتل ما يأتي به البخت
 إذا كنت ميتاً (٧٨) فلا نشمت بمن مات
 إن الطبيعة كونت (١) جميع الأشياء بإرادة الرب
 نريد بأجمعنا الحياة الصالحة : كأننا لا نقدر على ذلك
 إن المادة هي أكثر العمر
 إن الشكر موهبة من الله للعبد
 إن أردت أن نحيا حياة صالحة ، فلا تعمل أعمال الرداءة
 قدّم كرامة الله أولاً ، ثم كرامة الوالدين ثانياً
 إن الله إذا أعان سهّل جميع الأمور
 أعظم القربان إلى الله حسن الإيمان
 إن خلق المرأة (الرديئة (٢)) أردأ من أخلاق جميع السباع
 ثلاثة أشياء رديئة : البحر ، والتلّج ، والمرأة السوء
 من عاشر الأردباء صار رديئاً أيضاً
 إن الأدب قنبلة للناس حسنة
 إن الزمان يميّز الأصدقاء ، كما تميّز النار الذهب
 إن الرغبة شرٌّ عظيم في الناس
 عاقب الشرير إن قدرت على ذلك
 نرك الإساءة بالأصدقاء أحسن
 ليس شيء أشقى من العُجب
 إن السكوت خير من الكلام الرديء
 إن الأرباب الرديئة تجلب الحسرة
 إن عاقبة محبّي الزنا رديئة
 إن الصناعة للناس معاش واسع

(١) غ : تكونت .

(٢) الرديئة : ناقصة في م ، ك - وموجودة في غ وسدما .

إن الأحزان تولد الأمراض
 إن الحياة الصالحة مع قلة الشيء خيرٌ من الحياة الرديئة مع كثرة الشيء
 إن الشكر بالكلام هي مكافأة الإحسان
 كما أن الفرصة هي وضع سلامة النفس ، كذلك سلامة العمر عدم الحزن
 إن المرأة السوء حزنٌ لازمٌ أبداً
 لا تصدق كلام العدو وإن ظننت أنه ينصّب عليك
 العيش مع السبع ^(١) أصلح من العيش مع امرأة سيئة الخلق
 من أراد السعادة فينبغي أن يجتهد في طلبها
 أحد الفضائل هو الحرب من الأشياء الرديئة
 لا تهرب من صاحب لك قد وقع في بلبّة
 إن السعادة هي تربية الولد الحسن المذهب لولده
 إن القول الجميل ^(٢) يذهب الغضب
 إذا كنت غنياً فاحرص أن تنفع المساكين
 إن في العمر الطويل تكون آفات كثيرة
 لا تستشير امرأة في وقت من الأوقات
 لا تفتخر على امرأة ، ولا تعيظها
 إذا كنت شاباً فأطع المشايخ
 (٧٩) إن جميع الأشياء تكون بالسنة وبها تميز
 ينبغي للعاقل اتباع السنن في جميع الأشياء
 اقهر الغضب بالفكرة الحسنة
 إذا أنت تزوجت ، فاعلم أنك قد صيرت مملوكاً عمرك
 إذا كنت غريباً فسير بسيرة سنن البلد
 إذا رأيت مسكيناً غريباً ، فلا تختدعه

(١) م : لك : الأسد .

(٢) م : الحميد . وما أثبتنا في ك ، غ .

إن الغربة صعبة لوجوه كثيرة
 إن أحسنت إلى الغرباء فاعلم أنك تُكافأ في بعض الأوقات
 بعن بصيانة الغرباء : ولا تقصّر في ذلك
 كن صديقاً صالحاً للغرباء الصالحاء
 إذا أمكنك الزمان فلا تظلم الغريب ^(١) ألبتة
 إن العفة صالحة ، وهي للغرباء نافعة جداً
 إذا كنت غريباً فقلّل من الفضول ، فإن ذلك خير لك
 إن ^(٢) من الناس من شأنهم الإحسان إلى الغرباء
 إن السكوت أصلح للغريب من الكلام
 إذا كنت غريباً فأكرم من يضيفك
 أنصف الغرباء فلعلك تكون غريباً يوماً ما
 من لم يتزوج من الناس لم يصبه بؤس
 لا يكون بؤس أشد من الفقر
 اهرب من البمين وإن كنت تحلف صادقاً
 إن الغلام المحب للعلم بصير رجلاً عالماً عظيماً
 حيث النساء يتم كل شر
 ليس يحب أحد في دهرنا جارية لبس لها مال
 أمانة الرجل أكرم من القول
 كثير من هو صديق للطعام ، لا للمودة
 ينبغي للسعيد أن يحفظ وصايا الآباء
 كثير من شقي بسبب النساء
 كثير من له بخت ولا عقل له
 إن الكمل هو فساد العمر كله

(١) غ : حل الغريب : لك ، م : غريباً .

(٢) غ : غير واضح .

خلّص نفسك من كل مذهب رديء
 مَنْ صَحَّ بَدَنُهُ طَابَ عَيْشُهُ
 إِنَّ الْمَرْأَةَ كَثِيرَةُ الدَّغْلِ وَالذَّنَسِ
 يَسْهَلُ عَلَيْكَ الْمَعَاشُ إِذَا ^(١) اجْتَنَبْتَ النِّسَاءَ
 كُنْ مُشِيرًا بِالْخَيْرِ لَا بِالشَّرِّ
 خُذْ نَفْسَكَ بِمَذْهَبِ ^(٢) الْأَحْرَارِ
 مَنْ كَثُرَتْ عَثْرَاتُهُ ^(٣) فَهُوَ غَيْرُ حَكِيمٍ
 إِنَّ الَّذِي أَصَابَ الْقَوْلَ الْحَسَنَ لَقَدْ كَانَ رَجُلًا حَكِيمًا
 إِنَّ الْحِكْمَةَ أَكْرَمَ مِنَ الْقَنِيَةِ بِأَضْعَافٍ كَثِيرَةٍ
 احْرِصْ أَنْ تَكُونَ صِدَاقَتُكَ أَبَدًا مَعَ السَّعْدَاءِ ^(٤)
 نَادِمٌ الْأَخْيَارُ ، لَا الْأَشْرَارُ
 يَنْبَغِي أَنْ تَتَعَلَّمَ مِنَ الرَّجُلِ الْحَكِيمِ عِلْمًا حَكِيمًا
 إِنَّ أَرْكَانَ الْبَيْتِ هُمُ الْأَوْلَادُ اللَّيْثُونَ
 يَجِبُ عَلَى الْإِنْسَانِ (٨٠) الشَّرِيفُ أَنْ يَحْتَمِلَ الْمَصَائِبَ
 لَا يَكُونُ الرَّجُلُ الشَّقِيَّ صَدِيقًا أَبْنَةً
 إِنَّ عَدَمَ الْمَالِ يَعْزِضُ فِي كُلِّ مَكَانٍ
 إِنَّ كَثْرَةَ الْفُضُولِ تَدْمُ فِي كُلِّ مَوْضِعٍ
 إِنَّ النَّاسَ كُلَّهُمْ يَلْتَمِذُونَ بِالنَّظَرِ إِلَى الْغَنِيِّ
 الْأَرْضُ كُلُّهَا مَوْطِنٌ لِمَنْ يَفْعَلُ فِعْلًا حَسَنًا
 إِنَّ مَعْرِفَةَ الْإِنْسَانِ لِنَفْسِهِ ^(٥) نَافِعَةٌ لَهُ ^(٦) فِي كُلِّ شَيْءٍ

(١) م ، ك : ان .

(٢) م : بمذهب .

(٣) م ، ك : كان .

(٤) م ، ك : احرص أن تكون صادقاً أبداً مع السعداء .

(٥) غ : نفسه .

(٦) م : وفي .

إن خزانة الفضيلة هي العفة
 من مدح رجلاً (١) وذمة لم يكن رجلاً حكيماً
 إن السُّكْر يذهب سريعاً من جميع الناس
 إن الحياة بعد حُزْنٍ لعمرٍ لذيذ
 إن كثرة الأعمال تجلب أحزاناً كثيرة
 يجب على ذوي السعادة منفعة الأصدقاء
 إن جميع الناس يشتهون الكرامة
 مَنْ نظر إلى مَنْ كان أخس منه لم يغم
 لا تغلب اللذة على العاقل
 لا تُكثِر من مدح نفسك
 إن الصحة والعقل لأمرين فاضلين في العمر
 إن النوم يشبه الموت ، والنوم أيضاً سبب صيحة كل عمر
 إن المرأة الجميلة معجبة بنفسها
 إن المال يورث الشتم أو اللوم
 أذْهَب عن مذهبك الأمور القبيحة
 ينبغي أن تفهم المرأة والصديق
 لا تطرح صديقك في بلية إذا أنت غضبت
 إن النوم سلامة الجسد ، والنوم أيضاً يكسر الجوع الشديد
 إن الصديق إذا سعى لصديقه فإنه إنما يسعى لنفسه
 إن اتخاذ الأولاد ارتباط محنة عظيمة
 إذا كان لك أصدقاء ، فاعلم أن لك كنوزاً
 إن الأشياء كلها تكون وتُمَرُّ بالزمان
 إن المرأة في البيت مؤذية كأذى الشتاء
 إذا أحسن إليك في الداء وقت حاجتك فكافئ عليه في الوقت الذي ينبغي

(١) م : رجل أو ذمه .

اربط لسانك وافهم ما تتكلم به
 إن الزمان يفني كل شيء ويُنسي كل أمر
 إن اليد تغسل اليد ، والاصبعُ الاصبعُ
 لا يخفى كذب الكاذب زماناً طويلاً
 عود نفسك الأمور الصالحة : فإنه ليس بشيء أكرم من النفس
 لا يكون للكذب عاقبةٌ صالحةٌ —
 إن العقل لحامٌ عظيم لأنفس الناس
 إن طيب النفس المريضة هو الكلام الحسن الصالح
 كل حكيم وكل رجل (٨١) صالح يُبغض الكذب
 من عاش نماماً كثر غمه
 إن المدح والذم أمران متضادان
 إن التزويج غاية حدود الشقاء
 ما أصاح للأحرار؟ الأفعال الصالحة !
 ما ألدّ ذكر المصائب عند مَنْ سَلِمَ منها !
 إن العقل مع اندهن الحسن لمغبوط
 إن الحياة الصالحة مع المذاهب الرديئة لا تتفق
 ما ألدّ الجماع وأكثر أجزائه !

ذيمقراطيس

كان هو وبقرات : الطبيب الفاضل ، في زمن واحد أيام بهمن بن
 اسفنديار بن كشتاسب . وله مقالات وآراء قد ذكرها الحكماء والعلماء عنه في
 الكتب . وهو من قدماء الفلاسفة .

ومن ^(١) كلماته : لا تتكلم بين يدي أحدٍ من الناس دون أن تسمع كلامه وتقيس ما في نفسك من العلم إلى ما في نفسه من العلم : فإن وجدت ما في نفسك أكثر ^(٢) ، فحيثذ ينبغي لك أن تروم زيادةً في الشيء الذي تفضل على ما عنده به . وإن وجدت ما في نفسه أكثر فأمنسك وحصل ^(٣) في نفسك الشيء الذي به يفضل عليك مما استفدته منه .

وقال : الناس بالاجتهاد في طلب الأدب أحق منهم بالاجتهاد فيما سواه من عمارة الأرض وتثمين المال ، فإنهم إنما يفوزون من ثمرة المال بخصب المعيشة ، وأما ثمرة الأدب فإنهم يتألون بها — مع خصب المعيشة — الشرف في الدنيا ^(٤) والنجاة في الآخرة .

وقال : عالمٌ معاندٌ خيرٌ من منصف جاهل . فقال تلميذه : الجاهل لا يكون منصفاً ، والعالم لا يكون معانداً .

وقال : العلم روح ، والعمل بدن . والعلم أصل ، والعمل فرع . ولو كان العلم لمكان العمل ولم يكن العمل لمكان العلم — لكان السبب الجالب خيراً من المجلوب .

وقال : مثل العلم مع من لا يعمل ^(١) شيئاً مثلاً سقيم يحمل دواءه ولا يتداوى به .

وقال لتلميذه له : إنك لا تصلح لكل شيء . فقال : « لم ؟ » — واغتم . فقال : لأنك تصلح لكل شيء .

وقيل له : « لا تنظر ! » فغمض عينيه . قيل له : « لا تسمع ! » —

(١) ك ، م : وكان يقول : لا تتكلم ...

(٢) غ : ما في .

(٣) غ ، م ، ك : التجارة .

(٤) م ، ك : بقبل .

فدّ أذنيه - قيل له : « لا تتكلم ! » - فوضع يدهُ على شفتيه . قيل له :
 « لا تتعلّم ! » قال : لا أقدر عليه .
 « تمت كلماته والحمد لله » .

(٨٢) طيمانائوس

كان يقول : إنَّ مَنْ تولى أمراً من أمور الناس فقد يجب عليه أن يكون
 ذا كراً ثلاثة أشياء : أن يده - وهي واحدة - مطلقة على قوم كثيرين ؛ والثاني
 أن الذين يدهُ مطلقة عليهم هم ^(١) أحرار لا عبيد ؛ والثالث أن سلطانه يلبث
 مدة يسيرة .

وقال : إنَّ مَنْ تشاغل بالأدب فأقلُّ ما يربح منه أن لا يتفرغ في
 الخطأ .

وقال : إنه ليس ينبغي للمرء أن يبلغ من مرارة النفس إلى حدّ يظن به معه
 أنه ملاقٍ . ^(٢)

ماليسس ^(١)

قال : إنه ليس بالموسر مَنْ كان يساره إنما يبقى زماناً يسيراً ، ويبقى
 بعده زماناً يسيراً ، ويمكن غيره أن يأخذه منه ، لكن اليسار هو الباقي ^(٣) أبداً

(١) ١... ١) ثم ترد في م ، ك .

(٢) م ، ك : فهم .

(٣) كذلك في غ ، م ، ك .

(٤) Melissos عاش بين سنة ٤٩٠ / سنة ٤٤١ و ٤٨٠ / ٤٨١ ق . م . راجع عنه « ذويجانس

اللايرسي : « حياة الفلاسفة » المقالة التاسعة ، ٢٤ ، وفلوخرغس : « التراجم المتوازية » ٢٦

(٥) ع : أن يبتغي .

عندما كان ولا يمكن أن يؤخذ منه ويبقى له بعد موته . وإنما يوجد على هذه الصفة الحكمة فقط ، وذلك أنها — دون سائر الأموال — إن أخذها إنسان آخر بقيت عند مالكيها ، من غير نقصان ، وهي باقية له بعد موته .

وقال : الحكمة كالطبيب : يفري بها المرضى ويلتذ بها الأصحاء .

وقال : مَنْ استخفَّ بالموت لم يذلَّ نفسه .

كسانوفون^(١)

كان يقول : كما أن الإناء ما كان بالمقدار الذي يسهه ويجعل فيه وسعته ، وما كان أكثر منه فجعل فيه يتبدد ولعله يجتر أيضاً فيخرج معه شيئاً مما يسهه ذلك الإناء — كذلك الدهن ما كان يمكنه ضبطه فإنه يضبطه . فإن طلب ضبط شيء أكثر من مقدار ما يمكنه ضبطه فإنه يجتر ولعل ذلك يُضَيِّع شيئاً أيضاً مما كان الدهن ضابطه .

وسأله بعض الملوك : ما الذي ينبغي للملك أن يلزمه نفسه ؟ فقال : مشاورة النصحاء ، ويفكر ليله فيما فيه مصلحة الرعية ، وينفذ ذلك في نهاره .

أوقليدس^(٢)

قال : الخط هندسة روحانية وإن ظهر^(٣) بآلة جسدانية . والخط في صناعة الهندسة طول بلا عرض . والنقطة هي التي لا جزء لها . وطرقا الخط نقطتان . وقد زعم مَنْ لا علم له بالرياضيات ، ولم يتخرج في صناعة الهندسة على

(١) Xenophanes = (٤٧٥ - ٤٧٠ ق . م) . راجع عنه كتابنا « ربيع الفكر اليوناني » .

(٢) Euclides =

(٣) غ ، م ، ك : ظهرت .

ترتيب مقدماتها—مثل^(١) (٨٣) أن الجحرم، الذي هو الطويل العريض العميق، يركب^(٢) على السطح الذي هو طول^(٣) بلا عرض — أن^(٤) الخط يركب على النقطة التي لا جزء لها .

وقال : إذا كان الموسيقى بطيء الحركة ، كان بارد المبدأ . وإذا كان كذلك ، لم يَطرِب . والخيلة في هذا^(٥) أن يُسقى الشراب لتنبعث منه الحركة . وقال : حاجة النفس إلى الرجوع لقضاء أربها من تلك النغمة التي فيها الرجوع . وإنما رجّع في الصوت لينقل في وجوهه الثلاثة .

وقال : كل أمر صدقنا فيه نحن ، وكانت النفس الناطقة هي المقدرة له ، فهو داخل في الأفعال النفسانية ؛ وما لم تقدره النفس الناطقة فهو بهيمي .

بقراط

الطبيب الفاضل الكامل

ظهر هو وديمقراطيس في زمن بهمن بن اسفنديار . وشهير هو بالطب ، فبلغ خبره بهمن فكتب إلى فيلاطس ملك قو^(١) وهي بلاد بقراط — يأمره بتوجيه بقراط إليه ، وأمر له بمائة قنطار من الذهب الإبريز الخالص . والقنطار عند اليونانيين مائة وعشرون رطلاً . والرطل تسعون مثقالاً . وكانت اليونانيون إذ ذاك ملوكهم ملوك ملوانف ولم يكن يجمعهم ملك واحد . وكان كل واحد منهم يخضع لملك الفرس ويطيعه ويؤدي إليه أتاوة عين أرضه . فأمر فيلاطوس ملك قو^(٢) بقراط أن يتوجه إلى ملك الفرس^(٣) . فأبى ذلك بقراط وتلكأ عن

(١) مثل : ناقصة في م ، ك .

(٢) ك : م : يركب .

(٣) غ : م . ك : وأن

(٤) م : ك : خدا .

(٥) م : قو

(٦) غ : مرس

الخروج ضناً بوطنه وقومه . فأعلمه فيلاطوس ^(١) أنه إن لم يفعل - وقد بعث في طلبه - لم يأمن ^(٢) منه أن يكون ذلك سبباً لملاكه وهلاك أهل مملكته ، وأنه لا طاقة لهم بمقاومة ملك الفرس ، وهو ملك ملوك الأرض . فعزم بقراط ، لما حذره فيلاطوس ^(٣) ، على الترجه إلى بهمن . فاشتد ذلك عليه وعلى أهل مملكته ، وضئوا بقراط أن يخرج عن بلادهم ويصير إلى بلاد الفرس . فأجمعوا إجماع رجل واحد وقالوا : نقتل عن آخرنا ، ولا يخرج بقراط عن بلادنا .

فكتب رسول بهمن إلى بهمن بما عاين وشرحه له . ففرق عليهم وأقره في بلاده ولم يُلح في طلبه وأخذ منهم وأمر بتخليه (٨٤) القناطير المائة عنده .

وكان قبل أن اشتغل بالطب ملكاً فزهيداً ^(٤) في الملك وليس السواد . وكان لا يأخذ من يعالجه إلا ثلاثة أشياء : طوقاً ، أو إكليلاً ، أو سواراً من ذهب . فقيل له : يا معلم ! لِمَ لبست السواد ، ولم تعد من أجرة الطب إلا إلى أخذ هذه الثلاثة الأشياء ؟ فقال : جعلت السواد عَلمَ الطب ، وجعلتُ أجرة الطب هذه الثلاثة الأشياء لأنه لا يقدر عليها أوساطُ الناس ولا الفقراء ، فلا آخذ الأجرة إلا من غني أو موسر ، وأنفق على الأوساط والفقراء منهم .

وكان يقول لتلامذته : وسائلكم إلى الناس محبتكم لهم ، والتفقد لأموالهم ، ومعرفة حالهم ، واصطناع المعروف إليهم . فإن الإحسان إلى المضطر الملهوف أفضل من الإحسان إلى الواجد وغير المضطر ، وإن كان كل الإحسان حسناً .

وقال استهينوا بالموت ^(٥) ، فإن مرارته في خوفه .

(١) م : فيلاطس

(٢) من : ناقة في م ، نك .

(٣) م ، غ ، ك : تزهد .

(٤) غ : الموت . ونافق في م .

وقال : الحيطان والبروج لا تحفظ المدُن ، لكن يحفظها آراء ^(١) الرجال وتدير الحكماء .

وقال : تداوي كلُّ عليلٍ بعفاقر أرضه : فإن الطبيعة تتطلع إلى هوانها وترزع إلى غذائها . وهكذا هو ، لأن الخائض المبني بالطين الحر لا يلائمه إذا انهدم ^(٢) أن يعاد بالرمل .

وقال لما حضرته الوفاة : خذوا جامع العلم ميسري : من كثير نومه ولانث طبيعته ونديت جلده - طال عمره .

وقال : الإقلال من الضار ^(٣) خيرٌ من الإكثار من النافع .

وقال : أو خلق الإنسان من طبيعة واحدة لما مريض ، لأنه لم يكن هناك شيء يضادها فيمرض .

وقال : أما العقلاء فينبغي أن يسئقوا الخمر ، وأما الجهال فانخربق

وسئل : ما بال الإنسان أثور ما يكون بدنه إذا شرب الدواء ؟ فقال : مثل ذلك مثل البيت : أكثر ما يكون غباراً إذا كُنِس .

ودخل على عليل فقال له : أنا والعلة وأنت ثلاثة . فإن أعنتني عليها بالقبول لما تسمع مني صيرنا اثنين ، وانفردت العلة ، فقويتنا عليها . والاثنان إذا اجتمعا على واحد غلبا .

وعشق ابنُ الملك الذي كان في زمانه حِظيةً لأبيه ، فنهك بدنه ، واشتدت عِلته . (٨٥) فأحضر بقراط ، وجسّ نبضه ، ونظر إلى تفسيره ^(٤)

(١) آراء : ناقص في غ .

(٢) غ : م ، ك : استهدم .

(٣) غ : الضد

(٤) كذا في النسخ ولم نستطع قرأته !

فلم ير فيهما أثر علة في البدن . فجلس عنده ساعة طويلة . ثم ذكره حديث
أخوى والعشق . فرآه يهش لذلك ويضطرب . فعلم أنه محبٌ عاشق . فدعاه
بماضته ^(١) والقيّم عليه ومن ربّي في حجره ولم يفارقه في وقت من الأوقات -
فسأله : هل خرج هذا الفتى وقتاً إلى موضعٍ فعاين امرأة حرةً أو جارية
مملوكة ؟ فقال : ما خرج من دار المليك قط .

فحضر عند الملك وقال : من رئيس الخصيان بطاعتي فيما أمره به ^(٢) .
فأمره الملك بذلك . فقال بقراط للخادم : ادخلني مع ابن الملك دار النساء .
وأخرجهن من متعلقات ^(٣) . فخرجن : وبقراط واضعٌ إصبعه على عرق
الفتى . فلم ينبض له عرق . فقال للخادم : هل في الدار إنسان ؟ فقال الخادم :
لم يبق إلا حبيبة الملك . فقال : لا بد من خروجها . فأخرجت . فلما نظر
إليها الفتى اضطرب عرقه وتسوش واختنف ^(٤) وطار قلبه . فعلم سقراط أنه
يهواها . وصار إلى الملك وذكر أن علة ابنه ومحبته لا سبيل إلى مداواتها . فقال :
ما عرلته ؟ فقال : إنه عاشق لمن الوصول إليها صعب . قال : ومن تلك ؟
فتأبى عليه ساعة . ثم قال : أيها الملك ! إنه يحب امرأتي . فسأله الملك أن ينزل
له عنها . فتحازن بقراط ثم وجيم ثم قال : هل رأيت أحداً كلف أحداً طلاق
امرأته - ولا سيّما الملك في عدله وإنصافه وحسن سيرته ؟ قال الملك : إنني
أؤثر ولدي عليك وأعوضك وأحكمك فيمن أعرض عليك من النساء أو
الجنوازي في هذه المدينة . قال : لا أريد . فضجر الملك وقال : خلّها لأبني
وإلا قتلتك .

فلما رأى بقراط الجديد منه ، قال : إن المليك لا يسمي عدلاً حتى
يُنصِف من نفسه . وأرأيت لو كانت امرأة الملك وحبيته - أيتزل له

(١) م : بخاصته .

(٢) غ : فيما أمرته .

(٣) م : متعلقات

(٤) واختلف : ناقصة في م ، ك .

عنها ؟ قال : إيّ والله ، وأغديه أمثالها . فقال : هو محبٌ لحظية الملك فلانة
بمينها . فقال : يا بقراط : عقلك أتمُّ من معرفتك . ونزل لابنه عنها . وبرىء
الفتى .

وقال : اعلم إنك تأكل ما تستمرى . و (١٠) لا تستمره فهو يأكلك .

وقال : كل بدن لا يدخله الشراب أسرع إليه الخراب . لأن الشراب
ينقي الأوصاب (من الأعصاب) ^(١) ويتيج الإطراب ويؤلف بين (٨٦) الأحباب .
وقيل له ^(٢) : ليمّ ثقل الميت ؟ قال : لأنه كان اثنين : أحدهما خفيف
رافع . والآخر ثقل . فلما انصرف الثقل بنفسه ولم يرفعه الآخر ، ثقل . قال :
والهواء خفيف رافع . وهو أخفّ من الزق فهو يرفع الزق .

وقال : ثلاثة أشياء تورث الغزّال : شرب الماء على الريق ، والنوم على
غير وطاء ، وكثرة الكلام برفع الصوت .

وقال : الجسد بعالج جملة على خمسة أضرب : ما في الرأس بالغرغرة ،
وما في المعدة : بالقى ، وما في البدن : بالإسهال ، وما بين الجلدين : بالحقن .
وما في العمق ودخل العروق : بإرسال الدم .

وقال : إن الأبدان ^(٣) التي ليست نقيّة كلّما غذوتها ازدادت رداءة .
وكذلك النفس العليلة الزرية ^(٤) بالإضافة إلى أغذيتها التي هي العلم والحكمة .

وقال : أربعة أشياء تهدم البدن : دخول الخمر على البطنة ، والجِماع
على الشَّبع ، وأكل القديد الجاف ، وشرب الماء البارد على الريق .

وقال : الميرة الصفراء سلطانها في الكبد ، والبلمغم بيته المعدة وسلطانها في

(١) من الأعصاب : في غ ر حدها ونرى حذفها .

(٢) ك . م : وقيل ليغراط .

(٣) ك . م : م . لم تكن نقيّة وكل ما تدوها .

(٤) بالإضافة إلى : بالنسبة إلى ، فيما يعلن ب .

الصدر ، والسوداء بيئتها الطحال وسلطانها في القلب ، والدم بيته القلب وسلطانها في الرأس . فمثل الصفراء مثل الصبي الذي يبكي من غير شيء حتى يتناول أدنى لطف فبسكت . والبغم مثل العدو الفاجر الذي لا يقدر على عدوه جهراً فإذا أمكنته فرصة^(١) قتل إن لم تقتله . ومثل السوداء مثل العدو العاقل الذي لا يريد عدوه بالمكروه فينتظر ويفكر هل له مخرج . ولا يأخذه إلا بعد غضب شديد . ومثل الدم مثل الملك الذي يغضب فيسطو ، فلا يستطيع أحد أن يكلمه حتى يرضى أو يقبل .

وقال : من لم ينظر إلى الغنى لم يستكره الفاقة ، ومن لم تهدء المصائب لم يأمن الدوائه ، ومن لم يأنس بالعافية فهو الكامل .

وقال الإنسان صورة . واللسان عبارة . والبيان دليل .

وقال : الملك مؤدب لا مؤذّب له ، يحوطه ويحفظ علينا مالنا ، وبمقبض عن المساوي أبدينا .

« وقال^(٢) لتلميذه : لبيكن أفضل وسيلنكن إلى الناس محبتنكن لهم والتفقد لأموارهم ومعرفة حالهم واصطناع المعروف إليهم .

وقال في المقالة الأولى من كتاب « الفصول » : خصب البدن المفرط لأصحاب الرياضة خطر . إذا كانوا قد بلغوا منه الغاية القصوى . وذلك أنه لا يمكن أن يشتوا على حالهم تلك ولا يستقروا . ولما كانوا لا يستقرون فليس يمكن أن يزادوا صلاحاً ، وبقي أن يميلوا إلى حال أردأ . فلذلك لا ينبغي أن نقص خصب البدن بلا تأخير كما يعود البدن فيبتدىء في قبول الغذاء ولا يبلغ من استفراغه الغاية القصوى ، فإن ذلك خطر ، لكن بمقدار احتمال الطبيعة البدن يقصد إلى استفراغه . وكذلك أيضاً كل استفراغ يبلغ فيه (الغاية) القصوى فهو خطر .

(١) م : فرصة قال ان غليت قتاني فلا يغارقني حتى يقتل .

(٢) النص الثالث ورد في المنطوط م وحده ونظن انه منضم على النص الاصل .

وكل تغذية أيضاً هي عند الغاية القصوى فهي خطيرة .

وقال في المقالة الثانية : إذا كان النوم في مرض من الأمراض يُحدث وجعاً فذلك من علامات الموت . ومتى سكّن النوم اختلاطَ الذهن فذلك علامة صالحة .

وقال في المقالة الثالثة : إذا كانت أوقات السنة لازمة لنظامها ، وكان في كل وقت منها ما ينبغي أن يكون فيه ، كان ما يحدث منها من الأمراض حسن الثبات والنظام حسن البهران . وإذا كانت أوقات السنة غير ملائمة لنظامها كان ما يحدث من الأمراض غير منتظم ، سمج البهران .

وقال في المقالة الخامسة : إذا أُحييت أن تعلم هل المرأة حامل أم لا ، فاستحيها إذا أرادت النوم ماء العسل . فإن أصابها مغص في بطنها فهي حامل ؛ وإن لم يُصيبتها مغص فليست هي بحامل ^(١) .

وهذه أيمانه وعهده :

« إني أقسم بالله ، رب الحياة والموت ، وراهب الصحة وأقسم بإسقليوس وبخالق الشفاء وكلّ (٨٧) علاج ، وأقسم بأولياء الله من الرجال والنساء جميعاً ، وأشهدهم جميعاً : على أن أفي بهذه البعين ، وهذا الشرط ؛ وأرى أن المعلم لي في هذه الصناعة بمنزلة آبائي ؛ وأواسيه في معاشي ؛ وإذا احتاج إلى مالٍ واسيته ووصلته من مالي . وأما الجنس المتناسل منه فأرى أنه مساوٍ لإخوتي ، وأعلمهم هذه الصناعة إن احتاجوا إلى تعلمها بغير أجره ولا شرط . وأشرك أولادي أولاد المعلم لي والتلاميذ الذين كتب عليهم الشرط وحلفوا بالتاموس الطبي في الوصايا والعلوم وسائر ما في الصناعة .

وأما غير هؤلاء فلا أفعل به ذلك . وأقصد في جميع التدبير - بقدر طاقتي - إلى منفعة المرضى . وأما الأشياء التي تضرهم وندني ^(٢) منهم بالخور عليهم

(١) آخر النص الوارد في المخطوط م وحده ونظنه مقصداً .

(٢) غ : لا يهدي منهم . له : ويهدنا منهم .

فامتنع منها بحسب رأيي . ولا أعطي - إذا طَلِبَ مِنِّي - دواءٌ قَتالاً ، ولا أشيرُ أيضاً بمثل هذه المشورة .

وكذلك أيضاً لا أرى أن أدنِّي من النسوة فورجة ^(١) تسقط الطفل إذا طَلِبَ مِنِّي .

أحفظ نفسي في تدبري وصناعتي على الزكاء والطهارة . ولا أشتُرُ أيضاً على مَنْ في مثانته حجارة . لكن أترك فعل ذلك إلى مَنْ كانت حرفته هذا العمل . وكل المنازل التي أدخلها إنما أدخل إليها لمنفعة ^(٢) المرضى . وأنا بحال خارجة عن كل جُمُورٍ وظُلُمٍ وفساد ^(٣) بإرادتي مقصود إليه منه ^(٤) في سائر الأشياء وفي الجماع للنساء والرجال الأحرار منهم والعبيد .

وأما الأشياء التي أعانيها في وقت علاج المرضى وأسممها ، أو في غير أوقات علاجهم في تصرف الناس من الأشياء التي لا ينبغي أن ينطق بها خارجاً - فأُسيك عنها وأرى أن أمثالها لا يُنطقُ به .

فمن أكل هذه اليمين ولم يُقَسِّدْ منها شيئاً ، كان له أن يكمل تدبيره وصناعته على أفضل الأحوال وأجملها وأن يحمد من جميع الناس فيما يأتي من الزمان دائماً . وَمَنْ تجاوز ذلك كان بضد ذلك .

قائِسُ السِّقْرَاطِي

كان من الحكماء المتقدمين . وهو من أصحاب أفلاطون . ولم نجد له ، إلى هذه الغاية ، كلاماً غير لُغْز ^(١) موضوع في أمر العالم وما يجري فيه (٨٨) من

(١) ك ، م : برزجة .

(٢) غ ، م ، ك : منفعة .

(٣) ... ٣ ناقص في غ .

(٤) راجع ، لذر قايِس ، في كتاب ، الحكمة الخالدة ، (جابودان خرد) لمسكويه ، الذي نشرناه في القاهرة سنة ١٩٥٢ . ك ، م : قايِس .

أمر البخت والحث على ترك الإنسان ^(١) الدنيا ، وما يلزم الإنسان أخذ نفسه به من إسقاط الفكر في الشهوات عنها ، وطلب السعادة الثابتة والنجاة من الشرور التي في عالم الخس .

باسلويوس

قال : ينبغي لمن تعلم أن البدن هو شيء جعل تابعاً للنفس مثل الآلة للصانع - أن يطلب كل ما يصير البدن أوفق وأنفع بأنواع النفس التي فيه ، ويهرب من كل ما يصير البدن غير موافق ولا نافع لاستعمال النفس له .

وقال أيضاً : إنه إن كان من القبيح إن كان البدن سمجاً متلطخاً بأوساخ وأقذار قد غشبه وركبته أن يكون مزيناً من خارج بأثواب نظيفة تغطيه - فأقبح من ذلك أن تكون النفس دنيسة بأوساخ العيوب وأوسادها ويكون البدن من خارج مزيناً .

وقال : إن كنا نغني بجميع أعضاء البدن . وخاصة بالأشرف منها وهو الدماغ - فكم بالحري أن نغني بجميع أعضاء النفس ، وخاصة بالأشرف منها وهو العقل .

وقال : يستقيم ^(٢) أن نكون نقصد بأكلنا وشرابنا إلى شكر الله ولا نقصد ^(٣) بصونا وصلاتنا إلى شكر الله إذا كان قصدنا بفعل ذلك إلى أن نعيش عيشاً جيداً عقلياً ونفعل هذا ليعمدنا الناس . فعلى هذا المثال كل شيء من الأشياء ينبغي أن نختبر

(١) م : بدنياً .

(٢) غ : يستقيم

(٣) ولا نقصد : ناقص في م .

الغرض فيه ، لا ما يظهر من الفعل .

وقال : من القبيح أن يكون الملاح لا يطلق سفينه مع كل ريح ، ونطلق نحن أنفسنا لتعلم كل علم من غير بحث ولا اختيار .

بظلمروس

قال :

الحكيم هو الذي إذا صدق صبر ، لا الذي إذا قذِف كَتَمَ .

وقال " رجل له : ما أحسن بالإنسان أن يصبر عما يشتهي ! فقال : أحسن منه ألا يشتهي إلا ما ينبغي " وقال : لِمَنْ يغني الناس ويسأل أشبه بالملوك مِمَّنْ يستغي بغيره ويسأل .

وقال " : لأن يستغي الإنسان عن الملك أكرم له من أن يستغي به " .

وقال : موقع الحكمة من قلوب الجهال كموقع الذهب والجوهر من ظهر الحمار الذي لا يفرق بينهما وبين اللبن والمدارة .

ودعا ما يندروس إلى طعامه فاستغنى ، وقال له : يتعرض للملوك قريب مما يتعرض (٨٩) للذين ينظرون إلى الصور : فإنهم إذا نظروا إليها من بعيد أعجبهم ، وإذا رأوها من قريب لم يستحسنوها .

وسمع جماعة من أصحابه وهم حول سرادقه يقعون فيه ويثلبونه وهم يظنون أنه لا يسمع : فهز ربحاً كان بين يدين وأبداه لهم ليعلموا قُربته منهم . وقال : ألا تتباعدوا عنا (٩٠) قبد ربح ثم تقولوا فينا ما أحبيتم ؟ !

(١ ... ١) ما بين الرقعتين ناقص في غ .

(٢ ... ٢) ما بين الرقعتين ناقص في غ .

(٣) غ : فقد ربح ثم تقول فينا .

وقال : العلم في موطنه كالذهب في معدنه : لا يستنبط إلا بالذَّوْب والتعب والكِد والنَّصَب .

وقد ^(١) وجد بعد موت بطليموس وعاءٌ له في صحيفة (وهر) : « يا عِلَّة العِلَل ، وقديماً لم يزل ، ويا مَنْ هو كل الكل » .

وقال بطليموس : دلالة القمر في الأَبَام أقوى ، ودلالة الشمس والزُّهرة في الشهور ^(٢) أقوى ، ودلالة المشتري وزُحَل في النِّين أقوى .

ارسطيوس

كان هذا رجلاً مشهوراً في بلده بالحكمة والفلسفة ، وهو مع ذلك في حُسْن حالٍ وخَفَضٍ من العيش ، وكثرة من المال . فعثر به الدهر . وغدرت به الأَبَام ، حتَّى تغيَّرت حاله ونشِئت أسبابه . فعزم على التَّغَرُّب عن بلده إلى حيث لا يُعْرَف . فركب البحر ، فبينما هو يسير إذ كسر به المركب ، ورمى به إلى الشطِّ . فنظر ^(٣) في شطِّ البحر إلى شكل هندسيٍّ مرسوم في بناء هناك ، فتدبَّرت نفسه بذلك ، لأنه فهم أنه وقع إلى قومٍ حكماء ، لا إلى أغتام لا عقول لهم . فدخل المدينة وخالط أهلها ، فعادت حالته إلى أحسن ما كانت عليه ، لأنهم عرفوا ما عنده من الفضل والمعرفة فأكرموه وأجلَّوه واختلقوا إليه ، فعادت في تلك البلاد أسبابه إلى أحسن ^(٤) مما كانت في بلده . ثم إنه رأى قوماً يوربدون ركوب البحر إلى مدينته . فسألوه أن يأمرهم بشيء يلبثونه أهل بيته . فقال لهم قولوا لهم هذا القول : ليكن ما تكنسبونه وتفتنونه شيئاً إذا كُسِر بكم المركب وغرقتم كان يسبح معكم .

(١) غ ، م : وقال وجد . ك : والنَّصَب . ووجد بعد موت ...

(٢) ك ، م : في الشهر .

(٣) غ ، م ، ك : إلى .

(٤) غ ، م ، ك : ما .

سولين (١)

قال : القلب أول شيء يُخْلَق وآخر شيء يذتر ، لأنه فلكي الشكل .

وقال : شخص (٩٠) بغير أدب كجسد بغير روح ، وكأنظير بلا معنى .

وقال : الملكيم التام من يكون إنعامه لما وجب عليه من الحق في يومه على حال إذا أدركه الموت فيه لم يبق ذلك العدل لغيره (٢) غير مفروغ منه .

وقال : تفرح النفس إذا أشرفت على زهرة العنبل والميون الذابعة منه كما تفرح (٣) الغم إذا أشرفت على الزرع والمياه .

داريوس

قال : لا يقدر السوس على أن لا يقبل سوسه ، كما أنه لا يقدر البصر على أن يقبل النور ، ولا يقدر (٤) النور على أن لا يقبل البصر . وأما ما خالف السوس فإنه لا يقبله ، كما لا يقبل النور العمى : ولا العمى النور ولا يتصل به .

وقال : السوس إلى الاتصال بالضائع أسرع منه إلى غيرها ، وما يسمع من العلم أسرع إلى الاتصال بالأدب منه إلى ما سواه .

وقال : إن روح السوس أقوى من روح الأدب ، فإنه لا يقدر على أن يقلب السوس الصالح إلى السوس السوء ، ولا إذا السوس السوء إلى الصلاح والخير ، ولا يقدر مع ذلك على ترك قبول سوسه وإن هو علم الصدق والحكمة

(١) م ، ك : سولين .

(٢) م ، ك : لئنه .

(٣) م ، ك : كتنفرح .

(٤) م ، ك : يقبل .

أبدأ . ولذلك إنما يكون ^(١) الملك من لم يلد العبد . ويكون العبد من لم يلد الملك .

وقال : السعيد من كان سوسه وطباعه من الصحة والبراءة ما لم يرد ^(٢) معه شيء من العلم والحكمة والأدب إلا قدر منزلة وطلب أسبابه والنظر فيها والفحص عنه على ما يحرز به .

وقال : مثل من أحسن إلى أهل الكفر بالمعروف كمثل زرع بذره في الأرض السبخة أو أشار على الجهال بنصيحة ^(٣) : أو سار الأصم بحديثه .

وقال : لا عداوة أعدى من المترص . ولا وجع أوجع من الجوع : ولا ظلمة أظلم من الجهل . ولا خوف أخوف من الموت .

وقال : كل شهوات الدنيا مرجعة ^(٤) ، فتحري أن تشبه بالماء المالح الذي لا يزداد صاحبه منه شرباً إلا ازداد عطشاً : وتشبه بما يشرب ^(٥) من الخمر في الحلم ، وتشبه في بقائها بضوء البرق الذي من اتكل عليه مكث في الظلمة .

وقال : من لم يقدر على حل الحقد الذي فيه عنه فهو شبيه بالشیطان .

وقال : قرين المم الموت ، وقرين (٩١) الموت المرض .

وقال : بدفع الحرص بالقناعة ، والغضب بالسلامة ، والوجود بالحد بالعدل والصدق .

(١) غ : ولذلك يكون إنما الملك .

(٢) غ : م : براد . ك : بدو .

(٣) م : ك : ن : م : نصيحته . ك : بنصيحته .

(٤) ك : م : موجع محرى شبيه .

(٥) ك : وشبه به ، يشربه في الحلم .

الروذطيس^(١)

دخل عليه منتطب وهو عليل . فجلسَ جانبه الأيسر ، فقال : في كبدي عيلة . فاعثم . فقال له الطبيب : لا تغمّ فإنها سليمة . فقال : الموت أهون عندي من أن أكون على خلاف ما عليه الناس ، وذلك أن يكون كبدي في الجانب الأيسر !

بليناس

وعظ ملكاً من الملوك فقال : أيها الملك ! إن الدنيا دار عمل ، والآخرة دار ثواب . ومن لم يقدم لم يجد نفسه فيها حلاوة عيشها بترك الإساءة إليها . واعلم أن زمام العافية بيد البلاء ، وباب الأمن مستور بالخوف : فلا تكن^(٢) في حالة منهما غير متوقع لأضدادها ، ولا تجعل نفسك غرضاً للسهام المهلكة . فإن الزمان عدو ابن آدم واحترز من عدوك غاية الاحتراز^(٣) . وتأهب ليوم معادك . وإذا فكرت في نفسك وعدوها استغثت عن الوعظ .

وقال : القلم الطلّ - سُمُّ الأكبر .

وقال له قائل : ما أحسن ما يعبر ما نافرطيس شعر سخيلوس ! فقال : إن حفر بئر بالقرب من قناة يجري فيها الماء ليس بأمر صعب .

(١) ك : الروذطيس

(٢) ك ، م : تكونن .

(٣) ك ، م : بغاية الاحتراز .

بارقليس

صار إليه رجلٌ فافترى عليه ، وشتمه نهاره أجمع ، إلى أن جنته الليل .
فلما أراد الانصراف من عنده أخذ الفيلسوفُ سراجاً ومرَّ بين يديه يسمي إلى
أن بلغ منزله .

وقال : جدود الناس مثل البحر يكون ساكناً إذا لم تموجه الرياح ، فإذا
موجهته الرياح اضطرب — فكذلك الجسد إذا كان سعيداً فددر الإنسان ساكن ؛
فإذا شفي تموج دهره .

وقال : لا تملكن حديث السن إلا أن تكون الحكمة قد ساكنته ^(١) .

موريطس

قيل لموريطس : ما قيمة الصديق ؟ قال : الخلد في الدنيا . قيل : ما قيمة
الكذب ؟ فقال : موت عاجل . قيل : فما قيمة العدل ؟ قال : ملك الأرض .
قيل : فما قيمة الجود ؟ قال : الحياة .

وقال : القلم قيم الحكمة .

(٩٢) أرسطوفانس

قال : أما الغلبة بالكلام بلا أفعال فليست بغلبة ، بل هزيمة . وأما الغلبة
بالأفعال — وإن كانت بلا كلام — فهي غلبة ^(٢) .

وسأله إنسان عن مسألة قبيحة فسكت عنه ولم يجيبه . فقال الرجل : مالك

(١) غ : سألته .

(٢) م ، لا : الغلبة .

لا تجيبني ؟ فقال : إجابتي سكوت عما سألتني عنه .

فيلسوس

قال : إن أمور الناس باجتهد تكون ، لا بالعقل . حتى إنه قد يُظن بالغي : وإن لم تكن له كلمة . أنه حكيمٌ لجِدِّه .

ونظر إليه رجل وهو بخامع . فقال : أي شيء تعمل ؟ فقال : انساناً إن تم .

وقال : اللذة الثامنة المتكررة التي وكثرته وحسن السعي ، ونعماته القادرة على البغية .



قال : أما الإنسان ^(١) فقد يحلف كاذباً ، وأما العقل فإنه لا يحلف كاذباً .
وقال : إن الحياة بغير الموسيقى رخصة .

ارشميدس

قال : الحاجة إلى العقل خيرٌ من الحاجة إلى المال .

وقال : المال الكثير لمن لا يستمتع به بمنزلة طعامٍ موضوع على قبر .

وقال : الغني ^(٢) البخيل بمنزلة الحمل الذي يحمل الذهب ويعتلف بالثبن ^(٣)

(١) ج : اوريفيدوس : د : اوريفيدوس .

(٢) ل : م : ن : هـ .

(٣) م : ن : هـ .

(٤) م : ن : هـ .

وشكاً إليه بعض البخلاء بخله ، فقال : يا هذا لست ببخيل . قال :
وكيف ؟ قال : لأن البخيل هو الذي يعطي ويمنع ، وأنت تريد أن تعطيه جملة .

مهراويس

قال : موضع الباطل في الأذنين ، وموضع الخطيئة في اللسان .

فيلدياس

قال : ان المهوم أدواء النفوس ، كما أن الأسقام أدواء الأجسام .
وقال : الملك حارس الأنفس ، وصاحب المدينة حارس الأبدان .

ذيماس

قال : ينبغي للمرء أن يطيل فكره فيما يريد ، ويبادر العمل بما يجب ،
ويعطي من نفسه ^(١) الحق وينضج للعدل ، ويكرم من يحب إكرامه ، ويقهر
شهوته ، ويعين إخوانه ، ويبتعد عن الحلف والعسف ، ويصون لسانه عن
التبجح ^(٢) ، ويشغل حياته بالأدب ، ويكافيء على الخير ^(٣) ، ويتحرى الصدق
في فعله وقوله لتسلم له حياته (٩٣) ويكون حكيماً بالفعل ، ويسعد بعد
ممانته .

وقال : لا يزال الشيء يزاد حتى يعتدل . فإذا اعتدل نقص .

وقال : الخير من حَبِرَ المحبة ، والشر من حَبِرَ البغضة .

(١) م ، ك : الحلف .

(٢) م ، ك : التبجح .

(٣) م ، ك : على الخير وعلى كذبه (!)

فراطرخس

عميل نوراً من طين . وقرّبه في اليوم الذي كان أهل بلده يقرّبون إلى أصنامهم . فعادوه على ذلك ، فقال : قبيح أن أذبح الحي المتنفّس الحساس لما ليس بحي ولا متنفّس ولا حسّاس .

بروطاغورس

قال : إن كان اللسان آلة لمرجمة ما يخطر في النفس : فليس ينبغي أن نستعمله فيما لم يخطر فيها .

وقال : اللذة النائمة هي استعمال النفس في الشهوات الطبيعية بلا مانع .

وقال : إذا اجتمع الرأي والألفة في الموضوع الضيق فاستعمل الرأي .

وقال : ضياء الشمس ضياء الحس ، وضياء الحكمة ضياء القلوب .

وقال : الجواد هو الذي يطلق العقل ويحسن المنطق : والبخيل خلافه .

وقال : مناظرة الجاهل بالعقل كمناظرة العاقل بالجهل .

غورغوريوس

قال : أما الجسمان الظاهر فلان المصورين يمكنهم أن يُشَبَّهوا به بالإصباح وكثيراً ما يتعاونونه أحسن . فأما الجسمال الباطن فليس يمكن أحداً أن يُشَبَّه به إلا من بقوله بالحقيقة .

وقال : الخليم هو الصبر على تجرّع القيظ حتى لا يظهر شيء منه في

(٥) م ، غ : غورغوريوس . وما انتهت في ك .

العقل ولا في الحسّ ولا في الحركة ، ولا يصبر ذلك حقداً .

وقال ^(١) : المتخادع الحاقّد تاجر ^(٢) لثيم .

سيمونيدس

نظر إلى فتى سكّيت ، فقال : إن السكوت إنما هو للأصنام ، وأما الناس فإنهم يتخاطبون . ونظر إلى مصارع يفترخ بغلبته لمصروعه فقال له : أغاب مَنْ هو أقوى منك ، أو مَنْ هو مثلك ، أو مَنْ هو دونك ؟ فقال : مَنْ هو أقوى مِنِّي . فقال : كذبت . قال : فمن هو مثلي . فقال كذبت ، لو كان مثلك لتساويتما . قال : فمن هو دوني . قال : كل إنسان يغلب من هو دونه .

وقال : لا ينبغي ^(٣) أن يقتصر الأصمّدقاء على حسن القول ، لكن على حُسْن الفعل . (٩٤) وعابه إنسان بالبحر ، فقال : لا تعجب من ذلك أيها الرجل ، إذ كان هذا لأنه قد تعفنت فيه أشياء لا يدرك ^(٤) إحصاؤها . وسئّل عن أحرص الناس فقال : مَنْ لا يطمع في أن ينجح أبداً .

لبوذيلدوس ^(٥)

قال : إن كان الإنسان شاتماً نذلاً كالذي يتلقاه بالشتم ^(٦) ، كان أيضاً نذلاً ؛ لكن الكريم هو الذي يتلقى الشتم بأن يحمله .

(١) قال : ناقصة في م ، ك .

(٢) غ : فاجر .

(٣) غ ، م : لمن .

(٤) غ : يدركه .

(٥) م : ثوترديس . ك : نوثرديس .

(٦) م ، ك : بالشتم أيضاً نذلاً ، لكن ...

وقال : لا ينبغي أن تأخذ في تعلّم العلوم قبل أن تنفي عن نفسك العيوب وتعوّدها الفضائل ، فإنك إن لم تفعل ذلك ^(١) لا يمكنك أن تستفيع بشيء من العلم .

وقال : ليس حُسْنُ طلوع الشمس بنورها بعد الكسوف بأحسن من طلوع رونق المنطق من معدن الحق .

يُنْصَالِيسُ ^(٢)

قال : إن الكسلان يختار ما يشبعه من الطعام على حكمة ^(٣) أفلاطون كلها ، ويختار ما يحبه من الشراب على شعر أوميروس كله ، ويرفض نواميس سولن إذا كانت واضعة النواميس له : ذاته ، ويريد أن تتبعها النواميس وأصحابها .

اخْطَلِيسُ ^(٤)

سئل عن شجاعة أصحابه فقال : ما رأيتهم يسألون كَمَ الأعداء ، ولكن يسألون ^(٥) : أين الأعداء ؟

سَطْرَاطُونِيْقُوسُ ^(٦)

قيل له : فلان يشتمك بالغيب . فقال : لو ضربني بالسياط وأنا غائب لم أبال .

(١) م ، ك : لم .

(٢) ط ، ك : بنصافيس .

(٣) غ : رأى

(٤) م : احسن . ك : احسن

(٥) يسألون : فاقصة في م .

(٦) م ، ك : سطرطونيقوس .

ورأى إنساناً يُدْهَبُ به إلى الحبس في جنابة ، فقال : يا هذا ! ما يساوي سرورك بما ارتكبت من اللذات هَمَّكَ بهذه الفضيحة .

ورأى طبيباً جاهلاً ، فقال : هذا مُسْتَحِثٌّ للموت — أي يَعْجَلُ بمن يعالج إلى الموت .

خاوس

قيل له : توفي مانيدس . فقال : الويل لي ! قد ضاع مِسَنُّ عقلي .

وطارح تلميذاً له مسألة^(١) ثم قال له : أفهمت ؟ قال : نعم ! قال : كذبت . قال : وبمَ عرفت أيها الحكيم ؟ فقال : لأن دليل الفهم السرور ، ولم أَرَكَ سُرُوتَ .

وقيل له : فلان يثني عليك ويُحَسِّنُ القولَ فيك . فقال : لا جرمَ ، لأحققنَّ قوله .

وقال^(٢) : يجب أن نسمع من الحكمة أكبر مما [أن] نتكلم به منها ، ونختار ذلك على الكلام بها . فُسِّلَ (٩٥) عن معناه في ذلك ، فقال : إن الله تعالى خلق لساناً واحداً وأذنين لنسمع بهما من الحكمة أضعاف ما نتكلم به .

انقضيظوس ، غلام سقراط .

افتخر عليه بعضُ أهل عصره بكثرة ماله ، فقال له : لا تَبْدَحْنِ بفضيلة غريبة منك كحُسْنِ فرسك ، فإن ذلك محتمل للفرس أن لو قال : أنا حَسَنٌ . فأما لو قلت إن فَرَسِي حَسَنٌ لقلنا إن الحسن للفرس . فأنت منه معلوم^(٣) أنك

(١) لك ، م : وكان يجب أن يسع ...

(٢) غ : للفرس فن أنت معلوم . م : معلوم .

تفخر بصورة . فإن كنت تريد أن تفخر بالصورة فانك الصورة الخارجة عن طباعك ، وافخر بالصورة التي في طباعك ، فإنك تكون حينئذ تفخر بفضيلة هي لك .

ثاغافس

قال : لا تسأل الله تعالى شيئاً هو لك ، لأن الله تعالى يعطي كل إنسان ما يكفيه عن غير مسألة منه . ولكن اطالب ما ليس لك وهو أن يقتلك بما لك .
ونظر إلى ميت يُحْفِر له فقال : انظروا إلى حبيب ينقله أحبّؤه إلى حبس الأبد .

وقال لبعض من عزاه من الملوك : إن كنت ^(١) لتزول الموت بمن كنت له عباً ، كارهاً — فلطالما نزل بمن كنت له مبغضاً قالياً .

وقال : ليس العمام بمترقة الطعام الذي يشبع منه اثنان وثلاثة ، ويعجز عن الكثير : بل كالنور الذي يضيء للعيون الكثيرة بحال واحدة .

فيلوروس^(٢)

قال : الموسيقى رياضة لأبناء الفلاسفة لأنها ^(٣) تدرجهم وتشوقهم إلى سائر العلوم ، لأن باطنها لهُوَ العقول ، وظاهرها لهُوَ الحواس ^(٤) .

وقال : الهوى للطبيعة ، والرأي للنفس .

(١) غ ، م ، ك : لتزحل الموت لمن ...

(٢) غ ، م ، ك : لهُوَ ... باطنه ... ظاهره ...

(٣) م : فيلوروس . ك : فيرورس .

(٤) م ، الحس .

وركب مع قومٍ سفينةً - وكان ينسب إلى مخالفة أهل زمانه في أمر الدين -
 فأشرقت السفينة على الفرق . فقال أهلها : ما أعظم كفرك يا فيذروس ! إذ
 أصابنا هذا بسببك ، وما هو إلا لكفرك . فقال : ما أهونكم على الله ^(١) ، إن
 كان لا يفتني على كثرتكم لكفري !

فيلاستوس ^(٢)

رآه حكيمٌ سكرانٌ . فأقبل يلومه وبعابه ويقول له : أما تستحي أن تسكر؟
 فقال له : أما تستحي أن تلوم سكرانٌ ونعظه ؟ !
 وقال : إذا رأيت كلباً ترك صاحبه وتبعك ، فارجعْ بالحجارة ، فإنه
 تاركك كما ترك صاحبه .

نيفورس ^(٣)

كان رأى رجلاً شراً حريصاً على جمع المال (٩٦) فقال له : أما
 شريك فشركه من لا ينقضي عمره ؛ وأما حرصك فحرص من لم ينقضي من
 عمره شيء .
 وقال : يجب على من اصطنع معروفاً إلى رجل أن ينساه من ساعته ، وعلى
 من أسدي إليه أن يكون ذكره نصب عينه .
 وقال : الحمد بمنزلة الصدأ الذي يأكل الحديد حتى يفنيه ، كذلك الحسد
 يُمرّض الحاسد حتى يفضيه ، والمحسود قارئ نائم .

(١) م ، ك : الله أيضاً .

(٢) م ، ك : فلاستوس .

(٣) بالغاء في م ، وبالغاف في ك .

طيلاماخس

قال : ليس ينبغي أن تروم ممن وضع في نفسه أن لا يقبل شيئاً من الأدب القبول له ، وذلك أنه لا يتقاد إلا للامتناع من الانقياد .

ورأى إنساناً يزعم ويصرخ من كربة كانت به ، فأجابه قائلاً له :
(لو) ^(١) عنت بأن تعلم كم كربة في هذا العالم إذن ^(٢) لأمسكت عمداً أنت عليه وسكت عن صراخك هذا وشيكاً .

نسوميون ^(٣)

قيل له : متى يكون اضطرابٌ شديد في جميع الناس ؟ فقال : إذا خالف جميع الناس بعضهم بعضاً .

آروس

وَلَيْ وَلايةٌ ، فقال له أصدقاؤه : الآن يظهر فضلك . فقال : ليست الولاية تُظهر فضلَ الرجل ، بل الرجلُ يُظهر فضلَ الولاية .

اسخينس

شتمه إنسان . فَحَلَمَ عنه وقال : لا أدخل في حرب الغالب فيها شرٌّ من المغلوب .

(١) لو : ناقصة في النسخ كلها .

(٢) غ : ان . وفي م ، نك ناقصة .

(٣) م : بسوميون . وبدون نقط في ك .

وسُئِلَ : مَنْ أَحْسَنُ النَّاسِ صُورَةً ؟ فَقَالَ : أَلْبَسُهُمُ لِلْفَضِيلَةِ الْإِنْسَانِيَّةِ
وَقِيلَ : وَمَا الْفَضِيلَةُ الْإِنْسَانِيَّةُ ؟ قَالَ : الْحِكْمَةُ ، وَالْفَقَهُ ، وَالنَّجْدَةُ ، وَالْعَدْلُ
فِي كُلِّ الْأَشْيَاءِ .

وَقَالَ : لَا يَنْبَغِي لِلْإِنْسَانِ أَنْ يُفَرِّطَ فِي الظَّرَافَةِ ^(١) وَحُسْنُ الْخَلْقِ وَالْمَلَقِ ،
لَكَلَّا يُوَكَّلَ فَيَسْتَمِرَّ ، أَوْ يَجْتَرِءَ عَلَيْهِ كُلُّ إِنْسَانٍ ، وَيَأْنَسَ بِهِ كُلُّ أَحَدٍ . وَلَا
يَتَجَاوِزُ الْحَدَّ وَالْمُقَدَّارَ فِي الْكَزَّازَةِ وَالْفُظَاظَةِ وَالصَّلَافِ فَيَعْدَّ بَغِيضًا ، وَلَكِنْ لِيَكُنْ
فِي الْأَمْرَيْنِ جَمِيعًا مُتَوَسِّطًا .

انكسبوس

قَالَ : يَنْبَغِي لِلْإِنْسَانِ إِذَا نَظَرَ إِلَى سَمَاجَةٍ مَا عَلَيْهِ السُّكْرَانُ أَنْ يَنْقُصَ السُّكْرَ ،
فَإِنَّهُ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ يُمْكِنُهُ أَنْ يَقْدِرَ لِنَفْسِهِ الْمُتَقَدَّرَ الْمُتَوَسِّطَ مِنَ الشَّرْبِ .

وَكَانَ مُوصُوفًا بِالضَّبِطِ (٩٧) لِنَفْسِهِ . وَمَنْ عَادَنَهُ إِذَا نَامَ أَنْ يَضَعُ يَدَهُ
الْيَسْرَى عَلَى سُرَّتِهِ ، وَالْيَمْنَى عَلَى فِئِهِ - وَيَدُلْ (بِذَلِكَ) أَنَّهُ يَنْبَغِي لِلْإِنْسَانِ أَنْ
يَحْفَظَ فَرْجَهُ وَلِسَانَهُ .

النبريوس

قَالَ : إِذَا خَبِثَ الزَّمَانُ كَسَدَتِ الْفَضَائِلُ وَضَهَّرَتِ ، وَنَفَقَتِ الرِّذَائِلُ
وَنَفَعَتِ ، وَصَارَ خَوْفُ الْمَوْسَرِ أَشَدَّ مِنْ خَوْفِ الْفَقِيرِ .

(١) م ، ل : الظرف .

أومينوس^(١)

قال : إذا اعتاد الضميرُ الفراغَ جسا^(٢) عن الفكر .

وقال : تفكّرْ في الخير لتعملَ به ، وتفكّرْ في الشرّ لتعريضَ عنه .

سوقفليس

قال : كما أن الحكمةَ لذيدةٌ عند من يفهم مِمَّنْ يسمعها ، وكلمةُ الجاهلِ بشعةٌ بغیضةٌ — كذلك الفعلُ الجميلُ بحبُّه ذو الفهم ، والفعلُ الرديءُ يستسبحه ويبغضه .

وقيل له : ما انفلَسة ؟ قال : هم الذين عند العقلاء كالآلهة ، وعند الجهّالِ كائناتٌ .



اسوقس

أسير ، فقال له رجلٌ "أراد شراءه" : أريد أن أشتريكَ . فقال : كيف تشتريني بعد أن اتخذتني وزيراً ؟ وقال له : أهرب مني وأنا أشتريكَ ؟ فقال : إن أصبتكَ رجلاً صالحاً رحيماً لم أهرب منك ، وإن أصبتكَ على خلاف ذلك هربتُ من ساعتِي .

بياور سطس الملك^(٣)

أمّر بصلب رجلٍ قد كان حلّ عليه الصاب . فأصعدوه إلى التسل الذي

(١) م ، ك : أومينوس .

(٢) م : جسا . ك : حبس .

(٣) م : بيهورلطر . غ : ثيافرسطر .

كان في المدينة . فقال المصلوب لمن معه من الناس - وكان أحضَرَ الناسِ نادرةً : يا هؤلاء ! ان هذا الذي أنا فيه من أعجب الأمور . قالوا : وكيف ذلك ؟ قال : ه الناس كلهم إذا ماتوا أُحْدِرُوا في جوف الأرض ، وأنا وحدي ، لعظم بلائي وشقاوة جسدي ، يصعدون بي فوق الأرض إلى الموت . فضحكوا من قوله . وانصل ذلك بالملك ، فمعا عنه ونقله إلى عنده . وقال له : كيف قُلت ؟ فأعاد عليه ذلك ، فخلّى سبيله .

ماء مرجس

قال : من طلب العلم لرغبة أو منافسة أو رهبة أو شهوة ، كان حفظه من الرغبة بمقدار الرغبة ، وحظه من الرهبة على مقدار حق الرهبة ؛ ومن طلبه^(١) للمكرمة ولفضل الاستبانة كان حفظه بنذر كرمه ، والاستمتاع به على قدر استحقاقه في نفسه .

مورون السوفسطائي

قال : شيخوخة البدن هي منتهى النفس . فقليل له : النفس تأباه ، أم البدن ينتهي عنه ؟

فقال : المعنيان يعرضان معاً من غير تقديم ولا تأخير .

أيرمسدس

قال : إن النفس بَرّةٌ رحيمةٌ ، فمن أجل ذلك هبطت إلى الطبيعة وأعانتها

(١) م ، ط : طلب لمكرمة .

وخلصتها من دعوى هذا العالم ، كما قال فيثاغورس إن للطبيعة مولاة^(١) (هي)
التي اعتنقتها ، بعني النفس .

فورس

سئل : أي شيء يسمّن الدابة ؟ فقال : عين صاحبها .

وسئل عن أحسن شيء في العالم ، فقال : حُسْن الذِّكْرِ .

وسأله الإسكندر : أين^(٢) الشعر من الحكمة ؟ فقال : إن أردت الملتقى
وحلاوة المنطق فالشعر ، وإن أردت صحة الكلام وصدق المنطق فالحكمة ،
وذلك أن الملتقى حلوة ، والحق مرّ .

فلسطين

قال : العجب أن شرارة المرأة تدعو أباهما إلى الاحتياك لاختراجها من بيته
وقد شقي بتزيينها وتجهيزها بماله ، التماساً للراحة منها . والذي نُشَقِّلُ إليه
يدخلها منزله وهو فرح بها .

وسُئِلَ عن أعظم شيء في العالم نفعاً ، فقال : فقدان الأشرار .

وسُئِلَ عن الدهر فقال : هو مدة الدنيا .

وقيل له : ما الحزم ؟ فقال : أن تحذر ما يمكن كونه قبل كونه .

قيل : فما العجز ؟ قال : أن تأمن ما يمكن كونه .

(١) هي : ناقصة في غ : م .

(٢) غ : أي .

وهما اثنان : أكبر ، وأصغر . إلا أن تمييز كلاميهما متعذر .

نظر إلى إنسان قد صرّف همهته كلها إلى إصلاح ضيعته ، فقال له : إن لم تهلك هذه الضيعة ، أهلكتك .

وقال : الذين يستميلون نساءهم بالحليّ والكسوة الحسنة إنما يعلمونهنّ محبة الأغنياء ، لا محبة الأزواج .

ونُعِي إليه ابنه ولم يكن له^(١) غيره . فقال : لم يذهب ذلك عليّ : إنما ولدتُ ولدًا يموت ، لا ولدًا لا يموت .

وقال : لا تخف موت البدن ، ولكن يجب عليك أن تخاف موت النفس .
(٩٩) ف قيل له : لِمَ قلت : « خَفَ موت النفس » والنفس الناطقة عندك لا تموت ؟ فقال : إذا انتقلت النفس الناطقة من حدّ النطق إلى حدّ البهيمية — وإن كان جوهرها لا ييطل — فإنها قد ماتت من (حيث) العيش العقلي .

وقال : أعطِ الحق من نفسك ، فإنك إن لم تُعْطِهِ كان الحقُ خصمك .
وقال : محبة المال وتد الشر ، لأن سائر الآفات تتعلق بها . ومحبة السّرْف^(٢) فيه وتد العيوب ، لأن سائر العيوب متعلقة بها .

وقال : أكثروا من الإخوان ، فإن الاخوان شفاء الأنفس ، كما أن الامراض سقام الأبدان .

وقال : كنْ بما تأتي من الخير مسروراً ، ومِمَّا تجانب من الشرِّ محبواً ، فإنَّ من فرح بشيء كثره مفارقه .

(١) له : ناقصة في غ ، م ، ك .

(٢) م ، ك : السرف .

بلوطيس

قال : ينبغي لمن يعلم الأحداث (أن يعلمهم ^(١)) التعاليم ليمودوا أن يقيموا في أنفسهم ما لا جسم له .

وقال : العسى أصلح وأنفع للإنسان من الجهل ، لأن ما يضر العسى صاحبه أن يلقيه في بئر ، والجهل وترك الأدب يلقي صاحبه في سكرات الموت مستوحشاً من لقاء ربه في الآخرة .

اسقراطيس

صاحب رجل مؤسراً معروفاً بكثرة المال . فوقعوا في أيدي قطاع الطريق ، فقال الغني المؤسر : الويلُ إن عرفوني . وقال اسقراطيس : الويل إن لم يعرفوني .

وقال : المالك للشيء هو المتسلط عليه بالحقيقة . فمن أحب أن يكون حراً فلا يهتو ما ليس له ، وإلا صار عبداً .

وقال لتلامذته : إن الدنيا غير باقية لأحد . فما كان فيها من خير فبادروا فيه وافترضوه ، وما كان فيها من شر فاهربوا منه واجتنبوه واحذروه وادخروا من هذه الغاية ذكراً حسناً باقياً .

وقال : اقنعوا بالثبوت ، وانضوا عن أنفسكم الحاجة لتكون لكم قرية إلى الله تعالى ، لأن الله غير محتاج . وكلما احتجتم أكثر ، كنتم منه أبعد . واهربوا عن الشرور والمآثم . واطلبوا من الخيرات الغايات .

وقال : ينبغي للمرء أن يكون في دنياه كالمدعو إلى وليمة إذا أتاه مناولٌ

(١) غ ، م ، ك : الأحداث التعاليم .

بالكأس يتناولها (١٠٠) فإن جازته لم يرصدها (١) ولم يقصد لطلبها ، كذلك يفعل بالأهل (٢) والمال والولد .

وقال : السُّنَّةُ حَسَنَةٌ ، والحكمة أحسنُ منها (٣) ، لأنها تعهرنا - أعني السُّنَّةُ - على ترك المآثم ، والحكمة تفهمنا صواب ترك المآثم .

وقال : إن أحببت أن لا تفرونك شهوتك ، فاشتبه ما يليق بالحكيم لمن يشتهيه .

وقيل له : لِمَ لا تسنُّ السنن والشرائع ؟ فقال : إن عمِلَ الناسُ بما عندهم مما تقدم منها ، اكتفوا به .

وقال : الدنيا غير باقية على أحد . فإذا كان خبرُ فاصطفوه ، وإذا عدتم ذلك فاجتهدوا أن تُبْقُوا من الذكر أحسنه .

(+) وقد ذكر موسى عليه السلام عنده (٤) فقال : نحن معاشر اليونانيين أقوام مهذبون ، لا حاجة بنا إلى تهذيب غيرنا (إيانا) (+) .

مملو من

قال : ما أشدَّ اغتمامي بالغني الباطل الذي يتعب فيه الناس من السهر في الأسفار والطرق ، ومسيرهم في أمواج البحر ، وغاظرتهم بأنفسهم ، وحملهم إيّاها على الموت ، وتغريبهم وتباعدهم وجمعهم الأموال التي لا يعلمون مَنْ يرثها بعد وفاتهم ، وتركهم الغني فيما يكسبهم في الدنيا جميل

(١) غ ، م ، ك : لم ير صديقاً (!)

(٢) م ، ك : في .

(٣) ك ، م : أفضل .

(٤) غ : عنه .

(+) ... (+) غير موجود في ك ؛ وموجود في غ ، م .

الوصف ، وفي الآخرة الاحاق بطبقة الملائكة الذين لا يحزنون ولا يفتنون ^(١) ،
ومع ذلك فإنهم يتركون اكتساب الكنوز المحموده من الحكمة التي لا ينالها فقر .
وإن أرادوا منافع أصدقائهم نفعوهم بها . وإن ورثوهم إياها صارت معهم ولم
تتخلف عنهم . والعلماء شهود ^(٢) على ذلك ، إذ يقولون إن فلاناً توفي وبقيت
حكيمته .

انطياخوس

قال : رأيت بهيكل أثيني ^(٣) جارية حسنة الساعد ، فقلت لها : ما أحسن
ساعيدك يا جارية ! قالت : أجل ! ولكنه لمن خُصَّ به ، لا للعامة . فغَضُضَ
بصرَ جسمك عما ليس لك ، حتى ينفتح لك بصرُ عقلك فترى به ما لك ، وما
ليس لك .

وقال السطس ^(٤) : سمعت امرأة في هيكل أثيني ^(٥) تقول لجارية لها :
قد أغضبتني (١٠١) يا جارية ! ولولا أن يستغفري الغضب لأوجعتك ضرباً .
وقالت مارية ^(٦) الحكيمة لإخوتها : ليكن فرحكم في الدنيا بما تدخرون ،
لا بما تبقونه لغيركم .

خادافرن

قبل له : لم صيرنا نُسرَّ بالنظر إلى الإنسان الحسن ؟ قال : إن هذه
لمسألة الأعمى ^(١) .

(١) غ : يفسون .

(٢) م ، غ ، ك : شهودك .

(٣) غ : أثيني . والمقصود الإلهة أثينية ، بلباس أثينية بلبسة الحكمة Pallas Athene

(٤) غ : السطس .

(٥) غ : المارية .

(٦) غ ، م : أعمى .

وقال له رجل : إنك وضع الجنس : فقال : الوردُ يخرج من الشوك ، ولا يضره ذلك .

فينوس

قيل له : بأي شيء صرت مقبول القول في قومك ، مُسْتَشْل الأمر في أصحابك ؟ فقال : إنهم رأوني أقصد العدل ، وأخلطه بالفضل ، وأبدية بالإحسان . وأعيده بالشكر .

فيلايون^(١)

قيل له : مَنْ صديقك ؟ قال : الذي اذا صرتُ إليه في حاجتي وجدته أشدَّ مسارعةً إلى قضائها مني إلى طلبها منه . قيل له : هذا عزيز ! فقال : العزيز يطلب العزيز وإن لم يجيد .

براطولس

قيل له : ما تقول في شرب الخمر ؟ فقال : قليلها دواء ، وكثيرها داء ، وهي بالمشايخ^(٢) أولى بها من الشباب .

نيغالوس

قيل له : ما الموت ؟ قال : نِعَم الوافد لولا فُرقة الأحبة وما يتواعدنا به إلا له^(٣) من العذاب .

(١) م : فيديون .

(٢) م ، ك : بالمشايخ أليق منها بالشبان .

(٣) م : الاخرة .

استانس الخطيب

قال : إن أكثر الآفات تعرض للحيوانات من قِبَل أنها لا يمكنها الكلام ؛ وأكثرها يمرض للإنسان من قِبَل الكلام .

وسئل : لم تزوجت امرأة قصيرة ؟ فقال : إذا كنت مضطراً إلى شيء الرديء ، فإنما ينبغي أن أختار من الرديء ما يصغر ، لا ما يكبر .

كسافر سطر^(١)

شهد مجلس الإسكندر . فسمع رجلاً بكثّر الكذب في أحاديثه ولا يحشمه في مجلسه ، فقال للملك : أيدري الملك ما الذي يربح هذا من حاديثه الكذب ؟ يقول إذا حدثتكم مرة أخرى فكذبوني : ولا تصدقوني .

ونظر إلى مصارع يصارع آخر فلا يقدر أن يصصره أثبتة ، وهو مع ذلك مجهود ، فقال : لو صرفت شدتك إلى أن تصارع بها هواك وتغالب (١٠٢) بها غضبك ، كنت شديداً^(٢) عموداً ومصارعاً فاضلاً .

وقيل له : ما بالك لم تغضب عند شتم فلان إياك ؟ فقال : لأن فلاناً لم يشتم إلا نفسه^(٣) فإنه بذلك أظهر جهله ، وأنا مظهر حلمي فلم تغضبي فضيلة ظهرت لي .

قيل له : فلم ضحكك حيث بُصِقَ في وجهك ؟ قال : كما يحسن انشجر والزهر في الظل ، كذلك نبئت وعظمت وجلت حكمتي عند بصق هذا الرجل (في) وجهي .

(١) م ، ك : كسافر سطر .

(٢) غ : شديداً .

(٣) م ، ك : فإن بذلك جهله ..

قال : إني لأعجب من الذين يرفضون القبيح قولاً ، ويطلبونه فعلاً ،
ويتشوقون الجميل قولاً ، ويهربون منه فعلاً ، كما يهترَب من القبيح .

اسانص

سأله رجلٌ ، أراد شراءه ، عن جنسه ، فقال : لا تبحث عن جنسي ،
وابحث عن عقلي .

وسئل : كم مقدار طعامك ^(١) في اليوم ؟ فقال : قدر ما يُصبحُ حوامي
للإدراك . ونفسي للفكر .

وسئل - وقد احتُضِرَ - : كم سنة عِشْتَ ؟ فقال : هذا الوقتُ الذي
أجيبكم فيه . فأما ما مضى فكان لم يكن .

ثانيذوص

قال : إن من أجسَ بأنه يموت فليس له أن يفهمَ لأمرٍ صعبٍ يعرض له ،
لأنه لا يمكن أن يتوهم الحيَ ما هو ^(٢) أصعب من الموت .

وقال إنه يمكن أن يسكن في بيت واحدٍ مائة رجل ؛ فأما امرأتان فيكدهُ
يمكن أن تسكنا في بيت واحد .

وقال : إن بلغك عن أحدٍ أنه ^(٣) حكيمٌ عدلٌ خيرٌ ، ثم بلغك بآخرة أنه

(١) م ، ك : طعمك ..

(٢) غ : عل ما .

(٣) غ ، م ، ك : أن .

ذو امرأة ، فأخرج من نفسك جميع ما سبق إليها منه .

ديمتانس

سئل عن الإنسان فقال : لهبُ نارٍ يحيط به الماءُ والريحُ من كل جانب .

ووجدته ^(١) الإسكندر راقداً في ظلِّ شجرة قد أثقله النوم . فدنا منه ، وركله برجله . فوثب مذعوراً واستوى جالساً ونظر إلى الملك قائماً على رأسه فقال : لقد رَوَّعْتَنِي أَيُّهَا الْمَلِكُ ! فمالِكُ ومالك ؟ ! فقال له : قُمْ أَيُّهَا الْحَكِيمُ فقد فتحت مدينتك . فقال له : إن فتح المدن لا ينكر للملوك فإنه من عملهم ؛ فأما المراكلة فإنما هي من عمل الدواب . فعليك : أَيُّهَا الْمَلِكُ ، بطبيعة الملوك . ودَعُ ^(٢) (١٠٣) عنك طبيعة الحمبر . ففدحك الإسكندر وقال : قد أسأنا إليك ، فما الذي يرضيك عنا ؟ فقال له : الذي يرضيني عنك قلَّةُ رضاك عن نفسك في قولك ما الذي يرضيك عنا ؟ فقال له : ما أحسن قولك ! فقال : أَيُّهَا الْمَلِكُ ! رَبِّ إِسَاءَةٍ كَانَتْ بِسَبَبِ إِحْسَانٍ : وَرَبِّ إِحْسَانٍ كَانَ عَلَيْهِ إِسَاءَةٌ ، وَلَئِنْ الْعَالَمَ مَخْلُوطٌ مَاتَبَسَ زَاكِمُ الْخَيْرِ الشَّرُّ ، وَدَاخِلَ الْخُلُوفِ الْمَرْءُ . وجري مع النفع الضرر .

وسئل : ^(٣) كم مقدار ما تنغذى من الطعام في اليوم ؟ فقال : ما تحمله عيني ، أي ما لا تُظلم به نفسي .

وسئل : بأيِّ الخيَلِ أدركت من العلم ما قصَّر عنه غيرك ؟ قال : لأني أنفقت في ثمن الزيت ما أنفقه غيري في ثمن الخمر .

وقال : لكل ريتل منا مزودان ^(٤) : أحدهما بين يديه ، والآخر خلفه .

(١) هذه الحكاية تنسب في سائر المصادر إلى ذوجانس ، لا إلى ديمتانس هذا .

(٢) غ : وسئل له مقدار .

(٣) م : مزودان .

فالذي بين يديه مملوء من عيوب الناس ، والذي خلفه مملوء " عيوباً " (١) نفسه .
فلذلك يرى عيوب الناس ، ولا يرى عيوب نفسه (٢) .

وسئل : أين مسكن الفضائل ؟ فقال : في أنفس الحكماء .

وقال : كما أن الذباب يدع (٣) صحيح الجسد ويقع على قرحة ، كذلك
الأشرار يدعون محاسن الناس (٤) ويذكرون مساوئهم .

ورأى شاباً جميلاً قليل الأدب ، فقال له : سكتبت محاسن جمالك (٥)
فضائل نفسك .

داوتالبون

قال : إن لم (٦) ينهيا لك البتة في العلم من ثناء نفسك مبلغ العلماء ،
فينبغي لك أن تستغني بفتائهم ، وذلك أنهم قد خلقوا لك خزائن العلم في
كتبهم فافتحها وأغن نفسك بها . ولا تكن كأعمى في يده جوهرة وهو لا
يعرف جنسها .

ذمبيقوس

سئل عن شيخ يتزوّج ، فقال : من لا يقدر على السباحة في البحر - كيف
يحمل آخر في ظهره ؟ !

(١) م : عيوبه .

(٢) غ : نرى ... ولا نرى عيوب أنفسنا .

(٣) ع : يقع .

(٤) م : لك : الإنسان ... سازه .

(٥) م : لك : وجهك .

(٦) لم : ناقصة في غ .

وسئل : ما المرأة الحسنة ؟ فقال : الحسرة الدائمة .

وسئل : ما بال العلماء يأتون أبواب الأغنياء أكثر مما يأتي الأغنياء أبوابهم ؟
فقال : لمعرفة العلماء بفضل الغني : وليجهل الأغنياء بفضل العلم .

وسئل : أينما أمثل : طلب العلم ، أم طلب الغنى ؟ فقال : أما ^(١) لنعمة الدنيا فالغنى ، وأما للنفس فالحكمة . وقد نرى الحكماء يأتون أبواب الأغنياء ليجمعوا (١٠٤) الشيئين جميعاً .

لاقن ^(٢)

ظلمته إنسان وغضبه (+) على حق كان في يده ، فشدّ عليه فضضه ^(٣) . فقال له : فعلتَ كما تفعل النساء ! فقال : بل فعلتَ كما يفعل الأسد .

وكان أعرج . فصار مع قومٍ إلى الحرب . فقيل له : تُصافُّ في الحرب وأنت أعرج ؟ ! فقال : هل يحتاج في الحرب إلى من يتهرب ، أو من يشتب ؟ !

وبيع : فسأله المشتري : أي شيء تعلم ؟ قال : أعلم أنني حرٌّ .

ارون الملك

سأل أرون الملك ثيافانوس ^(١) الفيلسوف : ما حقيقة الصدق ؟ قال :

(١) أما : ناقصة في م ، .

(٢) م : لا قن .

(+) ك : وغضبه .

(٣) م : بغضه .

(٤) م ، ك : ساء يدس . - ولعله ساء قدس Secundus ، ويكون الملك حوشت : اندريانوس .

إنسان هو أنت إلا أنه غيرك ؛ حيوان غير موجود ؛ اسمٌ على غير معنى .

وذكر أن رجلاً فاخر إسحق بن ابراهيم الموصلي ، وكان إسحق أصله من العجم ، فقال له : هات للعجم اختصاراً لاسم الصديق ^(١) وتبييناً لحقيقة معناه ، كما قال حكيمنا وفيلسوفنا : « إنسانٌ هو أنت إلا أنه غيرك » . قال إسحق : هذا هو الثورية في طولها . بل سُمِّي الصديق عند العجم : « دوست » أي هو واحد في الذات ، اثنان في الحقيقة والاسم ^(٢) .

موسوروس

قال : فكثروا أن اللذة مشوبة بالقبح . ثم فكثروا في انقطاع اللذة وبقاء الذكر القبيح .

وشُتِّم وقُدِّف بكلامٍ قبيح سمع فسكت وحلم . فسل عن ذلك ، فقال : ما أظنكم تحبون أني سمعت قط من الجبل صوت الخطاف ، ولا صوت الطيطوي ؛ بل قد سمعت ذلك . فلذلك صيرتُ لا أنكر ولا أضطرب إذا سمعتُ من كل جنسٍ ما بصوت به يطبعه .

أقليمن .

سئل عن العشق ، فقال : هو مرضٌ يحدث في الروح ، جالبه النظر ، ومسكنه القلب ، ومهيِّجه الفكر .

(١) الصديق : ناعمة في غ .

(٢) يتلاعب الموصلي هنا بكلمة « دوست » الفارسية ، فيريد أن يشتقها من « دو » = اثنين ، وست (= است) : يكون . ودوست : الصديق ، الحبيب ؛ دوست داشتم : يجب ؛ دوست شدن : يصادق ، يمد أواصر الصداقة مع ؛ دوستی : صداقة ، حب .

وقال : أفضّلُ الملوكَ منْ ملكٍ شهوته ، ولم يستعبده هواه .

وقال : ما أقلُّ منفعةٍ كثيرةٍ المعرفة مع سَرَفِ الطبيعة وغلبة الشهوة ! وما أكثرُ قلة المعرفة مع اعتدال الطبيعة وضبط ^(١) الشهوة !

وقال لأصحابه : غاملوا الإخوان بمحض المودة ، والرعيّة بالرغبة والرغبة ، والسفلة بالخافة والاستخفاف .

سافرسطس ^(١)

كان لا يقبل هدية (١٠٥) أحدٍ . فقالت له امرأة : إذا كنت لا تقبل ممن يعطيك . فبالجري إذا طلبنا لم نجد من يعطينا . فقال لها : إذا لم تأخذ منهم عند الاستغناء . فبالجري أن يعطونا عند الحاجة .

وقال : العلم جهلٌ الجاهل ، والجهل علم العالم .

وقال : الواجب على المرء أن يداري السلطين عليه حتى يسلم : وأن يداري العليل حتى يصح . ويدرّي المرأة لبنعم .

كسانوقراطيس

لما قرأ شعر أومبروس ورآه يذكر أن اقسطس ^(٢) كان أعرج ، وأن البخت كان أحوّل - قال : إن كان البخت هو الذي يبرئنا ، فلم لا يُبرئ نفسه ؟ !

(١) غ ، م ، ك : غلبة .

(٢) ك : سافرسطس .

(٣) بالقاف في ك .

وسأله إنسان : كيف ينبغي أن يكون الرجل الفاضل ؟ فقال : أن يكون غير شبيه بك .

انطليانس^(١)

مدحه رجلٌ شريرٌ ، فقال له : ما أخرجني أن أكون قد فعلتُ شراً إذا كنت قد استحسنيت مني شيئاً .

وسأله تلميذ له : بماذا أعلم أنني قد صرتُ حكيماً ؟ قال له : إذا أحسست في نفسك أنك لا تفرح بمدائح الناس إليك ، وأنتك لا تنغمُّ بدمتهم لك - فقد صرت في طريق الحكماء .

وسُئِلَ عن أهون الأشياء عليه ، فقال : لائمة الجهّال .

أفأخرسيس

قال : النفس تحتاج في احتمال الوبع والموت إلى قوة : وذلك أن كثيراً من الناس قد يعزم على الصبر في الشدائد ؛ فلذا وقع فيها جَبُنٌ وخار .

وقال : الكرمة تحمل ثلاثة عناقيد : الأول عنقود لذّة ، والثاني عنقود سُكَّر ، والثالث عنقود سَفَه .

وقال : إنه من القبيح أن يتولى امتحان الصّناع مَنْ لبس بصانع .

وبحكي عنه قوله في السفينة : ليس بيننا وبين الموت إلاّ اصبعان .

وقال لأصحابه : اعملوا فيما تقيمون به دينكم كالشيء الذي لا تجدونه .

(١) م : انطليانس . ك : انطالانس .

وقال : من شرع له الخير فليعالجه ، فليس الغنى بمعذور ، ولا المسكين بمعلوم .

ولما قدم بلاد اليونانيين أتى منزل سولون ؛ فقال لغلامه : قل لمولاك : على الباب رجل يريد أن يَصَيِّفَكَ . فأبلغ الغلام سولن ذلك ، فقال : قل له إذا يَصَيِّفُ^(١) صاب منزل الطارئين . فقال : فإذا قد حكمت بهذا الحكم فاعمل به .

(١٠٦) طيمطوس

خطب أهل أثينية ، فأرادوه أن يرفع صوته ، فقال : إيما^(٢) أصْلَبُ صوتاً : النحاس ، أو الحديد ؟ قالوا : النحاس . قال : والحديد أقطع .

وسئل : أي شيء رأيت في مجامع اليونانيين أعجب ؟ فقال : العلماء يتناظرون^(٣) ، والجهال يتقضون .

أناخوس الصقلي

حضر مجلساً للحكماء . فجرت بينهم مناظرة . فقال له بعض من حضر : اسكت يا ابن الصقلية ! فقال أناخوس^(٤) : أما أنا فعاري جنسي . وأما أنت فعارُ جنسك .

وسئل : ما الحفاظ ؟ فقال : أن يتحفظ الرجل في أمور من كان له

(١) غ : نصيف صاب منزل الطارئين (!)

(٢) إيما : ناقصة في م .

(٣) غ : يتناظرون .

(٤) م ، ك : أناخوس .

صديقاً ، ولا يفتّر في جليلها ، ولا يقصّر في صغيرها .

وقال : اعملوا فيما تقيمون به دنياكم كالشيء الذي لا تفارقونه ، وفيما تصلحون به معادكم كالشيء الذي لا بُدّ من تزوّده .

وسُئِلَ عن الحياء والخوف ، فقال : الحياء نفية . والخوف بغضة ، فليكثر حياؤكم وليقل خوفكم .

وقال : اعمل من الخير ما أمكنتك ، فإنه لشرفه يعزّ مطلبه . وتوقّ الشر^(١) فإنك تقدر عليه في كل وقت تطلبه .

ابسوريس

قال : يقال إن الإنسان خير في الطبقة الأولى إذا كان استخراجاً للأمور الحميلة بطبعه ومن تلقاء نفسه . ويقال : إنه خير في الطبقة الثانية إذا كان قابلاً للأمور الحميلة^(٢) إذا عرّفها .

فرسطرخس

سئل : أي شيء أصعب على الإنسان ؟ فقال : أن يعرف عيب نفسه ، وأن يُمسك عما لا ينبغي أن يتكلّم به .

وقيل له : كيف ترى ابنك ؟ قال : إذا كان صاحباً فَعَلَيْ ما أُحِبُّ ، وإذا كان سكراناً فعلى ما يحبّ النبيذ .

ونظر إلى ميت بنقل إلى قبره . فقال : هذا ربّ بيت قد نقله أهل بيته إلى حبس الأبد .

(١) م ، ك : لشر .

(٢) غ : أو مرّنها .

طيفن^(١)

قيل له : لِمَ صرْتَ تسميهُ الفولَ في الناس ؟ فقال : لأنه ليس يمكنني أن أسميهُ إليهم بالفعل .

وقال له جاهلٌ ، كان معه في صحراء : أما ترى ما أحسنَ هذا الموضعَ وأنزهه ؟ !

فقال له : ذلك لو لم تحضُر .

فيلن

خطب إليه رجلٌ (١٠٧) ابنته . فامتنع عنه . فسئل عن ذلك ، فقال :
لست أرغب في رجلٍ كَسَبَتْهُ الأموالُ ، وإنما أرغب في رجلٍ يَكْتَسِبُ .
ورأى رجلاً معروفاً بالحدس مغموماً فقال : لقد وقع هذا في شرٍّ إذا رأى
غيره نال خيراً .

وقيل له : لِمَ لا تحبُّ الولدَ ؟ قال : لشدة عيبتني له .

وقيل له : بأي شيء حظيت من الحكمة ؟ فقال : بأي فعل ما يجب عليَّ
اختياراً له ^(٢) لا باضطراب السنّة .

فقراطيس

سأله الإسكندر فقال : أيها الحكيم ! بمن يليق الملكُ ؟ فقال : بحكيم
بملك ، أو بملكٍ يحرص على الحكمة ويقتنيها .

(١) م ، ك : طيفن .

(٢) غ : الآله .

وقال : إن وجدت كترأ بين يدي صمراً أو أصمّاً وأبكم ، فأعطيهِ
حفنهُ .

وسأله الإسكندر : لم نبي الحكماء أن يُوتى الأحداثُ القضاء ؟ قال :
لأن الجرأة والحدة والسفاهة عليهم غالب ، والكهل أركن وأرزن وأثبت وشيرته
أخمد .

وقال : اقنعوا بالقوت القليل ، وانفخوا عن أنفسكم الحاجةً للتقربوا إلى
الله . لأن الله غير محتاج . وكلما احتجتم إلى غيره أكثر ، كنتم منه أبعد .
واهربوا من الشرور والمآثم . وتدافعوا بطاقتكم إلى الغايات في الخيرات ،
فهناك السعادات والزيادات .

قرسطس^(١) المشاء

رأى شاباً في مجلسٍ طويل الصمت ، فقال له : إن كان سكوتك لسوء
أدبك فأنت عاقل ، وإن كان لعلمٍ وأدبٍ فقد أسأت إذ سكّنت .

سقراطيس الشاعر

قال : الخطيب يغمس الكلام في القلب . وغارسه الفكر . وقبّبه العقل ،
وجسمه الحركة ، وروحه المعنى وحليته التقويم ، وكلامه الصواب ، وجانيبه
اللسان ، وحدّه البيان .

وسلم الإسكندر ابناً له ليعلمه جودة الشعر . فدعاه بعد زمان لينشيد بين
يديه شعراً له . فأنشده الغلام . فلم يرنضه الإسكندر . وقال له : لم يبلغ هذا
الغلام ما كنت أريده من الشعر . فقال له : أيها الملك : دَفَعْتُ إليَّ مُهْرُاً

(١) بدقاء في ذلك .

لا أستطيع أن أجعله قارحاً حتى يبلغ به (١٠٨) الزمان غايته. * . — فاستحسن الإسكندر قوله .

وسئل : أي الناس أخطب ؟ فقال : من حبس عليه حسن منطقته الناس .

بلون

رأى رجلين من الأشرار يتناظران في الخير ، وقد وقع بينهما اختلاف .
فقال لهما : وما المشاجرة فيما ليس من عملكما ؟!

سلوس^(١)

قال له بعض قدمائه : إن نيقانون يسيء القول والثناء عليك . فقال : أنا أعلم أن نيقانون ليس هو بشرير^(٢) ، فليخبرني أن ينظر هل ناله من ناحيتنا أمرٌ دعاه إلى ذلك . فبحث عن حاله فوجدها قد رثت . فأمر له بصلة سنية . فبلغه بعد ذلك أنه بسط لسانه بالثناء عليه والدعاء له في المحافل . فقال : أما ترون أن الأمر إلينا في أن يقال فينا خيرٌ أو شرٌ ؟ !

وسئل : بماذا يكتسب المرء من الناس المحبة له وحسن الرأي منه ؟
فقال : بالتواضع^(٣) لهم والتشكر لهم وإجمال معاملتهم وحسن معاشرتهم .
وقال : لكل فعل جزاءٌ من إساءة وإحسان ؛ فاجتهدوا أن تكافئوا على الإحسان .

وقال أيضاً في سفرة : الشراب يسكر ، والمال يبسطير ، والسلطنة مع الصبا عماية .

(١) غ : هيلوس . وبدون نقط في م . لك : هيلوس .

(٢) م ، لك : التواضع .

أومانوس^(١)

قال لإخوانه : إن عاملتموني كما يُعامل المَلِك ، عاملتكم كما يُعامل الإخوة . وإن عاملتموني كما يُعامل الأخ عاملتكم كما يُعامل المَلِك .

وقال : الميل إلى الشهوات رأس الفضائح ؛ واليمين . وإن كان صاحبها صادقاً ، فهي نعيمه^(٢)

وقال : الشئمة من العِي ، والغضب من ضيق الفكر ؛ والتندُّم على ما فات من الفشل .

وقال^(٣) العُجْب قلادة الوسوسة .

أناخورس القاضي

كان حكيماً . فُسِّل بماذا يُشَبَّه القاضي في مجلسه ؟ فقال : إذا كان على استقامة من قضائه : فبزهرة نضرة في رأس شجرة مشمرة . وإذا كان على غير استقامة فببومة ساقطة على حائط في^(٤) ناووس خراب .

كورس

قال : ليس ينبغي أن يرأس من لم يكن أفضل مِمَّنْ رُئِسَ عليه .

وسئل : متى يكون العلم أحمد ؟ فقال : إذا كثر (١٠٩) فنفضت إليه القريحة .

(١) م : أومانس . لك : أومانس .

(٢) غ : نعيم .

(٣) وقال : ناقصة في م .

(٤) غ : من .

وسئل : أين أموالك وكنوزك ؟ فالتفت إلى أصحابه وهو يشير إليهم : عند هؤلاء ادخاري وكنوزي .

ريسموس

كان من موسري اليونانيين . وكان حسن القول للشعر . ف قيل له : كيف صرت تعلم الناس شعرك وأنت لا تقرضه ؟ قال : مثلي فيه مثل الميسن : يشخذ ، ولا يقطع .

سأل رجلاً أن يقرضه مالا^(١) . فردّه . فعبّره بعض الناس على ذلك وقال جبهك بالرد . فقال : إنه لم يزد على أن حَسَرَ وجهي بالحجل مرة . ولو أقرضني لصَفَّر وجهي مرات كثيرة .

ونظر إلى جنازة رجل من الأغنياء كان محباً لجمع المال فقال : هذا لم ينتفع بعمره ، وخلف عمره لغيره^(٢) .

اسونس^(٣)

سئل : أي الحيوان أكثر محبة للصنعة ؟ فقال : أما ما ينتفع به فالنخل ، وأما ما لا ينتفع به فالعنكبوت .

سمانيدس الموسيقار^(٤)

أجاز برجل يضرب لبناً ويتغنى بصوت له ويخطئ فيه . فحمل فرسه

(١) غ : مبر .

(٢) م : اسويس .

(٣) غ : الموسيقاري .

على لَبِينِهِ فكَسَرَهُ . فقال له اللبان : لِمَ أَفْسَدْتَ مَا عَمِلْتُ ؟ فقال : لَأَنَّكَ أَفْسَدْتَ مَا عَمِلْتُ .

ثمانيس

رأى رجلاً قد عمي ، فقال : لَأَن تَعَثُرَ بِرِجْلِكَ خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَعُرَ بِلِسَانِكَ .

والفيقيطس

قال : اعلم أن ضماناً^(١) الشهوة أن تصل^(٢) إلى ما تشتهيه ، وضمان الحرب أن لا تقع فيما كرهت . فإن الذي تغوته شهوته عديم البخت . ومن يقع فيما هرب منه شقي . فلا تعرض فيما بإطلاق النفس فيما تكسبهما .

نفيطوس^(١)

قال : مدبر البدن النفس الساكنة التي تعطيه علوم الحكمة وتعمه بكنوز ذخائرها وتصبغه بألوان مجدها ووروقها ، وتكسبه^(٢) الجلد في تعرفها ، وتجعله شقيفاً في تلطفها . فإذا فارقه عند الموت وانتقلت عنه بقي فقيراً بطبعه ، واستكن فيها وأقام عندها . ولست بباركة فضائلها الشريفة وخواصها الكريمة ، وذلك لأن خزانها التي هي صائرة إليها ومسكنها الذي هو محلها مع نظائرها

(١) غ ، م ، ك : ان ميساً من الشهوة (!)

(٢) م : اتصل . ك : يتصل .

(٣) م ، ك : نفطوس .

(٤) غ : ويكسبها .

فيه هي معها (١١٠) حالة فيه غير مفارقة لها ؛ لكنها قد تسكن ويحمد شأنها
وجودها وأفاعيلها .

بارقدس

قال : مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَوْسَمَ بِالْحِكْمَةِ يَنْبَغِي أَنْ يَرْفُضَ مَنَافِعَ الْمَالِ الْمُفْسِرَةِ
وَلْيُصَفِّ ذَهَنَهُ وَلْيَتَنَفَّ عَنِ نَفْسِهِ الْأَفْكَارِ الرَّدِيئَةِ فِي حُبِّ النِّسَاءِ . لَكَلَّا يَفُوتَهُ
شَيْءٌ مِنَ الْإِهْتِمَامِ بِأَمْرِهَا . فَإِنْ رَجَدَ السَّبِيلَ إِلَى تَرْكِ النَّظَرِ إِلَيْهَا بِنَّةً فَلْيَفْعَلْ
ذَلِكَ ، فَإِنَّهُ أَحْرَى أَنْ يَظْفَرَ بِطَلَبَتِهِ وَيَفُوزَ بِبَغْيَتِهِ .

فلاسيلاوس

قيل له : مَا بَالُ (١) لَقَادَامُونِيَا لَيْسَ عَلَيْهَا سُرٌّ ؟ فَأَمَرَ أَهْلَ الْمَدِينَةِ فَلْيَسُوا
السَّالِحَ ، وَصَفَّتْهُمْ فَقَالَ : هَؤُلَاءِ سُرُّهَا .
وسئل : أَيُّ الْأَشْيَاءِ خَاصَّةٌ يَنْبَغِي أَنْ يَعْلَمَهَا الصِّيَّانُ ؟ فَقَالَ : الْأَشْيَاءُ الَّتِي
إِذَا صَارُوا رِجَالًا اسْتَعْمَلُوهَا .

الشمس

مرّت بمدينة بوءثيوس ، فتعجب من ارتفاع سورها واحكام بنائها ، فقال :
سكان هذه المدينة : رجال أم نساء ؟!

(١) غ ، م - قنادامونيا . - ولا قنادامونيا هي اربطة .

محموس

كان يقول : أكثر ما علمتُ مما يأتي (به) ^(١) الآتي إنما علمته من الرؤيا .

انكسوم

قال : ما أنفع لنا الأمور المارة بنا من فقر وغنى وحياة وموت إن كنّا نلاحظها بأعين العقل !

مانافيلس

صار إليه رجلٌ ، فافترى عليه ، فقال : من ساس نفسه فلإنها تسرق النفوس الضعيفة والقوة بها على القوة .

فيلموس

وهو رجلٌ من مشهوري الفيناغوريين . ادّعى إنسانٌ عليه بالظلم ثلاثة قناطير من الذهب ، وكان يمكنه أن يحلف له ويتخلص منه ، فاخترأ أن يفرم ما ادّعاه عليه باليمين .

أوفورس

قال ^(٢) : الفكر من دم جامد ، والقم يهيج الحرارة الغريزية . فذلك

(١) به : ناقصة في غ ، م ، ك .

(٢) قال : ناقصة في غ .

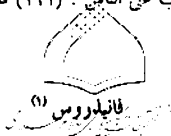
الحرارة تذيب جامد الدم . ولذلك تكره الحمى خوف العوارض المكروهة التي
تبيح الحرارة ونحبي المزاج فتحل جامد الدم فينتفض التركيب .

موريق الملك

قال لإخوته : ليكن شيئاكم بما يغنيكم في معادكم . لا فيما تدخرونه لمن
يخلفكم بعدكم .

اسانس

سئل : أي شيء أصعب على الناس ؟ (١١١) فقال : العافية على أكثرهم
لأنها لا تسعهم .



قال : من يخاف بالاحلام جرى في ميدان الجهل واسعاً .
وقال : التعب يعقب الصحة .

ذيجوستانس

قال : أن يعتقد المرأة عقدته أفضل من المرأة الصالحة .
وقال : الفضائل في جوار المساوي .

(١) ك : فانيلدروس .

جعل على نفسه أن لا يتكلم . فأتصل خبره بأدريانوس (٢) الملك . فأمر بإحضاره وجهده به الجهد أن يتكلم (٣) فلم يفعل . فأمر بقتله . وتقدم إلى السياف في السر وقال له : إن تكلم هذا ، إذا هزرت عليه السياف ، فاقطعه ؛ وإن ثبت على صمته فردّه إليّ ولا تقتله . — فمضى به السياف وروّعه بسيفه وكرّر ذلك عليه فلم ينطق بحرف . فردّه إلى الملك ، فأكرمه وعظّمه وسأله عن مسائل فأجابها عنها في كتاب ؛ وأقام على صمته .

ثامسطيوس

وقد فسر جميع كلام الحكيم (٢) بأحسن ما يكون مع استقصائه شرحها . وقال : عمر العاقل ساعته ، وساعة الجاهل عمره . وقال : الإنسان بلا أصدقاء كالشمال بلا يمين . وقيل له : فيم يكون السرور ؟ فقال : في معنى صحّ بالقياس ، ولفظ وضح (٥) بعد البيان ، وحق يعرف قدره بعد التماس . وقال : الناس كالسيوف ، والأدب والعلم كالشحد والجلاء .

فرفور يوس

قال : المحرك الأول من ذاته هو الذي لا يحركه شيء من خارج :

(١) Secundus = الملقب بلقب « الفيلسوف الصامت » . - ك ، م ، غ سفيداس

(٢) هو الامبراطور هادريان Hadrien غ : يدريانوس .

(٣) م : يكلمه .

(٤) الحكيم = ارسطر .

(٥) في غ : بالبيان ، ونوقها : بعد (البيان)

وقال : الغضب هو غلبان القوة الغضبية وشدة حركتها ، وليس هو غلبان الدم كما قال أصحاب الطب . وقال أفلاطون : هو سُكْرُ العقل . وقال غيرهما : هو الشوق إلى الانتقام .

وقال : فكرة العاقل في الخطأ أعظم في القُبْح ^(١) من فعل الجاهل الخطأ .

وقال : من لم يَفُور جسده فلنما جَسَدَه ^(٢) قبر لنفسه .

قال : كما أن أواني الفخار تمتحن بأصواتها فيعرف الصحيح منها والمنكسر -- كذلك يمتحن الإنسان بمنطقه فتعرف حاله وطريقته . وإنما صار المنطق شاهداً للإنسان على الإنسان لأنه كمل وشرف وفضل (١١٢) ، وكانت قواه الباقية روافد لها ومعينات في تحصيل الخصوصية التي يظنونها . وبالمنطق كان إنساناً ، وبُحْسِنَ تربيته ^(٣) له كان إنساناً فاضلاً ، وبقصد العناية القصوى في التأني كان سعيداً .

وقال : حدُّ الفضيلة اعتيادُ فعلٍ عدلٍ ممدوحٍ يُقْتَنَى به أثر سَلَفٍ مَرَضِيٍّ ، وهي واسطة بين رذيلتين .

وقال : النفس إذا فارقت الجسد صارت خالصة خالدة ، لأنها إذا فارقت لم تألم .

وقال : احْرِصْ على أن تكون هيئاتك حسنة في وقت عسارك ، فأما في يسارك فكل هيئة تنهياً بها فهي جائزة .

وقيل له : الحزن أشدُّ ، أم الخوف ؟ فقال : بل الخوف . وإنما صار الخوف مكروهاً لنا لما فيه من الحزن . وكما أن السرور غاية كل محبوب ، كذلك الحزن غاية كل مكروه .

(١) غ : القُبْح .

(٢) غ : منه . م : ذ : قبه (!) .

(٣) له : نافعة في م .

وقال : لا ينبغي أن تذكر الميت بسوء ، لئلا تكون الأرض أكنهم ميتاً .

وقال : ما أحدٌ أولى بالمرثية من عالمٍ يجوز عليه أمرٌ جاحلٌ .

وقيل له : ما بال مَنْ ليس بحكيم يقول الحكمة في بعض الأوقات ؟

فقال : هذا لأن النفس تعطي ما عندها ؛ وإن كانت فيمن لا يستحق فضيلتها .

الاسكندر الافروديسي

وهو من مدينة افروديسياس ^(١) . وقد فسر جميع كتب الحكيم ^(٢) على

غاية ما أمكن .

قال : مَنْ عرف من نفسه الكذب لم يصدق الصادق .

وقال : عيب الفاضل في الفلسفة أنه في مسلك ^(٣) الناقص وجلباب

المتخلف . فإذا نُظِرَ إليه زُرِيَ عليه . وإذا تحدث بحديثه أنف منه .

وقال : إذا أردت أن تروى ^(٤) صاحبك وتنف على ما عنده فمن خلال

حديثك بالمحال : فإن أنكره فهو عاقل ، وإن صدقه فهو أحمق .

وقال : فنون الترجمة ^(٥) ثلاثة : الخط ، واللفظ ، والشكل .

الينوس ^(٦)

قال : النيران أربع : نار تأكل وتشرب وهي نار المعدة ؛ ونار تأكل ولا

(١) = Aphrodisias . غ : افرودياس . م ، ك : افرود ماباس .

(٢) = م أسطوطاليس .

(٣) كذا في النسخ كلها .

(٤) م ، ك ، غ : تروى .

(٥) الترجمة : التمييز .

(٦) م ، ك : الينوس .

تشرب وهي نار الوقود ، ونارٌ تشرب ولا تأكل وهي نار الشجرة ، ونارٌ لا تأكل ولا تشرب وهي نار الحَجَر .

وقيل له : لم تسديم الشك ؟ فقال : ذباً عن اليقين .

وقال : عجبت من سراجٍ ضعيف بين أربعة أرياح ^(١) عواصف (١١٣) كيف تبنى !

وقال : إن أولادكم يحتاجون إلى الآباء ، وأحداكم ^(٢) يحتاجون إلى المشايخ ، ورجالكم يحتاجون إلى الرؤساء ، والرؤساء يحتاجون إلى السنن ، والسنن محتاجة إلى الفلاسفة ، والفلاسفة لا تحتاج إلا إلى الله تعالى وحده .

أومينوس الحكيم ^(٣)

قيل له : ما بال البخيل يغلب على أصحاب الحكمة ؟ قال : لأنهم لا يكسبون بكل وجه ، ولا يذلون أنفسهم لكل إنسان . فقصاراهم حفظ ما معهم .

فقيل له : أما يحسبون بفتح البخل ؟

فقال : بلى ! ولكن يحملونه لقب المسألة .

فقيل له : أما لهم ثقة بالرازق ؟

قال : من نقتهم بالرازق اقتصادهم في نفقتهم .

قيل له : الجود غير هذا !

قال : صدقتم الوخلص من الشرف ، ولم يُبتلَ صاحبه في عاقبته بالشماعة .

(١) م ، ك : أرواح .

(٢) م ، غ ، ك : أجدادكم .

(٣) الحكيم : ناقصة في م ، ك

قيل له : هذا كله زوغان من الكرم !

قال : أصل الكرم التكرم عن الحاجة إلى أهل الكرم ، فضلاً عن غيرهم .

وقال : الإنسان نفسٌ وبدن . فعين البدن البصر ، وعين النفس العقل . وثمره العقل الفهم . وثمره الفهم الفطنة . وثمره الفطنة الرأي والحيلة . وكل ذلك كامن في الإنسان على ضربٍ من الاعتدال . فلو ازدادت حيلته لفاق الجين . ولو أربّت فطنته لفاق المثلث . ولو اتصل صفاءؤه ونقاؤه لفاق الفلك . ولو كمل عقله وسكّيم من العوارض لغلط في نفسه عجباً ، ولعلّه كان يدّعي الربوبية مترحاً وبغياً ، لأنه متصل بكل شيء ، ومنفصل عن كل شيء ، ومتحلّ بكل شيء ، ومتخلّ عن كل شيء . وسيرة لطيف ، وجهه زهّ ظريف . ولهذا لُقّب بـ « العالم الصغير » ، كما قيل أيضاً للعالم : « إنسان كبير » .

وقال : إن الغضب إن كان عن سبب معروف ، كان الطريق إلى الرضا مختصراً ؛ وإن كان غير معروف ، كان السلوك إلى الرضا صعباً .

وقيل له : ما الشيء الذي لا يحسن أن يقال وإن كان حقاً ؟ قال : مدّح الرجل نفسه .

ارميدوس

قال : إن كان هذا الأمرُ حكمةً ، وله فضلٌ على كلام أهل الأرض ، ونورٌ وبرهانٌ — فإنه من السماء وعن الملائكة الأعلى . فإن للعلوّ الفضل ، وللأسامي التقدّم . ألا ترى أن أعالي الأشياء أفضلُ من أسافلها ، وأعلى الماء أصفاه ، وأعلى الإنسان رأسه ، وهو فيه (١١٤) معارفه وربوة مشاعره ، وكذلك أعلى

(١) م ، ك : ولا سيما لقب العالم المنين (١) .

(٢) ك : اردنوس .

الشجر ثمرته ^(١) ومما ينتفع به ! ثم انظر إذا رفعت رأسك وصرت تحت طرفك ليلاً ونهاراً ماذا ترى : وماذا تشهد ؟ ثم إذا طأطأت رأسك فأنت تجد خلاف ذلك .

جالينوس

كان رجلاً فاضلاً : بعيد المهمة ، موسراً ، يوقره كلُّ من ينظر إليه . وكان مسكنه بمقدونية من مدن اليونانيين وهي أرض ^(٢) مصر ^(٣) . وكان الملك في عصره بيفاس قد ملك أرض اليونانيين وعدل فيهم واختص جالينوس وعرف فضله وقدمه على نظرائه وأهل زمانه . وأظهر للناس فضله . وأطلق جالينوس التودع ^(٤) : ووضع عنه ما ران من غيره من الأطباء وأهل المعرفة من تعاهد الملوك وخدمتهم .

وكان ببلاد المغرب ملك جليل يسمى ناز ، قد خضع له جميع ملوك أطرافه وسلموا إليه الرياسة ، وأذعنوا له بالسمع والطاعة . فبرّص بعض نساؤه : فاغتم له : ولم يكن لأهل المغرب معرفة بالطب ولا بالطبيب . فشكا ناز إلى بعض وزرائه ما لحق ببعض نساؤه من العلة . وأظهر الجزع . فقيل له إن في اليونانيين في مملكة محفاس من له معرفة بفنون العلل ومداواتها ، يقال له جالينوس . فأمر أن يكتب إلى بيفاس الملك أن يُنفذ إليه جالينوس ساعة يترد إليه كتابه ، وأنه متى أخر ذلك خرب مملكته بخوافر خيله .

فلما ورد عليه كتابه اغتم وقليق ، ودعا جالينوس ، وخلا به ، وأوقفه على كتاب ناز ، وأظهر جزعاً واكتئاباً لذلك ، وقال لجالينوس : إمتاً أن تغيب عني فلا أقف على مكانك في مملكتي ، أو أمتنع عليه وأحاربه ، وفعلت ذلك

(١) غ : ثمرته مما ينتفع به .

(٢) غ ، م ، ك : وهي أرض مصر (١) .

(٣) كذا في كل النسخ

وبدلت نفسي ومملكتي دونك . فقال جالينوس : إن مخالفة ناز الملك بما يدعو إلى الفساد وإهراق الدماء وركوب الفترّة ووراء ذلك مما لا يُحمد . وأنسا أسرع الناس إلى إتيان هذا الملك الجيّر ، فيزول عن الملك رَوْعٌ ما يتوقعه من وقوع خيله إلى إقالبه والخراب الذي يحلّ من أجله . فأجيب الملك ناز أنك قد أنفذت في إليه . وليكن إحسانه إليّ بحسب ما أستحقّه . وعرفه متراتي عندك . فكتب الملك نيفاس جواب الملك ناز وكتب إليه : هـ إنّا (١١٥) معاشر ملوك اليونانيين ، وإن كنا سامعين مطيعين للملك ناز : فإنّا عبيد الأطباء ونحت أمرهم ، وهم مالكو أبداننا ، وخادمو أرواحنا . وليس في إقليمنا ولا في العالم بأسره من يتقدم جالينوس في صناعة الطب . وليست له رغبة فيما نملكه معاشر ملوك الأرض ؛ فإن رأى الملك أن ينظر إلى جالينوس بعين ما يستحقّه ؛ وإذا استغنى عنه ، لم يفجعني باعتقاله ، قبله ، بل يُطلق له الرجوع إلى وطنه ، فقد نشأ في هواء وغذاء متى حيل بينه وبين ذلك انتفض تركيب بدنه — فعَلَّ (١) . . وختم الكتاب .

فنهض جالينوس نحو ناز الملك مكرماً . فلما ورد وجده جيّاراً ، مفرطاً ، ذا نخوة وبطش ، قليل الرفق ، بعيداً من الإنسانية والأفعال الجميلة ؛ همته الأمر والنهي والسيف . فأنزّل جالينوس في منزل بعض الصيادين مِمَّن يصيد الغينة والكركدن . فبقي جالينوس بساحة الملك شهراً واحداً يروح ويغدو ، فلا يصل إلى الملك ؛ ويرجع إلى منزله فلا يجد ما يتغذّى به إلاّ الذي يتغذّى به الصيادون . فلما كان بعد شهر ، دعاه الملك فحضر ووقف بين يديه وقيل له بالترجمان : ما صنعتك ؟ فقال جالينوس : حفظ الصحة ، ونفي العلة قبل استحكام المادة . قال الملك : فإن لنا عليلاً قد استحال لونه الأسود إلى البياض وساءنا ذلك . فهل أنت معيد لونه إلى السواد ؟ فقال للترجمان : عرّف الملك أن من العلل عللاً تُردّ في مدة ، وتنتهي في مدة ، وتزول في مدة . فمذّكم حدثت

(١) نزل : جواب قوله : فإن رأى الملك ...

هذه العلة في عِلَلِكُمْ؟ فقال الرَّجْمان : ظهرت العلة في سنة ، واستحكمت في سنة أخرى بعد ظهورها ، وهذه السنة الثالثة .

قال جالينوس : قد كنتُ سمعتُ في مقامي بساحة الملك أن من سيرته أن من نظر إلى نسائه فُفِيَتْ عينه . فشَدَّ دُتْ عيني اليمنى بعصابة ، وأظهرت أنها معبوبةٌ لا أبصر بها . فقلت للرَّجْمان : ليعلم الملك أن الطبيب لا يصل إلى علاج العليل إلا بَعْدَ النظر إليه . فلما أورد الرَّجْمانُ ذلك عليه ، قَطَّبَ وجهه ، ثم قال للرَّجْمان : قُلْ له إن سيرتنا فُفِيَتْ عَيْنِ مَنْ يَنْظُرُ إِيَّائِنا ، فهل أنت راضٍ بذلك ؟ (١١٦) فقلت للرَّجْمان : أَعْلَمُ الملكُ أن ممي حينة أنظر بها إلى العليل من حيث لا تقع عيني عليه . فأعجبه^(١) ذلك ، وقال : إن كنت فاعلاً ما تقوله فإِنَّكَ فاضل . فأخذتُ معي مرآة كانت معي . وأقمتُ المرأة خلف ظهري من حيث أرى وجهها في المرآة وهي قاعدة مع الملك . فأبصرتُ وجهها بصراً شافياً ؛ وقد كان بقي على حال وجهها نَقَطٌ بَيْضٌ مُخْتَلِطٌ بالسواد ، والجارية سوداء اللون حبشية . فقلت للرَّجْمان : ليعلم الملك أني قد أبصرتها وأبصرتُ عِلَّتَها والعلامة التي في موضع كذا وكذا من وجهها . وأنا أعالج وجهها بعلاج يزيل عنها ذلك ، ويعيد لونها إلى ما كان . فسرَّ الملك بما سمع ، ومال إليَّ ، وأمر لي كل يومٍ برغيف من مائدته . ففرت به . واتخذتُ طلاءً لصَبْغِ البياض من البهق وطلَّبتُ وجهها . فزال البياض وعاد إلى السواد كما كان . فازداد الملك لي حُبًّا ومال إليَّ أَفْضَلَ مِيلٍ ، وأمرني أن أحضُرَ مائدته . فكنتُ أحضر وأرى في المائدة كل ضارٍّ يُسْقَمُ ، بضاد البدن . وقد نشأوا على ذلك وتغذَّوا به واعتادوه .

قال جالينوس : فكنتُ أجتنبُ أَكْلَ ما يكون على مائدته من ذلك ، فَيَقَالُ لي : ما لك لا تأكل ؟ فأقول : هذا يجلب عِلَّةَ كذا ، وهذا يجلب عِلَّةَ كذا . وكنتُ في خلال ذلك أعرفُ الملك ضررَ ما يتناوله ، فيصعب عليه

(١) م ، ك : قال فأعجبه .

ذلك ، ويقول لندمائه : إني قد قطعتُ هذا الرجلَ عن وطنه وأرضه . وقد ساءه ذلك ، وهو يكابدني بمنعني عن شهواني ، فلا كُلُّنَّ جميعاً ما أشتهي رغماً له . فرد هذا الكلامَ بعضُ ندمائه على جالينوس ، على سبيل النصيح والميل .

قال جالينوس : فاستشعرتُ الخوفَ منه واليأسَ من البقاء ، أحتملُ الذلَّ وأقاسي الجهدَ ويقيمني ورمقي الرغيف الذي كان يحملُ إليَّ . وكان الملك مشغولاً بالصيد ، يغيبُ الشهر والشهرين ، فلا يسألُ عني ولا يراني ولا أراه . فحضرتُ يوماً مائدته ، وجعلُ يأكل شيئاً ضاراً . فمنعته عن ذلك . فقال لي : ما يجلبُ أكلُ هذا ؟ فقلت : الجذام . فمدَّ^(١) يده عناداً وشرها وحرصاً إليه واستوفى منه . ثم قال لي : على رغماك يا جالينوس^(٢) آكل هذا .

فقلت : أيها الملك ! حقك واجبٌ ، ومن وجوبِ حقك أن (١١٧) أوقفك على^(٣) علامات تظهر في بدن الإنسان قبل حلول العلة سنة أو بستين أو ثلاث سنين . وإني مثبتٌ للملك دستوراً يكون في خزانته تذكاراً يذكّرني به بعد موتي . فقد استيقنتُ أنني قليلُ الحياة بهذه الناحية إن بقيتُ بها .

فألّفتُ مقالةً في أسباب العلل الوافدة وأوقاتها وابتدائها واستحكامها ، والأوقات التي تنهياً معالجتها فيها ، وتقدمة المعرفة بالعلل السليمة والمهلكة والسريعة إلى الموت^(٤) والبطيئة منها . وخصصتُ علاماتَ عللِ الجذام ، لأنني وجدتُ بدنه متهيئاً لقبولِ الجذام مستعداً له . فعرفته في هذا الباب أن يكون بدنه مستعداً لقبولِ علةِ الجذام بأنه^(٥) شرهتُ نفسه إلى أكلِ اللحوم الغليظة ، والاتساع في ذلك ، وإدخالِ الطعام على الطعام . فإذا كان بعد سنة فُرت

(١) غ : فد به (١)

(٢) غ : ثم قلت .

(٣) غ : من .

(٤) ك ، غ : لمرت .

(٥) بأنه : ناقص في م ، ك .

شهوته ، واعتراه كسل ونوم وثقل يجده ^(١) في الأطراف . فإن استدرك بما ينغض بدنه وبما يلطف غذاؤه ، رجني له الصلاح . وإن غفل عن ذلك وأتى عليه حول آخر ، ابتدأ شعره برق ويتناثر وتتغير حماليق عينيه وتقلصت أظافيره . فإن استدرك أمره بالعلاج تيبأ رده إلى حال الصحة . وإن غفل عن ذلك ، استحكمت عليه علة الجذام ، فعسر عند ذلك علاجه وأبس منه .

وأودع هذه المقالة خزانة الملك .

واحتال جالينوس حيلة تنجيه من تلك الناحية . فصبغ وجهه أسود . وتحيل ^(٢) لخروج رفقة موافقين له إلى (أرض) اليونانيين . وأبق من حضرة الملك فاز . ولم يقف على شيء من أمره إلا بعد مدة . ولم يبال بغيبته وحضوره استهانة به وكراهية لشخصه . فسلم جالينوس ، ووقع إلى أرض اليونانيين : ونزل مدينة ليست من مملكة نيفاس . وأتى على ناز الملك ، بعد مفارقة جالينوس له ، ستان أو ثلاث ، فوجد العلامات التي كتبها جالينوس له ، في علة . مقدمات الجزام « في نفسه ، وكتبها إلى أن تنائر شعر حاجبيه ، وتقلصت أظافيره . فقام من سرير ملكه ، وترك ملكه ، وساح في الأرض متكرراً يطلب مدينة اليونانيين . فوافي مقدونية متكرراً لا يعرف . فسأل (١١٨) عن جالينوس ، فقبل له إذ قد استوطن مدينة كذا من مملكة فلان الملك . فأخذ ناز سبيله إلى تلك المدينة . فوجد جالينوس في مرتبة يقعد للناس : فاجتمع إليه عالم منهم . فجلس الملك إلى أن خف عنه الناس . ثم دنا منه وقال : « لي سر لا تجوز إذاعته . فهل أنت مُصنِّع إلي » ؟ فخلى به جالينوس . فترعرع إليه ناز الملك . وعرفه جالينوس . فردّه إلى منزله ، ووكل به من يتفقد ويتعاهده ، ويفدّيه بالغذاء الموافق ويدأويه . فبقي سنة يعالجه حتى نبت شعره ، وصلحت حاله . ثم عالجه سنة أخرى وحماه عن كل شيء ضار ، إلى أن عاد صحيحاً

(١) م : يجده (١)

(٢) م : ك : تحيل .

سليماً . ثم سلمه إلى بعض تلامذته ممن وثق به . وحملَ الملكَ على مركوب ، وزوّده زاداً وغلماً يتخذُمه ونفقةً . وردّه إلى مملكته سراً ، من غير أن يوقف على مكانه . فلم يشعر أهلُ مملكته إلاّ وقد انهجم^(١) عليه باز صحيحاً سليماً ، وقد ظهرت أخلاقه وتأدّب بأدب اليونانيين وتخلّق بأخلاقهم .

وقد كان باز الملكَ خلتَ في أهل مملكته ابنين له . فلما فارق ملكه وسريره قبض الابنُ الأكبرُ على مملكته ، إلى أن عاد باز إلى المملكة . فلما استقر باز في مملكته جهّز هدايا ومراكب وعبيداً وجواهر ، وكتب إلى جالينوس كتاباً بالشكر له وبما أولاه ، وسأله قبول ما أنفذه إليه . وكتب إلى نيفاس الملك وكان نيفاس يتقيه ويحذره : « إن مملكتي لك وأنا أخوك وعَضْدُكَ ولا فرق بيني وبينك في الأملاك إذا أَسَمَحْتَ جالينوسَ الجميلَ الفاضلَ الذي ليس له شبه في الأنام . وحاجتي العظمى لديك أن تحتلَ على نفسك المصير^(٢) إلى مدينة كذا وقد كتبتُ إلى فلان الملك بها أن يسأل جالينوس ، المستأهل لكل فضيلة ، الرجوعَ إلى وطنه وهواء مدينته الذي نشأ فيه ، وتكتب جواب كتابي هذا منها ، وقبول ما أنفذه إليه وأُتخفته من عَرَضَ الدنيا مما لا قيمة له ولا عنه . فإنْ أبى - والعباذ بالله ! - ولم يُجِبْكَ إلى الرجوع إلى وطنه ، أوجبتُ على نفسي المصير إليه في شُرْذمة من أصحابي وخَوَاصِي وأُتشفع بكما إليه وبمعرفة الذي أسداه إليّ في الرجوع (١١٩) إلى وطنه إن شاء الله » .

وأنفذ إلى نيفاس أيضاً هدايا وجواهر من ناحيته ، ورذّ التلميذ مكرماً ممولاً غنياً إلى جالينوس . فلما ورد كتاب باز على جالينوس ونيفاس ، استبشر نيفاس بذلك وخرج نحو ذلك الملك الذي جالينوس عنده . وتشفع بالملك إلى جالينوس . فأجابهما جالينوس إلى ما راما منه من الانصراف إلى وطنه ساعةً

(١) غ : هجم عليه فمسي ماز ...

(٢) غ : انك ويحذره .

(٣) م : المسير .

غانماً . ولم تزل المكاتبات تجري بين ناز الملك ونيقاس وجالينوس بلطف وهدايا ورُسُل . واعتل ناز الملك واتصل الخبر بجالينوس فقال لنيقاس بأن قد عزمت على الشخصوخ نحو ناز الملك : فإنه اتصل بي أنه عليل . وتجهز وساعده نيقاس الملك . فطويا المراحل إلى أن بلغا مملكته . فترلا من المدينة على منزل . فجاءهم صاحب المنزل يبحث عنهم . فقال له جالينوس : أنت صاحب المنزل ؟ قال : نعم ! قال : إني مُحمَّلُ رسالةً لتعجل بها إلى الملك ناز ، تعرفه بتزول جالينوس هذا المنزل . فقال له الرجل : تعني جالينوس سيد الملك ومولاه ؟ فقال جالينوس له مبتسماً : جالينوس ^(١) طيب . فغاب الرجل عن حضرته وتباشر الناس بورد جالينوس . واتصل الخبر بالملك ، وقد كان أبلى من عيَلته . فركب في خاصته ، وأمر الخيل أن تتبعه . واستقبل جالينوس فرحاً مبتهجاً . فلما بصر بجالينوس لم يتمالك أن نزل ، ونزلت الخيل كلها . واستقبله جالينوس ونيقاس الملك ، واعتنقا ساعة . ثم التفت فأبصر نيقاس ، فقال الملك لجالينوس : من هذا الذي شيعك وساعدك أيها الفاضل ؟ فقال : المعتد بك ، الطائر بمناحك ، انناشر لفضلك أيها الملك ، نيقاس الملك . فعانقه الملك ، واستبشر بقدومه . ودخنوا المدينة في زينة وهيبة وجلالة . وأنزلهما الملك في دار مملكته ولم يفارقهما أسبوعاً . ثم أكرمهما وألفظهما . وتشفع نيقاس إلى جالينوس أن يقبل من الملك أحد ابنه ليخدمه ويتلمذ له : وكان اسمه غلوقن . فأجاب جالينوس الملك إلى ذلك ، وقبله . وزوج نيقاس ابنة له من غلوقن هذا . وأقاما عند الملك شهراً واحداً . فجدد الملك لهما الخلع والحوايز والألطف كل يوم . ثم انصرفا وشيعهم (١٢٠) الملك بنفسه وخاصته ^(٢) منازل مبتهجاً لهما . وسلم غلوقن إلى جالينوس بجماعة من الخدم والماليك . ورد على نيقاس

(١) غ : طيب الفت .

(٢) أيها الملك : نافذة في غ .

(٣) غ ، م : تجدد .

(٤) منازل : أي : مراحل ؛ لبضعة مراحل .

الملك مدناً كثيرة بالقرب من مدينته قد كان تغلب عليها ؛ وأمر أن لا يُردَّ أمر نيفاس في جميع مملكته وينفذ أمره كما ينفذ أمر ناز الملك . فورد نيفاس آمناً مطمئناً مسروراً مع غلوقن ، وجالينوس معهما ، وتقدم في بناء قصر لغلوقن وابته . وجعل غلوقن ولياً عهده . ولزم جالينوس غلوقن ، فخرجه حتى برز في الطب في مدة يسيرة .

واعمل نيفاس الملكُ علةً حادةً ، واشتغل قلب غلوقن وساء ظنه . واغمم الملك ، وقلق ، وحضر جالينوس ، واتفقا جميعاً أن تلك العلة قاتلة نيفاس الملك . فقال له جالينوس : أوصي أيها الملك بما نشاء قبل الفوت ! فقال نيفاس : من خلف مثل ناز الملك وابناً مثل غلوقن وأخاً مثلك يا جالينوس — فهو مستغن عن الوصية .

وقضى نيفاسُ نَحْبَهُ . وكتب غلوقن إلى أبيه بنعيه ، وعرفه أن له ابناً راجحاً يصلح لباسة الملك . وكتب إليه ناز أن يُسَلِّمَ المملكة لابن نيفاس . وزوج أختاً كانت لغلوقن من ابن نيفاس . وخرج هو بأهله نحو ناز الملك . وأنفذ بابتته إلى ابن نيفاس تحليها وحلئها زجهازها وخدمها ، مع نقاة من أهله . ولحق غلوقن بأبيه ناز ، بعد أن فرغ جالينوس من تخريبه . وودعه وداع الوالد الولد . فسُرَّ به ناز الملك وبما صادفه من تخريبه على جالينوس ، وابتهج بمكانه وبما وجده عليه من الفهم والمعرفة ، وجعله ولياً عهده ^(١) .

• • •

وعاب جالينوسَ رجلٌ بنسبه . فقال له : أما أنا فمبدأً لنسلي في شرف الجنس وكرم الحسب ، وجنسي ابتداءً يشرف بي ويرتفع . وأما أنت فبك انتضع جنسك ، وعندك انقضى شرفُ جنسك .

وقال : ليس بخلو المرء من أن يكون شريفاً في نسبه ، أو لا قديمَ له . فإن

(١) يضيف م ، ك : . وانه تعالى أهدم وأحكم الصواب ، وإليه المرجع والانتاب .

كان له شرفٌ ، ففضيلة الشرف ونقيضته يتضاعف موقعها في القلوب ويبعد الصوت بهما لأن الشرف يكثرهما ويشهرهما ، ثم لا يستعظم الناسُ منه الفضيلة بحسب استنباحهم منه النقيصة ، والحامل بضد ذلك نقيضته (١٢١) تحقّق ولا ينكر إنكارها على الشريف وفضيلته تشرف وتستحسن منه ، والتوسط في الفضيلة (١) والعلم عيبٌ على ولد الشريف ، وفخرٌ لولد الحامل . فيجب على الشريف أن يزيد اجتهاده في العلم أكثر من اجتهاد غيره ، وخاصة إن كان بالعلم شرف سلفه ، ولا عُدْر لمن لم يتقدم له شرفٌ في أن يقصّر ، لئلا يجتمع عليه النقص في حسبه ونفسه (٢) .

وكان جالينوس يقول : العلم لا يمنع الرزق ، والأدب لا يردُّ الحظُّ ، وهما أولى أن يكونا سبباً للرزق ، وطريقاً إلى الكسب ، وعوداً على المروءة أقرب .

وقال : أما الفضيلة فكلُّ الناس بالطبع يشنق إليها . وأما الطريق المؤدية إليها فشاقة ، قليلٌ من يصبر عليها .

وكان يقول : يروّج الليل بنسيم أرضه ، كما تنبت الحبّة بفطر الطل .

وسئل عن العشق ، فقال : هو مَرَضٌ روحاني . والأمراض كلها بدؤها من البدن ثم تصيب الروح ، ما خلا العشق فإنه يصيب الروح ، ثم يعمّ البدن لمجاورتها له .

وقال : جهلُّ الجهل جهلٌ مركّب . وسئل عن ذلك فقال : الجهل جهلان : بسيط ومركّب . والبسيط أن يجهل المرءُ الشيءَ ويعلم أنه يجهل : فإمّا (٣) يسعى في طلبه ، وإما يسلمه غير معاندٍ لأهله . — والجهل المركّب أن

(١) والعلم : نافعة في ع .

(٢) غ : ونسب .

(٣) م ، ك : ينبغي ... سلمه .

يجهل المرء الشيء ، ويجهل أنه يجهل ، فيتشبّه بأهله ^(١) وليس بذئ حَقَّ منه ، وقد غنى عند نفسه عن تعلّمه ^(٢) ، وليس يرى تسلّيه لأهله . فجهله هذا جهلٌ مركّب .

وقال : العجز عن إدراك كُنْه المطلوب لا يُحدِث للمطلوب إبطالاً .

وقال : الوجود وجودان : خفيٌّ وظاهر . فالظاهر ما وُجِدَ حِسّاً ، والخفيّ ما يتطرق ^(٣) إليه بالمحسوس .

وسئل : متى يحسن بالإنسان أن يموت ؟ فقال : إذا جهلَ ما يضرُّه مما ينفعه .

وقال : لا يجتمع الجوعُ والوجع ، ولا التخمة والصحة .

وقال : الهمُّ مرّضٌ طبيعي ، والمرّضُ همٌّ عَرَضِيّ .

وقال : يوماً ناظرني رجل ، فقطعته حتّى صار أخرس من سَمَكَةٍ .

وقال : النفس إذا كانت طيبة زكية ، وقبلت بذور المنطق ، أنت أضعافاً من عندها .

وقال : صاحب (١٢٢) الجِماع مقتبس من نار الحياة ؛ فإن شاء فليُقلِّل ؛ وإن شاء فليكثر .

وقال : ما دخل الرُّمّان جوفاً فاسداً إلّا أصلحه ؛ وما دخل التمر جوفاً صالحاً إلّا أفسده .

وقال : الموت أربعةٌ أُضرب : موت طبيعي — وهو الذي يكون بالهَرَم ؛ وموت عَرَضِيّ — من آفةٍ نصيب ؛ وموت برضاً وشهوة — مثل من يقتل

(١) أي بأهل العلم .

(٢) ك ، م : تسلّيه .

(٣) م ، ك : يطرق .

نفسه ؛ وموت يكون فجأة .

وقال : قياس النفس الغضبية عند النفس الناطقة قياس الكلب عند القنّاص ، وقياس الفرس عند الفارس : فإن الكلب يعين القنّاص على إرادته ، والفرس يعين الفارس أيضاً كذلك ^(١) . وربما تحرك الكلب في غير الوقت الذي يحتاج إليه (فيه) . وعلى غير المقدار الذي ينبغي ؛ وكذلك الفرس . فتحديد أوقات حركات الكلب والفرس وتقديرهما فعل القنّاص والفارس . وانقياد الكلب والفرس لإرادة القنّاص والفارس فضيلة للكلب والفرس . فأما القنّاص والفارس ففضيلتهما تكون من حذقهما بصناعة القنص والفروسة وسهولة انقياد الكلب والفرس وصلاحيتهما يكون بطول تأديب القنّاص والفارس المحاذقين بهما . وليس كل كلب وفرس بموافق للتأديب ، لأن فيهما جموحاً ممتنعاً . فإن اتفق أن يكون الفارس أو القنّاص غير حاذق في صناعته ؛ والفرس أو الكلب عسير الانقياد . كان ملك القنّاص والفارس لهما إلى المضرة أقرب منه إلى المنفعة ، لأن الكلب ربما نبج وعصى حيث لا ينبغي به والفرس ربما رمى نفسه مع راحته في تهلكة ^(٢) . فلذلك قال أفلاطون إن نيل اعتدال كل واحد من أجزاء النفس - يعني هذه الأقسام الثلاث - ليس هو في طبيعة كل إنسان لأنه إن كانت النفس الناطقة بليدة قليلة الفهم والحفظ ، غير مشتاقة إلى الأفعال الجميلة ؛ وكانت النسيان البهيمنان قويتين عسرتي الانقياد ، لم يمكن أن تعتدل . فقد يحتاج إذن أن تكون النفس الناطقة محبة للجميل . مشتاقة إلى الحق ، عارفة بانفاق الأشياء واختلافها ، وأن تكون النفس الغضبية - وهي الحيوانية - قوية سلسة الانقياد ، وتكون النفس الشهوانية (١٢٣) - وهي النباتية - ضعيفة ، لأن هذه النفس غير مشتادة النفس الناطقة ، كما وصفها أفلاطون وشبّها بسبع ضار . وقال إن الذي يحتاج إليه من النفس النباتية ضعفها ، لا أدبها ، لئلا تمنع

(١) أيضاً كذلك : نفس في م ، ن .

(٢) م ، ن : مهلكة .

النفس الناطقة في أفعالها . وكل شيء يتحرك بحركاتها ويفعل أفعالها التي هي فانية يَفْقُوى : وكل شيء يسكن فإنه بضعف . فلذلك تكون شهوات من عود منذ صباه العرقل والعفة شهوات مستذلة . فأما من اعتاد منذ صباه أن لا يمنع نفسه شهواتها ولا يَتَمَعَّعها : فإنها تكون شرهة ^(١) . وبهذا المعنى سَمَّى اليونانيون « الشره » : لا مَمْنُوع . فالأدب يُكْسِب النفس الغضبية سلاسة القياد ، ويكسب (النفس) النابتة الضعف . وهذا هو أدب النفس . وأما النفس الغضبية فليس تنقص قوتها بأدبها ، ولكن يكسبها سلاسة القياد . وإن كان الإنسان شجاعاً بالطبع ، فإن الأدب يحفظ قوة نفسه الغضبية . وقد مال ^(٢) قوم أن يعلموا : هل يمكن أن يصبر من هو في غاية الجبن شجاعاً ^(٣) ، أم لا ؟ فوجدوا أنه أن ^(٤) لا يمكن أن يصير شجاعاً أقرب إلى الحق . وكذلك ظنني بمن كان في غاية الشره بالطبع أنه لا يصير إلى حالات العفة . ولذلك كانت الفلاسفة القدماء يتفقون ويتعرفون طبائع الصبيان وهم أطفال : لأن من الأطفال من يرى شديد الشره والنهم لا يشبع ، وشديد القبيحة لا يستحي . ومن كان منهم شراً نهماً ولم يكن وقحاً ، فلا ينبغي أن نقطع الرجاء من فلاحه ، لأن الحياة إنما يكون من نفس بصيرة ترى الجميل ونقف عليه . فأما من لا يستحي فإن نفسه عمياء ، لا ترى جميلاً ولا يكون فيها خير . وقد يوجد الدليل الظاهر من المحبة على صحة ما قلت من أنه ينبغي أن يكون لاكتساب الفضائل بالأدب أساس من الطبع . وذلك أن قوماً لا يَحْصُونَ كثرة من أهل الفضائل ألزَمُوا أولادهم أفضل الأدب من الصبا إلى وقت الكبر واجتهدوا في أن يصيروهم أمثالهم فلم يقدروا على ذلك .

ورأى جالينوس جماعة من الأطباء يركبون الدواب القهريه (١٢٤) فقال : إن كان لكثرة الركوب أنتم أطباء ^(٥) فالغرائقون أطب منكم ؛ وإن كان للملازمة

(١) م : ع : فإنه يكون شرهاً .

(٢) م : ع : غلب .

(٣) ... ٣ (٣) ما بين الرقعتين ساقط في م ، ع .

(٤) الغرائقون = الغرائق ، وهو الكركي .

أبواب الملوك فالبرابون أطب منكم .

وقال : لكل شيء حمي ، وحمى العين النظر إلى الثقليل .

وقال أبو^(١) النفيس : كان جالينوس الشخ .

يعجى النحوي الاسكندراني

هو أول^(٢) من رؤي في ابتداء الإسلام في أيام عثمان ومعاوية ، رضي الله عنهما .

اشتغل بكتب الأوائل ونبحر في الفلسفة والطب . وقد ملط لهما وخدمهما . ومنه^(٣) -- فيما أقدر^(٤) قد أخذ خالد بن يزيد بن معاوية القليل الذي كان له من مطالعة هذا الشأن .

وكان نصرانياً . فنقم عليه النصارى خوضه في شرح كتب الحكميم ارسطوطيلس ، المنطقية والطبيعية منها خصوصاً . وهتموا في بابها بأنواع من الاضطهاد^(٥) له ، إلى أن أظهر لهم مخالفته في أصوله ، ونفادى منهم بعمل كتابه الذي يرد فيه على الحكميم وينقض مذهبهم ، وبالكتاب الذي عمل في الرد على أبرقلس^(٥) .

وقد حكى في بعض الكتب أنه وصل إليه من جهنهم ، جزاءاً له على ما

(١) له ترجمة في منتخب صوان الحكمة مخطوط ك نسخة ١٢١ ب وما يليها وفيها أنه كان أحفظ الناس لنوادير الفلاسفة وفقرهم ولحهم .

(٢) من المعلوم أن يعجى النحوي توفي قبل الإسلام .

(٣) نفى أي غ .

(٤) غ ، م ، ك : الاضطهاد به !

(٥) ك : كتب الذي عمله في الرد على ابرقلس وبالكتاب الذي يرد فيه على الحكميم وينقض مذهبهم .

صنّفه من هذين الكتابين ، ضعف عشرة آلاف دينار . والله أعلم ، مع أن ذلك لا يجب أن يُستبدع ويُستعظم ، إذ قد أعطى يحيى بن خالد البرمكي - رضي الله عنه ! - أبان اللاهني على نقله كتاب ، كليله ودمنة ، إلى الشر تفاريق^(١) ما يوازن هذا المقدار ، إلى غير ذلك من إعطآت الخلفاء من بني العباس والمتصلين بهم للشعراء وغيرهم .

ولكونه في ذلك الوقت ، وقلة الرغبات من أهله في حفظ ما كان يأتي به من الضرب اللائق بهذا الكتاب ، قلّت الرواية عنه ، ولم تُودع هذا الفصل إلا^(٢) ما التقط من كتبه من فصول لائقة به . وهذا الفصل : في أنه ليس في النفس الميثة قوة طبيعية للشر ، كما أن في الأبدان قوة طبيعية للمرضى . وإنما الميل إلى الأمر الأردأ من ضعف ميل القوة إلى ما هو أفضل خلقت أن يكون بأكله^(٣) قول من قال إن في النفس^(٤) قوة الشر من الأشياء القبيحة جداً . وخارجاً عن الآراء القبيحة العامة التي نعتقد في قوام الشر . وذلك أنه (١٢٥) إن كان الشر من الأشياء الخارجة عن الطبيعة وليس ولا قوة واحدة طبيعية لما هو خارج عن الطبيعة . وذلك أنه يكون الخارج عن الطبيعة طبيعياً . فإن كان كل قوة طبيعية ، كان كل ما كان خارجاً عن الطبيعة فليس بطبيعي . فبيّن أنه ليس ولا قوة واحدة للشر . والقياس في ذلك يجري على هذا النحو : كل قوة فهي طبيعية ، وليس شيء من الأشياء الخارجة عن الطبيعة طبيعياً .

فليس إذن ولا قوة واحدة لما هو خارج عن الطبيعة .

فإن لم يكن ولا قوة واحدة لما هو خارج عن الطبيعة ، وكان الشر خارجاً عن الطبيعة ، فليس إذن ولا قوة واحدة للشر . - وذلك أن الميل إلى الأمر

(١) غ ، م ، ك : تفاريقاً .

(٢) غ : بما .

(٣) غ : بأكل قول

(٤) م ، ك : الأنفس .

الخارج عن الطبيعة أخرى بأن يكون ضعف طبيعة (من) ^(١) أن يكون قوة طبيعية . وذلك أنه يقال إن فينا القوة على أن نكون أصحاء ، وعلى أن نكون مرضى . لكن أما في الصحة فإن القوة فيها تقال بالحقيقة . وذلك أن الطبيعة هي عانة السلامة . وكذلك أيضاً كل قوة طبيعية . وأما قولنا ^(٢) بأن فينا قوة على أن نكون مرضى ... فإن ذلك على الاستعارة . وذلك أنه في الطبيعة قوة تفعل المرض ^(٣) ؛ لكن إذا ضعفت القوة الطبيعية التي بها تكون سلامتها، حينئذ يعرض في الميل بالمرض إلى الأمر الخارج عن الطبيعة . وكذلك النفس أيضاً إذا كانت قواها الناطقة صحيحة : فعالت الخير الذي هو لها طبيعي . وإذا تكاملت بإرادتها واسترخت قوتها . مالت إلى الشر الذي هو خارج عن الطبيعة . فلا ينبغي إذن ^(٤) لنا أن نعتقد في النفس أن لها قوة طبيعية للأفعال ^(٥) الرديئة . فقد يجب ضرورة لذلك أيضاً أن يُنسب الأثر .

وقال في فصل آخر :

إنه وإن كان جميع الناس بنسبون المكان ، الذي هو أعلى الأماكن ، إلى العلة الإلهية ، ولهذا صاروا يرفعون أيديهم في وقت صلواتهم إلى السماء (دلالة على) أن مستقر الله في ذلك الموضع — لكن ليس ذلك دليلاً على أن جميع الناس يرون أن السماء لا تفسد وأنها غير مكوفة . وذلك أن الذين بصرحون بأنهم يرون أن جميع العالم مكوف ، من القدماء ومن أهل زماننا ، ونجدهم في أوقات (١٢٦) صلواتهم يرفعون أبصارهم إلى السماء ، ليس يرون أولئك . وأكثر اليونانيين والأعاجم يرون أن الهياكل والبيع مساكن للآلهة ؛ ويرون

(١) م ، ك : بأن .

(٢) ل : فإن .

(٣) م ، ك : المرضي .

(٤) اذن : فافهم في ك : ح .

(٥) ل : الافعال .

أن التماثيل والأصنام التي كانت تُهَيَّأ لآلهتهم على ما يريدون - وما أظن أن أحداً منهم - ممن لم يَتَفَسِّدُ فكره الطبيعي - خَطَرَ بباله أن الهياكل والأصنام لا تفسد ، وأنه لم يكن لكونها ابتداء . فلهذا . وإن ظن كثير من الناس أن العلة الإلهية ساكنة في السماء ، فليس ينبغي أن يظن أن ذلك دليل على أنهم يرون أيضاً أن السماء لا تفسد وأنها غير مكوَّنة ، بل ينبغي أن يروا أن هذا المكان أكثر استضاءة بنور الله من غيره ، كما يرون أن مكاناً أخصُّ بالله من مكان غيره ، وكما يُعْتَقَدُ مِن أن إنساناً أقرب إلى الله من إنسان غيره^(١) ، أو يَبْعُدُ منه ، على قدر ما يسطع فيه من نور الله بِحُسْنِ السيرة والأفعال الحميلة ، إذا كانت جميع الأشياء مملوءة من الله . ولا يمكن أن يكون شيء بته خَلِئاً من الله ؛ وكان كل واحد من الأشياء يسطع فيه مِن نور الله على حسب تدبيره في حياته أو على حسب طبيعته .

(١) ك : و ١٤٤٤ هـ .

حنين بن إسحق (+)

وإسحق ابنه

هما من متقدمي فلاسفة الإسلام ونَقَلَا الكتب الكثيرة إلى اللغة العربية :
من الطب والفلسفة والرياضيات . ولشهرتهما واستفاضة أخبارهما لم أقتص
شيئاً منها .

وحكي أن إسحق بن حنين قال لأبيه : ما الذي تشبر عليّ بأن أجعل
غرضي معرفته في سبتي هذه التي أنا فيها . بحسب ما أعلم من عنايتك بي .
وما تعلم من تيسر طبعي لقبول العلم ، ومن قديم تجربتك لي ومن حرصي
على العلم ؟

قال حنين : ما لست إلى شيء أشدّ ضرورة منك إليه إذا كانت ذاتك
الخاصة التي أمرك بالحكم الأول بتعرفها ، وهي أنت بها ^(١) مشارك الباري جل
ثناؤه - ومنفصل من البهائم .

(+) راجع عنه « الفهرست » لابن النديم ص ٢٩٤ - ٢٩٥ ، فلوجل ، الفطحي ، تحت الاسم :
ابن أبي أسيد ج ١ ص ١٨٤ - ٢٠٦ : ابن خلّكان ، بوقم ٢٠٨ ، - يخانيل السوري ٢٦٢ :
ابن العبري ، أخبار الكلاسيك ٣ : ١٩٩ ، تاريخ مختصر الدول ٢٥٠ - ٢٥٣ : فستفيلك :
« تاريخ الأطباء العرب » بوقم ١ : لوكلير : تاريخ الطب العربي « ج ١ ص ١٣٩ - ١٥٢ :
سوتر : « تاريخ الرياضيين العرب » ١٤٤ : بروكلمن ج ١ ص ٢٢٤ - ٢٢٧ ، الملحق
ج ١ ص ٣٦٨ - ٣٩٩ .

(١) غ : مشارك .

قال إسحق : وما ذاك (١) ؟

قال حنين : الشيء الذي تعلم أن اليوناني يسميه «لوغس» (٢) ، وأن العرب تسميه في بعض المواضع : «نطقاً» ، ولذلك يسمي الإنسان من النطق : «ناطقاً» ، ويسميه في بعض المواضع : «قولا» ، وليس من عادته (٣) أن يشتق من القول اسماً للإنسان ، كما من عادة اليوناني أن يسميه : من لوغوس : «لوغيس» (٤) ، ويسمى النظر في هذا الجزء من الإنسان الذي هو أشرف أجزائه — وهو الذي يسميه العرب نظراً منطقياً : «نظراً لوغياً» ، مشتق من لوغس . أي القول .

قال إسحق : فإذا كانت الكتب التي في (٨٣ أ) هذا «الفن والواصفون لها كثيرين فأرشدني إلى كتاب ومواضع منه يجب أن أبدى به أولاً» .

قال حنين : من كتاب «قاطيغورياس» (٥) الذي للحكيم .

قال إسحق : ولیم اخترت لي كتاب «قاطيغورياس» ، أولاً ، ولیم جعلته للحكيم ؟

قال حنين : أما كتاب «قاطيغورياس» فلا أنه ابتداء هذا العلم . وأما الذي للحكيم فلا أنه ليس غيره موجوداً في هذا الوقت مما يعلم به هذا المعنى المقصود .

قال إسحق : إن ها هنا كتاباً آخر لواضع آخر في هذا المعنى لو كان موجوداً لكُنْتُ إلى اختياره أميل ؟

(١) غ : وما كان .

Logos = (٢)

(٣) أي العربي .

Lagoies = (٤)

(٥) أي كتاب «المقولات» وهو أول كتب أرسطو المتعلقة .

(٥) سنضع أرقام المصدر من مخطوط كوبريل .

قال : نعم : كتاب ارخوطس ^(١) في هذا المعنى .

قال إسحق : ومن أرخوطس ؟

قال حنين : إنسانٌ من شعبة فيثاغورس .

قال إسحق : ومن فيثاغورس هذا ، ^(٢) ومنى كان ؟

قال حنين : رجل كان هو المبتدئ لأكثر حكمة اليونانية . وليس إنما هو في الزمان قبل الحكيم ^(٣) ؛ لكن وقبل أفلاطون أيضاً ؛ وعنه أخذ هذا العلم ، وليس هذا الفن من النظر فقط ، بل جميع الفنون الباقية . وكذلك أوقليدس وابولونيوس ^(٤) وارشميدس وبطلميوس وسائر المهندسين .

أبو يوسف يعقوب بن اسحق الكندي

هو أول من تخرج من المسلمين في الفلسفة وسائر أجزائها ، وفي الرياضيات وما يتعلق بها ، سوى تبحره في علوم العرب ، وبراعته في الآداب بين النحو والشعر وأحكام النجوم والطب وضروب من الصناعات والمعارف التي قلما تجتمع معارفها في إنسان واحد .

وفهرست كتبه يزيد على دمت كاغد مثنى .

(٨٣ ب) وكان أستاذ أحمد بن محمد المعتصم ، وباسمه عمل أكثر كتبه ، وإليه كتب نحل رسائله وأجوبة مسائله . وهو أول من أحدث هذه الطريقة التي احتذاها بعده من جاء من الإسلاميين . وإن كان قد تقدمه من ارتفع

(١) Archytas

(٢) م ، ك : من . غ : ناقص .

(٣) الحكيم = أرسطوطاليس .

(٤) غ : أبولونيوس . ا : م : ابولوس . ولذا المقصود بـابولونيوس البرجاني صاحب المخروطات .

اسمه وحسنت حاله في أيام المأمون من الذين كانوا جلتهم نصارى . وتبصانيهم
يجري الأمر فيها على الرسم القديم .

ولاشتهار كتبه ورسائله وتداول الأيدي لها وسعة وجودها في كل
موضع ، لم استقص بطلب النكت واستخراجها منها على العائرة بأمثالها ^(١) ،
إلا اليسر الذي لم أجد بداً من تزيين هذا الكتاب به :

فمن ذلك قوله : إذا كانت العلة الأولى - تعالى ! - متصلاً بنا لفيضه
علينا ، وكُنّا غير متصلين به إلا من جهة فيضه ، فقد يمكن فينا ملاحظته على
قدر ما يمكن المفاض عليه أن يلحظ الفائض . فيجب ألا نسب قدر إحاطته بنا
إلى قدر ملاحظتنا له لأنها أعز وأوفر وأشد استغراقاً لنا . - فإذا كان هذا
هكذا ، فقد بُعد عن الحق بُعداً كثيراً من ظن أن العلة الأولى لا تعلم
الجزئيات .

وقال : أحسن الكلام ما كان صفو العقل من ناحية المعنى ، وعفو الطبع من
جهة التأليف ، فيجتمع فيه صواب المراد وحلاوة الإيراد .
وقال : النظر في كتب الحكمة أعباد النفوس الناطقة .

وقال : إن أفلاطون قاس الشهوة التي للإنسان بالخرير ، والقوة الغضبية
الكلب ، والقوة العقلية بالملك . قال : فمن غلبت عليه (٨٤ أ) الشهوة فهو
خرير ، ومن غلبت عليه الغضبية فهو كلب ، ومن غلب عليه العقل فهو
ملك . وإذا كان ملكاً ، كان قريب الشبه من الله ، لأن الأشياء التي يوصف
بها الباري ونضاف إليه هي : الحكمة والقدرة والعدل والخير والجميل والذكر
والكرم والإحسان والتفضل والإنعام . قال : والإنسان لا يكون ذا فضل إلا بأن

(١) م ، ك : في أمثاله .

تكون هذه الفضائل قُتِيَّةٌ له ، وحَكْبًا فيه ، وحاصلةٌ لديه ، وغالبةٌ عليه .
فقد بان من هذه الحملة أن عواقب الناس إلى هذه المصحوبة بين الكون والفساد ،
المستصحبة إلى هناك أعني ^(١) على طريق الزاد ^(٢) والعناد . قال : وبهذا التثليث قال
بعض القائلين بالناسخ : الأنفس ثلاث : نفسٌ مالكة ، ونفسٌ سالكة ،
ونفسٌ هالكة . قال : المالكة الناجية ، والسالكة الراجية ، والهالكة التي لا
حال فيها فتذكر . ثم قال : فأما أفلاطون فإنه قال إن مسكن الأنفس العقلية .
إذا تجردت كما قالت الفلاسفة القدماء ، خلف النلك في عالم الربوبية ، حيث
نور الباري . وليس كل نفس تفارق البدن تصير من ساعته إلى ذلك المحل ،
لأن في الأنفس ما يفارق البدن وفيها دتسٌ وأشياءٌ خسيةٌ : فمنها ما
يصير إلى فلك عطارد ، فيقيم هناك مدة من الزمان ، فإذا تهذبت ونقيت ارتقت
إلى فلك كوكب كوكب فتقيم مدة . فإذا صارت إلى الفلك الأعلى ونقيت غاية
النقاء ، وزالت أدناس الحس وخبائثه منها (٨٤ ب) ارتقت منها حيثنذ إلى عالم
العقل وجازت الظل وصارت في أجل عمل وأشرفه وصارت حيثنذ لا تخفى
عليها خافية . وواصلت نور الباري ، وصارت تفكر في الأشياء : قليلها
وكثيرها ، كعلم الإنسان بأصبعه الواحدة ، وصارت الأشياء كلها له مكشوفة
بارزة . فقوض الباري إليها من سياسة العالم أشياء تلتذت بفعلها والتدبير لها .

وقال : لو أن رجلاً أفسد بيده واختياره أحسن أعضائه ، لكان مذموماً ،
ومن العقل بعيداً . فكيف بمن أفسد أشرفها ، وهي التي تظهر منه القوى الحساسة
والأفعال السائبة لبدنه أجمع - أعني : الدماغ ! فإن الحي يحند بأنسه
حساس متحرك حركة إرادية . والحس ، في البدن أجمع ، انبثاقه من الدماغ .
وكذا جميع القوى النفسانية من الروية المولدة للإرادات والفكر . قال :
ومستعملو السكر مدخلو الفساد على أدهمهم . ومنى نوال السكر على بدن

(١) ك ، غ : اعن (!) .

(٢) ك ، م ، غ : اراد والعناد (بالراء المفصلة في الأول ، والنون في الثانية و) .

سَرَضَ دماغه واشتد ضعفه وبتعد عن القوة المظهرة للأفعال الإرادية حتى يبطل عنها . فَمَنْ أَعْدَمُ لِنَفْسِهِ مِمَّنْ كَانَ سَبَباً لَتَلَفِ حَيَاتِهِ ! والعجب أن يكون ذلك منهم وهم حُرَّاء على طول الحياة . فإذا كانت إرادتهم نقص الحياة ، فكأنهم يريدون ما لا يريدون .

وقال له رجل - وكان جدُّه أميراً على الكوفة - : ما أشدَّ توانيك في طلب المعاش ! فقال : لو عرفت المعاش لنسبتي إلى شدة الحرص عليه . قال : ما نراك تحضر مواضع الطلب من أبواب السلطان ومجامع التجار (١٨٥) ومواضع الحرث (١) ؟ فقال : تلك مواضع يغلبني عليها أنت ونظراؤك على المطلوب . فأما مواضع طلبني فحيث أغلب عليه المتغلبين على مطلوبي . قال : ومن يغلب المتغلبين ؟ قال : ولا تصل أيدي المتغلبين إلى الاستيلاء عليه واستلابه قنيتهم ويقدر خَوَركَ وأتباعه على استلاب المتغلبين قُنِيَتِهِمْ . قال : فأين الخوَل والأتباع ؟ نراهم ولا يراهم غيرنا . قال : ما أكثر ما يشاهدونك وهم في قنص وأسر وإيثاق وقتل للناس والحيوان ! وإنك لتشكلم الآن وأنت في ربة أحدهم !

وظهرت من السائل عند قوله : « وأنت الآن في ربة أحدهم » - غصبة فقال (٢) : ما أشبه هذا القول بالهذيان !

فتبسّم الكندي وقال : ليس بمستنكر أن يقع القول الصحيح - عند مَنْ اشتدَّ مرضه وغلب على عقله - موقع الهذيان ، وأن يتناول الطبيب ، المشفق عليه المريض على انقاده من مرضه ، بالشم واللطم وغير ذلك من الأذى . ولا يمنع ذلك الطبيب الفاضل من رحمته والتعطف عليه ومناولته الدواء البشع ، إذا كانوا (٣) يرجون صلاحه به ، وإن زاد ذلك بغياً على أذاه . أما إلى هذه

(١) تحتها في ك : الحدث .

(٢) ك : قال . م : وال .

(٣) ك : إذا كان يرجون - والمقصود الأطباء الفاضلون ...

الغاية ، وقد كانت الربة في عنقك مستورة عن أكثر من حضر : وأما الآن فقد أظهرت لآخر منهم غلاً وثيقاً قد ضمّ يدك إلى عنقك لبغضهم ، مستوراً عن أكثر من حضر ، مما يقدر لذلك أن يدنس عن نفسك .

فقال رجل من تلامذته للسائل : كُنْتُ ، يا فلان ، أسير شهوة خفية على من حضرك ، هي دعتك إلى تطويل السؤال والحث على اكتساب (٨٥ ب) المال . فاستلبك من مَنِيصِهَا غضباً عاتِ عراك من ملايك التي سرت ربة الشهوة . فقال الرجل : ما نكشفت لي معنى قوله (١) إلا الآن . ثم قال معتذراً إلى الكندي : لعمرى لقد قلت ما لا ينبغي ، وأنت أولى بالصفح والاحتمال . فقال الكندي : ليس بالصحيح حاجة إلى الدواء . ولكن احتفظ بهذا الدواء . فإنك إن احتفظت به فعك ، وإن عتق .

وقال أحمد بن الطيب : كان الكندي يقول : يا بُنَيَّ انسخ كل ما تجده مكتوباً إذا اتسعت لك الحيدة ، وامتد بك الزمان . فإن مكان ما نكتبه أسود من دفرك خير منه أبيض .

وقال : من صان لسانه أكثر أعوانه ، وجعل جميع الناس إخوانه .

قال : المسترسل موقى ، والمحترس ملقى .

وقال أيضاً : العبد حر ما قنع ، والحر عبد ما طمع .

وقال : من ملك نفسه ملك المملكة العظمى ، واستغنى عن المؤن . ومن ملك المملكة العظمى أمين الأمن الأعظم واستغنى عن المؤن . ومن أمين الأمن الأعظم واستغنى عن المؤن في ملكه ، ارتفع عنه الذم والهرم . ومن ارتفع عنه الذم والهرم ، حمده كل أحد وطاب عيشه إلى الأبد . فينبغي ألا تفصّر في الحق عند كل أحد ، وطالب (٢) عيش الأبد . إذ ليس

(١) ك ، م : إلى

(٢) ك ، م : طيب

أنفس' منهما مطلباً .

وقال : مَنْ اتبع شيئاً اضطراراً فهو متعبد له . وَمَنْ تعبد لشيء فهو عبده .

وقال : غَرَض الشهوة اقتناء مشتتها . وَغَرَض الهرب أن لا يُوقع فيما يُهَرَّب منه : والذي لا يخطئ غرض شهوته محظوظ . والذي لا يقع فيما يهرب منه سعيد .

وقال : مع كل مصيبة ألمٌ ، ومع كل حيرة ندمٌ .

وقال (٨٦ أ) : هـ مَنْ لم يكن حكيماً . لم يزل سقيماً . مَنْ جهل ، ذلّ . العلم غاير ، والجهل دائر . مَنْ أكثر المناكح لم يسلم من الفضائح . من استشعر^(١) حلة العدل ، استكمل زينة الفضل .

وسمعت من الامام الأجل الكامل ، بهاء الدين ، قدوة الأفاضل ، محمد الطبري قال : أعطاني هذه الرسالة : ابن الهبّل البغدادي ، تلميذ أبي البركات صاحب كتاب « المعتبر » . وحكي عن أبي البركات أن الرسالة بخط أبي يوسف يعقوب بن إسحق الكندي — قدّس الله روحه . وكان عند ابن الهبّل جزء بخط أبي البركات في صحبته . والرسالة هذه :

بسم الله الرحمن الرحيم
رسالة الكندي إلى بعض اخوانه
في الامراض البلغمية العظام .

حاطك الله بالسلامة : ووفقك لسبيلها ، وأعانك على درك الحق والإنقاذ
بشاره !

(١) أي جعلها شامراً يضيء .

سألت . أرشدك الله إلى كل نافعة - أن أرسم لك علّة المرض المسمّى بالصرع . والعلّة العظمى فيه عامّة للعلل غير واحدة ، تنفصل بالمرضع والقوة والضعف . وقد رسمتُ لك من ذلك حسب ما رأيته كافياً ، بحسب موضعك من النظر .

وبالله توفيقنا ، وعليه توكلنا ، وهو حسبي .

إن البلغم إذا اتّماع واستحال إلى كيفية رديئة لذّاعة ، سار وعلا إلى الدماغ من أحد الأطراف ، ثم انحطّ في الأوردة نحو القلب ، وأفسد بلوغه موضع الحسن والفكر والحفظ من الدماغ ، وسلك في الأوردة نحو القلب . فإن قويت الحرارة الغريزية ، التي منشؤها القلب ، على تحليله حلّته ، وكان الذي يعرض منه الصرع . فإن أعضاء الدماغ التي ذكرنا إذا أمت غلبت وسكنت ، وكان الاضطراب الذي (٨٦ ب) يجد في بدنه بمجاهدة الغريزة للعرض . فإذا قويت عليه قذفت به وحلّته ، وهو ما يرى من الزبد الظاهر على فمه . وإذا عرّض ذلك ثلثة الإفاقة . فإن غلبت الفضلة غلبة شديدة وضعفت الغريزة حتى خالط بطن القلب ، اظفئت الغريزة وأخمدت رطوبة القلب دمها لإماتتها بالبرد . فمات الحيوان من ساعته . وهذا العرّض هو المسمّى الموت السريع الذي تسميه العامة : الفجأة .

وإن قاومت الغريزة العرّض قبل أن يصل إلى القلب وجاهدته ولم تنقو على حلّ الفضلة . لم يمكن أن يبقى على مجاهدته أكثر من اثنتين وسبعين ساعة . التي هي عدد ثلاثة أيام بلياليها ، لأن الغريزة تضعف لانقطاع المادة هذه المدة ضعفاً شديداً ، ونعني قوة ^(١) الغريزة فتغلب وتنتهي ^(٢) المادة إلى القلب فتطفئ ، حرارته وتجمد رطوبته فيموت الحيوان . وهذا العرّض هو المسمّى : السكنة . ونهاية بقاء صاحبها قدر هذه الأدوار الثلاثة ، حتى يموت .

(١) م : القوة الغريزية .

(٢) ل : إلى المادة .

وإن قويت الغريزة على دفع الفضلة عن القلب ، وضعفت الغريزة التي في أعضاء البدن عن دفعها ، مالت إلى الجهة من البدن التي ضعفت عن دفعها . فإن صارت في أحد شِقَي البدن أفسدت وأفسدت أفعاله . وهو هو العرض المسمى : الفالغ .

فإن ضعفت الغريزة كلها عن دفعه إلا ما كان منها في القلب ، أفسد أفعال البدن كله ، وسلم الحي من الموت . وهذا العرض يسمى بخلع الأعضاء .

وإن مال إلى عضوٍ واحدٍ أو عضوين - كيدٍ أو رجلٍ أو الرجلين من سفلى البدن ، أو اليدين من علوه - أبطل أفعالهما . فأما ما كان في الرجلين فيسمى إقعاداً . وما كان في اليدين يسمى : عسماً . وكذلك إن مال إلى لسان (٣) أو عضلٍ من عضل البدن فأفسد فعلها ، كالثدي يعرض في العين فيسمى : شترأ ، وكالثدي يعرض في الشدق على العين فيسمى : لقوة تامة ، وكالثدي يعرض في اللسان فيسمى : خرّساً . وما كان كذلك ، فأما فصل ما بين الشتر في العين والقوة فإن الشتر يكون إذا مال إلى العضلات التي في الجفن الأسفل فأرخاها . وأما القوة فإذا مال إلى عضلات الجفنتين جميعاً السفلي والعلوي وعصب العين المحركة لها ، وذلك وعضل الشدق ، فإن هذا العنصر عنصر ومادة هذه الأعراف جميعاً ، والغريزة في البدن ، كتحفظه الحصن إذا أحاط به العدو ، وحارب كل واحدٍ عن موضعه فأيتهم ضعف عن محاربة عدوه غلبه العدو على موضعه . فإذا انحطت الفضلة جاهدتها الغريزة التي في كل عضوٍ من عضوها . فإذا ضعفت عن مجاهدة الفضلة ، دخلت الفضلة موضعه ، وغلبت عليه وأفسدته . إن كل محامٍ من الغريزة ذاب عن عضوه الذي هو فيه غير ذلك الضعيف المحلول محلّه المغلوب على حوزته . فالمادة واحدة ، والأمراض

مختلفة باختلاف مواضعها وقوة الفضلة وضعفها . وعلل الاختلاف تضعف
الغريزة في بعض الأعضاء دون بعض .
تمت الرسالة ، وله الحمد .

• • •

وقال في فصل يطل به رأي من يرى عودَ النفس إلى هذا العالم من أصحاب
التناسخ ؛ وإذا بطل دعوى من يدعي عودَ النفس ، يطل عود ذي النفس .
قال : هذا بمنزلة من يقولون إن رجلاً كان (٨٧ ب) يشاق إلى اللذات التي
من ناحية الشهوات ، كالأكل والشرب ، وكان بعدمها ، فلما وجدها عطف
على علف الحمار ونور الجمل من الثبن والحشيش والقث وما أشبهه . وهو
على ذلك لا يلتذ بها . فعلى هذا ، كيف تشاق النفس الناطقة - في حال تدبيرها
البدن ومعاناتها لأعباء الطبيعة - إلى المعارف والخبرات ، فلما تخلت من البدن
ومن الطبيعة عادت إلى أحوال كانت لا تشاق إليها ولا تترع نحوها ، ولا
كانت من سجيّتها ؟ !

وقيل للكندي : فلان غني . فقال : أعلم أن له مالا ، ولكني لا أعلمه
غنياً ، أم لا ، لأنني لا أدري كيف يعمل في ماله .

وقال : الحكمة إن كانت معطية كل شيء حقاً ، فهي حق ، وهي
أنفسُ الحق . فمن أعطته ذاتها ، فقد أعطته أنفس الحق .

وقال : ليس كل مطلوب خارج عنا بوجوده كلما طلب ، ولا موجود
منه عقيب شيء متى فقِد .

وقال : رحمة العلماء إنما تكون من الشر ، وضحك الجهال بالذل .
وهاتان رذيلتان لأن الشر خاصة لكل رذيلة ، والذل لاحقة كل رذيلة .

وقال : أكل الحساسة قلة الاستحياء من النفس . ومن فاته الاستحياء من
نفسه لم تفقه الرذائل . ومن عَدِم الاستحياء من نفسه ، لم يعدم استحياء

الناس من أخلاقه . ومن لم يصحب الاستحياء من نفسه ، صحبته الآفات .
ومن لزم الاستحياء من نفسه ، لزمته السلامة . ومن لم يفته الاستحياء من
نفسه ، لم يلحقه الذم ، لأن مع ركوب ما يستحي منه الملامة والذم لكل من
وجبت عليه الملامة . فمن لم تلزمه الملامة ، لم يلحقه ذم .

وقال : العدل الموجود في كلية ^(١) الأشياء هو خاصة الطبع (١٨٨) الحتمي ،
لأن الأعراس إنما هي الخروج عن العدل الحتمي في الأطراف ، أعني الزيادة
والنقص . والعدل في القوة المميّزة لا يقصر عن الحق الأنفع ، ولا تجوز إلى
الباطل ، أعني المكر والحيل وغيرهما . والعدل في الشهوة ألا يقصر عن
تناول ما به يبقى الإنسان ، وأن لا يقدر ذلك إلى ما به أسقام بدنه ونفسه
ومنعها عن أفعالها الشريفة . والعدل في الغضب ألا يقصر عن النجدة ، أعني
الاستهانة بالمؤذيات البدنية والحد في ذب المكاره عن ذاته ، وأن لا يعدو ذلك
إلى تناول ما ليس له ، والغضب والعشم والتبغ .

فالشيء الطبيعي إذن لذواتنا : الحكمة ، والعدل ، والعفة ، والنجدة .
وأضداد هذه ، وإن كانت في ذواتنا ، فهي عرض غير طبيعية لنا . فبحق
إذن يجب أن يكون سعينا واجتهادنا في استحقاق هذا الشرف الذي قدّمنا
ذكره .

وقال : الرياضيات أعياد النفس ، لأن فيها ومنها وبها تظهر للنفس العجائب
الموفقة لها ، والدين ^(٢) المعشوقة عندها وتتناول اللذات الخفية لديها والتمتع بالراحة
الحقية الصادقة فيها .

• • •

وهذه أقاويل موجزة مختصرة مبسطة مكشّفة عن الآفات المعارضة في سبل
الفضائل المانعة من الانتهاء إليها ، والأزواد والآلات المعينة على الانتهاء إليها :

(١) لك ، م : كله .

(٢) كذا في النسخ ، ولم نفهمه .

أثمن السلع الفضيلة . ولا حرب أجحف من الرذيلة .

من أتعبه الحرب من السيئات زماناً ، ألبسه دوام الراحة في ظلال الحسنات
أماناً .

ومن هرب من تعب البدن الزائل ، لم يَنجُ من تعب النفس اللازم
القاتل .

من اتخذ العدل سُنَّةً ، كان له أحسن جُنَّة .

(٨٨ ب) من اتخذ الحكمة لحاماً ، اتخذها الناس إماماً .

العار عدم العفة ، والشرُّ أدنأ حرفة

مَنْ صَبَا إلى الشهوات ، أعقبته البليات

من ظهر زهده ، اشتد أيداه ، ولم يَقْصِه عبده ، وسَعِدَ جَدُّه

الزاهد هو الواحد

من زهد في الدنيا ، ملكها ؛ ومن حرص ^(١) عليها أهلكها .

من زهد في الدنيا لم تفتحه ؛ ومَنْ حَرَصَ عليها أتعبته .

من اتخذ الحرص شعاراً ، جرَّه ^(٢) القوت مراراً

من حَسَّنَ قنوعه ، دام ريبه

القنوع خيرٌ من الخضوع

من باع الطمع باليأس ، لم يَسْتَطِيعْ عليه الناس

مَنْ لَزِمَ الطمع ، لزمه الجزع

من لم يزل الطمع له راكباً ، لم يزل الفقر له صاحباً

من تولى ضيق مسلك الخِلْمِ ، أفْضَى به إلى سَعَةِ أوطان الأيمن

من كان الحلم له وطناً ، كان له العزُّ معقلاً

من سكن عند الغضب لم يتحرك له العطب

(١) ك ، م : احرص .

(٢) ك ، م : جرَّه .

من أطاع الغضب عصته السلامة ، ومن عصي الحلم أطاع الذل .
من فحش غضبه ، هدم حسبه . ومن تقهّم الغضب ، اقتحم عليه الذم
خوف ما لا نفع له من أخلاق من لا^(١) عقل له .

شرب السم أهون من تضمّن الهم

من اتبع الصبر ، اتبعه النصر

من حسن خلقه ، طاب رزقه ؛ ومن ساء خلقه قلّ رزقه

من حسن رفقه ، عظم حقه

من رفق رفق ، ومن خرق حرق

الخرق في الأعمال أدعى إلى الإقلال

الفخر أصغر للقدر

من فخر فجر

من رضي بمظوظ الناس ، لم ينله اليأس

من رضي بمحظ غيره ، لم ير النقص في خيره

الحسد غاية الكمد . حزن الحاسد أبداً غير خامد . غيظ (٨٩ أ) الحاسد

إلى الأبد . والحاسد غير واجد ؛ فالحاسد أبداً فاقد .

الوجود مورود غير موجود

ما أقبح البخل بكل ذي عقل

البخل أبداً ذليل . البخل غير أصيل . من أشدّ بخله ، قلّ أكله

الأمانة ثوب الصيانة .

خيانة الناس أقبح أفلاساً . من لزم الوفاء لزمه الرضا . من أطاع الوفاء ،

لم يتعصبه الاخاء . من ساس نفسه بالصدق ، لم يجد لشيء فقداً .

من صدقت لهجته ، ظهرت محبته

من صدق نفسه ، دام أنسه

من كذب ذهب .

(١) ك : أخلاق ما عقل له . م : من أخلاق ما لا عقل له .

من استطال على الإخوان ، لم يصحبه إنسان
مَنْ عَدِمَ الإخوان ، أَكْثَرَ ذِمَّ الزَّمان . ومن أَكْثَرَ ذِمَّ الزَّمان ، لم يعدم
الأحزان . ومن كثر من الأحزان لم يُعْتَبِه ^(١) الزَّمان . وَمَنْ لم يُعْتَبِه الزَّمان ،
لزمه الهوان .

ومن حُسُنَ نفسه : كثر جنسه . وأخصَّ الأجناس جنس الأيتام . ومن
قتل جنسه أهان نفسه .

الصِّلَفُ أثنى من الجليف . مَنْ ظَهَرَ صِلَفُهُ ، بطلَ أَنَفُهُ .

من جار عن القصد ، تاه في الجهد

السرف طمى : والعُجْبُ عُمى

مَنْ أَعْجَبَ نَفْسَهُ ، فقد فسد حسُّهُ . وَمَنْ دخله العُجْبُ فقد لبسَه
الكذب . المعجب أكذب : ومعرفة النفس أصوب . من لم يعجب بنفسه
نصحها ، وَمَنْ أَعْجَبَ بِهَا فضحها . خلق المعجب عنده أَنَفْسُ أَخلاقِهِ ،
وأحسن ما يرى فيه فقد أخلاقه . المعجب أبداً مُغْضِب .

من اقتحم الهزل ، ارتطم في الجهل .

مَنْ هَذَى ، أَذَى .

السعاية خراية .

من سعى فقد هوى .

التشاغل بالمنى ^(١) من أفعال الصبى .

مَنْ كسل ، هزل .

وقال له قائل يوماً : سمعتُ فلاناً يتقصك ، ففمنى ذلك وعرفته نفسه .
فقال : لا ينبغي أن تنعم إذا أنا تنقصت نفسي وتعرفني عند (٨٩ ب) ذلك
نفسى ، فإني أولى بذلك منك لتقديم المودة .

(١) أعبه : أراءه .

(٢) في عاشك : نبي (!)

وقال له قائلٌ يوماً : إن فلاناً يتناولك بلسانه . فقال له : إن لم يتناولني طبعي ويمجرني إلى لسانه ، لم يكن في طبع لسانه أن ينالني كما تناوله طبعه ، وأعفاني ^(١) لساني من تكلف تناوله .

وقال له قائلٌ يوماً : ما سمعت فلاناً يفخر بكذا وكذا ؟ فقال له : من لم يكن الفاجر له فعله ، لم يترس له أهله .

وقال له قائلٌ : إن فلاناً يزعم أنك إنما تُمسِكُ عنه خوفاً له ؟ فقال : لو خاف ما أخافني منه كان نجداً حرّاً . فقال له الرجل : وكيف ذلك ؟ فقال : لأن النجد لا يستأنس لأعدائه فلا يكون مرقوماً .

وقال له الرجل : مَنْ هؤلاء الأعداء الذين أستاذس لهم ؟ فقال : الخوَرُ وجميع أتباعه . فقال له الرجل : وَمَنْ أتباعه ؟ فقال له : الجهل والتفاق والسفَه والتهور والجبين والحرص والحسد والشر والخلاعة الموجبة لمن كان في نفسها رحمة العقلاء وإضحاك ^(٢) الحمقى . فقال له الرجل : هو عند نفسه النجد البطل . فقال له : هو إذاً التَّوَيُّ على نفسه ، الذي لا يصرفه عن فعل ما يوجهه الحقُ خوفُ الموت .

وقال له قائلٌ يوماً : مَنْ أقوى الناس ؟ فقال : أقواهم على نفسه . فقال له : وَمَنْ أشدهم قوةً عليها ؟ فقال : مَنْ أَمَاتَ شهوته ، وذَلَّلَ غضبه حتى يصير له مركباً سلس القيادة ، ينال به الحقَّ ويدفع به الباطل ، غير مكترث في ذلك بالموت . فقال : فمن أحكم الناس ؟ فقال له : أعرفهم بنفسه ، وأشدهم احتمالاً للأدوية البشعة في رفع انتقامها . فقال له : وَمَنْ أعدل الناس ؟ فقال : مَنْ لزم الحق فلم يخرج عنه وعن العمل (٩٠ أ) بما يوجهه الحق . فقال له : وَمَنْ أعيفُ الناس ؟ فقال : من عَدَلَ في شهواته فلم يتزاوَل منها شيئاً خارجاً عن مابه الضرورة إلى تناوله في إقامة صورة الشخصية وإثمار

(١) ك : م : وأعفني .

(٢) غير واضح في المخطوطات .

مثلنا على شريطة ناموس العقل وناموس الوضع .

وقال له قائلٌ يوماً : مَنْ أشقى الناس في دنياه ؟ فقال : مَنْ كانت إرادات نفسه اقتناء الخارجيات عنه ، فإنه في كل حال يفوته به مطلوب ، ويعوزه به محبوب . ومع كل فائتٍ حسرة ، ومع كل مفقودٍ مصيبة . وهذان بولدان^(١) الحزن والأسف اللذين هما ضد الفرح والاعتباط . والأصداد لا نواقف في شيء : فمَنْ كان إنساناً حزيناً أسفياً ، بطل فرجه واعتباطه . ومن كان حزيناً أسفياً ، فهو نكيدٌ الحياة . ومن نكدت حياته ، فهو شقيٌّ في دنياه . فقال له : من الشقي في الدار الآخرة ؟ فقال : مَنْ لم يعرف خالقه وما يقرب منه لم يعمل بذلك .

وقال له قائلٌ يوماً : مَنْ أحسن الناس صورة ؟

فقال له : أَلَبَسُهُم للفضيلة الإنسانية . فقال له : وما الفضيلة الإنسانية ؟ فقال له : الحكمة والعدل والعفة والنجدة في كل .

وقال له قائلٌ يوماً : مَنْ أبجل الناس ؟ فقال : مَنْ بجل بما لا ينقصه جوده به على غيره ، ولا يُخرجه عن ملكه . فقال له : وما الذي لا يُخرجه من ملكه ولا ينقصه جوده به على غيره ؟ فقال له : العلم ، فإن الجود به غير ناقص منه ، ولا يُخرجه من ملكه^(٢) ، بل يكثر به أثماره ، وتبقى آثاره بما لنا في ذلك في الدار الآخرة من جزيل الثواب . فإن من ثمر الخير خيراً ، و (٩٠ ب) الخير محمود المنقلب إلى دار القرار . ومن حسنت آثاره في دنياه محمود . والمحمود مشرف الذكر . ثمرة الجود بالعلم شرف الدنيا والآخرة ، فإن حمد المنقلب أيضاً مشرف في المنقلب .

(١) ك : ولدان الحزن . م : ولدا الحزن .

(٢) ك ، م : مكاننا .

فقال له : مَنْ أجود الناس ؟ قال : من جاء بما فيه التحصن من جميع الآفات النفسانية والترقي إلى غاية شرف الفضيلة الإنسانية . فقال له : وما ذلك ؟ فقال : العلم . الذي به الاحتراس من آفات الأنفس والأجساد التي للانسان الاحتراس منها ، واقتناء الفضائل الإنسانية التي كل خير فيها .

وقيل له : مَنْ أجهل الناس ؟ فقال : مَنْ جهل أنه لا يعلم ، لأن جهله مركب . فأما الذي يجهل ويعلم أنه يجهل فجهله بسيط غير مركب .

وقيل له : ما أحق الأشياء بالحمد عند ذوي العقول ؟ فقال : مُبدع الكلّ - جلّ ثناؤه - وجعله سبباً لثبات خلقه ، ووجدانه ، جلّ ثناؤه . فقال له : وما سبب ثبات خلقه ؟ قال : العدل ، لأن المعتدل ثابت ، والخروج عن الاعتدال زائل فاسد . والذي به وجدانه - جلّ ثناؤه ١ - العقل ، فإنه به وجدنا أننا مُبدعون فتوجب وجودُ مبدع^(١) .

أحمد بن الطيّب السرخسي^(٢)

كان من تلامذة الحكيم أبي يوسف يعقوب بن إسحق والمختصين (به) . وكان يقول : الأفعال التمييزية واقعة بإرادة المختار ، والأفعال الطبيعية سواء في ذي التمييز والبهيمة . والعادة أَرذل من الطبيعة . فالعادة إذاً من الأفعال البهيمية . فقيح^٣ بمن له الفضل التطقي أن تكون عادته أغلب عليه من التمييز .

(١) لم يورد عمر بن سهلان السامي في اختصاره لصوان الحكمة بعنوان : « مختصر صوان الحكمة » (مخطوط قانع بالمكتبة السليمانية بدمشق رقم ٣٢٢٢) من كل هذا الفصل الخاص بالكندي غير ٣٧ سطراً فقط .

(٢) رابع عنه « الفهرست » لابن التنديم ص ٢٦١ - ٢٦٢ ، نشرة دارجل ، وابن القطي ص ٧٧ وابن أبي أصيبعة ج ١ ص ٢١٤ - ٢١٥ ؛ نستفله : « تاريخ الأطباء العرب » برقم ٨٠ ؛ لوكليز ٢٩٤ ؛ سوتر ، ٦٣ ؛ ياقوت : « أرشاد الأديب » ج ١ ص ١٥٨ - ١٦٠ . وقد توفي في سجنه في شهر صفر سنة ٢٨٦ هـ / فبراير - مارس سنة ٨٩٩ م .

الحسن بن اسحق بن محارب القُصَمي^(١)

(٩١ أ) ذكروا أن الرئيس أبا الفضل ابن العميد يفتخر بابن عمار ويقول : لو لم يخرج من بلدنا ، يعني : قُصَمًا ، سواء لكان كافياً .

وقال : العشق هو الشوق إلى الاتحاد بالمعشوق .

وقال : قال بعض الأوائل : مَن شَكَّ في غلبة الطباع فليُنظر إلى ولد الحيوان كيف يهتدي إلى المصِّ والرَّضاع من غير تعليم .

وقال : من كلام الأولين : لا شيء أنفس من الحياة ، ولا غبن أعظم من إنفاذها لغير حياة أبدية .

وقال : الرغبة تنقسم إلى ثلاثة أقسام : إمّا أن تكون في دنياه محضة ، وإمّا في آخرته محضة ، وإمّا فيهما معاً . وكذلك الرهبة : إمّا أن تكون من أمور دنيا محضة ، وإمّا في آخره محضة ، وإمّا منهما معاً . والسبل إلى نيل تلك الرغبة ، والسلامة من تلك الرهبة متفاوتة كثيرة . وقد يعرض في الرغبة التي في دنيا محضة أن ينسلق إلى المطلوب منها إظهار الرغبة في الآخرة . وقد يجمع الرغبة والرهبة أمرٌ واحدٌ هو حب الحياة والبقاء . وأنواع ذلك كثيرة ، ومراتبه لا تحصى . غير أنه ينقسم ذلك لنفساني وطبيعي . أما النفساني فكمحبتنا للترأس . وأما الطبيعي فكمحبتنا للأموال التي هي علة الغذاء ، والغذاء الذي به يكون بقاء الصورة . فالترأس ينقسم لأمرين كثيرين متفاوتين ، كالحلاقة والإمارة . وكذلك الغذاء متفاوت الأسباب والأحوال . قد يتنافس الناس في منازل ذلك حتى يولد فعلهم له العداوات والمشاجرات والمشاجبات والفخر والافتخار . فلإن قد حصلنا (هذا) ، فلنكتف به .

(١) أسقط الساري في مختصره كل هذا الفصل .

أبو الحسن ثابت بن قُرّة الحرّاني (١)

كان من الصائبة . وله سوى (٩١ ب) براعة في عاوم الأوائل وأسرّ مال كثير ورياسة عظيمة في الصائبة . وقد رأيت له عدّة كتب مصنّفة في مذاهبيهم هي عمدتهم الآن . وقد بلغ من جلالة قدره وعيظم علمه في العلم أن جُعِلَ كالمُوسَط بين يحيى النحوي وبين برقلس . وله عليهما كلام طويل تشتمل عليه دسوت كاغد .

وذكر أبو سليمان السجزي قال : اجتمعنا ليلةً عند الملك أبي جعفر بن بابويه بسجستان . فجرى حديث فلاسفة الإسلام ، فقال الملك : ما وجدنا فيهم ، على كثرتهم ، من يقوم في أنفسنا مقام سقراط ، أو أفلاطون ، أو أرسطوطاليس .

فقبل له : ولا الكندي ؟

قال : « ولا الكندي ! إن الكندي على غزارته وجودة استنباطه رديء اللفظ ، قليل الخلاوة ، متوسط السيرة ، كثير الغارة على حكمة الفلاسفة . وثابت بن قرة ألزمُ للقُطب وأشدّ اعتناقاً لهذا الفن . ثم جميع الناس يتقاربون بعدهما ، ولهما سبق . على أن الدين مَكْمُرةٌ لغرب هذا الشأن » . وذكر أشياء من هذا الضرب تركناها (٢) كراهةً للإطالة .

(١) راجع عنه « الفهرست » لابن النديم ص ٢٧٢ ، ٣٠٢ ، فاولجل . وقد ورد فيه أن مولده سنة ٢١١ هـ ، ووفاته سنة ٢٨٨ هـ وله سبع وسبعون سنة شمسية ؛ راجع كذلك ابن خلكان ، برقم ١٢٧ ؛ وابن البرقي تاريخ مختصر الدول ص ٢٨١ ؛ وأبو المحاسن ج ٢ ص ١٣٠ ؛ وابن الفظلي ص ١٣٢ وما يليها وابن أبي أصيبعة ج ١ ص ٢٢ ونستفله : « تاريخ الأطباء العرب » ص ٣٤ برقم ٨١ ؛ وشولسون . : « الصائبة » ج ١ ص ٤٦ وما يتلوها ، وج ٢ ص ١٠ وما يتلوها ؛ والمجلة الآسيوية أغسطس - سبتمبر سنة ١٨٥٤ ، ص ١٩٤ ؛ نوكلير : « الطب العربي » ج ١ ص ٣٦٥ .

(٢) لا ، م : تركنا .

وحكى سنان بن ثابت عن والده قال : كان أبي ^(١) قرّة يعتقد أن المنامات كلها أضغاث أحلام لا يصحّ منها شيء ، ولا تدل على شيء . وكان أبو الحسن ثابت يرى أن بعضها يصحّ وبعضها لا يصحّ . وكانا جميعاً يسرّ من رأى . وقد خلف أبو الحسن زوجته بجرّان وهي حامل . قال : فأتيت أبو قرّة ليلة من الليالي فقال لابنه الحسن : يا بُنَيَّ ! رأيت الساعة رؤيا هي محنة ما بيني وبينك في أمر المنامات . فإن صحّت استأمنت إليك ، وإن (٩٢ أ) بطلت يجب أن تستأمن إليّ . فقال : ما هي ؟ قال : رأيت كأنه ورد عليّ كتاب بأنك قد رزقت ولداً ذكراً في هذه الليالي وأن الطالع سبّع درّج من السرطان . قال : وأثبتّ الرؤيا وتاريخها . فلما كان بعد بضعة عشر يوماً ، وردّ كتاب بالنهضة بمولود . فرجعنا إلى ما أثبتناه من تاريخ الرؤيا ، فكانت تلك الليلة بعينها . ولما كان بعد أيام ورد كتاب وفيه نسخة المولد . فوجدنا الطالع سبع درجات من السرطان كما رأى في منامه . فاعتقد قرّة بعد ذلك مثل اعتقاد ابنه .

وحكى عن أبي اسحق الصائبي الكاتب ، قال : رأيت ثابت بن قرّة الحرّاني في المنام قاعداً على سرير في وسط دجّلتنا هذه ، وحوله ناس كثير كان كل واحد منهم من قطر ، وهم على خلق مختلفة ، وهو يعظّمهم ^(٢) ويتبسّم إليّ في خلال وعظه وكلامه . وحصلت عنه نكتة شريفة ذهبت عني في البقعة وسأفتي ذلك جداً . وكنت أسرّح فكري كثيراً في الظفر بها ^(٣) والوقوع عليها ^(٣) فلا يعود بظائل . فلما كان بعد دهر وبعد اختلاف أحوال ، ذكرت أنه قال لي : خذ يا إبراهيم ثمرة الفلسفة من هذه الكلمات الشافيات التي هي خبر لك من أهلِكَ وولدك ومالك ورتبتك :

(١) ك ، م : أبو قرّة . - والمقصود أبوه ، أعني والده أبي الحسن ثابت بن قرّة ..

(٢) ك : يعظّمهم .

(٣) ك ، م : به ... عليه

اعلم أن البقطة التي لنا بالحس هي النوم ، والحلم الذي لنا بالعقل هو البقطة . ولقلة الحس علينا قد اتفقا أن الأمر بخلاف هذا . وإلا فَنُكَلِّبُ العقل مكان الحس ، ينصدع لك الحق في هذا الحكم . فإذا وضع هذا ، فبالواجب ينبغي أن نتقصى^(١) من الحس وإن ظننا أن البقطة من ناحيته ؛ وتلبس بالعقل (٩٢ ب) وإن ظننا أن الحلم من ناحيته .

وكان أبو إسحق^(٢) يقول : وهذه النكتة مفروשהا واسع ، ولكن بقي أن نفهم مستفعا بها ، وتُسَمَّع على وجه التقبل لها ، لا على معنى الاعتراض عليها . الفلسفة هي لطائف العقل . وكل من لَطَف وصل إليها . ولطف الإنسان في طلبها هو تأنيه عند التفهم ، وصبره عند الطلب ، وثباته على السيرة التي تدب إليها المشفقون الناصحون ، فإن النفس تركو عند ذلك ، والصدر ينشرح ، والباطن يتوالى فلا يبقى حيثذ باب إلا انفتح ، ولا مشكل إلا وضح .

وجرى بحضرة أبي الحسن ثابت بن قرة ذكر ما كان يحكى عن فيثاغورس وشيعته من تعظيم العدد وإثباتهم إياه واستعمالهم له في كلامهم ، وإقامتهم البراهين على الأمور مع بعدها عنه ، وتفاوت ما بينها وبينه ، وما يهجن لذلك في النفس من أنه لا موقع له فيها . فسألناه عما عنده في ذلك ، وهل يجوز من جهة من الجهات ؟ فذكر أن هذا الرجل وشيعته أعلم وأجل من أن يتهموا بتقصير أو خطأ في معرفة ، وأنه لا ينكر أن يكونوا قد وقفوا من طبيعة العدد وعلموا من أسرار أمره أشياء توجب ما يحكى عنهم لم تنته إلينا . ولا إلى من هو أقدم من أهل دهرنا بمئين سنين ، فإن علومهم قد انقرضت . ولم يصل إلينا منها حرف . ولا يبعد أن يكون للأعداد والأشكال موقع من الأشياء حتى يتصل به كثير من أحوالها الطبيعية اتصالاً غير^(٣) ظاهر . قال : فقد وجدنا لبعض الأشكال

(١) لك : تنفى - وتنقصى (بالصاد المهملة) : تنفصل وتتجرد . - وفي م مهمة النقط .

(٢) لك : م : وكان يقول أبو إسحق .

(٣) لك : م : من .

في أمر من الأمور الطبيعية المحققة موقفاً ظريفاً دللنا على أنه قد لحق (٩٣ أ) ذلك الأمر - مع صغر شأنه - من آثار القصد والعناية والحكمة ما لا غاية وراءه في الاتفاق ، وهو الشكل المسدس . وذلك أننا تأملنا البيوت التي ينشئها النحل من الشمع فوجدناها كلها مسدسة . فلما تدبرنا الأمر في ذلك وفكرنا في السبب فيه ^(١) وجدناه من أعجب الأمور وأدلتها على غاية العناية . وذلك أنه كان يحتاج في هذه البيوت إلى أن تكون متساوية وإلى أن تكون أوسع ما يمكن أن تكون عليها ، وإلى أن يكون شكلها شكلاً تشحن به العرصة وتغلاها ولا يوقع فيما بينها فرجاً تذهب ضياعاً . فكانت الحاجة إلى السعة تدعو إلى أن تصير أشكال هذه البيوت مستديرة ، لأن الشكل المدور أوسع من كل شكل ذي زوايا لمحيطه تساوي بساقين ^(٢) يحيطه . إلا أنه لو جعلت أشكال هذه البيوت مستديرة لما ملأت العرصة ولا شحتتها ولضاع في خلال كل حيدة منها فرج لا يتفجع بها . فعُدل لذلك عن الشكل المدور التماساً لما يملأ العرصة من الأشكال . ولما كانت النتيجة قد انتهت بعدة من أصناف الأشكال كالمثلث والمربع والمسدس ، اختير المسدس من بينها لأنه يجتمع فيه - مع مشاركته ما استغرق العرصة واستيعابها - أنه أوسعها كلها ، وكان هذا الاختيار الذي قصد فيه بل جمع المنافع على أكثر ما يمكن منها وأوقعه من أوضح دليل على حكمة المختار وتمهده الصلاح . وكان العدول عن المدور وعن سائر الأشكال التي هي أوسع من المسدس والمخمس بفصل ما بينها و (٩٣ ب) بينه في السعة للضرورة إلى النتيجة الممتنعة في طبعه جميعاً . وهذا ميصداق ما قال أفلاطون من (أن) الأشياء متولدة فيما بين العناية والضرورة .

قال : فانظر إلى ما قد احتيج إليه الآن من جنيل علم الهندسة في معرفة أمر بيوت النحل والمنفعة في شكلها الذي هي عليه مع صغر شأنها عندنا وقلته ؛ وأنه قد احتيج إلى أن يُعلم أن الأشكال ذوات الأضلاع المتساوية التي

(١) ك : م : فوجدناها .

(٢) ك : لساقين .

إحاطتها متساوية أكثرها أخلاقاً ، فحبها . وهذا مما البرهان عليه بموضع من الصعوبة . فأمّا الذي ينكر على ما رأيت من موضع هذا الشكل في هذا الأمر الحقير من الأمور الطبيعية لأن يكون لغيره من الأشكال والأعداد مواقع لطيفة لم يوقف عليها في سائر الأمور الموجودة من الطبيعية وقانون الطبيعة^(١) .

أبو عثمان سعيد بن يعقوب الدمشقي^(٢)

هو من متقدمي الأفاضل ونقّلة كتب الأوائل ، ومن له سبق في ذلك حين ابنه وثابت بن قرة الحرّاني .

وقال : ترجمتُ من كلام فيلسوف : إذا طيرت وقَعَت قريباً . والمتواضع من طلاب العلم أكثرهم علماً ، كما أن المكان المنخفض أكثر البقاع ماءً .

وأيضاً : أنسُ الأنسِ يُذهِبُ بوحشة الوحدة ، ووحشة الوحدة تُذهب بأنس الجماعة .

وأيضاً : متّعُ الحافظ خيرُ من عطاء المُضَيِّع .

وأيضاً : الرجالُ يفيدون المال ، والمالُ يفيد الرجال .

وأيضاً : إذا أبصرت العينُ الشهوةَ ، عَمِيَ القلبُ عن الاختيار .

وأيضاً : مَنْ نظر إلى الموت (٩٤ أ) بعين أمله رآه بعيداً ، وَمَنْ نظر إليه بعين عقله وجده قريباً .

وأيضاً : لا تتلبّس بالسلطان في أوقات اضطراب الأمور عليه ، فإن البحر

(١) لم يورد انساوي في مختصره من هذا الفصل غير ٦ أسطر .

(٢) عينه الوزير علي بن عيسى رئيساً لبيمارستانات في بغداد سنة ٣٠٢ هـ (سنة ٩١٤ م) . راجع عنه ابن أبي أصيبعة ج ١ ص ٢٠٥ ، ٢٣٤ .

لا يكاد راكبه يتسلم في حال سكونه ، فكيف مع رياحه واضطراب أمواجه !
وأيضاً : العقل صفاء النفس ، والجهل كدرها .

وأيضاً : إن الله أضاف إلى كل مخلوق ضده ليدل على الانفراد له وحده .

وأيضاً : كرم الله لا ينقض حكمه ؛ ولهذا لم تنفع الإجابة لكل دعوة .

وأيضاً : للطالب المنجح لذة الإدراك ؛ وللطالب المحقق راحة اليأس .

وأيضاً : كما لا يثبت المطر الشديد في الصخر ، كذلك لا يتضع البليد بكثرة التعلم .

وأيضاً : مَنْ صَحِبَ السلطان فليصبر على قسوته كصبر الملاح على ملوحة البحر .

وأيضاً : العالم يعرف الجاهل ، لأنه كان مرةً جاهلاً ؛ والجاهل لا يعرف العالم لأنه لم يكن قط عالماً .

وهذه كلمات متثرات من أمثال اليونانية

ترجمة أبي عثمان

قال : اعجل إلى الاستماع ، وترسل في الجواب .

اجتنب الشرار يمتنبوك

الاستحياء قد يكسب صاحبه الوزر أحياناً

كل شيء يألف جنسه ، والإنسان يألف شكله .

مَنْ منع نفسه فلانما يجمع لغيره

التمس الأنصار قبل الحرب ، والطبيب قبل المرض

لا تعطين سلاحك غيرك ، فيحاربك به

لا تجعل للماء سبيلاً إليك ، فيغمرك ؛ ولا للمرأة دالة عليك ، فتركبك .

كل جرح ولا كجرح الفؤاد ؛ وكل شرّ (و) لا كشرّ المرأة
ضربة العضا تجرح البدن ؛ وضربة اللسان تحطم العظام
قتل السلاح كثير ، ولا كقتل اللسان .
زِنْ متطّلك (٩٤ ب) كما ترن ذهبك
سوء العيش الثقلة من منزل إلى منزل
مع الغربة الذلّة

لا غنى يعدل صحّة البدن ؛ ولا سرور يعدل سعة الصدر
المال للجاهل وبالّ عليه

لا تَكُنْ نهماً على طعامك ، فتُمتَق ؛ ولا جليداً على الشراب ، فتهلك
مَنْ لم يجربْ فقليلٌ ما عَلِمَ . وَمَنْ جَرَّبَ فقد استَكْرَمَ من العلم
بش الصديقُ صديقٌ يحضرك عند السراء ، ويهجرك عند الضراء
مَنْ مَلَكَ لسانه نجا من الشرّ

وقال أبو عثمان : يحتاج في كل شيء من الخير إلى خلتين ^(١) : النائي
لاكتسابه ، والصواب في استعماله .

أظهر للناس حُجَّتَكَ فيما تعمل به وإن لم يكن عليك رقيب .
أخطير ببالك السوط للدواب وأشياء الدواب ، والكلام والمواعظ للناس .
تأمل الناس خيرك خيراً لك من خوفهم نكالاً . شناعة العيب في الرجل
النبيل كشناعة الخرق في الثوب الفاخر .

محمد بن الجهم

قال : مَنْ أَفْنَى من العلوم نُنْفِها ، وَمِنْ الْحِكَم طُرْفُها ، فقد أحرز
عيونها وادّخر مكنونها .

(١) ك : خلتين .

(٢) لم يورد السوي في مختصره لهذا الفصل غير ٢٥ سطراً ، وأسقط الفصلين التاليين : محمد بن
الجهم ، وشهد بن الحسين .

وقال : من العلم ألاّ تحقّر شيئاً من العلم ؛ ومن العلم تفضيل كسل
عالم .

وقال : صَفَّ عقلك بالمناظرة ، واصقل صدأ ذهنك بالمذاكرة .

وقال : علم عدم البرهان كلسان عدم البيان .

وقال : لا يكون المرء عالماً حتى يكون منه خمس خصال : غريزة محتملة
للتعلم ، وعناية نامّة ، وكفاية قائمة ، واستنباط لطيف ، ومعلّم ناصح .

وقال : إذا غشيني النعاس في غير وقت نوم - وبئس الشيء : النوم
الفاضل عن الحاجة - تناولتُ كتاباً من كتب العلوم ، فأجد اهتزازي للفوائد
منه (١٩٥) كالأريحية التي تعتريني عند الظفر ببعض الحاجة . والذي يفشى
قلبي من سرور الاستبانة وأنس التبيين أجده أشدّ إيقاظاً لي من نبيت الحمار
وهدة الهدم وصوت الرعد .

٩٧

شهاب بن الحسين (١)

قال في كتاب : « تفضيل لذات النفس - (التي) هي لذات بالحقيقة -
على لذات البدن التي هي إذا حصلت آلام » - قال :

أحد الفضائل التي تفضل بها لذات الأنفس على لذات الأبدان : الدوام
والاتصال . وذلك أن لذة النفس - بما تقتنيه من سرور بوجود مطلوبها من الحكمة
والعلم ، ويبقى يفضلها على غيرها دائماً - متصلة لا تفاد لها ولا انقطاع . وأما
لذة البدن بوجود القوة الحساسة محسوسها فمتنقضية زائلة سريعة التبدل
والاستحالة .

(١) ذكره ابن السديم في « الفهرست » (ص ٢٩٩ ، فلوجل) هكذا : « يكنى أبا الحسن .
يجري مجرى فلسفته (تفسير يهود إلى محمد بن زكريا الرازي) في العلم . ولكن لهذا الرجل
كتب مصنفة » ، وبينه وبين الرازي مناظرات ، ولكل واحد منهما نقوض حل صاحبه .

والثاني : الانتهاء ووجود الغاية : فإن النفس كلما تحركت في وجود مطلوب لها فأدركته مرةً انقضى تنبُّعها وتمَّ فعلها وفرغت من شغلها . وأما البدن فكلما انقضى وطره من محسوس له يلتذّ به تعلل بما نال من اللذة وعادت الحاجة إلى ما كانت . فالحركة دائمة ، والحاجة إلى أبد الأزمنة . والانتهاء إلى غاية - تكفي وتُغني عن ذلك الشيء بعينه - معدوم .

والثالث : القوة والازدياد : فإن النفس كلما استفادت فضيلةً من فضائلها واقتضت لذةً من لذاتها ، قويت به على نيل مثلها والازدياد مما هو أفضل منها . فأما البدن فإنه كلما نال محسوسه الملتذّ به أكثر ، كانت قوته على نيل مثله وما هو أفضل منه في جنسه أضعف .

والرابع : التمام ، فإن النفس كلما تزيدت (٩٥ ب) في فضائلها وقنيتها صارت إلى تمام طبع الإنسانية . فأما البدن فإنه كلما ازداد استهتاراً باللذات المحسوسة ، وانهماكاً فيها ، زادت لذته بالقوة البهيمية التي في الإنسان وبعده^(١) من تمام طبعه وشرائط إنسانيته .

أبو الحسن محمد بن يوسف العامري (٢)

تفلسف بخراسان . وقد قرأ على أبي زيد أحمد بن سهل البلخي ، وسيأتي ذكره في « تنمية صوان الحكمة » . وقصد بغداد وتصدّر بها وإن لم يترّض أخلاق أهلها . وعاد وهو فيلسوف تام . وقد شرح كتب الحكيم أرسطوطاليس وشاخ فيها .

(٥) أورد الساري في مختصره قبل الفصل الخامس بالعامري فصلاً عن أبي نصر الفارابي لم يوجد في سائر نسخ كتابنا هذا . وقد أتيته في المقدمة عند الكلام من مختصر الساري هذا .

(١) لك : م : بعته .

(٢) توفي سنة ٣٨١ هـ / ٩٩١ م .

وهذا فصلٌ من كتابه الملقب بـ « الأمدُّ على الأبد »^(١) ، ذكر فيه تصانيفه ، فأتيت به على وجهه . قال :

« وبعد ! فإن الله تعالى لما وفقني لتصنيف الكتب المفضلة في إيضاح المعاني العقلية ، قصداً لمعونة ذوي الألباب على تعزيز المعالم النظرية ، ويَسرِّي التآليف في « الإبانة عن علل الديانة » وفي « الإعلام بمناقب الإسلام »^(٢) ، وفي « الإرشاد لتصحيح الاعتقاد » وفي « النسخ العقلي والتصوِّف المِلِّي » ، وفي « الإتمام لفضائل الأنام » ، وفي « التقرير لأوجه التقدير » وفي « إنقاذ البشر من »^(٣) الجبر والقَدَر » ، وفي « الفصول البرهانية للمباحث النفسانية » وفي « فصول التأدب وأصول التحشُّب » ، وفي « الأبصار والأسرار » وفي « الإفصاح والإيضاح » ، وفي « العناية والدراية » ، وفي « الأبحاث عن الأحداث » ، وفي « استفتاح النظر » ، وفي « الإبصار »^(٤) والمبصر » ، وفي « تحصيل السعادة من الحصر والأسر » ، وفي « التبصير لأوجه التعبير » — وغيرها من المسائل الوجيزة (٩٦ أ) وأجوبة المسائل الدينية المتفرقة وشرح الأصول المنطقية وتفسير المصنفات الطبيعية ، وما استتبَّ لي تأنيفها بأسامي الأمراء والرؤساء بالفارسية — ووجدت هذه المؤلفات متشرة في البلاد ، مقبولة عند أفاضل العباد . ثم علمت أن معرفة الإنسان بحاله بعد موته وعُنْيَبِ مفارقة روحه لجسده إلى أن يحشر في القيامة ، ويبعث في النشأة الأخيرة مما لا يعذر الغافل في جهله ،

-
- (١) منه نسخة مخطوطة في المكتبة السليمانية باستانبول في المجموعة رقم ١٧٩ ، ويقع في ٣٤ ورقة ؛ وقد ورد في آخر النسخة : « فرع من تصنيفه بيخاري في شهور سنة خمس وسبعين وثلثمائة » .
(٢) منه نسخة خطية في المجموع رقم ١٤٦٣ في مكتبة واضب باشا باستانبول ، في ٢٨ ورقة (من ورقة ١ - ٢٨) ، وتاريخ نسخها في شهر المحرم سنة ١٠٢٥ هـ .
(٣) منه نسخة خطية في مكتبة جامعة برنستون برقم ٤ ، وفي ٥١ صفحة .
(٤) منه نسخة خطية في مكتبة جامعة برنستون بالولايات المتحدة الأمريكية (فهرست فيليبس) برقم ٢١٦٣ في ٢٥ صفحة ..
(٥) منه نسخة خطية في الخزانة النجديّة بدار الكتب المصرية تحت رقم حكمة ٩٨ ، ويقع في ٢٤ صفحة .

ويستحب أن يوقف على كنهه ، وليس يوجد لطبقات المصنفين كتاب يتضمن تحقيق هذا الفن . وقد كثرت فيه شُبُهات الملاحدين واعتراضات الطبيعيين وشكوك المتكلمين ومطاعن أعداء الدين - استخرت الله تعالى في تصنيف مجرد لنعته مؤيد بالأدلة الواضحة الصادقة عليه . وسميته كتاب « الأمد على الأبد » . ونحريت فيه ثواب الأحد الصمد جلّ وعلا . وجعلته مفصلاً ليقف الناظر بفهمه على تأمل كل فصل منه على حدته ، ولا يتجاوز به إلى الذي يتلوه إلا بعد الإحاطة بمضمونه » .

وقال في آخر الكتاب المسمى : « النسك العفلي » :

« من الواجب أن يُعلم أن غاية الأدب أن يستحي الإنسان من نفسه . فإن كمال المروءة أن لا يكون في الإنسان خبيثة لو ظهرت استحبها منها » .

وقال أيضاً : « شاهد البهيمي الحسُّ ، وشاهد المنظمي العقل » . وليست الفضيلة في حُسْن العيش ، بل في تدبير العيش . والانفصال من الشرّ بدءٌ مفتتح الخير . وما يفعله الجاهل أخيراً يفعله العاقل أولاً . وحيث لا عفة ولا عقل (٩٦ ب) فهناك البهيمية المحضة . والعقل يضجر عند محاورة الجاهل . وكفى للهوى ذلاً أن لا تساكنه الحكمة . ومن استعمل الصلف والاغترار فقد فسد خلقه . النطق من استفرغ أيامه لآداء ما خلق له . والمغبوط من كُفّي الاهتمام بما يشغله عن الخير المطلق . والحمية أن تدع أبداً في الشهوة بقية . ومن قلل القنية قلّت مصائبه . والمؤيد لعقله يبادر إلى إصلاح ما يخاف التائب عليه . ولن يرفع الشريف درجة في الظاهر عند الناس إلا حط بقدره من نفسه في الباطن عند الله . ولا نصر في عمر لم يكن خالصاً لطاعة الله تعالى الذي له الخلق والأمر . مراتب التعرف للذات بحسب المبدأ أربع مراتب : ان يعرف ما هو ، ومن جاء به ، ومن ماذا جيء به ، وكيف كان مجيؤه . فأما تعرف الذات بحسب الغرض إلى الغاية فهو أيضاً أربع مراتب : وهي أن يعرف لماذا هو ، وكيف السبيل إليه ، وما الذي يحتاج إليه في التوجه نحوه ، وما الذي

يعوقه عن بلوغه . من سؤس العقل الصريح المعرفة بين الحسن والقيبح ، ثم السكون إلى الحسن والنفور عن القبيح . إلا أن الشيء متى كان مُفْطِطاً في الحسن فإنه يبهر العقل الجزئي ، فلذلك يحتاج فيه إلى التدريج إليه ثم التمرين عليه . ليس ينتفع بسبابة الشيء إلى الكمال إذا لم يحفظ عليه . ولن ينتفع بالحفظ عليه إذا لم يصبر ذاته بنفسه مستحفظاً لطباعه على إخلاص كماله وما لم يصبر آمناً من طرآن الآفة المغيرة له منه . ولن ينتفع بالأمن منه إذا لم يكن الأمكن أديباً على الإطلاق .

وقيل (٩٧ أ) له لما عاد من بغداد : كيف رأيت الناس بها ؟ قال : رأيت عندهم طُرفاً ظاهرة وشارة معجبة ومراة معشوقة . لكنني رأيت من وراء ذلك سخفاً غالباً ، ووداً فاسداً ، واستحقاراً لأهل خراسان وجميع البلدان . وأصلح ما يتفق للإنسان أن تكون طبيئته مشرقية ، وصورته عراقية ؛ فإنه بهذا يصير جامعاً بين منانة خراسان وطُرف العراق ، مفارقاً لبلادة خراسان ورعونة العراق .

وكان أبو الحسن قريح القلب من أخلاق العراقيين ، فإنهم سلخوه وفسخوه وهجروا معه الإنصاف ؛ فضلاً عن الاسعاف .

وقال في بعض كتبه في صفة الباري : « ظهوره مَنَع من إدراكه ، لا خفاؤه . انظر إلى الشمس هل مَنَعَكَ من مقابلة قرصها إلا سلطان شعاعها وانتشار نورها . ! »

(*) لم يورد النسائي من هذا الفصل غير ١٨ سطرأ .

أبو سليمان محمد بن طاهر بن بهرام السجزي^(١)

كان قديم الدرس للفقه أيام الشيعة ، متمسكاً بطريقة المغاف والساد . وكان يتناول من الشراب المختلف فيه تناولاً على أنه حنيفي المذهب .

صحب أبا جعفر بن بابويه ملك سجستان . وقال أبو حيان : رأيت أبا سليمان السجزي في المنام كأنه غائص في النور : على خير سحناته التي كنت أراه في حياته عليها . فقلت : « يا سيدي ! إذا كنت من الهيولي والصورة ، فكيف أصير مع إحداهما وأترك الأخرى ، وأنا بهما أنا ، ومنهما أنا ؟ » فقال لي : « كما تصير مع أبيك ، وتهرب من أمك ، لعلمك بأن أباك أقوم بسياستك ، وأهدى إلى مصلحتك ، وأعرف بالعائدة عليك ، وأنظر لك في جميع أحوالك . » قلت : « صدقت يا سيدي ! إلا أنني بالهيولي أكثر » . قال : « أنت بالهيولي أكثر (٩٧ ب) طيناً ، وبالصورة أكثر عقلاً . وقليل القوي أجدى من كثير الضعيف . فكيف كثير القوي مع قليل الضعيف ؟ ! »

وقال : حكى أيضاً مرة ببغداد سنة سبعين قال : رأيت يحيى بن عدي في المنام ، فقال لي : سعدت يا أبا سليمان ! إني رأيت أرسطوطاليس في المنام فقلت له : يا حكيم العالم ! بم سررت في حالك ؟ فقال : بإرادة الخير في السر والملاية ، للصالح والطالح ، في الغضب والرضا ، على السرمد . قال : فقلت : بيم نلت هذا ؟ قال : معرفة الإله الذي هو سبب كل خير . وكنت في العلة التي ذكرها أسمع أشياء في نعت الإله عز وجل . وكانت تروقي وبشتد بها إعجابي . وكنت أرى أنني قد ثقفتها ووعيتها وحاولت مراراً أن

(١) راجع عنه « الفهرست » لابن النديم ص ٢٦٤ ، فلوجل ١ وابن الفطحي ٢٨٢ - ٢٨٣ ؛ ابن أبي أصيبعة ج ٢ ص ٢٢١ ؛ البيهقي : « تنقيح صوان الحكمة » ٧٤ - ٧٥ ؛ محمد خان قزويني : « أبو سليمان منطقي بختي » ، ما تم في القرن الرابع الهجري (بالفرنسية) منشورات الجمعية الافريقية ، شارلون على نهر اتسون ، سنة ١٩٣٣ ؛ « مجلة المجمع العلمي العربي في دمشق » ج ٢ ص ١٩٢ وما يتلوها ؛ Islamica ج ٤ ص ٥٣٤ - ٥٣٨ .

أكتب فأقول : كيف أكتب ويدي لا تطاوعني ضعفاً . وبعد ، فما الحاجة إلى كتابتها وقد عرفتھا . وكنت أعق ذلك بإعادي في تلك الحال التي كانت تعاقب ذلك الدهول والفرق بشرارة العلة واحتدادھا . ولما أبليت ، فقدت ذلك كله ، وبقي معي من عرض ذلك قول ، وهو أنه قبل لي أن تنوق احد حلاوة الفلسفة الأولى وإن كان راضياً عن نفسه بفضلہ ، مرضياً عند إخوانه بأدبه ، حتى يسمع باللفظ ما له حد ، ويبد بالعقل ما لا حد له . وكنت أرى أن الذي سمعته كان أبسط من هذا وأشد تنقحاً . إلا أني حصلت ما كتبته لك . سمعت قائلاً يقول : طيب يا هذا بيتك الذي أنت ساكنه حتى تنعم ، ولا يجاورك فيه من لا تأمن غائلته . فزدت بعد ذلك حتى يسلم . وسمعت أيضاً : ما أسهاك عن مبدئك ، وأغفلك عن آخر حالك ، وما أجلبك للفساد ١ (٩٨ أ) بين هذا وذاك .

والبقظة - حاطك الله - في هذا الباب بالسواغ والخواطر ليست بدون المنام ، إذا كانت تنفس اليقظان يقظتي ، وكانت نزيهة عن الخبث والقذى . ولكن المنام أعرف ، والإنسان عليه أحرص ، لأنه كالميزان الذي نصبته . والبقظة كالشيء المكسوب بالعناء . والولوع بالرؤيا على قدر ذلك .

ولما قدم الأستاذ ابن العميد بغداد سنة أربع وستين ، سأل عن أبي سليمان . ووجه من يحرّكه إليه نزيارته وغشيان مجلسه ، فأبى وقال : إن فيلسوفاً من يونان دعاه ملك من ملوكهم إلى مثل ذلك فاستعفى من الحضور . فقيل له : لم قلت ذلك ؟ فقال : إن الملوك يعرض لهم ما يعرض لمن بصر بصورة . فإنه ما دام يراها من بعد فهو يتعجب . فإذا دنا منها لم يَر موضع تعجب . ثم قال : إن السامع للحديث من يذكر يقني بسمعه صورة عقلية نقيّة شريفة بهيّة . فإذا ابتذل البصر ذلك المذكور حطّه إلى الصورة الطبيعية . والصورة الطبيعية في المشائخ وأهل الفضل محطوة عن الصورة العقلية . فيعرض للنّاظر إلى من يسمع به ما يحدث فيه زرابية ، إلا أن يكون هذا الجامع بين السمع والبصر

عارفاً بهذا السرّ ، مشرفاً على هذا الغيب فلا يكثرث لما يحدث له البصر ولا يلتفت إليه . ويثبت على الصورة الأولى التي استفادها بالسمع ويجعل وكده (١) البحث عمّا أبصره : هل هو في وزن ما سمع به ، أو هو دون ذلك ، أو فوق ذلك ؟ فإن هذا البحث يشعر له غابة ما يحتاج إليه ونهاية ما ينتفع به .

وخرج أبو سليمان يوماً ببغداد إلى الصحراء في بعض (٩٨ ب) زمان الربيع قصداً للتفرّج والمؤانسة مع عدة من أصحابه ، وفي جملتهم صبيّ دون البالغ ، جهمّ الوجه ، بنيفض المحبّ ، شتم المنطق ، لكنه مع هذه العورة يترنّم ترنماً ندياً عن جرم ترف وصوت شجّ ونغمة رخيمة وإطراف حلو . وكان معه جماعة من ظرّاف المحلّة وفتيان السكّة ليس فيهم إلّا من تأدّب تأدّباً يليق به ويغلب عليه فلما تنفّس الوقت ، أخذ الصبيّ في فنه وبلغ أقصى ما عنده ، فترنح أصحابه وتهادوا وطرّبوا . قال أبو زكريّا (٢) الصميري : قلت لصاحب لي ذكي : أما ترى ما يعمل به شجا هذا الصوت ونديّ هذا الحلق وطيب هذا اللحن وتفنّن هذه النغم ؟ فقال لي : لو كان لهذا منّ يخرجّه ويعني به يأخذه بالطرائق المؤلّفة والألحان المختلفة : لكان يُظهِر آيةً ، ويصير فتنة ، فإنه عجيب الطبع ، بديع الفن ، غالب الدنّف (٣) والتّرف . فقال أبو سليمان فلتة : « حدثوني على ما كنتم فيه — عن الطبيعة لِمَ احتاجت إلى الصناعة ، وقد علمنا أن الصناعة تحكي الطبيعة وتروم اللحاق بها والقرب منها على سقوطها دونها . وهذا رأي صحيح ، وقولٌ مشروح . وإنما حككتُها وتبعت رسمها وقصت أثرها لانحطاط رتبها عنها . وقد زعمت أن هذا الحدث لم تكفّه الطبيعة ولم تُغنّه ، وأنها قد احتاجت إلى الصناعة حتّى يكون الكمال مستفاداً بها ومأخوذاً من جهتها والغاية مبلوغة بمعونتها وإمدادها . فقلنا له : ما ندري ! وإنها لمسألة .

(١) ك : م : ويحده البحث عن البصرة .

(٢) ك : الصميري . م : الصميري .

(٣) ك : الدنّف . وكلتاها غير واضحة .

قال : ففكروا . فعُدُّنا له رقلنا : (٩٩ أ) إِنَّا قَدْ بَلَغْنَا ^(١) ، فلو متت بالبيان ونشطت لنشر الفائدة ، كان ذلك محسوبا في قبض أباديك وخرَّ فضائلك .

فقال : إن الطبيعة إنما احتاجت إلى الصناعة في هذا المكان ، لأن الصناعة هاهنا تستملي من النفس والعقل : وتُملِّي على الطبيعة . وقد صبح أن الطبيعة مرتبتها دون مرتبة النفس والعقل ، وأنها تعشق النفس وتقبل آثارها وتمثل أمرها وتكفل بإكمالها وتعمل على استعمالها وتكتب بإملائها وترسم بألقابها . والموسيقى حاصل النفس وموجود فيها على نوع لطيف وصنف شريف . فالموسيقار ، إذا صادف طبيعة قابلة ومادة مستجيبة وقرينة موائية وآلة متقادة — أفرغ عليها بتأييد العقل والنفس لبوساً موفقاً وتأليفاً معجباً ، وأعطاه صرورة معشوقة وحلية مرموقة . وقوته في ذلك تكون بمواصلة النفس الناطقة . فمن هاهنا احتاجت الطبيعة إلى الصناعة لأنها وصلت إلى كمالها من جهة النفس الناطقة بوساطة الصناعة الحاذقة التي من شأنها استملاء ما ليس لها وإملاء ما يحصل فيها ، استكمالاً بما يأخذ وإكمالاً لما يعطى .

فقال له البخاري — وكان من تلامذته — : ما أشكرنا لك على هذه الصلوات السنية ، وما أحمدا لله على ما يهب لنا بك من هذه القوائد الدائمة . فقال هذا : « بكم اقتبستُ ، وبمجركم قدحتُ ، وإلى ضوء فاركم عشوت . وإذا صد ضمير الصديق للصديق أضاء الحق بينهما واشتمل الخبير عليهما (٩٦ ب) وصار كل واحد منهما ردهاً لصاحبه ، وعوناً على قصده ، وسبباً قوياً في نيل إرادته ودرك بغيته . ولا عجب من هذا ، فالنفوس تتقادح ، والعقول تتلاقح ، والألسنة تتفانح . وأسرار هذا الإنسان ، الذي هو العالم الصغير في هذا العالم الكبير ، حجة واسعة منبئة . وإنما يحتاج الناظر في هذا النمط إلى عنايته بنفسه في طلب مساعده ورعايته لحاله في السلوك إلى غايته ، غير عالٍ على زهرة العين

(١) يلح الرجل بلوحاً (من باب فتح) : أعيا وعجز . قال الأعشى : واشتكى الأوصال منه وبلغ .

ونضرة الحسن ولذة الوقت . فإنه بهذه المقدمات يصل إلى تلك الغايات ، ويجني تلك الثمرات ، ويجد تلك السكائن ^(١) مرتفعاً عن هذه الأقداء والقاذورات . وأول هذا الأمر وآخره بالله ومن الله .

اللهم طهر قلوبنا من ضروب الفساد ، وحسب إلى أنفسنا طرائق الرشاد ، وَكُنْ لَنَا دَلِيلًا ، وَبِنَجَاتًا كَفِيلًا - بِمَنِّكَ وَجُودِكَ الَّذِينَ مَا خَلَا مِنْهُمَا شَيْءٌ مِنْ خَلْقِكَ الْعُلُوِّ وَالسُّفْلِي ، وَلَا فَاتَا شَيْئًا مِنْ صُنْعِكَ الْخَفِيِّ وَالْجَلِيِّ يَا مَنْ الْكُلُّ بِهِ وَاحِدٌ ، وَهُوَ فِي الْكُلِّ مُوَحَّدٌ .

هذا ما خلص من هذا الاجتماع . وهو ظاهر الشرف ، أثبت ^(٢) به على لفتته فأشركني في استحسانه وقبوله ، وَكُنْ مَعِينًا لِي عَلَى طَلَبِ نَظِيرِهِ . فالتعاون على الخير والتناصر على البر من سيرة الغاضلين ، وعادة أهل التقى والدين .

أبو جعفر بن بابويه

ملك سجستان

قال أبو سليمان السجزي : كان الملك أبو جعفر قوياً في علم السياسة ، ثم تصرف في غيرها ببصيرة حسنة . وكان آخذاً نفسه بجوامع السياسة (١٠٠أ) مع المروءة الظاهرة والعفاف الغالب وضبط النفس عند عارض الهوى . فكان ينشد كثيراً . يتبين ويتعجب من صيحتهما وجودتهما وحسن نحتهما ^(٣) ويقول : لقد وفق هذا الشاعر ، ولا أقول إنه شاعر إلا من جهة النظم والوزن والقافية ،

(١) جمع : سكين .

(٢) الكلام هنا - فيما يظهر - لمختصر كتاب « صوان الحكمة » ، والفصل الخامس بأبي سليمان السجزي كله له .

(٣) بدون نقط في ك . م : بحسبهما ..

(٥) لم يورد الساجي في الفصل الذي عده لأبي سليمان في « مختصره » ، فبر ١٨ سطراً .

ولكن أقول : هذا الحكيم :

فَيَمْ يَتَّبِعْ نِعْمَةً بَعْدَ مَا مَضَتْ عَنْهُ وَلَمْ يَعْطَلْ وَعِيدًا وَلَا وَعْدًا
هُوَ لَهُ عَبْدٌ وَلَا يَكْمَلُ الْفَنَى إِذَا لَمْ يَكُنْ يَوْمًا هَوَاهُ لَهُ عَبْدًا

وكان يحفظ من كلام اليونانيين ونواديرهم وسيرهم وأحوالهم ما لم أرَ
أحدًا عليه. وكان يقول : هذه قراضات الذهب ، وكالتبر الذي لم يُسَبِّكَ بعدُ .
وكانت تعجبه نوادر اليونانيين ويقول : إن قومًا هذه فكاهتهم ومؤانستهم
واسراحتهم — ماذا يظن بهم إذا أخذوا في الجلد ، واعتصروا قوى غرائزهم
بالقصد ؟ !

ثم قال : إني لأستحسن شيئًا حكيم عن ذيغفراطيس ، قال : السابح في
بحرنا لا ساحل له إلا هو .

وكان يحفظ جسيع النمر التي لأرسطوطاليس في السياسة مما كتب إلى
الإسكندر وما شافه به .

قال • : وكان يقول : قد انتهى الزمان إلى أمر من خارج من جميع ما رسمه
ذلك الحكيم لذلك الملك ، وذلك أن الناس قد خلعوا ربقة الدين الجامع للخيرات
(في) العاجل والآجل ، ونبذوا عهد العقل الناظم لصالح العامة والخاصة ،
وحلّوا ^(١) ولباط الحياء الذي يكون به التمتع من الفئ والتسرّع إلى الرشد . وإن
زمانًا ينسلخ أهله من شعار الدين وحلية العقل ورباط الحياء لغاية في الفساد ،
وما (١٠٠ ب) أعرف دواءً إلاّ السيف المالحق .

قال • : وما أحسن ما قال زياد ^(٢) — وكان من رجال العرب : لنـد

(١) لك : جعلوا .

(٥) أي أبو سليمان فيينا يرويه عن أبي جعفر بن بابويه .

(٢) أي زياد بن أبيه .

فسد الناس فساداً لا يصلحهم إلا سيفٌ قاطع وموط واقع وسجن قابع .
قال (١) : وأنا أنفي قسبين من هذا الكلام ، فإن الشر قد غلب على كل من
أكل الطعام . والسلام .

وقال أبو سليمان : سألت الملك أبو جعفر ليلة جماعة عنده ، منهم
الاسفزارى وابن حبان وطلحة وأبو تمام وغيرهم : لِمَ يقال في شائع الحديث
أصدق الحديث ما عطس عنده ؟ فسكتوا ، ثم قالوا : ما عندنا فيه شيء ، لأن
هذا من آثار الطبيعة ، وهو نابع للأخلاق وما يزيد منها وما ينقص . ومثل هذا
يبعد عن علّة تامّة حسنة . فقال : هذا كله نفاق وهرب . إن الطبيعة لها إنذار
بمثل هذه الأشياء بحسب اطلاع النفس عليها وتلويحها لها وسريان قواها منها
وإلقائها . ويمرّ ذلك بالطبيعة فتتقّى اهتزازاً له ، فيصير ذلك كالشاهد على
الشيء المزعج والأمر المتقبل . فإن لم يكن هذا على هذا ، فما انعقد وهم كل
سامع للعطس في عرض حديثه إلا على هذا ؛ وكأنّ النفس قد أومأت الاتفاق
الواقع إلى هذا الغرض . ثم يكون حقّ هذا في التأتّي ، وباطله على الزيادة
والنقصان ، والقوة والضعف .

قال : وكان يكثر من هذا الضرب فيما هو قائم من العامة ومعهود من بعض
الخاصّة .

وقال أفلاطون : الشرف ثلاثة : شرف النفس ، وشرف الحكمة ، وشرف
الآباء . وقال أبو سليمان : سمعت هذا من أبي جعفر الملك ، وقال معقّباً لروايته :
أما شرف النفس فإنه يقضي إلى بقائها ؛ وأما (١٠١ أ) شرف الحكمة فإنه يوضح
النسب إلى طلب هذا البقاء ؛ وأما شرف الآباء - وهو أحسن الثلاثة - فإنه
يزيد في قدر صاحبه زيادةً تفسده في باطن حاله بالكبير ، وتصلحه في ظاهر
حاله بالتوفر . وهذا الشرف الأخير بالاصطلاح والعادة . وأما الشرف الأوسط
فبالاجتهاد والاكتساب . وأما الشرف الأول فهو بالطبيعة ، أي بالواجب ، لأنّ

(٢) أي أبو جعفر بن بابويه .

شرف النفس لا يدخله الاصطلاح ولا يحدث بالاكتساب وإنما يظهر ما هو واجب بالاكتساب .

قال : فقلت له : يَهْنِكْ أيها الملك ، فقد جُمِعَ لك هذا كله . فأنت البائن بالفضل ، والفرد في الكمال ، والمشار إليه في العالم .

فقال : مَهْ يا أبا سليمان ! فلإني لا أواخذك بأن تغلط في وصفك ، ولكن أواخذك بأن تغلطني في نفسي بوصفك . ويكفي الإنسان أن يكون مغروراً من نفسه ، مفتوناً بفضله ، ساهياً عن رشده . وليس يحتاج إلى أن يكون صاحبه عليه ، بحميل الثناء ، خادعاً له بزخرف القول .

قال أبو سليمان : فحضرتُ عند كلامه هيبَةً له . فانتدب أبو تمام النسابوري فقال : أيها الملك ! إنا وإن انتهينا عمّا تنهانا عنه طاعةً لك وامثالاً لرسمك وطلباً للمكان عندك ، فإننا ننطوي من اجلالك وتعظيمك ومعرفة ما وهب الله لك ولأوليائك ورعيتك بك على ما لا يفسره بيانٌ ، ولا يشرحه وصف ، ولا يضمه فؤاد ، ولا يلمّ به وهم . ولو استعملنا الخطابة في نشر فضائلك على ما أوضحه أرسطوطاليس في كتاب «الخطابة» - لَكُنَّا (١٠١ ب) عند بلوغ الغاية والوقوف على النهاية أغبياءُ بُكْمًا ، لائحة لُكْنُنًا . وليس إذا عجزنا عن هذه القاصية حسنُ بنا أن نسكت عن تلك الدافية . دعنا ، أيها الملك ، حتى نثلث بوصفك ونشكر نعمة الله علينا بك ، ونستفيد نظمنا ونثرنا فيك . فقد أصبحت بلا ضد مطاول ، ولا عدو مناضل . وأوضحت مناهج الحكمة بعد دروسها ، ودعوت الناس إليها بعد نقورهم منها ، وجمعت حولك أبناءها وطلابها . ثم غمرتهم بإحسانك وطوّنتك ، معيناً على اقتباسها والتماسها . والله ما حملني وأبا سليمان على ما قلنا ملقاً ولا خداعاً ، لأن هذا ليس من هدينا وسيرتنا . ولو كان ذلك فينا وعندنا ، لكان علمنا بكساده عليك وسقوط متعاطيه عندك - بمنعنا من ركوب منامه وامتطاء ظهره .

فقال الملك أبو جعفر : تَهَيْتُ أبا سليمان عن شيء قليل ، فأنتيت بما

أوفى عليه . واققه ما أردتُ بما قلتُ إلاّ حسم ضراوة النفس على هذه الأشياء التي إذا وصلت إلى القلب عَشَشَتْ وفَرَّخَتْ . وصارت بصاحبها ^(١) إلى الفتنة ، لأن الإنسان عاشق نفسه . وكيف لا يكون عاشق نفسه وهو يجد بها كل لذة ، ويقضي بها كلّ وطر ، ويصل بها إلى كل هوى . وبهذا العشق واصلت النفس البدن ، وبه أطاع البدن النفس . ولولا هذا العشق ما اختلفت المتعاديات فيه ، وما اصطلحت المتنافرات له . وإن أمراً يورث في أصل الخلقة بالطينة والصورة والشكل والبنية ، ثم ينمى بالمشاكلة والمادة والإلف والزيادة ثم (١٠٢) يستحكم بالهوى والميل والمحبة والصبابة — لراسخ الأصل ، ممتدّ الفرع ، عريض الفضاء ، ظليل الظل . وإنما حُثِّنا على التماس الحكمة ، واکرهنّا على أحكام الشريعة لنعدل أنفسنا في هذا العشق الموروث ، ونسلك الطريق الظاهر ، فلا نجني على أنفسنا بالغلط فيها ، ولا نتمكنّ غيرنا من الجناية عليها بالخداع لها .

ونعود إلى كلامنا الأول فنقول : مَنْ عَدِمَ شرف النفس لم ينفعه شرف الحكمة ، لأن الحكمة لا تقلب الحمار إنساناً ، ولا تجعل الشيطان ملكاً ؛ ولكنها فنية للنفس ؛ وأريحية للروح ، وطمأنينة للقلب ، وأنس في الوحدة ، وطريق إلى الرشد . وسدّ بين الإنسان وبين النقي .

قال أبو سليمان : سمعت الملك يقول : كَتَبَ مَلِكٌ إلى ملك : إما فارسي إلى رومي ، أو رومي إلى فارسي : « بم انتظمت مملكتك ، واستقامت لك رعيتك ، وسلمت أطرافها لله ، وثبتت مقاليدها في يديك ؟ » فقال في الجواب : « بشماني خصال : لَمْ أَهْزَلْ في أمر ولا نهي ؛ ولا أَخْلَفْتُ وعداً ولا وعيداً قط ؛ وعاقبتُ للجرم لا للحقد ؛ وولّيتُ للغناء ، لا للهوى ؛ واستملت قلوب الرعية من غير كره ، وسهّلتُ الإذن من غير ضعف ؛ وعممت بالقوت ؛ وحسنت القبول » . فلما قرأ المكتوب إليه هذا الكلام قال : هذا كلام ينبغي أن يكتب بماء الذهب .

(١) ك : صاحبها .

قال أبو سليمان : لو فُرش هذا الكلام بلواحقه ، لخرج منه كتابٌ في السباسة . أما الحد الذي في الأمر والنهي حتى يجرنا على بابِه فهو الحد الذي منع من خُلُف الوعد والوعيد (١٠٢ ب) حتى ينتظمنا بما فيه . والحد الذي من أجله يقع العقاب للجرم ، لا للحد ، فهو الحد الذي به تقع التولية للغناء والكفاية ، لا للهوى والرغبة . وكذلك باقي هذه الخصال . فقد صار النظام مقطوراً على الحد في اللفظ والرأي والتنفيذ . وفي إثبات الحد رفض الهوى ومجانبة الهزل وترك الهوينا .

وقال أبو سليمان : سمعت أبا جعفر يقول : جوامع الشريعة تنظوي على تنبيه نفس فاضلة ، وزجر نفس قابلة ، وتأديب نفس جاهلة . ثم شرح أبو سليمان هذا فقال : الشريعة مصلحة بشرية بقوة إلهية . وقد تكون سياسة إنسية بقوة عقلية . وما عدا هذين الرسمين فهو زور . ثم تطيف بهذين الأمرين أشياء تقوى وتصلح وتنصر ، وأشياء في مقابلتها تضعف وتفسد وتخلل . ولولا هذه الأعراض التي تعترى ، والأحوال التي تعترض — لكان النسخ لا يرد ، والتبديل لا يقع ، لأن الطراوة كانت لا تزول ، والبهجة لا تحول ، والخلوقة لا تصل ، والتهمة لا تسح .

وقال : سمعته يقول في النفس : عكّلها ولا تضللها ، فإن تضليلها يحجب عنها ، وتعليلها يفتح عليها .

وقال : السماع يروز الوحدة إلى الحسّ بوساطة التأليف في الصناعة .

وقال أبو جعفر الملك : يا عجبا لمن قيل فيه الخير ، وليس فيه ، كيف يفرح ! يا عجبا لمن قيل فيه الشرّ ، وهو فيه ، كيف يغضب ! .

(هـ) لم يورد السامري في « مختصره » عن أبي جعفر بن بابويه غير « ٥٦ سطرأ » .

الاستاذ الرئيس أبو الفضل ابن العميد القمي

كان قد أوتي من الفضائل (١٠٣ أ) والمحاسن ما بهر به أهل زمانه حتى أذعن له العدو وسلم الحسود ، ولم يزاحمه أحد قط . زادت مشاهدته على الخبر عنه . فمن ذلك أنه أكتب أهل عصره وأجمعهم لآلات الكتابة : حفظاً للغة والعربية ، وتوسعاً في النحو والعروض ، واهتداءً إلى الاشتقاق والاستعارات ، وحفظاً للدواوين من شعراء الجاهلية والإسلام .

ولقد حدثني الأستاذ أبو علي أحمد بن محمد مسكويه ، قال : حدثنا الأستاذ أبو الحسن علي بن القاسم ، قال : كنت أروي ابني أبا القاسم القصائد العربية من دواوين القدماء ، لأن الأستاذ الرئيس كان يستنشد إذا رآه . فكان لا يخلو إذا أنشده من رد عليه في تصحيف أو لحن بما يذهب علينا .

قال : وكان يشق عليّ ذلك ، وأحب أن تصح له قصيدة لا يعرفها الأستاذ الرئيس ، أو لا يرد عليه فيها شيئاً . فأعيايني ذلك ، حتى وقع إليّ ديوان الكميت وهو مكثّر جداً . فاخترت له ثلاث قصائد غريبة ، ظنت أنها ما وقعت إلى الأستاذ الرئيس . وحفظته إياها ، وتوخيت الحضور معه . فلما وقع بصره عليه ، قال : « هات يا أبا القاسم أنشدني شيئاً بما حفظته بعدي » . فابتدأ بنشده . فلما استمر في قصيدة من هذه القصائد قال له : « قف ! فقد تركت من القصيدة عدة أبيات ! » ثم أنشده إياها . فخجلت خجلة لم أخجل مثلاً . ثم استزاد ، فأنشد القصيدة الأخرى فأسقط فيها كما أسقط الأولى ، واستدركه عليه أيضاً .

قال : فعلمت أن الرجل بحر لا ينزف : ولا يؤتي (١٠٣ ب) علي ما عنده . وكان أديباً كاتباً .

قال الأستاذ أبو علي مسكويه : فأما ما شهدته منه مدة صبحيني إياه — وكانت سبع سنين ، لازمته فيها ليلاً ونهاراً — فإنه ما أنشد قط شعراً لم يحفظ

ديوان صاحبه ، ولا غرّب عليه أحدٌ بشعر قديم ولا حديث ، ممن يستحق أن يحفظ شعره . وقد سمعته ينشد دواوين قوم مجهولين ، أتعجب من تعاطيه حفظ مثلها . حتى سأله يوماً وقلت : أيها الأستاذ ! كيف تفرغ زمانك لحفظ شعر هذا الرجل ؟ فقال : « فكأنك تظن أني أتكلف لحفظ مثل هذا ! إنما ينحفظ لي إذا مرّ بسمعي مرة » . - وقد صدّق . فإني كنت أنشده لنفسي الأبيات ؛ التي تبلغ عيدها أربعين وخمسين ، فيعيدّها بعد ذلك مستحسناً ، وربما سألتني عنها ويستنشدني شيئاً منها : فما أقوم بإعادة ثلاثة أبيات منتظمة على نسقٍ أحدٍ حتى يذكرّ منها ويعيدها . وحدّثني غير مرة أنه كان في حدائثه يحاطر رفقاءه والأدباء الذين كانوا يعاشره ، على حفظ ألف بيت في يوم وليلة .

وكان رحمه الله أنقلَ وزناً وأكبر قدرًا من أن يتزبد . فقلت له : وكيف كان يتأني لك ذلك ؟ فقال : كنتُ بشريطةٍ وهي أن يقترح عليّ من شعر لم أسمع به ألف بيت يكتب . وأحفظ منه عشرين عشرين ، وثلاثين ثلاثين ، أعيدها وأبرأ من عهدها .

فقلت : وما معنى البراءة من عهدها ؟

قال : لا أتكلف إعادتها بعد ذلك .

قال : وكنت أنشدها مرة ومرتين وأسلمها . ثم اشتغل بغيرها (١٠٤ أ) حتى أفرغ من الجميع في اليوم الواحد .

وأما كتابته فمعروفة من رسائله المدوّنة . ومن كان مرسلاً ، لم يخف عليه علوّ ضبطته فيها . وكذلك شعره الذي جدّ فيه وهزل ، فإنه في أعلى درجات الشعر وأرفع منازلها . فأما تأويل القرآن وحفظ مشكله ومتشابهه والمعرفة باختلاف ^(١) قرآء الأمصار فكان منه في أرفع درجةٍ وأعلى مرتبة .

ثم إذا ترك هذه العلوم وأخذ في الهندسة والتعاليم ، فلم يكن يدانيه فيها

(١) ك ، م : باختلافه معها الأمصار (!) .

أحد - والمنطق وعلوم الفلسفة والإلهيات منها خاصة . فما جَسُرُ أحد في زمانه أن يدعيها بحضرته إلا أن يكون مستفيداً أو قاصداً قصد التعلم ، دون المذاكرة .

وقد رأيت ^(١) بخدمته أبا الحسن العامري ، وكان ورد من خراسان وقصد بغداد وعاد ، وعنده أنه فيلسوف تام . وقد شرح كتب أرسطوطاليس وشاخ فيها . فلما اطلع على علوم الأستاذ الرئيس - رضي الله عنه ! - تحير . وكان قليل الكلام نزر الحديث إلا إذا مثل ووجد من يفهم عنه ، فإنه حينئذ ينشط ، ويُسمع ما لا يوجد عند غيره مع عبارة فصيحة وألفاظ متخيرة ومعانٍ دقيقة ، لا يتجسس فيها ولا يتلتمس .

ثم رأيت بحضرته جماعة ممن ^(٢) يتوسل إليه بضروب من الآداب والعلوم . فما أحدٌ منهم كان يمتنع من تعظيمه في ذلك الفن الذي قصده به وإطلاق القول بأنه لم ير مثله ولا ظن أنه يُخلَق .

وكان رحمه الله لحسن عشرته وطلبارة أخلاقه ونزاهة نفسه إذا دخل إليه أديب أو عالم أو مفرد (١٠٤ ب) بفن ، سكت له وأصغى إليه واستحسن كل ما يسمعه منه ، استحياءً من لا يعرف منه إلا مقدار ما يفهم به ما يورد عليه . حتى إذا طاوله وأنت الشهور والنون على محاضرتك ، وانفق له أن يسأله عن شيء أو يجري بحضرته نُبِدَ منه فرغب إليه في إتمامه - تدفق حينئذ بجره ، وجاش خاطره ، ويَهَبُ من كان عند نفسه بارعاً في ذلك المعنى . وما أكثر ما خجل عنده المعجبون بأنفسهم ! ولكن بعد أن يمد لهم في الميدان ، ويرضي من أعتهم ، ويمسك عنهم مرة ، حتى ينفد ما عندهم ، ويجزل لهم العطاء منه .

فهذه كانت مرتبته في العلوم والآداب المعروفة .

(١) ك ، م : رأيت .

(٢) ك ، م : من .

ثم كان يختص بفرائب من العلوم الغامضة التي لا يدعيها أحد ، مثل علم الحيل الذي يحتاج فيه إلى أواخر علوم الهندسة والطبيعة ^(١) والحركات الغريبة وجر الثقل ومعرفة مراكز الأثقال وإخراج كثير مما امتنع على القدماء ، من القوة إلى الفعل ، وعمل آلات غريبة لفتح القلاع ، والحيل على الحصون ، وحيل في الحروب مثل ذلك ، واتخاذ أسلحة عجيبة وسهام تنفذ أمداً بعيداً ، وتؤثر آثاراً عظيمة ، ومرابا ^(٢) تحرق على مسافة بعيدة جداً ، ولطف كف لم يسمع بمثله ، ومعرفة بدقات علم ^(٣) التصاوير وتعاط له بعيد . ولقد رأيت يتناول ^(٤) من مجلسه — الذي يخلو فيه بثقائه وأهل مؤانسته — التفاحة وما يجري معها — فيعيب بها ساعة ثم يدحرجها إلى أحدهم ، فإذا تأملها وجد عليها صورة وجه قد خطها بظفره ، لو نعتد لها غيره بالآلات العُدّة (١٠٥ أ) وفي الأيام الكثيرة ما استوفى وثائقها ولا يأتي مثله .

فإذا حضر المعارك وباشر الحروب فلأنما هو أسد في الشجاعة لا يطاق ، ولا يصعطي نهاره ولا يدخل في غاراه ، ولا بتاديه ولا يبارزه بتقل . هذا مع ثبات جأش وحضور رأي وعلم بمواضع الغرض وبصر بسياسة المعسكر والجيش ، ومعرفة بمكاند الحروب .

فأما اضطلاحه بتدبير الممالك ، وعمارة البلاد ، واستغزار الأموال — فقد دلت عليه رسائله ، ولا سيما رسالته إلى محمد بن هندو ، التي يجيز فيها باضطراب أمر فارس وسوء سياسة من تقدمه لها ، وما يجب لها ، وما يجب يتلافى بها ، حتى تعود إلى أحسن أحوالها . فإن هذه رسالة تتعلم منها صناعة الوزارة ، وكيف تتلافى الممالك بعد تناهي فسادها ، وما منعه من بسط العدل

(١) لك : والطبيعة ..

(٢) لك ، م : مرآى . . جميع الخراف : سر ، وسرايا .

(٣) هذا شهر مهم فيما يتصل بتاريخ فن التصوير في الإسلام .

(٤) لك ، م : يتناول .

في ممالكه وعمارة ما يدبره منها . إلا أن صاحبه ، ركن الدولة ، مع فضله على أقرانه من الديلم ، كان على طريقة الجند المتغلبين ينغم ما يتمجل له ولا يرى النظر في عواقب أمره وأمور رعيته . وكان يُفَسِّح لجنده وعساكره ، على طريق مداراتهم — ما لا يمكن أحداً تلافيه وردهم عنه — ولكنه — رحمه الله — لما حصل بفارس ، علّم عضد الدولة وجوه انتدابير السديدة وما تقوم به الممالك وصناعة الممالك التي هي صناعة الصناعات . ولقنه ذلك تلقيناً . فصادف منه متعلماً تلقيناً وتلميذاً فهماً حتى سمع من عضد الدولة مراراً كثيرة أن الأستاذ أبا الفضل ابن العميد كان أستاذنا ؛ وكان لا يذكره في حياته إلا بـ « الأستاذ » (١٠٥ ب) الرئيس . ولا يحفظ عليه أنه ذكره قط بعد موته إلا بـ « الأستاذ » . وكان يعتقد أنه بجميع ما تم من تدييره وسياساته ، ويرى أن جميع ذلك مستفاد منه ومأخوذ من رأيه وعلمه .

ولعل من يطلع على هذا الفصل ، ممن لم يشاهد الأستاذ الرئيس ، يظن إنا أعمرناه شهادة وأدعينا له أكثر من قدر علمه (و) مبلغ فضله — لا والذي أنطقنا بالحق وأخذ علينا ألا نقول إلا به !

وقال بعضهم : سمعته يقول في مجلس حضره الفقهاء والمتكلمون — وقد جرى حديث السلطان لابن شاذان ، وكان على قضاء الري ^(١) : أتدري ما قال الإسكندر الملاك ؟ إنه كان من حكماء الملوك ومن ملوك الحكماء قال : « السعيد من لا يعرفنا ولا نعرفه ، لأننا إذا عرفناه أطلنا يومه وأطرننا نومه » . ثم قال : وأزيدك : قال المأمون — وهو من لا تقله عينك إجلالاً له : ولا تستقله نفسك دلالاً به — قال : لو كنت من العامة ما صحبت السلطان .

وجرى بحضرته الحكاية المنسوبة إلى بعض الأوتل : لكل امرئ منودان : واحد بين يديه مملوء عيوب الناس ، وواحد خلفه مملوء عيوبه ؛ فلذلك يرى عيوب الناس ولا يرى عيوب نفسه — فقال الأستاذ : لو قلت أنا قلت : كل

(١) ك ، م : الذي (١) .

واحد منا بين يديه لوح مكتوب من وجهه : فهو يقرأ ما قابله من عيوب ^(١) الناس لأنه يبصره ، ويترك ما دابره من عيوب نفسه لأنه لا يبصره .

ونقلت من خطه هذه النكت : قال فيلسوف : مهما عرى الانسان فإنه لا يعرى من ثلاثة : من الحسد ، والطيرة ، والظن . فمخلصه من الحسد ما لم يشنع بالسان (١٠٦ أ) ويبطش باليد . ومخلصه من الطيرة ما لم يرجع . ومخلصه من الظن ما لم يُحَقِّق .

ومن خطه : قال بعض الحكماء : لا يترلن مسافر عن دابته ليلاً حافياً ، ولا يأكلن بقللاً غفلاً ؛ ولا يبولن في تَفَقُّ لا يرى قعره .

ومن خطه : قالت الفلاسفة : كُنْ لَأَسْرَارِ الْمُلُوكِ أَسْرَ مِنْكَ لِقَبِيحِ الدَّاءِ فِي جَسَدِكَ . فإن اذاعة الداء عيب في البدن ؛ وإذاعة السر من الملوك مُتَلَفَةٌ للنفس .

ومن خطه : قيل لثراطوس : ما تقول في شرب الخمر ؟ قال : قلبها دواء ، وكثيرها داء . وهي بالمشايخ أليق منها بالشباب .

وكان تحت الحكاية بخطه من كلامه : لما كان حدّ الشرب منها مجهولاً ، وجب بالنظر العقلي والتدبير الشرعي أن يمنع الناس منها ، لئلا يتسارقوا فيها ولا يتجاوزوا الحدّ بها ، لأنّ الخدر لكثير الشر ، وينبوع الفجور ، وباب مفتوح إلى كل بلاء . وعواقب الإفراط فيها ذميمة ، وجناتيات السكر منها عظيمة . والكامل من صَبَرَ نفسه عنها ، وفدى مضارّها بمنافعها .

وذُكِرَ ^(٢) للأستاذ الرئيس يوماً بعضُ الناس وأنه وصّته بشر ، فقال : « رميتي بدائها ، وانسلت ؛ وألقت ما فيها ونخلت » .

(١) من : ناقصة في ك . م : فهو يقرأ ما قابله عيوب الناس .

(٢) ك ، م : الأستاذ .

والكلمة الأولى مثل سائر ، رواه أبو زيد (١) . ولكنه لحدة خاطره وصلها
بأختها (٢) .

أبو زكريا يحيى بن عدي (٣)

هو من العلماء الراسخين في الحكمة .

قال : قولُ القائل : « العلة قبل المعلول » لا بدخل الزمان فيه . وكذلك
قول النحويين : الاسم قبل الفعل لا يتضمن معنى الزمان ، وكأنه جارٍ في فضاء
الدهر . والفرق (١٠٦ ب) بين الزمان والدهر بيتان . ولعله سيمرّ في موضع من
هذا الكتاب .

قال له البديهي : فقولنا الأب قبل الابن ، أين هو من الزمان ؟

قال : من جهة : لا مدخل للزمان بينهما ، وذلك أن الغرض فيهما أن هذا
علّة هذا . ومن جهة ، يدخل ، لأنه يصير مؤدناً بأن هذا كائن في الزمان قبل
هذا الزمان . وأما قول النحويين إن الاسم قبل الفعل فمعقوله أن ترتيبه مقدّم
عليه . وإلا ، فمتى وجّد الاسم وجّد الفعل ؛ ومتى وجّد الفعل ، وجد الحرف .

(١) راجعه في « الأشكال » القيداني

(٢) أسقط الساري في مختصره الفصل الخامس بابن العميد ..

(٣) توفي في سنة ٣٦٤ هـ (= ٩٧٤ م) وهو في سن الثمانين ؛ راجع عنه « الفهرست » لابن
الديم ص ٢٦٤ ، فلوجل ؛ وابن القطي ص ٣٦١ ، وابن أبي أصيبعة ج ١ ص ٢٣٥
وابن العبري . تاريخ مختصر الدول ص ٣٤٧ ؛ وفستقله : « تاريخ الأطباء العرب »
ص ٥٦ برقم ١١٠ ؛ البهني : « تنمّة صوان الحكمة » ٩٠ ، ج . جراف : « تاريخ
الأدب العربي المسيحي » ٤٦ - ٥١ ؛ سوتر ، ٥٩ ؛ برييه ؛ يحيى به عدي ؛ ، باريس
سنة ١٩٢٠ ؛ « رسائل صغيرة دينية ليحيى به عدي » ، نشرها وترجمها برييه ، باريس
سنة ١٩٢٠ .

فمرتبة الوجود واحدة في الجميع . ومراتب الإيمان مختلفة في الجميع .

ثم قال : ينبغي أن تصفوا لنحفظ الذي نجرّد نحو الأشياء الأوّل التي هي كثيرة بالأسماء والتهوت عند الاستعمال : وواحدة بالحقائق والذوات . فإنّ هذا النظر إذا صفا ونمّ : كفى مؤونة عظيمة ، وكان أمراً عزيزاً .

الحسن بن مقداد

قال : لا بد من وضع التاموس الإلهي الذي يتوخى به إفاضة الخير وبث المصلحة وترتيب السباسة وما يورث سكون البال ، ويحسم مواد الشر ، ويوطّد دعائم السّن ويعمّد على تشريف النفوس وتزيين الأخلاق ، ويقرب الطريقة إلى السعادة المطلوبة ، ويواصل أسباب الحكمة ، ويشوق الأرواح إلى طلب الحق وإثارة العفة ويقدم دواعي العقل والنصفّة والمرحمة والمكرمة من الأخبار التي تنقسم بين ما هو صديقٌ محض ، وبين ما هو صديقٌ ممزوج ؛ وتكون الألفاظ التي ندور بها واللغات التي نرجع إليها كثيرة الوجود سهلة سمحة عند التأويل . وإنما وجب ذلك لأنّ (١٠٧ أ) الناس في أصل جبلتهم وبدء خلقتهم وأوّل سينتهم قد افرقوا مجتمعين ، واجتمعوا مفترقين : واختلفوا مؤتلفين واختلفوا مختلفين ، وأحاسيسهم متوقدة ، وظنونهم جوالّة ، وعقولهم متفاوتة^(١) عاملة وآراؤهم سانحة . وكلّ منهم يتفرد بمزاج وشكل وطباع وخلق ونظر وذكر وأصل وعرق واختيار وإلف وعادة وضراوة ونفرة واستحسان واستقباح وتوقّ ووقفة وإقدام وجسارة وشهادة وبهت ومكابرة . هذا سوى أعراض كثيرة مختلفة لا أسماء^(٢) لها عندنا خالصة ولا صفات متميزة .

(١) ك ، م : وأدناهم عاملة .

(٢) ك : مختلفة الأسماء فة عندنا .

(٣) لم يورد السامري عن ابن عدي غير سطرين فقط .

وقال : مَثَلُ هذا مَثَلُ رجلٍ أصلح طعاماً كثيراً واسعاً مختلفاً من كل لون وجنس ، ومذاق ورائحة ، ووضع ونضد ، وحرارة وبرودة ، وحلاوة وحموضة ، ومرارة وحرافة . ونَصَّبَه على مائدة عظيمة واسعة لجمع ذي عدد جم . فمَنى لم تكن المائدة ذات ألوان مختلفة وأطعمة متباينة في القلة والكثرة ، والملوحة والحرارة ، والغرفة والتقدمة لم يقبل كل إنسان على ما تفتق به شهوته الخاصة ، ولم تحدد يده إليه باللون الذي تدعو إليه العين ، لأن العين نوعاً من الطلب ليس للفس ، وللنفس أيضاً مثل ذلك ، أعني النفس المغتذية . هذا غير ما هو مطلوب للنفس الناطقة من الترتيب والتكرمة والإيناس والمحادثة .

قال : فلما كان التاموس الإلهي نصيحة عامة للكافة ، وجب أن يستعان عليها بكل ما يكون رداءً لها ورفداً معها وفارشاً لما انطوى منها ، وموضحاً لما خفي عنها ، وداعياً باللطيف إليها (١٠٧ ب) وضامناً لحسن الجزاء عليها . وهذا قدر كالحلاصة مما وقع التفاوض به ، سَقَّتْهُ على ما أمكن .

وقال أيضاً : لو انتهى غرض الباري تعالى في الإنسان ، مع هيئته المعروفة وحليته المألوفة ، إلى أن يموت ثم لا يكون له بعث ولا نشور ولا معاد ولا مُنْقَلَب ، لما كان ذلك قادحاً في شيء من إلهيته ، ولا متحيقاً لطرف من أطراف حكمته ، ولا معانداً لما يلبق بربوبيته . فكيف وقد نصب العلامات ، وأحضر الشواهد والبيّنات ، وأقام البراهين والآيات على تحقيق المعاد وحصول السعادة والشقاء بحسب الصور الموجودة لواحدٍ واحدٍ !

ثم قال : لو سألنا العقلاء بأشرهم ، أو سألنا أغفلهم فقلنا : ما تقول في بدنك إذا بطل بأسره ولم يَبْقَ منه شيء إلا العين التي من شأنها أن تبصر الأشياء ؟ فإن جوابه لا يعدو أن يكون : إذا لم يكن بدٌ من فناء جميع البدن بأجزائه ، فلائن تبقى العين ، وهي أشرف ما فيه ، أو السمع وهو نظيرها في الشرف — خيرٌ من أن لا يبقى شيء ويبدد كُله ويضمحل جميعه .

قال : فيقال له : فكذلك النفس في بقائها بعد أن تطرح عنها قشورها ،

وتفارق — مختارة — لبوسها .

قال : وإنما ضربت هذا المثل ، وعرفت بهذا التشبيه ، لأنه قال لي قائل :
الإنسان لا يبقى . وإذا لم يتبقّ الإنسان فأية فائدة فيما يبقى منه ، أو له ،
أو به ؟

قال : وهكذا لو ضرب المثل بمن له ولد ، أعني لو قيل له : لا سبيل إلى
بقائك بذاتك ، لأنك لا تحمل ذلك بعنصرك ، ولكن يبقى بعدك ولدك الذي
هو بضعة منك وفاضل عنك (١٠٨ أ) — لآثر بقاء ولده من بعده ابناً
حسناً ، طيب النفس به ، فإنه يرى أن ولده منه ، أو هو هو ، لأنه يراه
مُصاصته وخلاصته ونضاضته وسلالته ولا يكاد يفصل بينه وبين نفسه إلا
بالشخص فقط .

وقال : ينبغي للمعلم العاقل أن يُربّي المتعلم بصغار العلوم قبل كبارها :
كما يربّي الوالد ولده برضاع اللبن قبل الطعام . ومن أدب التعلم حسن
الاستماع واستيعاب الفهم ، وأن يعود قلبه الفكرة ، ولسانه البلاغة ، وأوصاله
المواتاة ، ومبوله الانقياد . ويعلم أن قد شرع في صناعة خطيرة ، إن تحدّثت
فيها قواه ، عابها كما يعيب صناعة اليد خرق لصاحبها .

قال : لا يُستفَع بالعلم المكتوم ، كما لا يُستفَع بالذهب المكنون حتى يُستَفَق ،
ولا بالماء الساكن في الأرض حتى ينبع ، ولا بالؤلؤ في البحر ما لم يستخرج .
وإنما نختبر العلم حين العمل به ، كما نختبر الذهب بالنار .

قال : عقل الإنسان بمنزلة عينه ، ودينه بمنزلة المرأة . فلا يقدر الإنسان على
استبانة حاله إلا بعقله ودينه ، كما لا يقدر أن يستبين صورة وجهه بعينه دون
المرأة .

العقل ينظّم من أنواع الحروف الكلامَ الموفق ، كما يصور المصور من
أنواع الأصباغ الصورة الحسنه .

ينبغي للعاقل أن ينقي نفسه من هموم السوء ، ثم يطلب الحكمة لثبث فيها ،
كما ينقي الزارع أرضه من الحشيش ثم يزرعها ليحصل ريعها .

بغوص العقل على كلام الحكمة فيستخرجه من مكنون الصدور ، كما
بغوص الغائص على اللؤلؤ فيستخرجه من البحر .

أبو بكر الحسن بن كرده القومشي

هو من (١٠٨ ب) قرية قومشة ^(١) من ضياع القمذار ^(٢) من نواحي
أصبهان .

وكان كبير الطبقة في الفلسفة . لزم يحيى بن عديّ زماناً . وكتب لنصير
الدولة . وكان حلو الكتابة ، مقبول الجملة ، متوجّهاً في الآداب ومعرفة الشعر
وسائر العلوم العربية . وله بهذا الضيعة أقارب وأولاد الإخوة ، يتميزون
عن أضرابهم من أهل الرساتيق ، وإظهار السمات الحسن .

وقيل لأبي بكر : بأي معنى يكون هذا الزمان أشرف من هذا الزمان ، وهذا
المكان أفضل من هذا المكان ، وهذا الإنسان أشرف من هذا الإنسان ؟

فقال : هذا يسوغ بإضافة الزمان إلى سعادة شائعة وخير غامر وبركة فائضة
وخصب عام وشريعة مقبولة وخبرات معقولة ومكارم مؤثرة من جهة شكل
الفلك بما يقتضيه بعض أدواره . وكذلك المكان إذا قابله أثر من هذه الأجرام
الشريفة والأعلام النيفة . فأما الزمان الذي هو رسم الفلك بحركته الخاصة فليس

(١) في المخطوطات بالثين الممجة ، وفي ياقوت بالسين المهملة ، وقال عنها : « بالضم ثم
السكون ... قرية من نواحي أصبهان » (ج ٧ ص ١٨٦ ، طبع مصر سنة ١٩٠٦ م) .

(٢) م : القمذار . لك : القمذار . وقد أثبتنا كما وردت في كتاب « محاسن أصبهان » .

(٣) لم يورد الساري في مختصره عن الحسن بن محمد بن مقفّر . أسطر .

فيه جزء "أشرف من جزء . وكذلك المكان ، لأنه رديف الزمان . ولا مسيل في مثل هذه المسائل إلى معرفة الحقائق إلاّ بالإضافة : التي هي للعالم غالباً عليه من محيطه إلى مركزه . فأما الإنسان فلا شرف له أيضاً على إنسان آخر من جهة حدّه الذي هو الحياة والنطق والموت ، لأن الحياة ^(١) في كل أحد واحدة ^(٢) . فإذا لا شرف من هذا الوجه . وإن اعتبر بعد هذا فعل هذا وفعل ذلك لا من جهة الاختيار والإيثار ، والاكتساب والاحتلاب . - فذلك يقف على الأشرف فالأشرف و (١٠٩ أ) الأعلى فالأعلى بحسب ما يوجد منظوماً في نفسه ، نافعاً لغيره ، واقعاً موقعه الأنخص به . .

عيسى بن علي بن عيسى ابن الجراح الوزير

كان . . هذا الشيخ كبيراً في علوم الأوائل ، جامعاً لفنون الفضائل . وكان مع توجهه في هذه العلوم له رأس مال في علم الحديث وعلو الإسناد ، والمعرفة بالقرآآت وسائر الآداب والمحاسن .

وكان ملازماً لبيته ، صائناً لنفسه - إلى أن مات مشغولاً بالإفادة والتدريس على رثائه حاله وكبر سنّه .

وقال : ترجمتُ من كلامهم - يعني الفلاسفة - أشياء ، منها قول بعضهم : لأن تستغني عن الشيء وتكفاه ، خيرٌ من أن تحتاج إليه وتُعطاه .

ومنها قول آخر : العاقل بخشونة العيش مع العقل آتس منه بلين العيش مع السفهاء .

(١) م : لأن الحد .

(٢) ك : واحد .

(٥) أسقط الساري الفصل الخامس بأبي بكر الفوضي .

(٥٥) لم يورد الساري من هذا الفصل غيره أسطر .

ومنها : قال فيلسوف : كما لا تشفق على عضو منك ، إذا وقع فيه سمٌ ،
من القطع مخافة فشوّ ذلك ... كذلك لا ينبغي أن تشفق من اجتلاب التعب والراحة
في إصلاح النفس .

وقال أيضاً : إذا كان الصياد يبتال للطير حتى يستترله من جو السماء ،
والسمكة حتى يستخرجها من جوف الماء ، وللسباع والطير حتى تألفه - فليَمَ لا
يبتال العاقل للإنسان حتى يؤاخره ويصافيه ؟!

أبو علي عيسى بن زُرعة البغدادي •

هو آخر من يُرتَضَى نقله لكتب الحكيم أرسطوطاليس البساط والجوامع •
وقد أثار الوهج فيما نقله من جوامع ^(١) نيقولاوس وكتاب جالينوس في «منافع
الأعضاء» وغيره من الكتب .

ومما ترجمه من كلام أرسطو ، قوله : الإنسانية أرقى ، والإنسان متحرك
(١٠٩ ب) إلى أفقه بالطبع ، ودائرُ إلى مركزه ، إلا أن يكون مؤوفاً ^(٢) بطبيعته
مخلوقاً بأخلاق بهيمية . ومن رفع عصاه عن نفسه وألقى حبله على غاربه ، وسبَّب

(١) ذكره ابن التديم (« الفهرست » ص ٢٦٤ ، نشرة فلوجل) هكذا : « خمس مقالات من
كتاب نيقولاوس في فلسفة أرسطاليس » . أما كتاب « منافع الأعضاء » لجالينوس فذكر ابن
التديم ص ٢٩٠ س ١٦ أن ترجمه هو حبش وباصلاح حنين بن اسحق . لكن في الفصل
الخاص بابن زُرعة ذكر « الفهرست » ص ٢٦٤ له : « كتاب منافع أعضاء الحيوان بتفسير
يحيى النحوي » - فقلله المقصود هنا ، أي أن ابن زُرعة إنما ترجم كتاب « منافع الأعضاء »
لجالينوس بتفسير يحيى النحوي .

(٢) أي مصاباً بآفة .

(٣) وأصح عنه ابن التديم في « الفهرست » ص ٢٦٤ ، فلوجل ، وابن الفطلي ص ٢٤٤ ، وابن
المبري . تاريخ مختصر الدول ، ص ٣٣٨ ، وتاريخه السرياني ص ٢١٥ ، وابن أبي
أصبعة ج ١ ص ٢٣٥ : « وتشتغل : « تاريخ الأطباء العرب » ص ٦١ ، برقم ١٢١ ؛
لوكلبرج ١ ص ٣٧٤ ؛ البيهقي ، « نعمة ... » ص ٦٦ - ٦٩ .

هواه في مرعاه ، ولم يضبط نفسه عما يدعو إليه بطبعه ، وكان ليقن العريكة
لاتباع الشهوات الرديئة ، فقد خرج عن أفقه ، وصار أُرذل من البهيمة بسوء
إيثاره .

هذا آخر ما ترجمه من هذا الفصل . وهو كما ترى وعظٌ بحكمة ، وابقاظ
برأفة ، وتعليم بنصيحة ، وإرشاد ببيان . لئورثي هذا للحسن البصري ومنصور
بن عمار وضرباً بهما لما زاد على ذلك . وقد اتفقت الأفاضل والأوائل كلها على
إصلاح السيرة وتصحيح الاعتقاد والسعي فيما أثمر وأجدى ، والإعراض عن
كل ما شغل البال وأثار الشهوة - لتبلغ النفس غايتها وتسعد في عاقبتها ولا يكون
لها عكسٌ في هذا العالم ، ولا تردد على ما قد خوف من ذلك كثير منهم . وقد
قزأت لفيلسوف قبل سقراط قولاً له : ارتفاعُ موضع العقل على سائر
الحسيّات التي هو المدبّر لها كارتفاع موضع العينين على سائر الأوصال التي
تستدير بهما وتتهدي بهدایتها .

وقال أبو علي : قال سقراطيس لتلميذ له : أقبل على إصلاح ما فيك من
الفساد بمعونة ما فيك من الصلاح .

قال أبو علي : هذا إيماء إلى تقسيم الإنسان بين الطبيعية والنفس : فما فيه
من الصلاح فمن ناحية نفسه ، وما فيه من الفساد فمن ناحية طبيعته . فحثّ بكلامه
هذا على الاستعانة بالنطق الذي للنفس على السّفّة الذي للطبيعة حتى يمحّي ويتنفي
(١١٠ أ) أثره ويكون كأنه لم يوجد ولم يُلّف . وكما قد تكون نفس الناس :
بغلبة العقل وأفعاله فيه ، كأنه بلا طبيعة ، والرياضة موضوعة لهذه الغاية ،
والاجتهاد واقع من هذه الآفة .

وحكى أبو علي أيضاً : قال حنين وثابت بن قرّة : النقطة والآن والوحدة
بارزة من المقولات العشر . قال : وهذا هكذا ، لأن وجود هذه الأشياء في غاية
اللطيف والعلوّ والشرف والجلالة ، فلم تُحيط بها مقولة ، ولم يحدّها رسم .

قال له البخاري : فمن أي وجه شعرنا بها ؟

قال : أوما إليها العقلُ إيماءٌ ، والآن هو نقطة ، ولكن في الزمان ؛
والوحدة هي نقطة ، ولكن في الخط . والنقطة هي ^(١) الآن ولكن لا في إناء
مصنوع ، ولا تحت شيء معروف . .

ابن السوار

سئل ابن السوار : هل ما فيه الناس من السيرة : وما هم عليه من الاعتقاد
حقّ كله ، أو أكثره حقّ ، أو كله باطل ، أو أكثره (باطل) ؟ فقال : المسألة
هائلة ، والجواب هين . قيل : فأفدنا ، أفادك الله ، فإن ركيّة ^(٢) العلم لا
تنزح وإن اختلفت عليها الدلاء ، وكثر على حافاتها الرّواد . فقال : صدقتم !
واعلموا أنه إذا لحظ استيلاء الطبيعة عليهم وغلبة آثارها فيهم في الرأي المعتقد
والسيرة المؤثرة ، فأكثر ذلك باطل ، لأن سلطان العقل في بلاد الطبيعة غريب ،
والغريب ذليل . وإن لحظ حكم العقل وما يجب له ويليق بجوهره ويحسن مضافاً
إليه فأكثر ذلك حقّ - (سواء) كان الملحوظ رأياً أو سيرة أو عادة أو خليفة .
وعلى حسب هاتين الغلبتين يكون القضاء ويقع الحكم . والحق لا يصير حقاً
بكثرة معتقديه (١١٠ ب) ولا يستحيل باطلاً بقلّة متحليه . وكذلك الباطل .
ولكن قد يظن بالرأي الذي قد سبق إليه الاتفاق من جلّة الناس وأفاضلهم أنه
أولى بالتقديم والإيثار ، وأحقّ بالتعظيم والاختيار لأنه يكون مقوماً بالبحث ،
مخبراً بالقل ، مصقولاً على الزمان ، تلمسه كل يد ، ونجّليه كلّ عين ،
ويصير شأنه على صورة الواحدة دليلاً قوياً وشاهداً زكياً على حقيقته ، لأنه

(١) ك : والنقطة والآن .

(٥) أسقط السالوي في مخرمه الفصل الخامس بأذن زرعة .

(٢) الركيّة : (بشديد آثاء) : البئر . والدلاء : جمع : دلو .

يرأ حيثئذ من هوى صاحبه وَيَعْرِى من تعصب ناصره ، وتبقى صورته الخاصة ، ويجري مجرى السبيكة التي لا تحتاج إلى علاج المعالج ونموه الممره وانتقاد المتقدم وتنفيذ المنفق وحيلة المحتال .

أبو القاسم الأنطاكي المعروف بالمجنبي

كان يقول : الأسباب التي هي مادة الحياة هي في وزن الأسباب التي هي جالبة الموت .

قليل له : فلم كان الموتُ على هذا أولى بالإنسان من الحياة ؟

قال : لأن الموت طبيعي ، وكل طبيعي لا يمحى عنه ، وإنما أطلقنا الكلام الأول لأنك ترى من نجا بالموت يشي به وقَعُ غيره في الموت ، ونجد من لَصَّ إلى الحياة يشي به تَحُلُّصُ غيره إلى الموت . فلما استطع حَصْرُ هذه الأبواب ، لوجد ما به يموت مَنْ يموت في عدد ما به يحيا مَنْ يحيا .

ثم قال : وما هنا موتٌ طبيعيٌّ معترف به ، وفي مقابلته حياة طبيعية . وهكذا أيضاً ما هنا موتٌ عَرَضِيٌّ ، وفي مواجهته حياة عَرَضِيَّة . فالموت الطبيعي قد قامت الشهادة (عليه) من الكافة . فأما الحياة الطبيعية فحياة العقل بالمعقول . والموت العَرَضِيُّ الجهل الشائع في الإنسان (١١١ أ) . فأما الحياة العَرَضِيَّة فحس الإنسان وحركته بسلامة بدنه وسكون أخطائه وقوة طبيعته وتصرف سائر ماهو مركب من جهته .

(هـ) أمقط السوي في مختصره للفصل الخامس بابن السوار .

(و) ذكره ابن النديم في « الفهرست » (ص ٢٨٤ ، فزوجل) وقال إنه « مات قريباً من سنة ست وسبعين وثلثمائة . وله من الكتب : كتاب التخت الكبير في الحساب الهندسي ، كتاب في الحساب على التخت بلا عو . كتاب تفسير الأرقام اتي . كتاب استخراج التراجم . كتاب تفسير اقليدس . كتاب في المكعبات » .

ثم قال : ومن فتح الله بَصَرَ عقله ولحظ هذه الحقائق ، ترقى في درجات المعارف وسلالم الفضائل ، وانتهى إلى أفق الرُّوح والراحة ، ونجا من هذه المعادن التي هي معادن العُطْب والتلف ، ومساكن الآفات والهلاك .

وتفجّر في هذا الفصل بكل كلام شريف ، وكل موعظة حسنة . وكان من القادرين على أمثاله ، وميمن قد أكدّه الله بتوفيقه ومعونته .

أبو زكريا الصيمري^(١)

قال : كل ما للنفس بالتام والكمال والزينة والجمال هو للطبيعة بالقص والحيف والكون والفساد . ألا ترى إلى الحكمة ، وهي قنية النفس الناطقة ، كيف تنمو على البث والنشر والتفرقة والتوزيع ! وانظر إلى قنية الجسم من هذه الجواهر المعدنية والنباتية ، كيف نفل وتضمحل وتبطل وتُسَلَب وتُسَرَق وتؤخذ ! والعجب أن الإنسان ، وإن كان منقوص الفكرة متلوّثاً بالعبادة السيئة ، يعلم هذا الفرق ويحسن بهذا النحو . ثم إنه مع ذلك بغالط نفسه ويغاب عن عقله كأنه إنما يعامل بهذا وشبهه عدوه ، أو من أرصد سؤاله .

قال : وإنما اختلف الحكماء في هاتين القنيتين لاختلافهما في أعبائهما . ألا ترى أن أحدهما نور يستضاء به ونسيم يسروح إليه ، والآخر كاهوة التي يردى فيها ، والظلم التي لا يتخلص منها .

وقال : رضا الإنسان عن نفسه مقرون بسخط الله تعالى .

(١) له : الصيمري (بالضاد فالحم فالياء فالراء فالياء) . والصيمري (بالضاد المعجمة) نسبة إلى (بني) غسرة . أو إلى صيمر وهي قرية وحصن في آخر دمشق ؛ أما الصيمري (بالهمزة) فنسبة إلى نهر الصيمري قرب البصرة ، أو صيمرة بلد في خوزستان .

(٥) أمقط السوي في مختصره الفصول الخاصة بالصيمري ، وطلحة ، ونظيف الرومي ، ووهب بن عيمش ، وغلان زحل وابن بليس ، وأبي تمام النيسابوري ، والبدهي ، والنوشجاني وأبو محمد المروزي ، وأبي اسحق وأبي الخطاب الصائين - وانتقل مباشرة إلى سيكيويه .

طلحة النسفي

سأله (١١١ ب) أبو جعفر ملك سجستان : لِمَ لا تتناسل البغال كما تتناسل الخيل والحمر ؟

فقال : لأنها ليست بجوهر تام خالص فتتاسل وتتناسل الأجناس الخالصة .
والبغل في الفسل كالسكنجيين الذي لا يعمل خلّه خلّة تامّة ، ولا عسله عسلية تامّة .

وسأله أيضاً : لم صار الإنسان إذا رأى في منامه كأنه يأكل ويشرب انتبه ولم يصل إلى شبعه وريّ ، وإذا رأى كأنه يجامع ، استيقظ وقد أمتى .

فقال : لأن الجوع والعطش يُخَيِّل إلى النائم الأكل والشرب ، والشبّة يُخَيِّل إليه الجماع . فإذا رأى الجائع كأنه يأكل ، لم تقدر الطبيعة على أن تعطي ^(١) الإنسان طعاماً بشبع وشوياً يروي . وإذا رأى كأنه يجامع لم يمنع الطبيعة من اخراج المنى بالاحتلام ، لأن الاحتلام خروج الماء من الصلب ، فيخرج الماء . فإن النفس على استخراج ما يقرب منها بالتخييل أقدر منها على استعادة ما يبعد منها .

نظيف الرومي

قال : فيلسوف قال : لذات الدنيا ست : ثلاث عمل ، وثلاث لا تُعمل .
فأما التي تُعمل فالأكل ، والشرب ، والنكاح . وأما التي لا تُعمل فالطيب ، واللباس ، والسماع .

(١) غير واضح في ك .

(٢) ك : افراج .

وهب بن يعيش الرقي

قال : صحّ عندنا أن موسى — عليه السلام ! — قال : إن الله لم يخلق الإنسان للفناء ولا للبقاء . ولكن خلقه . وخلق العقل له ليستعمله في فضائل النفس ، أو شهوات البدن . فإن اختار شهوات البدن ، ناله تغير البدن . وإن اختار فضائل النفس ، نال البقاء والحلود .

قال وهب : وهذا ترجم لنا بعد صعوبة ، وعليه كلام^(١) لأنه فلسفة في معرض التاموس . وللظن فيه قدح ، وللرأي فيه مسّيح . وما أتى في معارفهم إلا من اختلاف التأويل واعتراض الحُساب .

غلام زحل^(١) وابن بيلس

قال غلام زحل : السماء هي الجسم الذي فيما بين نهاية كرة القمر التي نلينا إلى نهاية العالم . وجميع أكثر السماء — على ما صحّ عندنا — تسع أكر : أقربها لنا كرة القمر .

وسمعت بعد هذا ابن بيلس كان يقول : دون فلك القمر فلكان هما سبب المدّ والجزر يقطعان الفلك في كل يوم وليلة مرتين . وكان هذا من آرائه التي تفرد بها ، ولم أجد أحداً يوافقه على شيء منها . وهذا بخاصة ولأنه ليس لنا في هذه الصناعة كثير مدخل ولا منفذ ، لم نقصد لتقص ما قاله . ولكن عجبنا من مخالفته للأوائل الذين قد أقاموا البرهان على خلاف دعواه . والصناعة برهانية . فليت شعري بأيّ برهان قام على هذه الدعوى . والبرهان

(١) هو أبو القاسم عبد الله بن الحسن . راجع عنه « الفهرست » لابن النديم ص ٨٤ . نشره فلوجل وقد ذكر له من الكتب : « كتاب التسييرات » ، « مقالة » كتاب الشعاع . ، « مقالة » كتاب أحكام النجوم ، « كتاب التسييرات والشعاعات » ، « كتاب الجامع الكبير » ، « كتاب الأصول المجردة » ، « كتاب الاختيارات » ، « كتاب الانفصالات » .

معروف ، وهو القياس الذي يعطي صورة الحق غير مشوبة ولا حائلة .
وله أيضاً أشياء أخر أنشأها رأياً من تلقاء نفسه وانتحلها وأعجب بها
لعجائياً شديداً ، ودعا إليها في الطبيعيات والإلهيات . وقد ذكر أبو حيان
هذه الآراء في رسالة له إلى بعض إخوانه ، وهي عندي ، لا عائدة في حكايتها
ها هنا .

ومات هذا الرجل ، أعني أبنا سعد صاحب هذه الأقوال ، لتسع خلون
من ذي القعدة سنة ست وثمانين وثلثمائة .

أبو تمام النيسابوري

هو من فحول الحكماء والمبرزين في هذه الصناعة . وله تصانيف كثيرة ،
منها رسالة (١١٢ ب) في « الحدود » ما صنف مثلها ^(١) أحد .

ومن كلماته قوله : قال بعض الحكماء ^(٢) : الحركات الطبيعية ست :
حركة الكون ، وحركة الفساد ، وحركة الربو ، وحركة الاضمحلال ،
وحركة الانتقال ، وحركة الاستحالة . ولكل حركة فعل "خاص من الأفعال
الطبيعية . كذلك لكل حد " من الحدود الست شرف وفضل وعلم وعمل يدل
على قوتها وكمالها .

البيدي

صاحب يحيى بن عدي دهرأ طويلاً .

(١) ل. : مظه .

(٢) هو أرسطوطاليس . راجع كتاب « الكون والفساد » .

قال : من البين أن الموجود على ضربين : موجود بالحس ، وموجود بالعقل . ولكل واحد من هذين الموجودين وجود بحسب ما هو به موجود : إما حسي ، وإما عقلي . فعلى هذا النفس لها عدم في أحد الوجودين ، وهو الحسي . ولها وجود في القسم الآخر : فتستبط وتعقل وتستبط وتنظم المقدمات ، وتدل على تنابع المعلولات ، وتعلو إلى غاية الغايات . وليس للحس معها شركة ، ولا له عندها معونة ومادة . وكيف لا تكون النفس ، التي هذا عنوان كتابتها وصريح كتابتها وفاضل عنايتها ، بعد مفارقة القشور والخواجز والحيطان والخواجب ، والقواشي والملابس عن الحس أغنى ، وبجوهرها أعلى ، وبخاصتها أنقى ، وهذه الأشياء عنها أبعد ، وعن شرفها أهبط ! وهل هذه الشهادة إلا عادلة ، وهذه البينة إلا مقبولة ، وهذا الحكم إلا مَرْضِيّ ، وهذا المثال إلا بَيِّن ؟!

ثم قال : ولطائف الحكمة لا يصل إليها الحس الجاني ، والغليظ الخلف ، والقدم العباب ، والهلجاجة القليغوق . وإنما هي بعرض منّ صبح ذهنه واتسع فكره ودقّ بحثه ورقّ تصنّحه (١١٣ أ) واستقامت عادته ، واستنار عقله ، وحسن خلقه وعكست هيئته وخمد شرّه ، وغلب خيره ، وأصل رأيه ، وجاد تميزه ، وعذب بيانه وقرب انقائه .
قيل له : هذا عزيز جداً .

قال : كما أن التشبه به في هذا عزيز جداً وانما في هذا الفن ونمطى وحاز كل غاية وتحظى . ومحصولي من ذلك ما سمعته الآن ، وترى . نفعنا الله به وحلانا بأزيته ^(١) وأسعدنا بقبوله .

النوشجاني

قال يوماً ، وعنده جماعة من أصحابه : قد وضع بالعبرة الصحيحة ،

(١) إجماع : ذي .

والتصفح الشافي ، والنظر البليغ أن الفاعل الأول الذي هو عِلَّة كل ما يرى
ويوجد ، ويعقل ويحس ، لا قصد له في أفعاله ، ولا مزاوله ولا محاولة .

فقال له بعض الحاضرين : لو أُيِّدت هذا القول ببرهان ساطع ، أو بدليل
مقنع - كنت شَبَدت ما أسست ، وقَوَّيت ما أثبت .

فقال : لأن هذه كلها دخلتْ أفعالنا وتخلَّتْ أحوالنا ، لعجزنا وفُسولنا
وانحطاطنا وضعفنا وهافتنا وتحولنا وتبدَّلنا وسيلاننا وبطلاننا . فأنجبرت مكاسرنا
بها ، وتمت مناقضنا بمواصلتها ، وانسدت مفاقرنا باستعمالها . فأما الباري الحق
الذي هو واهب كلِّ كامل كماله ، وجابر كلِّ ناقص نقصه ، عليم
عن هذه الأعراض والعلل ، والمسالك والسبل .

فقال له السائل : فكيف اتفقنا على أنه منعت بالحكمة ، وأفعاله على ما
زعمت . وكيف يَبان هذا ويتحقق حتى نخلص من خوائن اللحظ من القلوب ،
وشوائن اللفظ من الألسنة ؟

فقال : لعمرى إنَّ في إِبْصاحه لصعوبةٌ وعسراً ، وإن كان العقل قد
(١١٣ ب) قضى بما قدمته . وعلى صعوبة ذلك فإنِّي أؤلِّف على التقريب قولاً
عسى أن يكون للسامع فيه مَرَضَى ومَقْنَع ، إن لم يكن له فيه مروي ومشيع .
ثم ابتدأ في شرحه في رسالة طويلة لا تلحق بهذا الموضع .

أبو محمد العروضي

قال : سكون (العقل) في نوع الحركة ، وحركة الحس في نوع السكون ، لأن
حركة الحس إلى الاضمحلال والتكول ، وسكون العقل إلى الكمال والمحصول .

أبو إسحق وأبو الخطاب الصابان

قال أبو حيان : سمعت أبا إسحق الصاباني الكاتب يقول لأبي الخطاب ،

ابن عمه : اعلم أن المذاهب والمقالات والنحل والآراء وجميع ما اختلف الناس فيه وعليه كدائرة في العقل : فمتى فرض فيها قول وجعل مبدءاً للأقوال انتهى منه إلى آخر ما يمكن أن يقال . فليس من قولٍ إلا وقد قيل أو يقال . وليس من فعلٍ إلا وقد فُعِلَ أو سَيُفْعَلُ ، وليس من شيءٍ يُعْلَمُ إلا وقد عُلِمَ أو يُعْلَمُ . وهكذا في الظن والرأي وغير ذلك .

ومثال هذا بيّن في كل ما أردته . وذلك أنك لا تشير إلى رأي أو نحلة إلا أمكنك أن تظن به كل ما ظُنَّ ويُظَنُّ ، وتقول كل ما قيل ويقال . وإنما يضيف مجمّ أحداً ، وينفصَح مُشَرَّب الآخر لأن الخاطر بسنع مرةً ولا يسنع مرةً ؛ والقلب يتسع مرةً ولا يتسع مرةً ؛ واللسان ينطق وقتاً ويمسك وقتاً .

قال أبو الخطاب : هل للخواطر والألفاظ والآراء والمقالات نسبة إلى المزاج والطينة والهواء ، وإلى العناصر بالجملة ؟

فقال : إن لها نسبة قوية وعلاقة شديدة ورباطاً متيناً إلى هذه الأمور التي (١١٤) تبطن فيه أو تظيف ؛ أو تطلّ عليه . ولا سبيل مع ذلك إلى اتفاق الناس في حال من الأحوال ولا سبيل من السبل . ولو أمكن ذلك . لوُجِد . ألا ترى أنه لا سبيل إلى أن يكون الناس كلهم طوال القدود ، أو قصارها ، وضخام الرموس أو صغارها ، أو فصحاء الألسنة أو لُكُنْها ، أو على مذهب واحد ومقالة واحدة ؟ كيف يكون هذا أو يظن هذا ، والطبيعة إنما تعطي صورتها لكل شيء بحسب قبوله ونهيوه ومواناته . فلن الرُّبْد من عطية الطبيعة ، ولكن على قدر قبوله . وصلابة الحجر من عطية الطبيعة ، ولكن على قدرة . باختلاف الصور إنما نشأ من جهة اختلاف المواد . وهذا أصل لا أصل له ، وعلة لا علة لها ، لأنه لم يفعل فاعلٌ على ذلك ، بل الصورة من شأنها هذا ، والمادة من شأنها ذلك . والأمر مستتب على سُنَن ما ترى . ففعل هذا كل أحد بتحل ما شاكه مزاجه ونهض إليه عبرته ، ونزع إليه شوقه ، وعجن به

طينه ، وجرى به بعد ذلك دأبه وديده .

وهذه عشرة فصول عملها أبو إسحق الصائغ ، فيها للملوك آداب ، وأتباعهم آداب ؛ كتبها إلى عضد الدولة :

(أه) إلى الملك الفاضل ، وإن استقل بشرف نفسه ، فله في المذاكرة بالفضائل فالدتان : إحداها أن ينبت على شكر النعمة فيها ، والأخرى أن يحفظ من أن يشذ عنه بعضها . فأخلق أن يحمد ذلك من فاعله ، لأنه يخاطبه بما في كتابه الشوق إليه والتقبل له .

(ب) الملك القادر أولى بالثاني في حكوماته والتثبت في عرفاته ، لأنه إن أنفذه على شئبه وأمضاها على (١١٤ ب) غير بيّنة ، لم يكن لها دوافع عنها ، ولم يخل أيضاً من مساعد عليها . أما تعذر الدافع فلقلة المجزئ . عليه ؛ وأما تسر المساعدة فلكثر المتقرب إليه . ولا ينبغي أن تُقام الحاجة عليه ، بل يلوح بها ، لأن في عادة ذوي القدرة أن يستوفوها إلى آخرها إذا كانت لهم ، وأن يتفروا عند أدائها إذا كانت عليهم . فمن اتفق أن يذعن لها من ذاته اغتم ذلك وشكر عليه ، وإلا كان الأحزم في معاملته والأحسن في أدب محاورته أن يخجل له عن طريقها ولا يلجأ إلى مضيقها إذا كان المجادل له يحمله على إحدى خطيبتين : إما كلفة المتابعة على ما ياباه ، وإما هجنة المخالفة إلى ما يهواه .

(ج) الملك المتعيم إذا أفاض المكارم واغتر الجرائم ارتبط بذلك خلوص نية من قُرب منه ، وهم الأقل ؛ — وانفصاح الأمل ممن يعد عنه ، وهم الأكثر . فيستخلص حيثما ضمائر الكل من حيث لا يصل معروفه إلا إلى اليسر .

(د) الملك تلزمه الحقوق بأيسر سعي الساعين لها ، وأقصر أمد المجترين

(هـ) الأرقام -- بالحروف الإجمدية - الواردة هنا موجودة في الأصول المخطوطة .

إليها ، لأنه إنه انظر بهم أن يعقدوا عليه النعم الضخمة لم يكن لهم بذلك طاقة ، ولم يكن به إليهم فاقة ، لكن المحل الذي ^(١) حله والمكانة الذي تبوأه يوجبان عليه أن يكون على القليل من الندماء محافظاً ، وبين الرعاية له ملاحظاً .

(هـ) الملك إذا وعد وفّى ؛ وإذا أوعد عفا . ومن أفخر مناقبه أن يكون إذا أعطى خدمه ، في حال الاستخدام ، جانباً من البسيط والإدناء ، لم يُعقِبْه في حال الاستفتاء بجانب من القبض ^(٢) والاقصاء ، لأن قضاياها متقدمة (١١٥ أ) وسجاياها متقدمة . (و) من طباع الناس أن يحرصوا على القليل من اصطفاؤه أضعاف حرصهم على الكثير من أمواله ، وأن يغبطوا منه بالقرية ، ويحزنوا عند اعتراض التبتة . وإذا حفظهم فيما يستودعونهم من ودائع الحرمة ، حفظ عليهم ما يرقهم إليه من شرف الخطوة ، واستدّر بذلك موادّ المصالح ، واجتلبها من كل دان ونازح . وانتشر ذلك عنه من حيث لم يأل جهداً في طلب نظامه ، والسعي لالتثامه — فواجب عليه أن يحمده أو لا يلمه ، فإنه إن ذمه قبضه وقبض نطّاره عن الدأب في المصالح والطلب للتناجح ، ولحقهم من قصور المهمل ونقصان المئتمن ما يعود ومثله عليه ويتعلق ضعفه به ، لأنهم يشتغلون عن التوصل إلى ما ينفعه بالتحرز مما يضرهم .

(ز) الملك يتنصل إليه كل من سخط عليه . وهم طبقات ثلاث : فمنهم من ذنبه مقرون بعذره ، قد أخطأ عنه وأخرجه سليماً منه . وربما أقر بالذنب طاعةً ، وأمسك عن العذر رهبةً . ولا يحسن أن يقتصر لمن هذه حاله أن نسقط اللائمة عنه دون أن نجيب عليه الجملة له . ومنهم من عذره معيوز ، وذنبه واضح ، لكنه فرد لا أخ له ، ولا نؤام معه . فالأولى أن ينال من الإقالة — إذا اعترف بالحوبة ^(٣) وأنخلص في التوبة . ومنهم المردد في حقواته ، المتكرر في

(١) النبي : ناقصة في ك .

(٢) ك : الاتصال .

(٣) الحوبة : الذنب .

عثراته ، الجارية عادته أن يكسر التوبة إذا تاب ، ويفسخ عقد الإنابة إذا أناب . فذلك الذي يعاقب بالاطرارح ، ولا يطمع منه في فلاح .

(ح) الملك لمن غلط من (١١٥ ب) أتباعه فانتعظ أشد انتفاعاً منه بمن لم ينتعظ ولم يتعظ ، لأن الأول كالفارح الذي أدبته العثرة وأصلحته الندامة ، والثاني كالجذع الذي هو راكن^(١) للغرة وساكن إلى السلامة . والعرب نزعهم أن العظم إذا جبر من كسره عاد صاحبه أشد بطشاً وأقوى يداً .

(ط) الملك محتاج من الناس إلى كثير ، وهم محتاجون منه إلى واحد . ومن ما هنا وجب أن يوازن حلمه أحلامهم ، ويوازي فهمه أفهامهم ، وأن يعمتهم بفضلهم ، ويغمرهم بطوئه ويكتفهم كثافة الجفون لنصولها والكتائن لسهامها . وإنما مثل السلطان مثل الجالس على العرش الذي يعلوه بجملته فيهاب لحضرتة .

(ي) الملك أحق باصطفاء رجاله منه باصطفاء أمواله ، لأن كل درهم يسد مكان أخيه ، وما كل رجل يسد مكان أخيه . وفي الحيلة له أن لا يضيّع منهم من في يده لأنه مع اتساع الأمر وجلالة القدر لا يكفي بالوحدة ، ولا يستغني عن الكثرة . ومثله في ذلك مثل المسافر في الطريق البعيدة التي تخفى عليه : أن تكون عنايته بفرسه المجنوب مثل عنايته بفرسه المركوب .

تمت الفصول .

أبو علي أحمد بن محمد فسكوية :

هو من أعيان الزمان . وقد صحب الوزير أبا محمد المهلبتي في أيام شبیبته .

(١) ك : راكب .

(هـ) وأبع عنه مقدمة نشرنا لكتاب : الحكمة الخالدة (جارييدان غرد) ففيها كل المراجع عنه .

وكان من خواصه ووجوه المختصين به . ثم اتصل من بعد ذلك بخدمة الملك عضد الدولة . وصار من جملة الندماء والرسل ، إلى أن فارق الملك الدنيا .

وأما تحرّمه بصحبة الأستاذ أبي الفضل ابن العميد وابنه : أبي الفتح ذي الكفائتين والملك صمصام الدولة ، ومن بعد ذلك كونه في الحضرة العالية بالرّي (١١٦هـ) وتخصّصه بسائر الأكابر إلى وقتنا هذا ^(١) - فما لا يحتاج إلى شرح لاشتهاره .

وله تصانيف كثيرة مثل « الفوزين : الكبير والصغير » في علم الأوائل . وكتاب « ترتيب السعادات » ، و « منازل العلوم » ، و « تهذيب الأخلاق » ، ورسالة « المسعدة » ، ونعاليق حواشي الكتب المنطقية ، وغير ذلك مما صنّفه في جميع الرياضيات والطبيعات والإلهيات والحساب والصنعة والطبيع ، مما هو متداول في الأيدي ، يقرأ عليه في أيام مجالسه - إلى غير ذلك من مصنفاته في الأدب ، مثل كتابه « المستوفى في الشعر » المشتمل على حل المختار منه ، وكتاب « المسنى » تجارب الأمم وعواقب المهم ، ومجموعه الذي يُسمّى « أنس الفريد » ، وكتاب « جاويدان خرد » - وغير ذلك مما يطول شرحه . هذا مع البلاغة الجيدة ، والخط الحسن ، ولطف الصنعة .

وإياه قصد أبو حيان التوحيدي بمسائله التي يسمّيها « الهوامل » ، فأجابه عنها بالأجوبة التي سمّاها « الشوامل » .

فأما ما سمعت منه من مجاري أحواله ، وشاهدته من سيره الحسنة وأخلاقه الطاهرة - فسأفرد فيه رسالة أقصرها على ذلك ، إذ ليس يحتمل هذا الموضع أكثر مما ذكرته .

وهذه وصيّة له :

يا طالب الحكمة ! طهّر لها قلبك ، وفرّغ لها لبّك ، واجمع إلى النظر

(١) هذا يدل على تاريخ تأليف هذا الكتاب ، « صوان الحكمة » .

فيها همتك . فإن الحكمة أعظم المواهب التي وهبها الله لعباده ، وأفضل الكرامة التي أكرم بها أوليائه . هي المال الذي منّ أحرزه استغنى به ، ومنّ عديمته لم يفته شيء سواه . والصاحب الذي من صاحبها لم يستوحش معه (١١٦ ب) ومنّ فارقه لم يسكن إلى أحد بعده . هي للقلوب كالقطرة للنبات ، ومن العقول بمنزلة الضياء من الأبصار . بطلت الحكمة لكل شيء . وظهرت عليه ، وعكست فوقه ، وأحاطت به . فلها بكل شيء خبر ، وعندها على كل شيء شهادة . ومن أعظم شأنها أنه ليس أحد إلاّ وهو متحل اسمها ، ومزيت بها ، ولا حاجة بها إلى انتحال شيء غيرها ، ولا التزيين بغير زيتها :

فإن كنت من جعلتها ففرغ لها قلبك ، وارفع إلى النظر فيها فهمك ، فإنها أظهر من أن تجامع دتسا ، وأنزه من أن تخالط قفرا . وقد رأينا من أراد الغرس في أرضه يبدأ فيقلع ما فيها من غرائب النبات ، ثم يأتي بكرائم الغرس فينصبه فيها . وكذلك من طلب الحكمة وهب في اقتنائها فهو حقيق بأن يبدأ بما في قلبه من أضدادها فيسحقها ويطهره منها : مثل الهوى والشهوات المردية ، ومثل الحقد والحسد ، وعبء الكرامة والتسرع إلى الغضب ، وأشياء هذه الأشياء . فإذا تطهر عنها ، استقبل الحكمة فأخذ منها ما استطاع .

فإذا أظفرك الله بالحكمة وزرع فيك بذرها ، فلا يكون زارع أولى بالقيام على زرعه منك . ولا يمنعك بعد غورها وكثرة أشباهاها منها ، فإنه من المعونة على نفسها مثل الذي بالشمس للإبصار على استنباتها والاستبانة لها . فمن صحّ بصر نفسه ثم وصل بما صحّ منه إلى ما يرد عليه من الحكمة أو رابه شيء من الأمور ، لم يمنعه ما فاته منها أن يسمى حكيما ، ويُلحقه ما ظفر به بالحكماء ، كما لا يمنع البصر ما فاته من المبصرات (١١٧ أ) من أن يدعى بصيرا ولنلحقه بالبصراء .

فإذا صحّ لك من عقلك ما تعرف به وجوه الحكمة وترغب به في الخير

وتتميز بينه وبين الشرّ ، فليس بشهادة الناس ، ولا بما يسمونه حكمة تكون حكيماً ، ولا بعقولهم تعدّ من العقلاء ، ولا بسائر ما يشنون عليه من ودّهم ونصائحهم تكون فاضلاً . وإنما الناس رجلان : رجلٌ لا خير فيه جاهل بحقيقة الحكمة فليس ملتفتاً إليه ، ورجلٌ من أهل الحكمة لا يمنعه ما سهل الله له به سبيل الخير ، بل يبذله لك ، لأنه ليس يباع بشئ ولا يمنع من طالب ولا يكتم كاستتمام الذنوب .

واعلم أن العقل متوجه أينما وجهه له : وله غناه أينما صُرف . وبعض مصارفه أنفعُ من بعض . فإذا صُرف إلى الدين أحكمه وتفقّه فيه ، وإذا صُرف إلى الدنيا أغنى بها واختال فيها . فليس مستودعاً شيئاً إلاّ حفظه ، ولا مصبوغاً بصيغٍ إلاّ قتيله ، ولا محملاً رشداً ولا غياً إلاّ تحمّله . فإياك أن تعدل عن رشد ، أو تصرف إلى غيٍّ ^(١) عامداً أو مخطئاً ، فإنك لست محكماً به شيئاً من أمر دنياك إلاّ أضعت به أكثر منه من نافع الأدب . غير أنك مجمع إلى ضياع العناية بما لا ينفع استيجاب التبعة فيما أضعت . وليس شيء من أمر الدنيا صرفت إليه عقلك فأحكمته ، إلاّ سيعود محكمه عن وشيك ضائعاً وصالحه فاسداً ، لا يصحبك شيء منه في آخرتك ، ولا يوثق ببقائه لك في دنياك . وإنما ومن أمر صاحب الدنيا وبطل سعيه لأنه بنى في غير داره ، وغرّس في غير أرضه ولم يكن له حين جاء من شخصه إلاّ أن يبغيضه ويدعه لغيره . ومن أخطأه (١١٧ ب) الحق ، ظهر به الحق والبلّة . ومن صرّف عقله إلى غير الحق ظهر به الوهم ؛ وبعض الوهم أبلغ في الشرّ من كثير من الحق . وإنما القصد في ذلك أن يصاب الحق ، ثم لا يصرف به عن جهته .

اعلم أنه من غابت الحكمة عن عقله ، عجز عن إنفاذ الأمور كما تعجز العين الصحيحة عن رؤية الأشياء عند فقد الضياء ، لا يُسَلِّم له حقّ ، وإن حسنت ولايته ، وذلك أنه إن كان جواداً أفسد جوده التبذير ، وسوء موضع

(١) ك : غير .

الصنيعة بصرف العطية إلى من لا حق له ، مع منع ذوي الحق . وإن كان بليغاً ، أفرط في القول وأخطأ البغية . وإن كان عالماً أفسد علمه الذل والمهانة . وإن كان صموئلاً ، أضر بصمته العيب . وإن كان ليثاً ، بلغ لينه الضعف . فمن فقد الحكمة من أهل الخصال الحسنة ضاعت خصاله . ومن فقدوها من غيرهم هلك كل الهلاك . وأما أنت فلا تمدن نفسك على صدق في غير دين ، ولا تكن غاية الصدق في نفسك أن تقول بما رأيت وسمعت ، فإن أكثر ما ترى غير نافع ، وجل ما تسمع كذب .

لا تكتفين مع ذلك من القول بالحق في الدين دون صدق النية وصواب المواضع . وأعني بصواب المواضع أن ترغب في الأجر وتحرص على الخطوة ، فتنتق في غير موضع النطق ، أو تعطى من ينبغي أن تحرمه . فإن إعطاء الفاجر تقوية له على الفجور ، والنطق عند الجاهل إغراء له بجهله ، وحمل له على عداوتك . وكذلك جميع الفضائل إذا لم تستعمل في مواضعها ضرت .

لا ترُضيك من نفسك براءتك من ذنوب تركتها عجزاً عنها أو حياء منها أو رغبة عن أشباهها . ولا تعدن مع ذلك (١١٨) أن تركك لها على تلك الوجوه تركاً ، ولا براءتك منه براءة ، فإنه ليس بينك وبين مفارقة ما تركت إلا أن يمكنك أو يخفى لك . واعلم أنه لا حمد لك في تركها إلا بعد القدرة عليها والاستمكان منها ، فإنه من شأنه ترك الذنوب مع القدرة عليها ، حميد على البراءة منها . ومن لم يقدر عليها أو تركها لبعض ما ذكرناه من الحياء ، أو لراحة ، وكان من نيته ركوبها إذا زالت تلك الأعراض ، لم يبرأ من مذمته . وإن استطعت مع ذلك أن تكون فيما امتنع منك من عمل الخيرات على حال يعلم الله أنك قدرت عليه ، أمضيت العمل به ، فافعل . فإنك إذا كنت كذلك ثبت لك العذر بما تركت ، وحق لك الأجر بما نويت . (و) إن عجزت عن إصلاح نفسك بجميع الوصايا الحكيمة ، فلا تدع أن تأمر به غيرك . فإن سره في الأجر من أطاعك . وإن عصيت ، لم يخطئك ثواب ما نويت . واعلم

أن نفس الإنسان قد وضعت حيث تكثر آفاته بين أعدائه . فإن حاج به الحرص
 أهلكه الطمع ، وإن حاج به الغضب ، أهلكه الغيظ . وإن عرّض له الخوف ،
 شغله الجدل . وإن أصابه نعيم ، دخلته العزّة . وإن كفى بالغنى ، أطغاه المال .
 وإن عضته الفاقة ، شغلته المهانة . وإن رزق الكفاية ، عرّض له الكسل . وإن
 أجهده الجوع ، قعد به الضعف . وإن أفرط في الشبع ، كظته البطنة . فكل
 إفراط مفسد ، وكل تنصير به مضر . فخير أحواله أن يقصر به عن الغنى ،
 وتُدْفَع عنه الفاقة ويُصْرَف عنه الطمع ، ويبذل له الكفاف ، ويمنع من
 الكثرة ويقتصر به على القوت . (١١٨ ب) ولا يزال من أمره على قصد من
 القلوة والنقصان .

إن كنت عرفت الهدى وعداوتك للعقل ، فقد علمت أنه بعد درك العلم
 والتعب بالأدب الصالح ، تأبى إلا ركوب ما تشتهي ، والتناقل عما لا تشتهي .
 فإذا رأيت منازعته إلى مضارك ، وتناقله عن منافعك - فقابل به الورع فإن
 الورع من قبيل النية الثابتة والنسك بالدين القبيح . ومن عرّف نفسه بالنية
 السيئة ، فليس بأمن الانقياد للهوى . والانقياد للهوى استسلام . والاستسلام
 هلكة ، ولكن الرأي له إصلاح النية بالورع والدين ، وأن يجاهد بأحسن
 أخلاقه أسوأها ، جهاداً شديداً حتى يظنّره الله بها ويتأشبه منها ، إن شاء الله
 عز وجل .

من ضل قلبه مخافة خالقه لا يزال من أكثر خلائقه مرغوباً .

من كان ميله إلى غير رضا الله عز وجل ، فإن ذلك الشيء هو الذي
 يهلكه .

ينبغي للعاقل أن يحفظ ما يحكم عليه عقله ويتبغيه حتى لا يتسلط عليه النسيان
 بأن يديم تعهده . وقد سمي قوم إدانة نظر العقل إلى ما حصّته : ذهنياً . وقال :
 إن الذهن لا ينام ، ولا يغفل ، ولا يسكن ، ولا يغيب عنه عقله ولا يحتاج إلى
 تذكير . وهي هذه الدرجة العليا التي بها يشبه من كانت فيه الملائكة والأرواح ،

لأن العقل للبشر ، والدهن للملائكة . فلذلك لا يعقل الإنسان الشيء إلا بعد التفكير والتطلب والتمييز . وأما الملائكة فلأنها تنظر بالذهن ، كما ننظر نحن بالعين بلا حاجة إلى تفكير وتمييز وتطلب .

فصل آخر من كلامه

فأما الدعاء فإني أقول إنه تعرض الإجابة ، لا لأن الله عز وعلا (١١٩) يفعل عند الدعاء ما لا يفعله قبله ، ولا لأنه يفعل : أي يسمع بنحو الانفعال ، أو يرقّ أو يلحقه شيء مما يلحقنا ، بل هو متره عن جميع هذه الأصول . ولكن السبب في الإجابة ، أننا إذا دعونا في خلوة وخلوص سريرة ، عطشنا حواسنا عن وجه الانفعالات ، فتوفرتنا على الانفعال الذي يختص بقبول أثر الباري عز وجل . فحينئذ يأتي ذلك الأمر الذي استعدنا له ، وبهذا النحو من الفعل نستخرج المسائل النوعية : ونقول الشعر وتذكر ونفعلن ، وما أشبه ذلك . وإذا توجهنا بهذا الوجه نحو كوكب ، استعدنا وتبيننا ، فقبلنا صورةً وأثراً ، كما قبله الكوكب بعينه . وذلك أن الكوكب قبل صورةً بمخاصة موضوعه المستعد لقبولها وإعطاء الباري ما أمكنه قبوله ولم ييخل بشيء على شيء . — فهكذا يكون الدعاء والإجابة .

وقال أيضاً : قد تبين مما قد مناه أن الذين يزعمون بقاء النفس بالشخص هم طبعيون بعد وجسميون ، إلا أنهم يناقضون ويخلطون ، لذهاب وهمهم إلى أن النفس تبقى عن الجسم ، وهي ذات تميز من الذات الأخرى التي هي هي . وأظنهم يتوهمون لها أمكنة ويتصورونها كذلك ، وإن لم يطلقوه قولاً .

وقال : سبب الجزع هو كثرة نظرنا في الجزئيات والحسيات . وذلك الجوهر الشريف الذي فينا لا ينظر^(١) فيها بالذات . فإذا توهمنا فقدان الحسبات

(١) ك. م : نظر .

استغناء عليها ، يعرض ^(١) لنا الجزع من الموت . ولهذا نجد الفلاسفة يقولون :
مُتَّ بالإرادة ، لأن الموت الإرادي هو التعرُّب في هجر الحسِّيَّات والملاذِّ
الجسمانية واطراح الشهوات (١١٩ ب) والتصرُّف مع العقل والعقليات . وإذا
انصرف الإنسان بجميع قواه ، أو بأكثرها ، إلى هذا المعنى ، لم يلتذَّ إلاَّ بها ،
ولم يشفقْ إلى الجزئيات والحسِّيَّات ، فيكون كأنه مفارق لها وإن كان متصلاً
بها وملاصقاً لها ، ويكون حينئذ غير خائف من الموت ولا هائب له ، ويصير
من اللامعين والفائزين ، وفي جوار الله الذي ليس فيه خوف ولا أسف .

وقال في الخواطر أيضاً :

ليت شعري ما الذي يشككتنا في دوام وجود الجوهر وأنه لا ضدَّ له ، وما
لا ضدَّ له لا يفسد ، وأنه غير مكوَّن من حيث هو جوهر ، وفي أن النفس
جهرٌ بجهة ، وعَرَضٌ بجهة . فأما ذاته وآبته فجوهرٌ ، وأما كونه متصلاً
فعارضٌ عَرَضٌ له . والعرض يفسد لا محالة . فأما الجوهر فلا سبيل أن يترحم
له فساد . فمن أين تسلط الشك على من ظنَّ أن ذات النفس تتلاشى وتضمحل ؟
وهل يمكن أن تكون ذاته عَرَضاً وهو معطي الحياة والمتحرك من ذاته والعاقل
فإن هذه الثلاث الخواص هي النفس بخاصة ^(٢) .

أبو الخير الحسن بن سوار بن بابا بن بهنام ^(٣)

قيل لأبي الخير : حدِّثنا عن معرفة الله — تقدَّس اسمه ! ضرورة هي

(١) ك ، م : يعرض .

(٢) ك ، م : نخصه .

(٣) لم يورد السوي في مختصره من هذا الفصل الخاص بمسكويه غير ١٤ سطراً فقط !

(٤) راجع عنه « الفهرست » لابن التميمي ، طبعة فلوجل ، ابن أبي أصيبعة ج ١ من ٣/٢٢٢ ؛

ابن القفطي ، ١١٥ ؛ البيهقي : « تنمية صوان الحكمة » ، ١٣ ؛ — F. Rosenthal ،

in *Orientalia*, NS, VI, 39, n. 2. وقد ولد في ربيع الأول سنة ٣٢١ هـ (نوفمبر —

ديسمبر سنة ٩٤٢ م) .

أم استدلال ؟ فإن المتكلمين قد اختلفوا في هذا اختلافاً شديداً ، وتناذبوا عليه تنابذاً بعيداً . يجب أن نحصل لنا على جواب فلسفي على حد الاختصار مع البيان .

فقال : هي ضرورة من ناحية العقل ، واستدلال من ناحية الحسن . ولما كان كل مطلوب من العلم إما أن يطلب بالعقل في المعقول ، أو بالحسن في المحسوس — قال : وهذا هو (١٢٠) أم الشاهد . والغائب : ساغ أن يظن تارة أن معرفة الله اكتساب واستدلال ، لأن الحسن يتصفح ويستقرى بموازاة العقل ومظاهرته وتحصيله وتفضيله . وأن يظن تارة أخرى أنها ضرورة ، لأن العقل السليم من الآفة ، البري ، من العاعة ، يبحث على الاعتراف بالله تقدس اسمه ، ويحظر على صاحبه جمعه وإنكاره والشكك فيه . ولكن ضرورة لاثقة بالعقل ، لأن ضرورة العقل ليست كضرورة الحسن . وذلك أن ضرورة الحسن فيها جذب وإجبار ، وحمل وإكراه . فأما ضرورة العقل فهي لطيفة جداً ، لأنه يعط ويلطف وينصح ويخفف .

وكان بعض أصحابنا في الرواقين ببنداد يضرب في هذا مثلاً : زعم أن مثال الحسن في هذا كأمرأة حسناء مترجة ذات وقاحة وخلاعة ، قد جلست إلى شاب طرير نه شطر من جمالها وعليه مسحة من حسنها ، يحدده يحدبها ، وتراوده عن نفسه لنفسها ، وتبدي له في محاسنها وتطمعه في الاستمكان منها ، وتستعجله في حاجتها ، وتحثه على قضاء اللذة منها . — فأما مثال العقل فكأنه شيخ هيم قاعد على بُعد ، ليس به نهضة للزخوف إليه ، والحيولة بينه وبين ما قد نزل به من صاحبته النوقحة الفاضحة . إلا أنه مع ذلك يُلجج بثوب وينادي بصوت وبحرك رأسه ويبسط يده ويعط ويلطف ويبعد ويخون ويضمن ويرقى ويشفق ويخنو . فأين (١) تأثير هذا الشيخ الهيم المحطم من تأثير هذه الخالصة

(١) ك ، م : فإن .

الغالبية المحتالة المغتالة ! هذا مع قلة إصغاء الشاب إلى الشيخ (١٢٠ ب) وسيلانه مع هذه .

أراد بهذا المثل الفرق بين العقل فيما يدعوك إليه لتسعد ، وبين الحس فيما يحملك عليه لتسقى . هذا في جميع ما تزاوله وتحاوله وتُهمّ به وتترجعه نحوه .

فعلی هذا ، فإن الله - تقدّس ! - معروفٌ عند العقل بالاضطرار ، لا ريب عنده في وجوده ، ومستدلٌّ عليه عند الحسّ لأنّه يستحيل كثيراً ولا يثبت أصلاً . فمن استدلّ ، ترقى من الجزئيات . ومن ادّعى الاضطرار ، انحدر فكلاهما قد وضحا بهذا الاعتبار ، وكفيا مؤونة الحبط والإكثار . وهكذا كل شيء يطلب أصله وفصله بالنظر الفلسفي والبحث المنطقي والافتداء الإلهي . فأما ما ينظر فيه بالخصومة والجدال ، فلا يرث الانسان منه إلاّ الشك والمريبة والحسبان والظنّة ، والاختلاف والفرقة ، والحيمة والعصبية . وهناك للهوى ولادة وحضانة ، وللباطل استيلاء وجولة ، وللحيرة ركود وإقامة .

أخذ الله بأيدينا ، وكفانا الهوى الذي يودينا ، وصنع بالذي هو أولى به منا السلام . !

أبو النفيس

كان أحفظ الناس لتوارد الفلاسفة وفقرهم ولُصَحهم .

قيل له : كيف ترى الدهر ؟ قال : وَهَوْباً لِمَا سَلَبَ ، سَلُوباً لِمَا وَهَبَ ، كالصبي إذا لعب .

(٢) اقترى الأمر اقتراء واستقرأه استقراء : تنبيه .

(٣) أسقط صر بن سهلان الساري في « مختصره لصوان الحكمة » كل الفصل الخاص بالحسن بن سوار .

وقال أبو النفيس : قال بعض الحكماء من اليونان : المال محبوبٌ من أجل البقاء في عالم البقاء والخلود . ومتى ضعفت قوة النفس عن التمييز ، صار توهمها للبقاء أبداً في عالم الفناء علةً للاستكثار فيه .

وقال : العجلة مذهلة ، وفي اللجاج نقص ، والعجب حيرة ، وفي التواني فوات .

وسُئِلَ عن قول أفلاطون : صحبة بليدٍ نشأ مع الحكماء (١٢١ أ) خيرٌ من صحبة ذكيٍّ نشأ مع السفهاء . قال أبو النفيس : لأن الإنسان بالمنشأ ، وأكثر منه بالولادة . وذلك أيضاً يخرج به في القوة إلى الفعل واستان عاداته وثبات إلفه . ومن هذا الباب بان أن السجايا الحميدة في الأصل لا تنفع كل نفع حتى تطرد بها الرياضات الصالحة . وها هنا تفاوتت منازل الناس في إرادة الخير وقصد الحق وتصفية الرأي وطلب الحسّ ونيل السعادة .

وقال : بالحسّ نجد الشيء ، وبالوهم نقل الشيء ، وبالعقل نميز الشيء . فالإنسان ثلاثة أشياء ، إلا أنه واحد . وهو واحد ، إلا أنه ثلاثة أشياء . وإنما انقسم لتركيبه . ومتى صحّ معنوله ، صار واحداً على الحقيقة . ومتى فسد معنوله وزور معنوله صار أشياء أكثر من ذلك ، وكان ذلك سبب عيش الذي في متقلبه .

وقال : ظهور الحكمة مِمَّن ليس بحكيم كظهور السّفه مِمَّن هو حكيم ، لأن للنفس هفوة ، وللطبيعة طغية ، وللجملة المركبة هيئة ليست لكل واحد منها بتفردا (١) .

وكان أبو النفيس يخطب بهذه الخطبة ويقول :

خبروني عن الروح ، وهل يجوز عليه ما يجوز على النفس ؟ وبأي شيء يأتلغان ، وبأي شيء يختلفان ؟ وما منشأ هذا ، وما مصير هذه ؟ وما حكم

(١) أي : بتفرد ، بفرادى .

المنعوت بالنفس والروح ؟ وما خبر البدن الحامل للروح ؟ وما حديث الروح المحرك للبدن ؟ وما حدث كل واحد من هذه الجملة ؟ وما هذه الوحدة المستكنة في هذه الكثرة ؟ وما هذه الكثرة المستكنة على هذه الوحدة ؟ وكيف ترايلها بعد هذا الاختلاط ؟ وكيف حلها بعد هذا الامتزاج ^(١) ؟ وكيف (١٢١ ب) استيحاش بعضها من بعض : بعد هذا الاستئناس ؟ وكيف نباعد بعضها من بعض عند هذا الالتباس ؟ وأين مرد النظام الذي كان يحفظ هذا الشرح ؟ وأين ذلك النور الذي كان يطلع من هذا الشخص البهيج ؟ وأين تلك اللطيفة التي كانت تنبث عن هذه الكوة ؟ وما صنع ذلك الشيء الذي كان ينطق بالأمر والنهي ، ويصرح بالرد والقبول ، ويجهز بالحلب والبغض ، ويتضاءل إذا احتاج ، ويتناول إذا استغنى ، ويتشاجى إذا عشق ، ويزهى إذا شاء ، ويستكن إذا نكب ، ويستكبر إذا غضب ، ويحدف عن الأول والآخر ، ويتسلط على الباطن والظاهر ، ويتعرف أمر الغائب والحاضر ، ويرسم الماضي والمستقبل ، ويخترع النتيجة والمقدمة ، ويفرز النوع من الجنس ، ويلحظ البسيط في غور المركب ، ويميز الصافي من الكدر ، ويتصرف بالزيادة والنمو ؟ وما خبر ذلك الشيء الذي كان يتظن ويوقن ويؤمن ، ويعلم ويجهل ، ويخبر ويخبر ، ويستوحش ويستأنس ، ويرجو ويقنط ، ويعلو ويهبط ، ويتوسط المشابهات ^(٢) فيميز بعضها من بعض ، وينظر في المختلفات فيربط ^(٣) بعضها ببعض ، ويشرف على الأضداد فيصفها بخواصها ؟ أعرج إلى محيطه قالباً لمركزه ؟ أم درج من محيطه مشتاقاً إلى مركزه ؟ أم تبدد فيما بينهما غير مالك لنفسه ؟ أم ظفر منهما إلى ما نبأ ^(٤) لنا عنه ؟ أم جرى عليه وله ما ليس عندنا . (١٢٢ أ) علمه ؟ أم توارى عن العين بقدر ما تراءى للعقل ؟ أم استر منهما كليهما ؟

(١) م ، ك : اختلاط . وفي ك وضع تحتها : الامتزاج .

(٢) ك ، م : المشاهدات .

(٣) ك ، م : غير بسيط (١) .

(٤) نبأ : تخافى وتباعد . نبأ بصري وسمعي عن كذا . إذا لم يوافقك ، وكبرته .

وَبَعْدُ ! فَمَنْ حَفَظَهُ عَنْ هَذِهِ النَّاحِيَةِ ؟ وَمَنْ شَرَّدَهُ عَنْ هَذِهِ السَّاحَةِ ؟
وَمَنْ غَرَّبَهُ عَنْ هَذَا الْوَطَنِ ؟ وَمَنْ نَفَّرَهُ عَنْ هَذَا الْمَالُوفِ ؟ وَمَنْ بَغَضَ إِلَيْهِ
هَذِهِ الْبَلَدَةَ ؟ وَمَنْ حَبَّبَ إِلَيْهِ تِلْكَ الْغُرْبَةَ ؟ وَمَنْ أَنَسَهُ بِتِلْكَ الْوَحْشَةِ ؟
وَمَنْ حَلَّلَهُ تِلْكَ الْحَلِيَّةَ ؟ وَمَنْ جَلَّلَهُ فِي تِلْكَ الْبُخْلَةِ ؟ وَمَنْ ضَيَّقَ عَلَيْهِ هَذَا
الْفَضَاءَ مَعَ انْفِتَاقِهِ ؟ وَمَنْ نَحَّاهُ عَنْ هَذِهِ الْفُرْصَةِ مَعَ سَعَتِهَا ؟

أَرِيدُ بِهِ خَيْرٌ ، أَمْ شَرٌّ ؟ أَمْ أَغْفَلَ إِغْفَالًا ، وَأَهْمِلُ إِهْمَالًا ؟ بِاخْتِيَارِهِ
ذَهَبَ ، أَمْ بَكْرُهُ مِنْهُ فَقَدْ ؟ أَمْ غَشِيَتْهُ حَالٌ حَجَبَتْهُ عَنِ الْإِكْرَاهِ وَالْإِكْرَاهِ ؟ فَمَا
ذَلِكَ الْغَاشِيِ وَمَا ذَلِكَ الْحِجَابُ ؟ وَقَدْ قَالَ الْأَوَّلُ :

لَا يَتَضَرُّ الْعَجْزُ ذَا الْجَدِّ وَلَا يَنْفَعُ الْمَحْرُومَ لِيَضَاعُ وَكَدِّ
لَيْتَ شِعْرِي : « لَيْتَ » نَبْوَةٌ أَيْنَ صَارَ الرُّوحُ مُدًّا بِأَنْ الْجَسَدُ ؟
وَمَا أَحْلَى قَوْلِهِ : « وَلَيْتَ نَبْوَةٌ »

وَقَالَ آخِرُ :

لَيْتَ شِعْرِي ، وَأَيْنَ مِنِّي « لَيْتَ » إِنَّ لَيْتًا « وَإِنْ لَوَاءَ عَسَاءَ
وَقَالَ آخِرُ :

يَا لَيْتَ شِعْرِي مَا يَرَادُ بِنَا وَلَقَلَّمَا تَجَدِّي لَنَا « لَيْتَ »
وَقَالَ آخِرُ :

فَلَكُنْتُ بِمُحْدَرِكٍ مَا فَاتَ مِنِّي بَلْهَفٍ أَوْ بَلِيَّتٍ أَوْ لَوَانِي ^(١)
وَقَالَ آخِرُ :

(١) لَكَا م :

فَلَيْسَتْ تَدْرِكُ مَا فَاتَ مِنِّي بَلْهَفٌ وَلَا بَلِيَّتٌ وَلَا لَوَانِي
وَقَدْ أَمْلَعْنَاهُ بِحَسَبِ مَا فِي نَسْخَةِ قَانَحٍ رَقْمُ ٣٢٢٤ وَرَقَّةُ ١٦٠ .

إن في ذا الجسم مُعْتَبَرًا لَطَلُوبُ الْعَالَمِ مُلْتَمَسُهُ
 مِكَلٌ لِلرُّوحِ يَنْطَقُهُ عَرَفُهُ وَالصَّوْتُ مِنْ نَفْسِهِ
 وقال آخر :

في النفس والجسم ، إن فكرتُ ، مُعْتَبَرٌ
 بل دون ذلك ضَلَّ الرَّأْيُ وَالْفِكْرُ

وحار كلَّ لَبِيبٍ فِي اتِّحَادِهِمَا
 وتلك عَيْنٌ ، وهذا حُكْمُهُ الْأَثَرُ

(١٢٢ ب) إذا نظرت رأيت العين واحدة
 وَتَمَّ صَوْتُ صَفَاءٍ ضَمَّتْ الْكَدْرُ

بذلك الفيض يربو العقل عَتَقًا
 أَسْتَارَ غَيْبٍ نَجَافِي دُونَهُ الْبَصَرُ

ويلحظ المرءُ غايات الأمور بسببه
 من قبل مذهبه والغيبُ مستر

يا ليت شعري إذا الأبدان أضمرها
 يد البلى وحواءا الثُربِ والمَسْدَرُ

هل للنفوس الصفات نحو عالمها
 كما تَلَفَّتْ (١) نحو المركز الحجر

ليحصل الفوز في دار الخلود لها
 وَتَنْتَقِي دُونَهَا الْأَفْسَاتُ وَالْغَيْبَرُ

أم تفصل كما قد بان مكلها
 ولا يحس لها ورْدٌ ولا صَدَرُ

(١) لا : يتلفت .

تلوى الشفاه ^(١) بها حتى تُغيبها
بحيث تبحث عن أولادها البقر
هذا الذي صَدَرَتْ منه خواطرها
فليس يحلو صدامها العلم والخبر
تفرد الله بالعلم الخفي ولم
بشركه في سره جن ولا بشر
فليس بعشو إلى نار الحوى أحد
إلا بتوفيقه ، إن كان يعتبر .

ثم قال :

هذه بلابل الصدور ، وحسرات الأرواح ، ووساوس الكرام من هذا
السواد الغامر للأرض ، المطبق للآفات على مر الزمان القديم والأعصر الأول هـ
وكل يقلق في نصابه ، وبخفزه فكره إلى مدى نظره ، ويتطاول بحوله وطاقته
إلى ما يناله بسكونه وحركته واستطاعته . ولا دواء لهذا ولغيره أنجح من صنع الله
الذي من جاد عليه به صفا : ومن فاته ذلك سكير وذهل .

وهب الله لنا من العقل ما نعرف به أنفسنا ، ومن الأدب ما نتعاشر به بيننا ،
ومن الكفاية ما يغني عن ثامنا وكرامنا ، ومن الشكر ما نستحق به المزية من
ربنا ، ومن الصبر ما نتخرج به مرارة حياتنا . بمئة وكرمه .

وقال في موضع آخر : (١٢٣ أ) إني لأتعجب جداً من أمرين : أحدهما

(١) بالسين المهملة في ل. م (وقد وردت علامة تدل على أنها مهملة) . وهذا البيت لم يرد في
مخطوط فاتح رقم ٣٢٢٢ ، وهو الذي فيه مختصر عمر بن سهلان الساي له صوان الحكمة و
بمنوان و مختصر صوان الحكمة .

(٥) ما هنا ينتهي ما اختصره عمر بن سهلان الساي من صوان الحكمة .

أمر الطبيعة مع شرفها في نفسها وتديرها لمرادها واستمرارها على عاداتها في نظم ما تنظمه وإصلاح ما تصلحه - كيف أبثت طاعة النفس ، وعصبت أمرها ، مع تلطف النفس في دعائها وحسن فطنة النفس واحتدائها ! والآخر : أمر النفس ، كيف شغفت بالطبيعة حتى انقادت لها في بعض المواضع فهلكت بانقيادها ومظاهرتها لها حتى آلت إلى عالم مظلم دس ! فقد عرّض العجب تارة من النفس كيف لا تستغني عن الطبيعة جملة ، وتارة من الطبيعة كيف لا تقتدي بالنفس ؟ وما هذه الحال التي أورثت النفس الهلاك ، والطبيعة البوار ؟

وقال : ما أحسن ما قال بعض الإلهيين في نظمه :

ما رُمْتُ تحصيله إلا وبسرهمتي
سُكِرُ التطوح في مجبوحسة الدهش

حتى إذا برزت عني روافقه
ألفيتني عارضاً ، والكُنه مفرش^(١)

وقال : العشق غاية إلهية ، متى ظهر في الغفل كان شرفاً ، لأنه يبعث على المعارف الصحيحة . ومتى ظهر في النفس كان تهدياً من الأدناس العارضة . ومتى ظهر في الطبيعة كان متلوّناً بالأحوال الخبيثة .

أبو سليمان المقدسي

له الرسائل الاحدى والخمسون المسماة « رسائل إخوان الصفا »^(٢) . وكلها مشحونة بالأخلاق وعلم الألمان^(٣) . وهي موجودة فيما بين الناس ، قد

(١) ك ، م : ألفيتني عارضاً ولكنه غير مفرش .
والوزن مكسور بهذا .

(٢) هذا خبر مهم جداً ، وهو أقدم خبر لدينا عن مؤلف هذه الرسائل .

(٣) ك ، م : اللعام . ولم نجد لها منى فأصلحناها كما ترى ..

تداولتها الأيدي . لكنني ذكرت هاهنا فصلاً بسيرة ، على الرسم في أمثالها .
وبه نختتم الكتاب .

قال أبو سليمان : إن قوة نفوس إخواننا في هذا الأمر الذي نشير إليه ونحث
عليه (١٢٣ ب) على أربع مراتب :

أولها صفاء جوهر نفوسهم وجودة القبول وسرعة التصور . وهي مرتبة
الصنائع في المدينة . وهي القوة العاقلة المميّزة لمعاني المحسوسات ، الواردة على
القوة الناطقة بعد خمس عشرة سنة من مولد الجسد . وإلى هذه ^(١) أشير بقوله
تعالى : « وإذا بلغ الأطفال منكم الحلم » (سورة النور آية ٥٩) . وهم الذين
نسميهم في مخاطبتنا ورسائلنا : « إخواننا الأبرار الرحماء » .

وفوق هذه المرتبة مرتبة الرؤساء ذوي السياسة ، وهي مراعاة الإخوان .
وسخاء النفس ، وإعطاء التقيض والشفقة والرحمة والتحنُّن على الإخوان . وهي
القوة الحكيمة الواردة على القوة العاقلة بعد ثلاثين سنة من مولد الجسد . وإليه
أشار عز وجل بقوله : « ولما بلغ أشده آتياه حكماً وعلماً » (سورة يوسف
آية ٢٢) . وهم الذين نسميهم في رسائلنا : « إخواننا الأخيار الفضلاء » .

والمرتبة الثالثة فوق هذه ، وهي مرتبة الملوك ذوي السلطان ^(٢) والأمر
والنهي والنصر والقيام بدفع العناد والخلاف عند ظهور المعاند المخالف لهذا
الأمر بالرفق واللطف بالمدارة في إصلاحه ، وهي القوة الناموسية الواردة بعد
مولد الجسد بأربعين سنة . وإليها أشار ^(٣) قوله تعالى : « ولما بلغ أشده وبلغ
أربعين سنة » ، قال : ربّ أوزعني أن أشكر نعمتك ، الآية (سورة النحل ١٩
والأحقاف آية ١٥) . وهم الذين نسميهم : « إخواننا الفضلاء الكرام » .

(١) ك ، م : أشار .

(٢) ك : ذوي السلطان السلاطين والأمر .

(٣) ك ، م : بقوله .

والرابعة فوق هذه ، وهي التي ندعو إليها إخواننا كلهم في أي مرتبة كانوا ، وهي التسليم وقبول التأييد ومشاهدة الحق عياناً . وهي (١٢٤ أ) القوة الملكية الواردة بعد خمسين سنة من مولد الجسد . وهي المهتدة للمعاد والمفارقة للهوى ، وعليها تنزل قوة المعراج ، وبها يصعد إلى ملكوت السماء فتشاهد أحوال القيامة : من البعث ، والنشور ، والحشر ، والحساب ، والميزان والجواز على الصراط ، والنجاة من النيران ، ومجاورة الرحمن ذي الجلال والإكرام . وإلى هذه المرتبة أشار قوله ^(١) تعالى : « يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ اإِرجعي إلى ربِّكِ راضيةً مرضيةً . فادخلي في عبادي ، وادخلي جنَّتي » (سورة الفجر آية ٢٧ - ٣٠) . وإليه أشار إبراهيم عليه السلام ١ - بقوله : « واجعلي من وريثة جنة النعيم » (سورة الشعراء آية ٨٥) ، وإليه أشار يوسف - عليه السلام ١ - بقوله : « ربِّ قد أتيتني من الملك وعلمتني من تأويل الأحاديث ، فاطر السموات والأرض . أنت وليتي في الدنيا والآخرة . توفقي مُسليماً وألحقني بالصالحين » (سورة يوسف آية ١٠١) . وإليه أشار المسيح عليه السلام بقوله للحواريين : « إني إذا فارقت هذا الهيكل فأنا واقفٌ في الهواء عن يمين العرش ، بين يديَّ أبي وأبيكم ، أشفع لكم . فاذهبوا إلى الملوك في الأطراف ، وادعوهم إلى الله تعالى ، ولا تهابوهم فإنِّي معكم حيثما ذهبتم بالنصر والتأييد لكم » . وإليه أشار نبينا محمد - صلى الله عليه وعلى آله - بقوله : « إنكم تَرِدُون على الخوض خُداً » - وأحاديث أخر مشهورة مروية عند أصحاب الحديث . وإليها أشار سقراط بقوله يوم سقي السم : « إنني وإن كنتُ أفارقكم إخواناً فضلاء ، فإنِّي ذاهبٌ إلى إخوان كرام قد تقدموا » - في حديث طويل . وإليها أشار فيثاغورس في « الرسالة الذهبية » (١٢٤ ب) في آخرها : « إنك إذا فعلت ذلك على ما أوصيتك به ، فإنك عند مفارقة الجسد تبقى في الهواء غير عائد إلى الأنسية ، ولا قابل للموت » . وإليها أشار بلوهر ^(٢) حين قال الملك لوزيره : « ومنَ أهلُ هذه المقالة ؟ » قال : « هم

(١) ل ١ م : بقوله .

الذين يعرفون ملكوت السماء » - في حديث طويل .

وإليها ندعو نحن إخواننا جميعاً ، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم .
وإليها أشار قوله تعالى : « والله يدعو إلى دار السلام ، ويهدي من يشاء إلى
صراط مستقيم » (سورة يونس آية ٢٥) . وإليها أشار تعالى في آيات كثيرة
وهي كل آية فيها صفة الجنان وأهلها ونعيمها .

رزقنا الله وإياكم على الصراط المستقيم ، بحرمة ^(١) النبي محمد وآله
الطيبين الطاهرين أجمعين .؟

هذا آخر ما وعدنا من الاختصار من كتاب « صوان الحكمة » .

ويتلوه كتاب « تنمة صوان الحكمة » بعون الله وحسن توفيقه . والسلام ا



(١) ك : بحق النبي .

ثلاث رسائل

تأليف

أبي سليمان السجستاني النطقي

مقالة أبي سليمان السجزي

في أن الأجرام العلوية ذوات أنفس ناطقة

لما كان كل جسم طبيعي له حركة ذاتية نحو شيء يخصه دون غيره - وأعني بقولي « طبيعي » ما له سبب من ذاته بحركته نحو الشيء الخاص به ، وهذا السبب هو الذي يسمى طبيعة ، ويحدّ بأنه مبدأ الحركة والسكون في الشيء الذي هو فيه أولاً وبالذات ، لا بطريق العرض ، وكانت الأجسام الطبيعية التي هذه صفتها هي الأجرام السماوية والاسطقسات الأربعة التي هي النار والهواء والماء والأرض ، والمركبة من هذه ، أعني من الاسطقسات ، - وكانت لكل واحد من هذه الأربعة الاسطقسات حركة ذاتية ، إذا كان خارجاً عن مكانه الخاص به ، نحو الشيء الملائم له وهو المكان الذي فيه كليته وله سكون عنده إذا حصل فيه ، فله إذن طبيعة تخصّه هي مبدأ حركته

(٥) عن المخطوط رقم ٩٤ في كتابخانه مجلس شوراي مل في طهران ، صفحة ٣٦ - ٣٧ ، والمخطوط رقم ٧٢٠٨ في المكتبة المركزية بجامعة طهران ، والمخطوط رقم ٢٥٣ في المكتبة المركزية بجامعة طهران أيضاً . ونرمز إلى الأول بالحرف ص ، والثاني بالحرف م ، والثالث بالحرف د . على أنه يبدو من المقارنة بينها أن مصدرها واحد ، وربما كانت هي الأصل في م . د . وهناك نسخة رابعة في المخطوطة رقم ٢٤٠١ في المكتبة المركزية أيضاً من ٤٠١ - ٤٠٢ ، ونرمز لها بالحرف ط ، والكتابة فيها في كل اتجاه قطعاً قطعاً .

وسكونه . والاجرام العلوية - إذ هي أجسام طبيعية ، ولها حركة ذاتية - فلها إذن طبيعة هي مبدأ حركتها . ولما كانت طبيعة كل من الاسطوانات مخالفة لطبيعة الآخر ، من قبيل أن حركته مخالفة لحركة الآخر ، إذ لا يتحرك نحو ما يتحرك الآخر ، ولا يسكن حيث يسكن الآخر - وجب أن تكون أيضاً طبيعة الأجرام العلوية مخالفة لطباع الاستقصات . وإذا كانت هذه أربعة ، فذلك خامسة . فالتار خفيفة على الإطلاق ، والأرض ثقيلة على الإطلاق لأن تلك تتحرك من المركز ، وهذه إلى المركز . والهواء خفيف بالقياس إلى الماء ، وثقيل بالقياس إلى النار . والماء ثقيل بالقياس إلى الهواء ، خفيف بالقياس إلى الأرض . والأجرام العلوية لا خفيفة ولا ثقيلة ، إذ لا تتحرك من المركز ولا إلى المركز ، بل على المركز ، إذ الحركة التي تتحركها هذه الأجسام : وهي الحركة الثقيلة ، على ضربين : مستقيم ومستدير . فالمستدير أشرف من المستقيم من قبيل أنه يحتمل البقاء والدوام . والمستقيم منتقص ذو نهاية . والأشبه أن السرمدي الدائم أفضل من الثاني المنتقص . وإذا كان كذلك ، فالطبيعة التي هي مبادؤها ، أشرف من الطبيعة التي هي مبدأ المستقيم . والجسم المتحرك بها أفضل من الجسم المتحرك بتلك . وإذا هو كذلك ، فطبيعة الأجرام السماوية أشرف من طبائع الاسطوانات الأربعة . وكذلك موضوعها وصورتها هي طبيعتها . فقد صارت الأجرام العلوية أفضل الاجسام في موضوعاتها وطبائعها وحركاتها . ولما كانت حركتها حركة واحدة متصلة متساوية متشابهة ، لم يمكن أن تراحمها حركة أخرى . وإذا لم تراحمها حركة أخرى ، لم يقبل جوهر انتقالاً من حال إلى حال . إذ ذاك يكون بحركة منا . ولأن الجسم المنتفخ أفضل من الجسم الغير المنتفخ ، وقد وجدنا في المركب من الاستقصات منتفخاً وغير منتفخ . وتبين فيما قبل أن الأجرام العلوية أفضل من الاسطوانات . فهي إذن متنفسة ، لأنه لو لم تكن كذلك ، لكان بعض ما هو دونه في الفضل أفضل منه . وهذا محال . وإذا كانت متنفسة فطبيعتها نفس التي هي مبدأ حركتها ، لأن طبيعة كل متنفس ، بما هو كذلك ،

نفس . والحي إنما هو جسم ذو نفس .

فقد بقي الآن أن نبين أي نفس هي نفسها ، وهل كلها ذوات نفس ، أعني هل الأكر والكواكب جميعاً ذوات نفس ، أم الكواكب وحدها ، دون الأكر ، أو الأكر وحدها دون الكواكب ، وعلى أي وجه تحركها نفسها الحركة الجسمانية التي هي الدوران ، وهي جسماني . وكان الأليق ، بحسب جوهر نفسها إنما هو العقل والتميز العلمي ، ونحو أي شيء تقصد في حركتها ، وكم عدد حركاتها :

لما وجدنا كل شيء ذي طبيعة يشاق نحو شيء يحركه هو البق الأشياء بأن يشبه به ، وعند حصوله له عنده تهاداً حركته ، بمتزلة الماء مثلاً ، فإنه يتحرك نحو المكان الموافق له في بقاء صورته ، وهو ما بين الهواء الذي يوافقه برطوبته والأرض التي توافقه ببردها ، وكذلك باقي الاسطوانات . والحيوان أيضاً فإنه يشاق بحسب جسمه إلى الشيء الموافق لجسمه في بقائه وبحسب نفسه إلى ما يتصرف به المكان نحو المطالبة ، ولأن هذا إذا كان أمره جارياً على مجرى الطبع ولزوم النظام في حركاته ، قصدنا أن نذكر القوة التي يتشوق بها المتنفس نحو مطلوبه دون غيره — فلنتصرف عن ذكر ما سواه ونقول : إن الحي إنما أن يتشوق نحو الانتقام والإقدام على الغير لانتزاع ما في يده بالقوة الغضبية ، ولما أن يتشوق نحو الشهوات واللذات بالقوة الحيوانية والقوة الشهوانية ، ولما أن يتشوق نحو الفضائل بالقوة العقلية . ولأن الغضب والشهوة مقروران بالحيوان الناقص لحاجات بدنه : أما الغضب فلأن يقدم على تناول كل (ما) هو خارج عن ذاته لصالح حاله أو سلامته من عدوه . وأما الشهوة فتتناول ما يخالف المحتل من بدنه واستفراغ الفاضل فيه . والأجرام العلوية غنية عن هذه الأشياء ، لبعدها جوهرها من التغيير والاستحالة والتنقص والفاقة إلى ما هو خارج عن ذاتها ، كما بينا فيما تقدم . وإذا كان الأمر على ما قلنا فإن نفسها النفس التي يتشوق بها نحو الفضائل . ولأن الفضائل أيضاً على

ضروب ، ومنها للحيوان بحسب القوى التي ذكرناها ، مثل الشجاعة والعدالة ،
 - وهي التقيط بالتساوي بين القوى الثلاث - وجب أن تكون الفضيلة التي
 تشوقها الأجرام العلوية أعلاها مرتبةً وأجلّها درجة : وهي التشبه بأفضل
 الموجودات ، وهو الذي هو أفضل الحيوانات التي في عالم الكون والفساد .
 فنقصد نحو هذا المعنى : إمّا على الحقيقة ، وإمّا على تخييل أنه كذلك ، فإنه
 ما به يقصد الخبير على ما أحبّ ظنه ، ويخطئ فيه لاختلاف طرائقه وتغير
 حركاته وكثرة مادته . وتلك ، أعني الأجرام العلوية ، لما كان جواهرها
 جوهرأ بعيداً عن الاختلاف والتركيب من الأشياء المتنافرة متشابهة الأجزاء
 في أشكالها وحركاتها وقربها من مبدأها من بين سائر الأجسام - والقريب
 من الشيء هو القادر على التشبه به كما هو في مراتب سائر الموجودات - صارت
 مُشوّقة وتأمُّ لفضل^(١) الكمال الذي يليق بها في دوام البقاء بالحركة الدورية ،
 ونقصد المحتملة لذلك بحسب جسمها والتصور العقلي والتمييز بين ذوات
 بحسب نفسها . فالنفس : التي هي صورتها ، تحركها بالإرادة للتشبه بالعلة
 الأولى والمحرك الأول ، والعلة الأولى : وتحركها كما يُحرّك المحبّوبُ
 والخبيرُ طالبه .

وأما أنها كلها ذوات أنفس فيبين بما قلناه من قبل إنها كلها متفقة في
 النوع ، أو طبيعة كلها التي هي مبدأ حركاتها يقصد معنى واحداً في الموضوع
 إذ هو في كل منها واحدٌ في بعده من التغير والاستحالة وفي الحركة ، إذ
 كلها تتحرك دوراً في الغاية ، إن قصد الكل التشبه بالعلة الأولى أو المحرك
 الأول في دوام البقاء . وهذه [العقل (١)] . المعاني أليق بالجسم المنتفس من
 الجسم الغير المنتفس .

وأما كم حركاتها فإنه يبين ذلك من معرفة عدد حركاتها التي هي الأكثر .

(١) ط ، د : يفصل الكمال . م : وتأم يفصل الكمال . أما من فهي كثيرة الخروم في هذه
 الصيغة بأكلها ، بسبب تاكل الورق .

وَيُرْجَعُ فِي مَعْرِفَةِ ذَلِكَ إِلَى عِلْمِ الْهَيْئَةِ ، وَيَحْكُمُ عَلَيْهَا بِحَسَبِ مَا حَكَمَتْ بِهِ
الْأَرْصَادُ الصَّحِيحَةُ .

قال أبو سليمان : هذا ما حضرني من القول في هذا المعنى بحسب قوتي .
وأرجو أن يكون مُنْفِعاً ، إن شاء الله تعالى وتقدس :

تمت المقالة والحمد لله والصلاة على خاتم الرسالة محمد وآله .



مقالة أبي سليمان محمد بن طاهر السجستاني

في المحرك الأول .

إن أولى البحوث عن المحرك الأول ما ارتبط بالكلام^(١) في النظر الطبيعي فيه بالنظر فيما بعد الطبيعة . ولست أعني بالمحرك الأول محرّكاً بعينه ، ولا بالمتحرك عنه متحركاً ما بعينه ، كما ظنّه مَنْ ظنّ بأرسطو طاليس أنه في المقالة الثامنة من « السماع الطبيعي » حين بيّن أن محرّكاً ما أول ، ومتحركاً ما عنه أول ، وأن المحرك في المحيط – أراد بالمحرك الأول : الذات التي هي العلة الأولى ، وبالمتحرك الأول : فلك الكل ؛ وإن ذلك المحرك في المحيط منه . فلإني أرى أنه تكلم في ذلك الكتاب في المبادئ الكلية ، والقوانين العامة للأمور الطبيعية هي كذلك ؛ ولم يتعرض لذوات الأمور ، ليكون الناظر في الأمور ، إذا سلك مسلكاً طبيعياً ، طابقت تلك القوانين ما رام إصابة الحق فيه منها . وإن كان كلام الفيلسوف يجذب الوهم إما ظن به حين أورد ما

(١) عن المخطوط ، رقم ٩٤ في كتابخانه مجلس شوراي ملّ في طهران ص ٢٧ - ٣٨ ، والمخطوط رقم ٢٥٣ في المكتبة المركزية بجامعة طهران ورقة ٥٨٨ - ٩٠ ، والمخطوط رقم ٧٢٠٨ في المكتبة المركزية بجامعة طهران أيضاً . والمخطوط رقم ٢٤٠١ بنفس المكتبة ص ١٠٢ - ١٠٣ . وينتظر وجود عدة رسائل فلسفية مشتركة بين هذه المجموعات الأربع . (١) في المخطوط رقم ٢٤٠١ : الكلام - وهو تحريف واضح .

أورد من الأقاويل ملائماً للأمر . وهكذا ينبغي أن يظن به في أكثر ما أتى .
 به فيما بعد الطبيعة . فإن القصد تمهيد الطريق والتوقيف على المسلك الصحيح
 إلى المطالب اللائقة بالفلسفتين ، أعني الفلسفة الطبيعية ، والفلسفة الإلهية ،
 يستعملها الناظر في حقائق الموجودات . وعلى ما أرى ، هذا الضرب من
 النظر في الفلسفة هو الذي اختص به أرسطوطاليس دون من تقدمه من
 الأوائل ، فإنهم كانوا يخلطون النظر في الذوات بالنظر في الأقاويل لمعرفة
 أطوالها والمقاييس والدستورات التي بها تشير صحتها . فأمّا هو فقد جرّد
 النظر في المقاييس والدستورات والقوانين العامة للمعقولة والمظنونة ، والمطبوعة
 والموضوعة عن المواد ، بالفلسفة المنطقية التي تشمل عليها المخاطبات البرهانية
 والجدلية وغيرهما مما يحتاج فيه إلى التحقيق والتصديق . ثم أتى بالفلسفة الإلهية
 وجرّد النظر في الدستورات والقوانين الكلية للأمر بما هي طبيعية في « السماع
 الطبيعي » . ثم أتى بالفلسفة الإلهية وجرّد النظر في الطرق المؤدية إليها بما
 أوردته في كتب « ما بعد الطبيعة » . وليس النظر فيما بعد الطبيعة هو
 النظر في ذوات الأمور الإلهية ، لكنه النظر في كيفية البحث عن الذوات بما هي
 إلهية .

ولنرجع الآن إلى ما قصدنا من الكلام ، وإن كنا قد أوردنا شيئاً لا يختص
 بما نبحت عنه في هذا الموضع فنقول :

كل محرك أول ، بما هو محرك أول ، له متحرك أول . فالتحرك الأول
 — بما هو أول متحرك — له الحركة التي هي أدنى الحركات بالأولية ، وهي
 المكانية . ومنها الحركة التي هي أشرف أصنافها ، وهي الحركة الدورية .

وكل متحرك إما أن يكون متحركاً بالذات ، وإما أن يكون متحركاً
 بالعرض . والمتحرك بالذات أقدم من المتحرك بالعرض . والمتحرك الأول ،
 الذي هو متحرك عن أول محرك أول ، أقدم وأشرف من كل متحرك
 بالذات . والمتحرك بالذات أول . فالتحرك الأول الذي عن أول محرك أول

متحرك بالذات . والمتحرك بالذات مبدأ حركته . وكل جسم له مبدأ حركته فيه هو جسم طبيعي . وذلك المعنى الذي منه مبدأ حركته طبيعية . والحركة بين كل متحرك ومحرك وجودها في المتحرك دون المحرك . والمتحرك دوراً ، الذي مبدأ حركته فيه وله توجد الحركة ، فالمحيط دون المركز . والمحرك الأول إذن في المحيط من كل متحرك دوراً دون المركز . والمحرك الأول صورة طبيعية للمتحرك الأول دوراً ، فهو متحرك بالعَرَض . لكن المحرك الذي ليس بمتحرك بالعرض أشرف من المحرك الذي هو متحرك بالعرض . وإذا كان كذلك ، فهذا هنا محرك ما ، ليس بمتحرك بوجه من الوجوه ، لأن كل ما هو بالعرض تابعٌ للذي هو بالذات وموجود جزءاً منه في أي شيء . فَرَض .

وإذ قد تبين أن المحرك الأول على ضربين : محرك أول هو صورة طبيعية للجسم المتحرك الذي هو أول متحرك دوراً هو متحرك بالعرض ، ومحرك أول ليس هو متحركاً بوجه من الوجوه — قد ينبغي أن ننظر على أي وجه يُحرك كل واحد منها المتحرك عنه . فإن في ذلك بيان ما هو كل واحد من المحركين . وإن الذي أشار إليه الفيلسوف بأنه في المحيط — غيرُ المحرك الأول الذي هو المبدأ الأقصى ^(١) . وإن ذلك مع معلول هذا ، وهذا علته بوجه من الوجوه .

وإذ قد تبين أن الفلك متنفس ، بما سبق من القول فيه في المقالة ^(٢) التي عملتها في أن الأجرام العلوية متنفسة ، وإن نفسها النفس الناطقة ، وبما بينه الاسكندر ^(٣) وغيره مما لا حاجة بنا إلى إعادته في هذا الموضع — وكل جسم طبيعي متنفس نفسه تحركه بالاشتياق نحو أخص الأشياء التي من شأنه أن

(١) في المخطوط : الفصوى .

(٢) وهي المقالة السابقة على هذه مباشرة .

(٣) أي الإسكندر الأفروديسي .

يتشبه به ، وذلك الشيء يحركه بالشوق إلى ذاته — فالمتنفس غايته خارجة عن ذاته ، وحركته مشوبة بضرب من الانفعال والتغير ، بأن يخلع ذاته ويصبر غيره . والمبدأ الأول يحرك معلولاته بأن يعطيها ذاته وينقلها إلى أشرف مراتبها ، إذ هو الجود المحض والخير الخالص ، دائم القبض على جميع الموجودات ، ينال الكل من خيره وجوده على قدر استئصاله واحتماله . فإذا كان المحرك الأول ، الذي هو المبدأ الأول ، يحرك الفلك على أنه سائق . والمحرك الأول ، الذي هو صورة طبيعية في المحيط ، يحرك على أنه مشتاق . فإذا كان قد تبين أن الفيلسوف أراد بقوله إن المحرك الأول في المحيط : المعنى الذي هو صورة طبيعية ، وهي نفسها ^(١) التي هي معلولة من المحرك الأول الذي هو علة أولى .

الفصل الثاني

قد قلنا في أول كلامنا إن القول في المحرك الأول يرتبط بالنظر الطبيعي ، وبالنظر فيما بعد الطبيعة . فلنتقل على أي وجه ذلك :

إن النظر في ارتباط المعلولات بالعلل على وجهين : أحدهما من حيث هي متصاعدة في اقتران بعضها ببعض إلى علتها . والثاني من حيث سريان قوة العلة في معلولاتها . والنظر في الضرب الأول للفيلسوف الطبيعي ، وفي الضرب الثاني لعلم ما بعد الطبيعة . وها هنا ضرب ثالث ليس هو بحسب المقايسة وهو النظر في الذات معرّاة عن النسب والإضافات . والكلام فيه للفلسفة الإلهية . وقد تكلمنا في المحرك الأول الذي هو صورة (٣٨) طبيعية للمتحرك الأول . فلنذكر الآن حال المحرك الأول الذي هو صورة مفارقة ، فأقول :

(١) في المخطوط : نفسه ..

إن تسميتها إياه « الصورة » إنما هو بحسب نسبته إلى ما دونه ، لأنه من حيث يلحظ ذاته على التجديد بهذا المعنى يقال فيه إنه طبيعة الكل . فإن قولنا « صورة » يقتضي ما هي له صورة . وكذلك قولنا « طبيعة » (على وزن) فعيلة ، من الطبع ؛ والفعل بمعنى المفعول ؛ والطبيعة معناه : مطبوعة . ولهذا السبب اسم الطبيعة الأولى إذن يشار به إلى الصور . فنحن في النظر الطبيعي نشير باسم الصورة إلى المعنى الحاصل في المادة ، وفي النظر فيما بعد الطبيعة إلى المعنى المصور للمادة ومعطيات صورها . وفي النظر الإلهي إلى الذات التي إليها تنتهي مراتب القوى ؛ وتنقطع دونها الصفات التي هي بحسب المعلومات على اختلاف حالاتها في الانفعالات وتقاييس (١) الصور وعند قبوله للفيض . فمن حدّ الطبيعة بأنها مبدأ الحركة والسكون للشيء الذي هي فيه أولاً وبالذات لا بطريق العرّاض — فذلك بحسب النظر الطبيعي . ومن حدّها بأنها قوة تنفذ في الأجسام فتعطيها التخلّق والتصور بالصور الخاصة بواحدٍ واحدٍ منها — فذلك بحسب النظر فيما بعد الطبيعة .

وقد نجد الفيلسوف ، لما تكلم في محركات الأكر وأخصى عددها ، أشار إلى أنها مع اختلافها وكثرتها ترجع إلى ذات محركة واحدة هي محرك الكل . وفي هذا تصريح بما ذهبنا إليه في أن المحرك الأول ، الذي هو العلة الأولى ، ليس هو المحرك الذي في المحيط ، إذ هو بذلك المعنى صورة للمتحرك الأول (٢) . وبهذا المعنى يتصور : بأن كان المصور (٣) واحداً في الموضوع ، مختلفاً بالإضافة . لكن إذا أخذ المحرك الأول على أنه شائق — والمحرك الأول الذي به المتحرك الأول مُشْتاق ومتشبه به — كانا مختلفين في الحدّ ، ولم يكن المحرك الأول الذي هو الشائق في المحيط .

وهذا المقدار من الكلام كافٍ فيما أردنا بيانه .

(تمت المقالة ، والحمد لله حقّ حمده . والصلاة على خير خلقه محمد وآله).

(١) في مخطوطي المكتبة المركزية : الأول بهذا المعنى تصور .

(٢) في المخطوطات كلها : فإن كانت والمصدر ...

مقالة أبي سليمان محمد بن طاهر بن بهرام السجزي

في الكمال الخاص بنوع الإنسان •

الحمد لله خالق صُبْح ظلمة العدم بضياء وجود الجود ، ومثبت حجج الإلهية وبراهين الوجدانية ، وداحض شبه الإنكار والجحود ، ومنم^(١) إعلام عوالم الاختراع وبدائع الإبداع لبصائر العقول الناطقة والحواس الظاهرة كالشهود ، الذي أعطى كل شيء خلقه من ناطق وصامت ، وفتح الغفل للمستحق من أهل الركوع والسجود ، وجعل منهم المقربين والكرويين والصفائين المسيحين مَفَرَّةً لأشخاص النوع الإنساني ، لا كلهم ، بل لمن رقى نظره فوقف عند نهاية الحدود ، ورتب الأشياء مراتبها من حيث^(٢) ابتداء الجسم إلى منتهى الخط ذي المساحة والكم والمعدود ، فلم يعد متمكن بمكانه ولا نازع ضد ضده وإن طغى قلبه رتبته يعود ، ويتحجى كل معلول

(١) غير واضحة في المخطوط ص . وفي م : وسم .

(٢) في المخطوطين : ابتدأت الجسم .

(٥) من المخطوط رقم ٩٤ في كتابخانه مجلس شورای مل ، في طهران ، والمخطوط رقم ٧٢٠٨ في المكتبة المركزية بطهران . وسنرمز للأول بحرف ص ، والثاني بالحرف م . وهناك نسخة ثالثة برقم ٢٥٣ في المكتبة المركزية ورقة ٩٧ب - ١٠١ب وهي ناقصة الأول والآخر ، وسنرمز اليها بالحرف د .

لعلته ويؤم كل ذي غاية غايته فيربط أدناها بأعلاها ، وتتوارد القوى متداخلة نحو أفقها الأعلى ، ويجمع الكل بالحكمة الإلهية في شرح النظام الحافظ على الموجودات كمالها الخاصة بها والعامة لها . واختص الإنسان - من بينها - بأجل صورة وأفضل هيئة : فعدل مزاجه وأخلاقه ، وأفاض عليه من فائض جوده ونور جوهريته ما استنارت به نفسه وأيد منه جسمه . فسرت قوته في جميع ما دونه من أصناف الموجودات حتى تملكها بطشا بجوارح جسده . وأحاطه بمعارف نفسه المشتعلة على معانيها وأسبابها التي هي منها وإليها وفيها وعليها ، يبين جوهر كل واحد منها وماهية ، ويفصح بفضل علمه وعقله عن مكنون حقيقته .

ولما كان الغرض في هذه الرسالة الإبانة عن الكمال الخاص بنوع الإنسان ووصف الشخص الذي ظهر فيه جوامع ذلك الكمال في هذا الزمان ، ليتبين مولانا^(١) الملك - أدام الله دولته وعلوه وأيد سلطانه . واحتيج في ذلك إلى أن يشار إلى المعنى الذي قلت إنه القوة المنبعثة من المبدأ الأقصى^(٢) السالمة على القوى والأنفس حتى تنتهي ، بجميع ما فيها من الفضائل التي من شأنها أن تظهر في هذا العالم ، إلى نفس طاهرة وطبع زكي وعقل نقي من دنس الآراء والمذاهب الزائفة عن الحق ، فيتولى تدبير العالم ويسوس أهله بالسنة العادلة ويخلصهم من أيدي المستلطين الذين أبطلوا آثار الآراء الشرعية وأزالوا رسوم الرياسات المدنية ، وأباحوا سفك الرعايا بمنافسة ذوي الأخطار وأشعلوا في نفوس الزعار^(٣) نار العصبية الموثبة أصاغرهم على أكابرهم وأدنياءهم على عليينهم ، فبرتبهم مراتبهم ويصنفهم تصنيفاً يعرف كل امرئ مقامه ويقف عند الحد الذي حدّ أمامه ، ويبخع الطاعة لمن فوقه ولا يتزعج إلى المناقشة لمن علاه في القدر والرياسة فيجري الأمور إلى نهاياتها التي حدّوها بالحكمة

(١) المقصود هو عضد الدولة البوبهي الذي له ألف أبو سليمان ، أو لهني ، هذه الرسالة ،

(٢) ص : القصوى .

(٣) م ، د ، د : الدعار .

الإلهية والشرعية العقلية ويؤمنُ البلاء ، ويعمرُ التلاد ، وبطرد الرياسات
بأجمعها منقاداً لرئاسة واحدة ورئيس واحد . ولما كانت الرياسات الإنسية
إنما هي بالقوة الرئيسية على القوى التي تستبطنها النفس المستعملة لجميع ما في
هذا العالم ، المظهرة أفعالها في أصناف الحيوانات ، المعطية كل نوع منها
كماله الخاص به بحسب قوة قوة منه ، وبالمقدار الذي قسم له منها في الافراط
والتوسط والتقصان . وهذه هي الموافقة والتزاع والشوق والحس والتخيل
والوهم والتصور والفكر والرأي والعزيمة والحدس والذكاء والذهن والحفظ
والذكر والانارة والظن والعلم والعقل . وقد انقسمت علتها قسمين : عدل
فجعل لبعضها جزءاً وهو اللبس ، مضمومة إليه قوة الشوق والتزاع والموافقة .
ولا يمكن الحيوان إلا بمجموع هذه . ولم يجعل له حظ من التخيل . والتخيل
إنما هو للحيوان الكامل الحواس . وهو فيه أيضاً متعلق بحس البصر خاصة
وما عديم هذا الحس ، عديم بَعْدِهِمِ التخيل . وهذا الصنف من الحيوان
بمترلة الحلزون والدود وكثير من الخشرات . وجعل لبعضها الحواس كلها
مع التخيل ، بمترلة الفرس والثور والحصان وغيرها ، ول بعضها مع هذه قوة
التوهم ولمحة من قوى التصور والفكر ، بمترلة الحيوان الذي يسمى النسناس
والعمراس . ول بعضها - وهو الإنسان - مع هذه قوة التصور والفكر والحفظ
والذكر ، مع ما يطيف بها من باقي القوى التي هي الحدس والذهن والذكاء
والعزم والعزيمة والرأي والظن والعلم والعقل . ول بعضها - وهو الأجرام
السمائية - العلم والعقل . وهذه القوى مدبجة : منها نوع روحاني لا يحتاج
معه في تناول المحسوسات إلى موافقة الأشياء الخارجة عن ذاتها ، لأنها غير
مركبة من التي باقي المحسوسات مركبة منها ، وهي النار والهواء والماء
والأرض . فإن الحاس إنما يدرك محسوسه من قبيل المادة المشاركة في قبول
كيفيات هذه الأجرام من ناحية الضد ، أعني الحار بالبارد ، والسيال بالجامد ،
وبالجملة بحسب تهيؤ الموضوع القابل لأصناف المتضادات ، وتلك غير
مركبة منها . وإنما قلتُ إن تلك مدبجة فيها ، لأنها لها بنوع الفعل والتأثير

في هذا العالم الكائن الفاسد ، لا بنوع الانفعال والقبول اللذين يكونان في الجوهر السيال المستحيل حالاً بعد حال . فإن كل فاعل يفعل في مفعوله على مثال الصورة التي في ذاته ، ومن شأن ذلك الموضوع . فالأجرام السماوية إذن إنما تفعل أفعالها على قدر الصور الكيلية بنوع نوع من الموجودات في عالم الكون والفساد كما هي عليه في الوجود الحسني المتضمن أجزاء وقوى وكميات وأعظاماً وأعراضاً مختلفة ، إلا أنها فيها بنوع روحاني متوحد من قبيل أنفسها ، ثم ترسلها بمركاها الجسمانية الجزئية في هذا العالم إلى المادة ، القابلة لها فتقبلها ، وتحدث عنها الأشخاص الجزئية المتمثلة مثال كلياتها ، وتصير عند الفاعل والصورة الكلية مقدمة قبل الموضوع لها بسلان جوهر واختلاف أجزائه وحركانه في الزيادة والنقصان والتكافؤ وكثرة التغيرات والاستحالات اللازمة وقربه من الأجرام المحركة لها بمركاها .

ولنصف الآن كيفية الحال (٣٩) . التي تنصرف عليها أوصاف تلك الذات والاشارات التي أشارت إليها الأمم السالفة على اختلاف آرائهم ومذاهبهم فيها . فإن منهم من زعم أن تلك الذات تواصل ذوات الأمور التي زعموا أنها تتحد بها . وذلك أن القدماء من أصحاب الشرائع قالوا إنها الأجرام السماوية ، وزعموا أنها تظهر فيها وتعمل أعمالها بها ، وسَمَّوها آلهة ثواني . ومنهم من قال إن الأمور التي تتحد بها الجواهر الإنسانية . ومن هؤلاء من قال إن الجوهر الذي اتحد به من جملة هذه الجواهر واحد ، وهو جوهر ناسوت المسيح ، وهؤلاء هم النصارى ، مع اختلافهم في ذلك : فإن اليعاقبة تزعم أنه صار من الجوهرين : أعني جوهر الناس وجوهر اللاهوت — جوهر واحد وأقنوم واحد . ومن الذين قالوا بالاتحاد من زعم أنها تتحد بأكثر من شخص واحد ، وهؤلاء هم الغلاة ، والقائلون بالحللول ، وطائفة

(٥) في المخطوط ص (كنائجانه مجلس شورى لى) وقعت في هذه الصفحة والسابقة عليها غروم عديدة ، بسبب أكل الأرضة للورق ثم ترميمه بورق نفيل . ولكن النسخ الأخرى أكلت كل هذه الغروم .

من الصوفية الذين يقولون بعين الجمع . ومنهم مَنْ قال إن العالم بأسره مركب من ذلك الجوهر وجوهر آخر ضده ، وهؤلاء هم القائلون بأصلين : النور ، والظلمة . وأما أكثر المتكلمين من أصحاب الشرائع فقد أشاروا إلى تلك الذات بالأوصاف التي هي بحسب إضافة مقولاتها إليها ، وبما ظهر لها من تأثيرات تلك الذات فيها . واعتبروا من جملتها الأوائل والأصول لما دونها ، وسموها صفات الذات ، وهي : الحياة والقدرة والعلم وما أشبهها ، مما لا يجوز أن توصف به وبضده وبالقدرة على ضده . فإنّ منهم مَنْ جعل الفرق بين صفات الذات وصفات الفعل بأن صفات الفعل هي التي يجوز أن يوصف بها وبضدها وبالقدرة على ضدها ، وصفات الذات هي التي لا تجوز ذلك من آثار تلك الذات ، فحكموا عليها بما ظهر لهم من تلك الآثار .

وأشار كل فريق ^(١) منهم بحسب الأعراف عنده وعلى قدر قوّته في الاستدلال والتعرق إلى المعرفة بها . فوصفت النصارى الذات بصفة الأثر الذي ظهر من علامات الكمال في شخص المسيح . وأصحاب النور والظلمة وصفت الأثر بصفة الذات . وأمّا فضلاء الفلاسفة فيقولون إن الذات المحدثة للموجودات متعالية عن أن يحيط بها شيء من مبدعاته ، أو تلحقه الصفات اللاحقة لما حصره الوجود في هذا العالم ؛ إذ ليس من شأن العالي على الكل المحيط به أن يحاط به أو تبلغه قوة شيء من أجزاء الكل . فإن الصفات ^(٢) سميات يسم بها العقل الإنساني ذوات الموجودات التي يدركها مما هو دونه بما يجد من الآثار الصادرة عنها والواردة عليها بالفعل والانفعال سمة روحانية بالمنطق الباطن ، ثم تبرزها النفس وتفسح عنها بالمنطق الخارج عبارة جسمانية بحسب اختلاف لغات الأمم . وهذا الفعل للعقل من طريق ما يختص به في نفس جوهره وهو على نظام الموجودات وتآلف بعضها مع بعض بالنسبة

(١) م : فرقة .

(٢) م : صفات .

(٣) م : آثار .

الملائمة المعطية كل واحد منها من العقل كماله الخاص ، من قبيل أنه ليس أي شيء اتفق كان منه موجود تام فيما يقصد بالحكمة إلى إيجاد ، بل شيء ما مع شيء ما بنسب محدودة ^(١) . وللعقل فعلا آخران : أحدهما من حيث هو أول وبسيط ومفعول ومعلول للعلة الأولى . والفاعل الأول - سبحانه وتعالى - المعطى كل موجود من عقل ونفس وما دونهما الوجود العام لجميعها : فإنه يوزع ذلك الوجود على ذوات الموجودات بما يعطيها من الصور الخاصة بواحد واحد منها ، المتنفس وغير المتنفس . والعقل الثاني هو الذي يفعله بتوسط النفس من إفادة الحياة لكل مستعد لقبولها . وهذا الفعل للنفس بالذات ، وله بتوسطها ، إذ النفس هي الصورة التي تحصل للتنفس والعقل يعطيها . فاذن هو الذي يستحق أن يسمى تاماً وكلاً وكاملاً ومكتملاً لغيره ، أو له التمام من قبيل الفاعل الأول حيث جعله سبباً لوجود كل موجود بما له من إفادة النظام بالنسب التأليفية في الموجودات . ولم يجعل لوجوده سبباً غيره . وله التمام أيضاً من حيث منه الابتداء بإفادة الوجود على الوجه الذي وُصف ؛ وإليه الانتهاء في التصاهد والتصور بالصورة الأولى لجميع القوى . وهو الوسط فيما بين المبدأ الأول وما سواه من باقي الموجودات . وهذا الترتيب له خاصة ، وبالحقيقة والطبع ؛ ولغيره من سائر الأشياء بالوضع . وفيه أيضاً المعاني التي بها الشيء هو ما هو ومنه وإليه ، وله صورة الثالث التي من أجلها صارت التصاري تقول بالأقانيم الثلاثة . وقد كادت الفلاسفة يشرفون الثالث ويقدرسون الله به .

وذكر ذلك الفيلسوف ارسطوطاليس في كتابه : « السماء والعالم » ، ومفسر هذا الكتاب . والمراد بذلك على ما أرى إشارة إلى العقل الذي ينتظم الوجودات الثلاثة التي هي : الوجود الإلهي العام لجميع الموجودات ، والوجود النظامي به ، والوجود الطبيعي الذي ينقسم على الموجودات الحسية في الخصوص

والعموم بالنفس الباعثة للطبيعة فيها . وله أيضاً معنى الكل ، إذ به جميع معاني الأشياء التي دونه بالصور الكلية ، وهو الكمال ، من قبَل أنه الغاية التي تنتهي إليه القوى في التصور إما تصوراً روحانياً بحسب قوى النفس التي هي التمييز والفهم والإدراك لما في ذات العقل ، وإما تصوراً جسمانياً بحسب قوى الأجسام المكتسبة وجودها منه بما فيه من النسب المرتبة لها أقساماً المقدرة لها ، من غير أن يحتاج هو إلى أن يتصور بصورة شيء آخر سواء . فإنه الكل - تقدّم ذكره - فليس على سبيل الإحاطة به والإدراك له ، إذ ليس من شأنه ، كما وصفنا فيما تقدّم ، لكنه لحاجته بما يحفظ عليه البقاء ، وفقره إلى ما بمدّة بالوجود ، ولبدوم كونه في إفادة النظام يشعر بأنه ذات منها بقاؤه ووجوده ، فيذعن لها بالافتقار إليها في إبراده إياه بالحياة التي هي أول قوة ينبعث منها إليه . ومعنى الحياة هنا هو النزاع إلى الشيء الأفضل لبدوم به . وهذا الإذعان هو التقديس الإلهي .

وأما أنه مكتمل لغيره فقد ظهر ذلك مما وصفنا من أن كل موجود : متنفّس وغير متنفّس ، يستفيد وجوده وصورته التي بها هو ما هو - بأن يحصل له من تلك الصورة على قدر النسب الثلاثة روحانياً وجسمانياً ، بحسب الأنفس والأجساد .

وإذا كان الأمر على ما رُصِف ، فالإنسان - من بين سائر ما هو في العالم ^(١) - هو الذي اجتمع فيه جميع القوى المتفرقة في سائر (الموجودات ^(٢)) المتوزعة على صنف صنف منها من قوى الأجرام السماوية والأجسام الأرضية ، المتنفّسة وغير المتنفّسة ، فهو الواحد المتكثّر المشتمل على الآحاد المتفرقة ، كما أن الفاعل الأول - سبحانه وتعالى - هو الواحد المحض الغير المتكثّر ، على جميع الوجوه ، المنبث من جميع الآحاد والقوى السارية في هذا العالم إلى أن ينتهي

(١) ص : عالم .

(٢) مكانه بياض في المحطولات الثلاثة . م : د : المتفرقة على صنف صنف منها .

بأجمعها إلى الصورة الانسانية وبنيها الشخص الجزئي على قدر سهوه لقبولها
ومقدار واحد في اعتدال التركيب والإفراط والنقصان وبحسب حركات الأجرام
السماوية وما عليها من اختلاف التأثير عند اجتماعها وافتراقها وأدوارها
وقراناتها العظمى والوسطى والصغرى ، وانتقالها في البروج من مثلثة إلى
أخرى . فإن (٤٠) ظهور ما يظهر منها مختلف القوة والضعف ، والجلالة
وعظم القدر وصغره ، فإن الحوادث العظام وظهور الأشخاص الكاملة المستوفية
قوى المبدأ الأول ، المستولية على تدبير العالم ، المالكة له ، لا تكون إلا عند
تبدل هذه الأدوار وانتقال هذه القرانات من مثلثة إلى أخرى . فإذا اتفق
الزمان ، الذي من شأن الشخص الإلهي ، أن يظهر بموافقة الاشكال الفلكية ،
ظهر ذلك في الصنم الذي هو أليق به في التدبير وبها في التأثير ، بإظهار
ما ينبعث من المبدأ الأول من الفضائل التي يختص بها ذلك الشخص بسياسة الأمم
وتدبير الممالك وتقويم السنن الحافظة على البشر مصالحهم بضروب السياسات
الجارية على ما يقتضيه حكم ذلك الزمان في إيصال المنافع إلى أهله ودفع المضار
عنهم وتوقيفهم على سائر الجحامة لهم صلاح المعاش وحسن المقلب . ولما
كانت المثلثات التي تكون فيها القرانات مختلفة في التأثيرات والأحوال
الحادثة عنها في العظم والجلالة والشرف ، وكانت النارية هي التي تدل على
الأمر وجسامها ، لما لها من قوة التأثير كالنارية العالية على جميع
الاسطوانات بالوضع العارضة في نجومها بالتأثير والطبع ، ومنها تكون القوة
التزوعية إلى جميع المنشوقات للبشر ، وبها تكون الهمة الرئاسية - وجب
أن يكون عند بلوغ الدور إليها بظهر الشخص الكامل الفضائل بإظهار قوته
المرتبة الأمور مراتبها في الحظر والإباحة ، وردها إلى مبادئها التي تكون مبادئها
الصحيحة وقواعدها الراسية وأركانها الثابتة . والحمل من بين سائر بروج هذه
المثلثة هو البرج الذي تأتلف فيه جميع القوى التي تحفظ نظام الموجودات على
ما نظمته الطبيعة الإلهية ، فإن وسط سمائه الجدي بيت زحل العلوي الذي لا
يعلو عليه من المتحيرة كوكب ، وهو دليل النسمو والتعلو والثبات والدوام

والبقاء . وأول قابل من القوى الإلهية الفائضة على الموجودات . وصارت بذلك نسبته إلى ذلك العالم نسبة الملاءمة ، وإلى هذا العالم نسبة المنافرة . وصار كالضد المنافي للقمر السريع القلب الدال على القوى الطبيعية المستحيلة المتبدلة . وناسعه وثالثه وهما القوس والجزء ، دليلاً على المقاصد بالحركات نحو الآراء والمذاهب والاختيارات في العلوم والأديان ، والتنقل في المكان : بينا المشتري وعطارد اللذين يدلان بالطبع على هذه المعاني . فإن المشتري ، صاحب تاسع الحمل ، الكوكب الدال على العقل . وهو من وضع قوى الكوكب في مرتبة الأصل والمبدأ القاعل للعلوم . وعطارد ، صاحب ثالث الحمل ، بمتلة الفرع المنقل المظهر ، بما يقبله الموازي له في بيت العلم الذي هو فعل العقل . وسابعه الميزان ، بيت الزهرة ، ودليله الاظهار لما يقبله من المريخ صاحب برج الحمل بالمشاركة المولدة للموجودات توليداً جسمانياً بالمزاوجة والنكاح ، والآخر روحانياً بإفادة المعاني ، التي تستبطنها النفس ، بالبيان عنها والإفصاح . ورابعه السرطان ، بيت القمر وشرف المشتري ، دليل العواقب الدال عليها القمر بالطبع لما عليه في الوضع من سائر الكواكب في مرتبة الأخير . وخامسه برج الأسد ، بيت الأفراح واللذات ، وصاحبه الشمس صاحب شرف الحمل الدالة على التزاع في الأمور الرياسية والالتذاذ بها . ثم باقي الكواكب تنظم على النظم الطبيعي وتنطبق لما ينبغي أن يكون عليه الأمر الأفضل في التناسب والتشاكل . وكان يجب أن يكون الشخص ، المتوقع ظهوره ، مرتبط بالدلائل بعضها ببعض في اتفاق كونه بأن يكون هذا البرج طالعه ، ويكون استعمل أمره وملكه على سائر الممالك في الوقت الذي يبلغ انتهاء القران إليه ، ليجري الأمر في النظام على جريان الأمور على المجرى الطبيعي وسريان القوى الكمالية في العالم إليه . فتداعى الدلائل في كونه من الأجرام السماوية في التأثير ومن المادة المستعدة للقبول في التأثير وفي المكان الموافق والزمان المناسب ، وبتوارد القوى والمعاني المحتاجة حيثئذ إليها في وجوده على الحال التي لا يتخللها نقص عن خصال الكمال الداعية إلى طاعته والدخول تحت حكمه وسنته والوقوف عند أمره

ونبيه ، كما اتفق في هذا الزمان بظهور سيد السادات ، ورئيس الرؤساء ،
وملك الملوك ومولانا الملك المنصور وليّ النعم ، عضد الدولة ، وتاج الملة
- أدام الله علوه ! - فإنه ورّد العالم غيائاً لأهله مسعداً لهم الكلمات اللواقح
للكمالات الخاصة بصنف صنف من أحواله ، وطبقة طبقة من طبقات أهله
في التدبير السالك بهم إلى أفضل غاياتهم في السلامة من الآفات ، والسياسة
المؤدية إلى مصلحتهم في معاشهم ومتصرفاتهم ، عارفاً من أعقاب أمورهم
وتوظيفها على المناهج التي تقتضيها سياسة الرعايا ، حتى لا يفوتهم الأجل^(١)
عن معرفة ما يجب عليهم ولا يظنهم البطر فيبني بعضهم على بعض . ولا
يطرح من كان مستحقاً للكرامة ، فيحبس حظه ، واقفاً من هذه الخلال على
كل كمال . فهو - أدام الله سلطانه ! - الكامل في ذاته ، المكمل لغيره ،
المستحق من جميع الخلق الثناء عليه والدعاء بدوام الملك ، وخاصة من أهل
العلوم والآداب : فقد قوى متهم ، وأعلى كلمتهم ، وأطلق ألسنتهم بإذاعة
ما تتحلله كل فرقة من فرقهم من غير تنقية ، ليظهر ما يدعيه ، ويجهز^(٢)
ما يعتقد ، فيبين المحق من المبهطل ، أمة من أن يسطو أحد على أحد
بلسان العصبية في الأدبان .

فالحمد لله الذي أحظانا^(٣) بما حرم به سواها من عابري الأمم الذين تمنوا
بعض ما حظينا به من السعادة بالكون في أيامه السعيدة ، وهو المشلول اداءها
وإجراؤها على أفضل عاداته عنده ؛ إنه كريم فعال لما يريد . وحسبنا كافياً
ومغيثاً . والصلاة على محمد وآله الطيبين الطاهرين .

تمت رسالة أبي سليمان محمد بن طاهر بن بهرام السجستاني في الكمال^(٤)

(١) ص ١ ، م ، د : لا يفوتهم الاصل (١) .

(٢) جهز الكلام وبه : أمانته وأعلن به ، يتعدى بحرف وينير حرف . ويجهز الصوت : رفعه .

(٣) أحظى الله فلاناً بالمال والبنين : أسعده بهما .

(٤) ص : الكلام ... وهو تحريف واضح .

الخاص بنوع الإنسان .

(در آصفهان در مدرسه شيخ لطف الله مرحوم است . چهار شنبه اول ماه رمضان ، سال هزار و چهل و سه ^(۱)) .



(۱) ترجمة المبارة الأخيرة : * في آصفهان بمدرسة الشيخ لطف الله رحمه الله - في يوم الأربعاء أول شهر رمضان سنة ألف وأربعين وثلاثة * - سنة ١٠٤٣ هجرية قمرية .

نورديفوس ٢٢٥

الديجي (٢٤١ - ٢٤١)

برمانيفس الطيب ١٠٣ ، ١٠٠

برساس ١٠٣

بروطاغورس (٢٢٤)

بطروس بن ماري ١٠٨

بطليموس ٨٦ ، (٢١٦ - ٢١٧)

بطليموس الطيب ١٠٧

بلوطيس (٢٣٦)

بليناس (٢٢٠)

بقراط (الأول) ٨٥ ، ٩٣ ، ١٠١ ، ١٠٥ ،

١٠٦ ، ١١٠ ، ٢٠٣ ، (٢٠٧ - ٢١٤)

بقراط (الثاني) ١٠٠

بنفادس (٢٤١)

بهن بن اسفنديار ٩٣

بولوقراطس التتلب ٨٢

دياورسطس (٢٣٤)

اين ييلس (٢٣٩)

- ج -

الملاحظ ١٥١

جالينوس ٨٦ ، ١٠٠ ، ١٠١ ، ١٠٦ ،

١١٠ ، ١١٩ ، (٢٦٤ - ٢٨٠)

جرقرجيس ١٠٢

(محمد) ابن الجهم (٣٠٥)

- ح -

الحسن بن اسحاق بن محارب القمي (٢٩٨)

حنين بن اسحق ١٢٤ ، (٢٨٠ - ٢٨٢)

- خ -

خارافرن ٢٢٨

خاركانس ١٠٧

خاوس (٢٢٧)

خسر بن دارا ٩٣

أبو الخطاب الصائبي (٢٤٢)

خوراطيمس ١٠٣

- ت -

نافرودوس ١٠٤

أبو تمام (النيسابوري) (٢٤٠)

التريحيقي (أبو حيان) ١٥١ ، ٢٤١

- ث -

ثابت بن قرة ٢٩٩ - ٣٠٣

ثالس ١٠٣

ثالسوس ١٠٦ ، ١٠٧

ثارخافس (٢٢٨)

ثافراطس المين زربي ١٠٨

ثالس الملطي ٨٦ ، ٩٢ ، ١٩٣ ، (١١١ -)

(١١٢)

ثامسطوس الطيب ١٠٥

ثامسطوس شارح أرمطو ١١٠ ، (٢٥٩)

ثانينوس (٢٤١)

ثارن الطيب ١٠٥

ثمانس (٢٥٥)

- ذ -

ذرايوس ١١٠

ذوالس الكحان ١٥٨

سقراطيس الشاعر (٢٥١)

سقراطون الطبيب ١٠٢

سقندرس ١٠٨

سقندراس ٢٥٩

سقرو قوس الاول ١٠٢

سقلهوس ١٠٢

سلوس (٢٥٢)

سمراري ١٠٩

سموقلس ١٠٢

سليسان (النبي) ٨٢ ، ١٠٢

سورناخوس ١٠٦

سوراقوس ١٠٨

سورانيوس ١٠٢

سوريانوس ١٠٢

سفوقليس (١٠٢)

سين اسوار ٢٢٥

(ابن سوار (ابن سوار (٢٥٢ - ٢٥٥)

سيفورس ٢١٨

سيفورس ١٠٦

سيفورس ١٠٢

سيفورس ١٠٥

سيفورس ١٠٥

ش -

شهيا بور بن اردشير ٧٥

القد بن الحسين ٢٠٩

الشيخ اليوناني = افارثين (١٦٩) ، (١٧٢) -

(١٧٦)

- ص -

الصبي (ابراهيم) ٣٠٠ ، ٣٠١ ، (٣٤٢) -

(٢٤٦)

الصابي ، أبو (الخطاب) (٢٤٢ - ٢٤٣)

الصميري ١٥٩ ، ٢٢٧

- ط -

طاسوس الاسكندراني ١٠٩

ذيماس (٢٢٣)

ذيماس قوريدس (الكحال) ١٠٩

ذيماس قوريدس (الحشاشي) ١٠٧

ذيماس تانس (٢٥٨)

ذيماس قوس (٢٤٣)

ذيماس ١٠٣ ، ١٠٥

ذيماس الكليسي ٨٥ ، (١٦٩ - ١٧٢)

ذيماس الطبيب ١٠٨

راس ١٠٩

رامون المستوفي ١٠٩

ركيموس ٢٥٤

رامون المستوفي ١٠٩

ركيموس ٢٥٤

روني الكبير ١٠٧

- ز -

(عمى) ابن زرة (٢٢٣ - ٢٢٥)

زيتون (الكبير والصغير) ٨٢ ، ١٠٩

(١٦٨) ، (٢٢٥)

- س -

ساروس ١١٠

سافرسطس (٢٤٦)

ساراس ١٠٢

(أبو سيمان) السجستاني ١٣٨ ، ١٥٩ ،

(٣١١ - ٣١٥)

سحس ١٠٩

(أحمد بن الطوب) السرخسي ٢٨٦ ، (٢٩٧)

سطر اولوقوس (٢٢٦)

سطل ١٠٥

سعيد بن يعقوب الدمشقي (٢٠٢ - ٢٠٥)

سقاطس ١٠٦

سقراط (٨١ ، ٨٢ ، ٨٨ ، ١٢٨ ، ١٢٩) (١٢٨ - ١٢٩)

طاجة النسي ٢٣٨
 طيفن (٢٥٠)
 طيلامخس (٢٣٠)
 طيله'نارس (٢٠٥)
 طيلماوس الطرموسي ١٠٩
 فوسطرخس (٢٤٩)
 فريوس ١٠٤
 فقساطيس (٢٥٠)
 فلسطين (٢٣٤)
 فوراطرخس ٢٢٤
 فورييس ١٠٧

- ج -

(أبو الحسن) العامري ٨٢ ، ٨٥ ، (٣٠٧ -
 ٣٢٣) ، ٣١٠
 حسان بن عفان ٢٧٦
 (أبو محمد) العروسي (٢٤٢)
 عقد الدولة البرجي ٢٨٦
 (أبو الفضل) ابن السيد ١٥١ ، (٣٢١-٣٢٧)
 عيسى (القنيسي) ٩٥
 عيسى بن علي بن عيسى بن الجراح (٣٢٢-٣٢٣)

- غ -

غانوقس ١٠٦
 غانسارام المصري ١٠٨
 غرغوريوس (٢٢٤)
 غلام زحل (٢٣٩)
 غسوفاس ١٠٤
 غورديافوس ٩٥
 غوروس ١٠٠ - ١٠١
 غوفولس ١٠٤
 غيلن (٢٥٠)
 غيلاس ١٠٨
 غيليس ١٠٤
 غيلس (أبو الاسكندر المقدوني) ٩٤ ، ١٥٢ ،
 ١٠٣ ، ١٥٥ ، ١٥٦
 فيلن (٢٥٠)
 فيساطرس ١٠٩
 فيلسوس (٢٥٧)
 فورس (٢٣٤)
 فينوس (٢٣٩)
 فيثاغورس ٨٢ ، ٨٣ ، ٨٧ ، ٨٨ ، ٩٥ ،
 ١٠٥ ، (١١٦ - ١٢٤) ، ٢٨٢

- ف -

- ق -

فافانس ١٠٩
 الفارابي ١٣٧
 فالاميلس ٩٣
 فانيس ١٠٤
 فايندروس (٢٥٨)
 فرداذس ١٠٨
 فرغوريوس ٩٣ ، ١١٠ ، (٢٥٩ - ٢٦١)
 فروطرخس ١١٠
 قابس السقراطي (٢١٤ - ٢١٥)
 قديموس ٩٣ ، ٩٤
 قففيون ١٠٢
 قرطس المشاء (٢٥١)
 قوس ١٠٤
 القومشي (٢٣١)

- ك -

- مسارس ١٠٢ ، ١٠٤
سكويه (أبو علي) (٣٤٦ - ٣٥٢)
المسيح ١١٠
سستارس ١٠٢
معاوية (بن أبي سفيان) ٢٧٦
مفسن الحصري ١٠٦
مفيسن الاسكندراتي ١٠٩
ابن مقداد (٣٢٨ - ٣٣١)
ملياطس ١٠٥
موس (٢٥٧)
موزيوس ١٠٨
موسوريوس (٢٤٥)
موريق الملك (٢٥٨)
موطيموس ١٠٢
مولوموس الاسكندراتي ١٠٩
موريطس ٢٢١
مورون السوفسطائي (٢٢٣)
ميررس ١٠٤
مبلاطوس اخكيم ١٦٧
مبلسين ١٠٤
- كسا فرسطس (٢٤٠)
كسانوفون ٢٠٦
كسانوقراطس (٢٤٦)
الكندي - فيلسوف العرب (٢٨٢ - ٢٩٧)
كورس ٢٥٢

- ل -

لاقن ٢٤٤
لاون ١٠٨
لوتوس ١٠٩

- م -

- ماجيس ١٠٥
ماخاخيس ١٠٤
مارس الحيلي ١٠٧
مارفس ١٠٧
مارينوس ١٠٩
ماسرجس (٢٣٣)
ماسرخس ١٠٦
ماسطس ١٠٢
ماغارا العين زربى (١١٠)
ماغينوس ١٠١
مالس (٢٠٦ - ٢٠٥)
مامانس ١٠٣
مالاياريسا ١٠٦
مانافس ١٠٤
مانافس الأثوبي ١٠٩
مالطاس ١٠٦
مانافيلس (٢٥٧)
ماهانس ١٠٢
ماينوس ١٠٢
مرقس ١٠٢
مرطانس ١٠٨
- (علي بن يحيى) التديم ٩٤
نسميون ٢٢٠
نظيف الرومي (٢٣٨)
أبو النفيس ٢٧٦ ، (٣٥٥ - ٣٦١)
نفرطوس (٢٥٥)
اتنوشجاني ١٠٩ ، (٢٤١)
فوطس المجير ١٠٩
فيقالوس (٢٣٩)
فيقايون (٢٣٩)

- ن -

هرمس ٩٨ ، (١٨٤ - ١٨٩)

رأبش ١٠٥

رأبش (٢٥٥)

رأبش ١٥٨

رأبش بن رأبش الرأبش (٢٢٩)

رأبش (٢٢٩)

رأبش ٩٢

رأبش ١٠٢

رأبش النأبش ٩٩ ، ١٠٠ ، ١١٠ ، (٢٢٩)

(٢٢٩)

رأبش بن رأبش (٢٢٧ - ٢٢٨) ٢٢٠

فهرس أسماء الكتب

- «جوامع كلام أفلاطون في سياسة المدن» ٩٥ «قاطنغور ياس» لأرسطو ٢٨١
 «السماع الطبيعي» لأرسطو ٣٧٣ أسماء مؤلفات أبي الحسن البصري
 كما ذكرها بنفسه ٣٠٨
 «طيمائوس» لأفلاطون ٩٠ ، ٩١
 «فولطيقوس» لأفلاطون ٨٩ «الأمد على الأبد» للعامري ٨٢



شجرة